

بءء موضوعي ناقد

بنية  
العقل  
الباطني  
الشيعي

ءسن اسماعيل

# بنية العقل الباطني الشيعي

دراسة نقدية موسعة

حسن إسماعيل

بنية العقل الباطني الشيعي

مقدمة ومدخل

أولا

من بين مجمل الأفكار والفلسفات والعقائد والبدع والتيارات الفكرية التي تسلت الى الإسلام عبر التاريخ نجد ان أكثرها خطراً وتأثيراً كان المذهب الباطني والذي كان له دوراً سوداويًا مؤلماً دمويًا في التاريخ الإسلامي ولازال الى اليوم نرى تأثيراته التخريبية في المجتمع المسلم عبر الفرق والملل والطوائف التي تتبنى أفكاره المخالفة للدين والشريعة وقد لاقى هذا المذهب الشاذ هجوماً عنيفاً من قبل علماء المسلمين من البداية وقد كتب الكثيرين منهم في نقده وتفنيده وأثاره على الدين والمجتمع الإسلامي .

### ثانياً

أكثر المصادر والمراجع المتوفرة تؤكد لنا بأن الباطنية كمذهب تأسس في البصرة في بدايات القرن الثالث للهجرة لكنه نشأ كفكرة قبل ذلك في بدايات عصر ثالث الخلفاء الراشدين على يد عبدالله بن سبأ والسؤال الذي يطرح نفسه هنا ما هي الأسباب وراء استمرارية هذا المذهب ووجود عشرات الملايين من أتباعه في العالم الإسلامي اليوم وما هي القوى والعوامل التي تمنحه كل هذا الوجود والاستمرارية بالرغم من مخالفته الصريحة لأركان الإيمان والإسلام كما نص عليهما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ؟

من المؤكد اننا سنرد في مجتثنا هذا على هذا السؤال وعلى غيره من الأسئلة المتعلقة بذلك وسيكون ردنا بموضوعية وموثقاً بالأدلة المختلفة والمتنوعة .

### ثالثا

سنبحث في كتابنا هذا مفهوم العقل الباطني بشكل عام وبنية العقل الباطني الشيعي بشكل خاص أن معرفتنا لبنية هذا العقل وتكوينه تجعلنا نصل الى الأسباب الكامنة وراء صموده وبقاءه طيلة هذه الفترة الزمنة الطويلة كفرقة اسلامية تحسب على الاسلام وذلك في سعي تاريخي ملحوظ منها للنيل من مائة العقيدة الإسلامية ولعب دور المفرق للجماعة منذ تأسيسه وفق ما قاله الكثير من علماء المسلمين ومؤرخيهم حيث رأوا ان رهطا من المنافقين والمعادين للاسلام الذين أسلموا تقية ونفاقا كانوا وراء نشر هذا المذهب لأغراض التفرقة والشك والظن في الإسلام كما أشرنا الى ذلك .

نحن اليوم في زمن العلم والمعرفة والذي متوفر فيه كافة الأدوات المعرفية والبحثية التي تساعدنا كثيرا لكشف الحقائق وفضح التزييف والتزوير والتحريف الذي سلكه مؤسسي هذا المذهب وأتباعهم في نشر مذهبهم وعقيدتهم .

وعلىنا أن لا نبخل في تسخير وعينا وثقافتنا وعلمنا لتتقية عقيدتنا وإيماننا مما لصق به من خرافات وأوهام وأباطيل وانحرافات .

### رابعا

ان أغلبية أتباع المذاهب الباطنية متعصبين لعقائدهم و هناك صعوبة بالغة في زعزعة ما تجمع وتكسد  
في رؤوسهم من أوهام وأباطيل فالمشكلة لا تتعلق بحجج وبراهين وأدلة اقناع فهم لا يعيرون لها أي  
اهتمام لكون الأمر هو خضوع عقائدي وسياسي - مرتبط بمنافع دنيوية ومطامع سياسية - لهيئات  
كهنوتية حاكمة تفرض نفسها كمرجعية دينية تدعي زورا وبهتانا من ان سلطتها الحاكمة ترجع الى  
رسول الله عليه الصلاة والسلام مدعين أنفسهم من ( آل بيت النبي ) .

ان هذا الكهنوت الحاكم قد كون لنفسه امبراطوريات اقتصادية و مالية تساعد في الاستبداد و اليوم  
يستغل كل وسائل التكنولوجيا الحديثة للتحكم والسيطرة ومحاولة توسيع جمهوره وقطعانه ونفوذه عبر  
الدعاية الإعلامية و الاستغلال واغتنام الفرص لضم المزيد وللتوسع والهيمنة السياسية وسنعطي أمثلة  
على الكثير من حالات التمدد والتوسع والتي سببت الكثير من الصدمات والحروب والفتن في عصرنا  
الذي نعيش فيه .

ان خير من يمثل العقل الباطني اليوم هو المذهب الاثني عشري \_ والذي تؤمن به أكثرية الشيعة اليوم  
\_ لذلك فحينما نتحدث هنا عن بنية العقل الباطني الشيعي فالمقصود هنا مذهب الاثني عشرية أو  
الأمامية والذي يقوم على أسس باطنية دخيلة بحجة لا وجود لها ولا دليل في القرآن الكريم والسنة  
النبوية .

خامسا

نحن لا نتحدث هنا بروح مذهبية وطائفية وإنما بطريقة علمية نقدية موضوعية بحجة بقصد فهم  
ومعالجة مشكلة مستعصية ظهرت في الإسلام منذ عشرات القرون ولا زالت الى يومنا فالمذهب الاثني  
عشري ليس مذهباً تقليدياً له طقوسه وعباداته بل تجاوز ذلك بكثير ليصبح نظاماً سياسياً فقهياً  
متكاملاً يتخذ من الدين الإسلامي ستاراً وحجاباً له ويأتي تنمة لما فعله من قبل الصفويين من محاولة  
لتشيع الإسلام والمسلمين وصنع وتأسيس وتكوين ديناً جديداً مختلفاً كل الاختلاف عن دين الله  
ورسالة رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام .

وان هذا الدين الباطني الجديد الذي ظاهره الإسلام وباطنه الجوسية قد تسبب في حدوث انقسامات  
إسلامية عقائدياً فكرياً داخلياً عظيماً واضحاً وظاهراً وعلنياً بين تيار أهل السنة والجماعة والذي  
يمثل الفكر الأصولي السلفي وبين التيار الباطني الذي تتقمصه الشيعة ومن يدور في دائرتهم وهذا  
الصراع مظهره ديني وهو في الحقيقة والواقع صراع سياسي منفعي والضحية الوحيدة لهذا الصراع هو  
الدين والإسلام والمسلمين الذين أصبحوا أمة يضرب فيها المثل اليوم في التخلف والجهل والفقر وليس  
بأيدينا سوى فضح نوايا المناققين والمخالفين وكشف الاعييبهم وخططهم وأساليبهم لذلك فمن أهداف  
هذا البحث بيان وتوضيح حقيقة الإسلام كدين سماوي كما نزل على سيد المرسلين محمد عليه  
الصلاة والسلام وكشف ما تعرض له هذا الدين من تحريف وتخريب بواسطة الكثير من الأفكار

والفلسفات والتيارات التي أتته من الخارج أو التي نشأت منه من الداخل وعلى رأسها المذهب والفكر الباطني .

## سادسا

سيسير بحثنا هذا في عدة اتجاهات ومحاور ومباحث وسنبداً ببحث مفهوم العقل الباطني الشيعي و تاريخ وأسباب ودوافع نشأته في الإسلام بعد ذلك سننتقل الى عصرنا الحديث لتعرف على عجل على الطوائف والمذاهب الباطنية التي لازالت قائمة الى اليوم وهي الشيعة الأمامية والصوفية والاسماعيلية وغيرها لندخل بعدها في صلب بحثنا وموضوعنا هذا وهو بنية العقل الباطني الشيعي والرواكر التي بني عليها وهي سبعة أركان سنعالجها في ست محاور وهي آل البيت والتأويل والولاية والوصاية والأمامة والمعصومية والمظلومية وسيتناول مبحثنا الأخير الدور التخريبي التاريخي الذي لعبه هذا الفكر الباطني الشيعي في الإسلام وكيف يؤثر اليوم على حياة المسلمين في وقتنا الراهن وما أقترفه أتباع هذا الفكر من جرائم واعتداءات بحق الإسلام والمسلمين

## سابعا

ان أسلوبنا ومنهجنا في البحث لا يتغير وهو قائم على الموضوعية والمصدقية والجرأة وسنسير في بحثنا هذا وفق هذه المعطيات الثلاث محاولين قدر الإمكان الاعتماد على المصادر والمراجع الموثوقة

والحيادية فموضوع هذا البحث خطير لذلك توجب علينا أن نعرف كيف ننجزه لتكوين فكرة صادقة  
موضوعية بعيدة عن ذواتنا وما تؤمن وتعتقد به وتستهو به .

كل ذلك مرجعيته وهدفه غيرتنا على الدين الإسلامي الذي هو معتقدنا ومنقذنا فالدين عند الله  
الإسلام وليس سواه والإسلام دين واحد أركانه ثابتة واضحة لا تتغير وليس هناك أي مبرر لأي  
خلاف يحصل لتفسير شرعه ومنهجه وان حصل مثل هذا الاختلاف فمرجعيتنا ودستورنا للتحاكم  
اليها هو القرآن الكريم وفيه الحكم العدل والمنهج الصحيح والصراط المستقيم

#### ثامنا

هذا الكتاب هو السادس في سلسلة مجوثنا وكتبنا المتعلقة بالدين والإسلام وبدأناه بكتاب العقل  
البشري وفلسفة القرآن ومن ثم كتاب الإسلام في قفص الاتهام وكتاب محمد رسول الله وكتاب نفحات  
روحانية ثم كتاب الحكم والصراع السلطوي في الإسلام وأخرها كان كتاب أتى أمر الله وحاولنا في كل  
كتاب التنوع في طرح المواضيع ومناقشة القضايا الإسلامية وهي في معظمها قضايا تاريخية لها  
انعكاساتها الراهنة .

ونرجو من الله أن يكون كتابنا هذا نافعا وقادرا على إيصال الحق والحقيقة مثل ما سبقه من أبحاث  
وكتب .



ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين .

حسن إسماعيل

تشرين الأول 2022

## بنية العقل الباطني الشيعي

مبحث تعريفي وتاريخي

المبحث الأول

تعريف العقل الباطن

فلسفيا

العقل الباطن أو العقل اللاواعي يتكون من عمليات في العقل تحدث تلقائيًا وليست متاحة للاستبطان .  
على الرغم من وجود هذه العمليات تحت سطح الإدراك الواعي، يُعتقد أنها تمارس تأثيرًا على عمليات  
التفكير الواعي والسلوك . تشير الأدلة التجريبية إلى أن الظواهر اللاواعية تشمل المشاعر والرغبات  
المكبوتة، والذكريات، والمهارات التلقائية، والمحفزات اللاشعورية، ورددود الفعل التلقائية . صاغ هذا  
المصطلح الفيلسوف الرومانسي الألماني فريدريك شيلن في القرن الثامن عشر، ثم أدخله الشاعر وكاتب  
المقالات صامويل تايلر كولريدج إلى الإنجليزية .

كان ظهور مفهوم اللاوعي في علم النفس والثقافة العامة يرجع أساسًا إلى عمل طبيب الأعصاب والمحلل  
النفسي النمساوي سيغموند فرويد . في نظرية التحليل النفسي، يتكون العقل اللاواعي من الأفكار  
والدوافع التي خضعت لآلية الكبت: الدوافع المنتجة للقلق في الطفولة ممنوعة من الوعي، لكنها لا تتوقف  
عن الوجود، وتمارس ضغطًا مستمرًا في اتجاه الوعي . ومع ذلك، فإن محتوى اللاوعي لا يعرفه الوعي إلا  
من خلال تصويره بشكل مقنع أو مشوه، عن طريق الأحلام والأعراض العصبية، وكذلك في زلات  
اللسان والنكات . يسعى المحلل النفسي إلى تفسير هذه المظاهر الواعية لفهم طبيعة المكبوت .

### خصائص العقل الباطن

هناك عدّة خصائص للعقل الباطن، وهي كالآتي :

تواجد الأفكار المنطقية وغير المنطقية في العقل الباطن .

لا تمتلك أفكار العقل الباطن يقيناً مقارنةً بالأفكار الواعية، كما أنها غير مرتبةً ترتيباً زمنياً .

العقل الباطن عبارة عن نظام شديد التعقيد يعمل وفقاً لقوانين .

### تعريف العقل الباطني الديني

رأينا أن المقصود بالعقل الباطن هو اللاشعور والذي يقابله الشعور والذي هو ظاهر وواضح في تصرفات الفرد بينما اللاشعور فيدخل في باب الحفاء أو غير الظاهر أو المتخفي ومصطلح اللاشعور هو مصطلح فلسفي نفسي ابتكره فرويد أما مفهوم الباطن في الإسلام فهو من حيث الشكل عكس الظاهر أو هو المتخفي وهذا يطابق المعنى الفلسفي والنفسي لكنه يختلف عنه في الموضوع فيراد بالعقل الباطن في الفلسفة وعلم النفس العمليات العقلية الذي تحدث تحت سطح الإدراك الواعي بينما مفهوم الباطن في الإسلام فموضوعه ليس العمليات العقلية بل بكل الأمور التي هي ليست ظاهرة فهو عالم قائم بذاته لكنه داخلي عميق خفي وعرف هذا المفهوم في الإسلام من قوله تعالى : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [ سورة الحديد : 3 ]

في التفسير الوسيط لهذه الآية الكريمة :

وهو الظاهرُ أي: الظاهر وجوده عن طريق مخلوقاته التي أوجدها بقدرته إذ من المعروف عند كل عاقل أن كل مخلوق لا بد له من خالق، وكل موجود لا بد له من موجد فلفظ الظاهرُ مشتق من الظهور الذي هو ضد الخفاء، والمراد به هنا ظهور الأدلة العقلية والنقلية على وجوده ووحدانيته وقدرته وعلمه .

وهو الباطنُ من الباطن بمعنى الخفاء والاستتار، أي : وهو سبحانه المحتجب بكنه ذاته عن أن تدركه الأبصار، أو أن تحيط بحقيقة ذاته العقول، كما قال-تبارك وتعالى- لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ، وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ .

ويصح أن يكون الباطنُ بمعنى العالم بما بطن وخفى من الأمور يقال: فلان أبطن بهذا الأمر من غيره، أي: أعلم بهذا الشيء من غيره فالظاهر هو واضح وبين سواء أكان من الماديات أو المعنويات أما الباطن فهو المخفي منها .

ونستطيع بعد ذلك أن نعطي مفهومًا أو تعريفًا لما تقصده من قولنا العقل الباطني في الإسلام ( بأنه العقل الديني الذي ادعى بعلمه ومعرفته بباطن أمور الدين والشريعة وتأويل آيات القرآن والتي لا يعلمها تأويلها إلا الله وحده وعزا ذلك الى خاصيته عند الله أي له خصوصية معينة ) .

فالعقل الباطني هو الذي أقام وأسس قواعد الفلسفة الباطنية في الإسلام والفكر الباطني وهو الذي أقام الطوائف والمذاهب والفرق التي تعرف باسم الباطنية .

## معنى الباطنية دينيا وفقهيا

لفظ الباطنية مأخوذ من كلمة بطن بمعنى خفي فهو باطن، جمعه بواطن، واستبطن أمر وقف على دخلته، والباطنة بالكسرة، السريرة، والباطن هو داخل كل شيء ومن الأرض ما غمض يسمى باطنا، وسبب تسميتهم بهذا الاسم لأنهم يزعمون أن لظواهر القرآن بواطن يعرفونها دون سواهم، وقال الشهرستاني في سبب تسميتهم بهذا اللقب: "إنه لزمهم بهذا اللقب لحكمهم بأن لكل شيء ظاهرا وباطنا، ولكل تنزيل تأويلا".

والباطنية مصطلح عام، نسبة إلى "الباطن"، المقابل "للظاهر"، يطلق على بعض الفرق - الإسلامية وغير الإسلامية - التي لم تقف في قضية "التأويل" عند حدود وإنما ذهبت فيها مذاهب الغلو والتعميم والإطلاق والتأويل كما يدل عليه المعنى اللغوي المتأخر هو: "صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى آخر يحتمله اللفظ".

ويعرف الإمام أبو حامد الغزالي الباطنية بقوله: "أما الباطنية فإِنما لقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر، وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صوراً جليّة، وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة".

وبشيء من التفصيل يقول د. عبد الرحمن بدوي:

"الباطنية لقب عام مشترك تندرج تحته مذاهب وطوائف عديدة، الصفة المشتركة بينها هي تأويل

النص الظاهر بالمعنى الباطن تأويلاً يذهب مذاهب شتى، وقد يصل التباين بينها حد التناقض الخالص. فهو يعني أن النصوص الدينية المقدسة رموز وإشارات إلى حقائق خفية وأسرار مكتوبة، وأن الطقوس والشعائر، بل والأحكام العملية هي الأخرى رموز وأسرار، وأن عامة الناس هم الذين يقنعون بالظواهر والقشور، ولا ينفذون إلى المعاني الخفية المستورة التي هي من شأن أهل العلم الحق، علم الباطن".

ومما سبق يتضح أن "الباطنية" لقب أطلق على مجموعة من الفرق التي ادّعت أن للإسلام ظاهراً وباطناً وأن لكل تنزيل تأويلاً، وبالغت في "التأويل" حتى جعلته هو الأصل والقاعدة .

## المبحث الثاني

### منشأ العقل الباطني والباطنية

قلنا في تعريفنا للعقل الباطني أنه المسؤول عن نشوء الفكر الباطني والفلسفة الباطنية في الإسلام لذلك يجب أن نعرف ونفهم من أين أتى هذا الفكر الدخيل ومتى تم ذلك فهل هو فكر تم استيراده واستعارته من فكر خارجي أم هو نتاج فكري إسلامي خالص .

لا بد هنا من الاستعانة بالتاريخ لنغوص فيه ونبحث لعلنا نجد ما يعيننا في معرفة ذلك .

### البدايات الفلسفية للفكر الباطني

أن من الممكن رصد بعض الإرهاصات الفعلية للحركة الباطنية، من خلال الوثائق المدونة، والتي ظهرت في مناطق مختلفة عن ديانات الأسرار والمذاهب الغامضة، سواء في اعتقاداتها أو في طقوسها، وبعضها يرجع إلى حدود القرن السابع عشر قبل الميلاد، وقد انتشرت هذه المذاهب في القرون القليلة السابقة على ميلاد السيد المسيح، حين تداعت الإمبراطوريات اليونانية، وحلت محلها الإمبراطورية الرومانية في كافة مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط .

وقد كان لكل من هذه الديانات السرية أسطورة تتعلق بحياة أو مجاذة معينة في حياة إله هذه الديانة، تعطي من يعبده فكرة عن مغزى وجوهر هذه الديانة، بما تحويه هذه الأسطورة من إشارات ورموز مقدسة، وكانت طقوس وعبادات هذه الديانات عبارة عن احتفال يقام في أماكن سرية لا يتعبد بها إلا

المطلعون على أسرارها، وكانت هذه الطقوس تمثل عادة عذاب إله من الآلهة وموته وبعثه، أو تحيي  
ذكرى هذا العذاب والموت والبعث بطريقة شبه مسرحية.

إن من أبرز ديانات الأسرار القديمة في بلاد اليونان الديانة الإليوسية، نسبة إلى مدينة إلويسيس، التي  
انتشرت منها إلى كافة بلاد اليونان، واستنادًا إلى الأدلة الأثرية يتضح أنها تعود في ظهورها إلى القرن  
السادس عشر قبل الميلاد واستمرت حتى القرن الرابع الميلادي، أي أنها استمرت حوالي ألفي سنة.  
ويذهب الباحثون إلى أن جذور هذه الديانة تعود إلى الديانات الإيجية القديمة.

ومن ديانات الأسرار اليونانية التي كان لها أثر مباشر على الديانة المسيحية في ما يبدو، الديانة الأورفية،  
واسمها نسبة إلى شخص اسمه أورفيوس التراقي (الثراكي)، وهو يقدم تارة على أنه موسيقي بارع، لم  
يكن يدانيه أحد في الثقافة والشعر والموسيقى، وأخرى على أنه كاهن زاهد من كهنة ديونيسوس، إلا  
أن جميع ما وصل عنه من قصص وأحداث أدخلت في الأساطير، مما ألقى بظلال من الشك على  
حقيقة وجوده وعدمها.

لقد كانت الديانة الأورفية تعارض سفك الدماء وتدعو إلى السلام، ودعا الأورفيون إلى الطهارة  
والامتناع عن أكل اللحم حتى يعيش الإنسان والحيوان في سلام، كما آمنوا بفكرة تقمص الأرواح، وأن  
الأرواح تجس داخل الأجساد، وبالثواب والعقاب، في حياة أخرى.



تقول الأسطورة: إن عابدات ديونيسيسوس مزقن جسد أورفيوس وهن في حالة من الجنون المقدس، الذي يتأبهن أثناء أدائهن لطقوس ديانة ديونيسيسوس السرية، ثم قطعن رأسه ورمينه في الماء، فطفقا على سطحه حتى وصل إلى جزيرة لسبوس، وهناك وضع على مذبح، وظل الرأس يغني وينظم الأشعار، ويتبأ بالمستقبل لمن يستشيريه.

ويذهب بعض الباحثين إلى أن هذا هو السبب في الموقف العدائي الذي أخذته الديانة الأورفية من النساء، حيث رفض كهنة أورفيوس انضمام النساء إلى دياتهم، بل إن أورفيوس نفسه كان قد شجع الرجال على هجر نسائهم.

هذا كله في الحضارة الغربية القديمة، والتي تشكل الديانات اليونانية الحجر الأساس والأهم من بينها، وتأتي بعدها في الدرجة الديانات الرومانية، وأما في بلاد الشرق القديم، فعلى الرغم من أنها على العموم ذات طابع توحيدى، وأنها تؤمن بإله واحد، خالق للسماء والأرض وكل شيء، ولم يأخذ إنسان الشرق القديم مسألة تعدد الآلهة على محمل الجد، بحيث لم تكن الآلهة متعددة بالنسبة إليه إلا وجوهًا متكثرة للقدرة الإلهية الواحدة، مما أدى إلى تداخلها الوثيق مع الفكر الديني السامي في بلاد الشرق على العموم، إلا أنها لم تتحرر من الاعتقادات السرية بالمرّة، كما نجده في بعض عقائد الكلدانيين السرية، وما نجده في الاعتقادات الهندية القديمة.

والظاهر أن اختلاط التوحيد بالشرك في بلاد الشرق القديم ناشئ من أحد عاملين أو منهما معًا، وهما:

العامل الأول: اختلاطهم بالشعوب الغربية، نتيجة الحروب والاحتلال التي كانت تتعرض له بلادهم، ومن المهاجرين الذين وفدوا إليهم من هؤلاء الغربيين، أو ما كانوا يقومون به من غزو للغربيين ذوي الاعتقادات السرية، التي تقدمت الإشارة إلى بعضها .

والعامل الثاني: دخول القصص الشعبية وتبديلات أتباع هذه الديانات مع مرور الزمن، كما نراه في تعاليم بوذا في الهند، وزرادشت في بلاد فارس .

ومن النصوص أو التراثيل الدالة على عنصر التوحيد في مصر القديمة قولهم: “واحد ولا ثاني له واحد خالق كل شيء، قائم منذ البدء، عندما لم يكن حوله شيء، والموجودات خلقها بعدما أظهر نفسه إلى الوجود، أبو البدايات، أزلي أبدي دائم قائم، خفي لا يعرف له شكل، وليس له شبيه، سر لا تدركه المخلوقات، خفي على الناس والآلهة، سر اسمه، ولا يدري الإنسان كيف يعرفه إلخ...” .

إن هذه الترتيلة الموغلة في القدم دفعت السير وليس بدج، إلى القول بأن المصريين كانوا يؤمنون بإله واحد، موجود بذاته، خفي، أبدي وأزلي، كلي القدرة والمعرفة، لا تدركه الأفهام والعقول، خالق للسماء والأرض وكل ما عليها .

وكذلك الحال في غير مصر، من أمم الشرق القديم كالسومريين والبابليين، بل نجد مبادئ التوحيد في ديانة زرادشت في بلاد فارس، رغم ما أدخل عليها جمهور المؤمنين بها ما ليس منها، فلقد وصفها بعضهم بأنها "في غاية النقاوة، وأن جوهرها التوحيد بأنقى مظاهره، فهي لا تقر إلا بإله واحد هو أورموزد، لا قياس لعظمته وقدرته وروحانيته".

نستخلص مما تقدم، أن منشأ الحركات الباطنية ومصدرها هي الديانات السرية التي راجت في بلاد الغرب منذ فجر التاريخ، والتي دخلت في عادات وتقاليد الشعوب السامية، والشرقية على العموم، ثم شيئاً فشيئاً أدخلت في أديانها بشكل رسمي، فتأسست بذلك مذاهب و فرق في هذه الأديان، والسماوية منها على وجه الخصوص.

وليس من مجرد المصادفة أن فلاسفة المشرق كانوا من الشيعة بتفكيرهم كما كان منهم أناس متشيعون بنشأتهم وميراثهم من بيوتهم. فكان الكندي والفارابي وابن سينا من الشيعة، وكان إخوان الصفاء كذلك من الشيعة. ومن كان من الفلاسفة سنياً كالفخر الرازي فمذهبه الفلسفي في صفات الله يوافق مذهب الإسماعيليين وأئمة الفاطميين؛ إذ كان يرى أن الإيمان بتعدد الصفات واستقلال كل صفة منها عن الأخرى تعدد لا يوافق التوحيد.

والذي نستخلصه من المذهب الفاطمي أن فلاسفتهم أخذوا بمذهب الفيض الإلهي الذي تعلمه المشركيون باسم الحكيم أفلاطون، وهو ينتمي في حقيقته إلى الحكيم أفلوطين.

نستخلص هذا من قول ابن سينا أن أباه كان يذهب في الكلام عن العقل والنفس مذهب الإسماعيلية .

ونستخلصه من رسائل إخوان الصفا وهم من القائلين بمذهب الفيض الذي كان يقول به أفلوطين .

بل نستخلصه من خلط الخاطين في هذا المذهب؛ لأنه هو المذهب الذي يتعرض لهذا الخلط في كل

مكان، وقد تعرض له في الشرق كما تعرض له بين الأوربيين في القرون الوسطى، ولا يزال يتعرض له في

العصر الحديث .

وعلى نقيض ما قيل عن الإباحة في مذهب الإسماعيليين، يمتاز مذهب الفيض الإلهي بالمبالغة في التطهر

والإعراض عن الشهوات والترفع عن غواية الدنيا التي يتهالك عليها الجهلاء، والجاهل عندهم هو من

يتعلق بشيء من الأشياء غير معرفة الحقيقة الإلهية والبحث عنها في كل ظاهرة من ظواهر هذا

الوجود .

وقد نبه إخوان الصفاء في غير موضع من رسائلهم إلى وجوب التطهر على الحكيم الخالص للحكمة في

حياته الخاصة والعامة، وقالوا غير مرة: إن الاستسلام لشهوات البدن يقطع الإنسان عن آخرته ومعاده،

ومن ذلك قولهم في رسالة الجسمانيات والطبيعات: «اعلم أن الاستغراق في الشهوات في هذه الدنيا

ينسي الإنسان أمر الآخرة ويشككه وييسسه منها، كما قال قائلهم في هذا المعنى:

هي الدنيا وقد وعدوا بأخرى وتسويف الضنون من السوام

وقيل أيضًا في هذا المعنى شعرًا:

خذوا بنصيب من نعيم ولذة وكلُّ وإن طال المدى يتصرم

وقال آخر وقد كان ساهيًا عن أمر الآخرة:

ما جاءنا أحدٌ يجبر أنه في جنة مذ مات أو في نار

وأشعارهم كثيرة في مثل هذه الظنون والشكوك والحيرة التي وقعوا فيها عقوبة لهم عندما تركوا وصية

ربهم ونصيحة أنبيائهم واتباع علمائهم والحكماء فيما يدعونهم إليه ويرغبون فيه من نعيم الآخرة،

ويأمرونهم به من الزهد في الدنيا وينهونهم عنه من الغرور بشهواتهم وعاجل حلاوتها. «

ومنذ القدم عرف عن هذا المذهب الفلسفي أنه مذهب نسك وعفة وعزوف عن الماديات وترفع إلى

عالم الروح، وكان أفلوطين صاحبه قدوة لأبناء عصره في العفة والزهد والانتقطاع عن شواغل الثروة

والجاه، وكان من تلاميذه من يبيع قصوره ونفائسه ليلازمه في معهده ويعيش على مثاله.

ولا غنى عن خلاصة لهذا المذهب نقلها هنا كما أوردناها في رسالتنا عن الشيخ الرئيس ابن سينا

وهي كما يلي:

إنه يتجاوز أرسطو أشواطًا بعيدة في التنزيه والتجريد، فيرى أن الله أو الأحد من وراء الوجود ومن

وراء الصفات، لا يُعرف ولا يوصف، ولا يوجد في مكان ولا يخلو منه مكان، وكمالُه هو الكمال الذي

نفهمه بعض الفهم بنفي النقص عنه، وهيئات أن نفهمه بإثبات صفة من الصفات؛ لأننا نستطيع أن نقول: إنه لا يكون هكذا ولا نستطيع أن نقول: إنه هكذا يكون.

وقد يتصل به الإنسان في حالة الكشف والتجلي حين تتجاوز الروح جسدها كما يقول، ولكنها حالة لا تقبل التأمل والتفكير، فإذا انقضت فقد يثوب الإنسان بعدها إلى عقله في تأمل ويفكر وينحدر بذلك من مقام الأحد إلى مقام العقل الذي هو دونه، لأن الأحد فوق العقل وفوق المعقول. ويقول أفلوطين كما يقول أرسطو: إن الله أو «الأحد» لا يشغل بغير ذاته؛ لأنه مستغن بذاته كل الاستغناء. أما العالم فقد نشأ من صدور العقل عن الأحد وصدور النفس عن العقل من هذا التأمل، وإن العقل يعقل الأحد فهو أحد مثله، وإن كان دونه في مرتبة الوجدانية، ثم يعقل ذاته فينشأ من عقله لذاته عقل دونه وهو النفس أو هو القوة الخالقة التي أبدعت هذه المحسوسات.

ومن البديه أن صدور الجسم من الجسم يُنقصه ويخرج شيئاً منه ينتقل من المعطي إلى الآخذ فينقص بانتقاله، أما صدور الفكرة من العقل فلا تنقصه ولا تجرده من شيء فيه، ومن هذا المثال نفهم صدور العقل عن الأحد الذي لا يعتره نقص مجال من الأحوال.

والنفس وهي المرتبة الثالثة في الوجود عند أفلوطين تتجه إلى العقل فتجسم معه في مقام التجريد والتنزيه، وتتجه إلى الهولي فتبتعد عن التجريد والتنزيه، ولهذا تخلق الأجسام وتضفي عليها الصور على سبيل التذكر لما كانت تتأمله وهي في عالم القدرة الكاملة أو عالم الصور المجردة، فهذه المحسوسات

هي كالظلال للمعقولات قبل أن تبرزها النفس في عالم المحسوسات، أو هي كأطياف الحالم وهو يستعيد بالرؤيا ما كان يبصره بالعيان.

فالمحسوسات كلها أوهام وأحلام، وكلها غشاء باطل يزداد بعدًا من الحقيقة كلما ابتعد من العقل والنحدر في اتصاله بالهيوولي طبقة دون طبقة، فإن العقل دون الأحد، والنفس دون العقل، والمحسوسات دون النفس، وهكذا تهبط الموجودات طبقة بعد طبقة حتى تنحدر إلى الهيوولي التي لا نفس معها، وهي معدن الشر في العالم؛ لأنها سلب محض يحتاج أبدًا إلى الخلق، وهو الإيجاد أو الإيجاب.

وقد صدرت النفس الفردية من النفس الكلية، ولها كالنفس الكلية التي صدرت منها اتجاهات. فهي باتجاهها إلى النفس الكلية إلهية صافية، وبتجاهها إلى المحسوسات والأجساد حيوانية شهوية. وليست النفس عند أفلوطين ملازمة للجسد كما يقول أرسطو، بل هي جوهر منفصل عنه سابق له كالمثل الأفلاطونية، فلا تقبل الفناء ولا يحصرها الزمان والمكان. وهي تصدر من النفس الكلية اضطرارًا كما صدرت النفس الكلية من العقل الأول، مستجيبة لطبيعة الإصدار في ذلك العقل، وللشوق الهيولاني الذي يترفع بالهيوولي إلى منزلة المحسوسات فالمعقولات.

والشر في العالم هو الهيوولي؛ لأنها سالبة تنزل بالمعقولات والروحيات التي لا تلابسها، ولا محيد عن الشر مع وجود الهيوولي وقدمها وضرورة الملازمة بينها وبين العقل والنفس في دور من أدوارها. وعلى النفس أن تجاهدها وتتنصر عليها وعلى شهواتها، فإن أفلحت عادت إلى النفس الكلية خالصة مخلص، وإن

لم تفلح عادت إلى الجسد مرة أخرى ولقيت في كل مرة جزاءها على الذنوب التي اقترقتها في حياتها الجسدية الماضية.

ولا حرية للإنسان كما رأيت؛ لأن وجوده ضرورة يستلزمها الصدور وملابسة الهيولي، ولكنه يقاوم تلك الضرورة بجهد الشهوات، فيترقى من مرتبة الحس إلى مرتبة التأمل إلى مرتبة الكشف، وينتقل من شتات الحس إلى استجماع العقل إلى وحدة الأحد ورضوان الكمال، فتجزيه ضرورة الارتقاء عن ضرورة الانحدار، ولا محل بينها لشيء من الاختيار، وإن قال به أفلوطين في بعض الأحيان.

هذه خلاصة وجيزة جدًا لأصول مذهب الفيض كما شرحه تلاميذ أفلوطين، نعتمد فيها على المراجع الأوروبية الحديثة التي نقلت مباشرة من اليونانية. وقد نقل هذا المذهب مجملًا في بعض الأوقات ومفصلًا في أوقات أخرى إلى اللغة العربية، ووقع في نقله خطأ إسناد وخطأ تفسير. فنسب الناقلون فصولًا منه إلى أفلاطون ونسبوا مبادئ منه إلى أرسطو، ولكن المتصوفة الإسلاميين وفلاسفة الإسلام في المشرق قبلوا منه ما يوافق الدين الإسلامي، وهو تنزيه الأحد وعقيدة التجلي على الخلاء من العبادة والمتأملين، ورفضوا منه على التخصيص قوله بتناسخ الأرواح وعقوبة الأنفس في هذه الدنيا بردها إلى الأجساد التي تشقى فيها، أو مكافأتها بردها إلى الأجساد التي تترقى فيها إلى مرتبة فوق مرتبتها.

ووجد الفلاسفة والمتصوفة معًا ما يوافقهم في أقوال أفلوطين، فقال بالكشف وقدرة النفس على الخوارق طائفة من المفكرين لا يحسبون بين أهل الطريق ولا يدعون لأنفسهم صفة الإمامة الدينية، وإنما قالوا



بالكشف والقدرة على الخوارق أخذًا بالأقيسة الفكرية، واستدل ابن سينا على إمكان الكشف بأن النفس الصالحة تتلقى في الرؤيا الأنباء بالمغيبات عنها وعن غيرها، فلا مانع من تلقيها العلم يقظة متى تهيأت له بالرياضة وصفاء السريرة، وإن نفس الإنسان تتصرف في مادة الجسد فلا مانع أن تتصرف في مادة الكون بقدرة تستمدها من علة العلل التي تتصرف في جميع الأشياء .

وطائفة من أصحاب المآرب وجدوا في تناسخ الأرواح ما يعينهم على دعواهم، ومنهم من كان يدعي انه ابن الإمام علي بالتسلسل الروحاني مع اعترافه بأنه من غير نسله في السلالة الجسدية، زاعمًا أن النبوة تحصل بالانتماء إلى الروح كما تحصل بالانتماء إلى الجسد، ولم يكن في هؤلاء أحد من الفاطميين ولا كانت بهم حاجة إلى هذه الدعوى؛ لأنهم يصححون نسبهم جميعًا إلى الإمام عليّ بغير وسيلة هذا التناسخ المزعوم .

ولا شك أن العلامة الشهرستاني كان يلخص طرفًا من مذهب أفلوطين كما وصل إلى المشرق حين قال في تلخيصه لكلام الباطنية عن الصفات: «إن الله لما وهب العلم للعالمين قيل: هو عالم، ولما وهب القدرة للقادرين قيل: هو قادر، فهو عالم قادر بمعنى أنه وهب العلم والقدرة لا بمعنى أنه قام به العلم والقدرة أو وصف بالعلم والقدرة. وأنه أبدع بالأمر العقل الأول الذي هو تام بالفعل، ثم بتوسطه أبدع النفس الذي هو غير تام. ولما اشتاقت النفس إلى كمال العقل احتاجت إلى حركة من النفس إلى الكمال واحتاجت الحركة إلى آلة الحركة إلخ»

فهذا المذهب في الصفات الإلهية يوافق مذهب أفلوطين في جملته، وفحواه بلا إغراب ولا إيهام. إننا حين نصف الله بالعلم لا ندرك من كنه العلم إلا ما يعطينا إياه، وإننا حين نصف الله بالقدرة لا ندرك من كنه القدرة إلا ما تقدر عليه بأمر الله، وهكذا في سائر الصفات مما لا يجوز أن يفهم منه أنه إنكار لعلم الله وقدرته؛ إذ كان أصحاب الفيض الإلهي ينكرون نقائص الكمال ويرتفعون بالكمال الإلهي مرتفعًا تعجز عن إدراكه العقول.

لكن هذا المذهب كما أسلفنا عرضة للخلط في فهمه ممن يهرفون بما لا يعرفون، فإن هؤلاء يخلطون بينه وبين مذهب الحلول وهو يناقض مذهب الحلول أشد المناقضة وينكره غاية الإنكار، فإن الخلاص من أوهاق المادة الجسدية عند أفلوطين هو غاية التنزيه والتطهير، ولا يتفق هذا مع القول بحلول الله سبحانه وتعالى في الأجسام.

كذلك يخلطون بينه وبين وحدة الوجود وهما مذهبان متناقضان. فإن القائلين بوحدة الوجود يسبغون الصفة الإلهية على الموجودات جميعًا، وهو قول ينفيه أفلوطين جد النفي؛ تنزيهاً لله «الأحد» عن جميع المحسوسات والمتعددات.

ويسمع السامع أن حكمة الخلق تتجلى في أناس بعد أناس فيخيل إليه أن اللاحق أفضل من السابق أو أن قيام مشيئة الله في كل عصر رسالة كرسالة الأنبياء.

هذا الخاط في فهم المذهب قد جنى على الحقيقة في غير طائل، وجر إلى الخبط في الظنون لغير علة لولا الحماقة وخفة العقل وحب الحذقة والادعاء .

وقد كان ابن هانئ الأندلسي من هؤلاء الذين يتعاطون الفلسفة ويهرفون ه فيها بما لا يعرفون، ولم تكن حذقته مقصورة على مذهب الإسماعيلية بل هي طبيعة نشأت معه في موطنه، ولغظ بالفلسفة وهو يتصل بصاحب إشبيلية فأقصاه خوفاً من اتهامه بمشاركته في أضاليله وخزعبلاته، ولما مدح المعز الفاطمي بقصيدته الرائية التي قال في مطلعها:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

لم يكن يريد أن يقول: إن المعز أقدر من الله وإلا لما قال بعد ذلك:

وكأنما أنت النبي محمد وكأنما أنصارك الأنصار

وإنما أراد أن يتحدث بما سمع عن صفات القدرة والعلم، وأن الله يوصف بالقدرة؛ لأنه يعطيها، وأن مشيئته سبحانه وتعالى تقوم بمن يندبه لإمضاء تلك المشيئة، فخط وخبط، واتهمه الناس ولهم العذر فيما اتهموه به، ولم تكن به ولا بمدوحه حاجة إليه .

إلا أننا إذا صرفنا النظر عن هذا وأشباهه من ضروب الحذقة والمبالغة في الشعر خاصة لم نجد في كلام القوم ما لم يألفه المتصوفة وأبناء الطريق من عبارات المجاز والكناية، وليس فيما روي عن ثقات

الفاطميين شيء لم يسمع مثله من إمام كبير كمحيي الدين بن عربي في كتب التأويل أو كتب الترسل الصريح، وقد كتب محيي الدين إلى فخر الدين الرازي رسالة يقول فيها: «للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة، والنبوة سر لو كشف لبطل العلم، وللعلماء بالله سر لو ظهر لبطلت الأحكام، فقوام الإيمان واستقامة الشرع يكتم السرية. إلى آخر ما قال عن التوحيد والاتحاد والوحدانية والأحادية. وفوق كل ذي علم عليم.»

وهذا كلام لولا ولع المتصوفة بالإغراب لقال قائله: إن النبوة لازمة؛ لأن الناس لا يكشفون سر الغيب غيرها، وإن العلم لازم؛ لأن النبوة لا تصل إلى الناس أجمعين، وإن الأحكام لازمة؛ لأن العالم يزجره العلم والجاهل تزجره الأحكام. ولكن الإغراب في أساليب المتصوفة والحذقة في أساليب من يسمعون ولا يفقهون أو من يفقهون القليل ويحبون أن يظهروا الفقه الكثير — كل أولئك يقود إلى الظنون حيث لا موجب للظنون.

### الغنوصية

يقول الدكتور محمد أحمد الخطيب، في الأصل التاريخي للباطنية: «الواقع أنَّ مؤرخي الفرق مختلفون في أصلها ومصدرها؛ فمنهم من يرجعها إلى الجوس، ومنهم من ينسبها إلى صابئة حران، إلا أنَّ هذا الاختلاف يزول عندما نعرف أنَّ الأصول التي يعتمد عليها الباطنية بكلِّ فرقها وطوائفها نابعة من الفلسفة اليونانية التي غزت بأفكارها الكثير من الفرق. والفلسفة اليونانية الأكثر تأثيراً هي فلسفة

أفلوطين الإشراقيةُ الغنوصيةُ، وفيثاغورس بفلسفته العَدَدِيَّة، ويمكن القولُ بأنَّ منظومةَ عبد الله بن سبأ هي منظومةُ غنوصيةُ باطنيةٌ. ولقد تسَلَّت بعد ذلك الأفكارُ الفارسية في الديانة المزدكية إلى الفرق الباطنية حاملة ثقافة الفرس وأحلامهم وأمانهم باستعادة إمبراطوريتهم.

يقولُ الدكتور محمد أحمد الخطيب، في الأصلِ التاريخي للباطنية: الواقعُ أنَّ مؤرخي الفرقِ مختلفون في أصلها ومصدرها؛ فمنهم من يرجعها إلى الجوس، ومنهم من ينسبها إلى صابئة حران، إلا أنَّ هذا الاختلاف يزولُ عندما نعرفُ أنَّ الأصولَ التي يعتمدُ عليها الباطنيةُ بكلِّ فرقها وطوائفها نابعة من الفلسفة اليونانية التي غزت بأفكارها الكثير من الفرق.

والفلسفة اليونانية الأكثرُ تأثيراً هي فلسفة أفلوطين الإشراقية الغنوصية، وفيثاغورس بفلسفته العَدَدِيَّة، ويمكن القولُ بأنَّ منظومةَ عبد الله بن سبأ هي منظومةُ غنوصيةُ باطنية، ويرى المؤرخون أنَّ (التصوف الإسلامي الحُلوي) المتطرف ذو طابعٍ غنوصيٍّ باطنيٍّ، كما يُصنَّفُ بعضُ غلاةِ الشيعة ضمنَ الغنوصيين، ويُصنَّفُ العلويون (التصيريون) باعتبارهم جماعةً إسلاميةً ذاتَ توجهٍ غنوصيٍّ [4].

وتُصنَّفُ عقيدةُ الدروز والبهائية ضمنَ أشكالِ الغنوص، ولا تزالُ هناك فرقةٌ دينيةٌ في العراق وإيران تُسمَّى المندائيين، وهي فرقةٌ غنوصيةٌ يبلغُ عددُ أفرادها خمسة عشر ألفاً. و"مندائي" هي الكلمة الأرامية لـ "غنوص"، فالمندائي هو العارف، وهي مشتقة من كلمة "منداء" أو "منداع" بمعنى "معرفة"، وتتضمن عقيدتهم التطهر في المياه الجارية، وشعائرَ جنائزيةً مركبةً، فحينما يموتُ المندائي يقومُ الكاهنُ

بالشعائر اللازمة لإعادة الروح لمسكنها الإلهي؛ ليتوحد الميث مرة أخرى مع آدم السري "الإنسان الأزلي"، أو المجد، جسد الإله المقدس!

هذا عن أصل الأفكار، أما أصل الدعوة ورأسها فكان من زمرة الشيعة؛ فالباطنية ظاهرة شاعت بين الطوائف الفارسية الشيعية: "... نشأت محاولة هدم الإسلام من الداخل، عن طريق ابتداع مناهج الباطنية في تأويل الشريعة على نحو يؤدي إلى نسخها، والاستعاضة عنها بمخيل عجيب من الحكمة، يجمع بين خرافات الفرس، وثنية الإغريق، وعقائد اليهود الذين حرفوا دينهم من قبل؛ فظهرت بصيغة إسلامية خادعة؛ كفكرة التور المحمدي، وعصمة الأمة، ومعجزاتهم، والغيبة، والرجعة، والحلول، والتجسيم، والتأويل والتشبيه، وغير ذلك من الأفكار والعقائد ...".

وعلى من يفرق فكر الباطنية أن يلتم بنشأة الشيعة؛ إذ التشيع كان ثوباً يتستر وراءه كل من يبغى بذور الفتن ضد المسلمين، وماوى يلجأ إليه كل من رام هدم عرى الإسلام، محشو البدع بآراء آبائه وأجداده؛ من يهودية نصرانية وهندوسية، وفيثاغورسية وأفلاطونية، وأفلوطينية حديثة.

فقد ظهر بعد عبد الله بن سبأ اليهودي اليمني بأفكاره الحلوئية أبو هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية؛ زعيم الغلاة الشيعة، فقال بالظاهر والباطن، وبعده بيان بن سمعان، الذي أعلن الوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال بتناسخ الأرواح، ونسخ الشريعة الحمديّة، ثم ظهر المغيرة بن سعيد العجلي، الذي اشتهر بعلوم وأسرار العدد، ثم أبو منصور العجلي، الذي رفع الأمة الشيعة إلى مصاف

الألوهية، ثم جاء أبو الخطاب الأَسدي شيخ الخطابة ومنبت الإسماعيلية، وادّعى الإمامة، ثم النبوة، ثم أسقط التكاليف الشرعية، وتخرّج على يديه زعماء الباطنية، وأهمهم: محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق؛ رأس الإسماعيلية، ومنهم المباركية، وميمون القدّاح رأس الميمونية، والتي توأدت منها القرامطة والعبيدية والنزارية والحشاشون والدروز.

وتلامذة أبي الخطاب بعد هلاكه توجهوا لوجهين؛ فميمون القدّاح وابنه عبد الله اتبعا المبارك -مولي إسماعيل بن جعفر- في القول بإمامة محمد بن إسماعيل، وأسسوا بناءً على ذلك الطائفة الإسماعيلية أو المباركية، أمّا المفضل الجعفي فقد تظاهر بالعودة لفرقة موسى الكاظم الاثني عشرية، وبث فيها أفكار الخطابية، لتفرز التصيرية.

ولم يظهر النشاط السياسي للباطنية بشكل منظم ومرسوم إلا على يد ميمون القدّاح، الذي أجمعت كل كُتب الفرق والملل على أنّ هذا الرجل هو المؤسس الحقيقي لهذه الطائفة، وليس معنى هذا أنّ مبادئ الباطنية لم تكن معروفة من قبل، وإنما يرجع إلى ميمون القدّاح دور تنظيم هذه الفرقة، وتكوين وتعليم دُعائها، وإرسالهم إلى الأقطار المختلفة؛ لينشروا مبادئهم وتعاليمهم بين الناس.

يقول العلامة محمد بن مالك الحمادي اليماني: "اعلموا -يا إخواني في الإسلام- أنّ لكل شيء من أسباب الخير والشر، والتفجع والضّر، والداء والدواء- أصولاً، وللأصول فروعاً، وأصل هذه الدعوة الملعونة التي استولى بها الشيطان على أهل الكفر والشقوة ظهور عبد الله بن ميمون القدّاح في الكوفة،

وما كان له من الأخبارِ المعروفةِ، والمنكراتِ المشهورةِ، ودُخوله في طُرُقِ الفلسفةِ، واستعماله كُتُبِ الزَّخرفةِ، وتمشيته إياها على الطَّعامِ، ومكيدته لأهلِ الإسلامِ.

فَنَصَبَ للمسلمينِ الحَبَائِلَ، وَبَغَى لَهُمُ الْغَوَائِلَ، وَلبَسَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَمَكَّرَ أَوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ، وَجَعَلَ لِكُلِّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَفْسِيرًا، وَلِكُلِّ حَدِيثٍ تَأْوِيلًا، وَزَخَرَفَ الْأَقْوَالَ، وَضَرَبَ الْأَمْثَالَ، وَجَعَلَ لِآيِ الْقُرْآنِ شِكْلًا يُوَازِيهِ، وَمَثَلًا يَضَاهِيهِ، وَكَانَ الْمَعُونُ عَارِفًا بِالتُّجُومِ، مُعْطَلًا لِجَمِيعِ الْعُلُومِ ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: 32].

انضمَّ عبد الله بن ميمون القَدَّاحِ إلى حمدان بن الأشعث الملقَّبِ بقرمط، الذي نشط وصار له أتباعٌ يُعلنون بعدها عن ثورته بسوادِ الكوفةِ عام 278هـ، ويُسيطر على عاصمة البحرين "هجر"؛ لتقيم بها طائفةُ القرامطة، ثم أرسل الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القَدَّاحِ الحسين بن فرج بن حوشب وعلي بن الفضل إلى اليمن، فأقاما دولةً للإسماعيليةِ هناك، وأرسل محمد بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القَدَّاحِ -أخو الحسين- أبا عبد الله الشيعي لبلاد شمال إفريقيا؛ فأسس للدولة العبيدية (الفاطمية) بالجزائر، أثناء ذلك تآلب القرامطة على الإمام الإسماعيلي، وأرادوا القضاء على الإسماعيلية في الشام لما شكوا في نسبة الإمامة لهم، وعلموا أن الإمام الدَّعِيَّ (عبيد الله المهدي) من ولد ميمون القَدَّاحِ، وهو سعيد بن الحسين بن عبد الله بن ميمون القَدَّاحِ المتسمي بعبيد الله، فهرب عبيد الله إلى الرملة، ثم مصر، ثم إلى الجزائر، وهناك أعلن عن نفسه ودعوته بعد أن كان مستترًا، ثم



أعلن قيام الدولة العبّيدية عام 297هـ وسمّوها بالخلافة الفاطميّة [I3]، بقيت الدّولة بالجزائر، وتولّى الحكم عبّيد الله (ت322)، ثم القائم بأمر الله (ت334)، ثم المنصور بالله (ت341)، بعدها المعز لدين الله، الذي غزا مصر سنة 358هـ، واتخذ القاهرة عاصمةً له.

ثم تلاه العزيز 365هـ، ثم الحاكم بأمر الله 386هـ، ومنه انشقّ مذهبٌ من الإسماعيلية الفرس نادى بالوهيّة الحاكم بأمر الله، يُسمّون بالحاكميّة [I4]، ثم خلف المستنصر، وبعد هلاكه 487هـ انقسمت الإسماعيليّة إلى طائفتين: الأولى نادّت بإمامة ابنه الكبير نزار، وعُرفوا بالإسماعيليّة النزاريّة، وهم الأغاخانية بالهند، ومن النزاريّة خرج الحشاشون. والطائفة الثانية نادّت للمستعلي، وهي الإسماعيليّة المُستعلية، والمعروفة بالبهرة في الهند، والطيبة في اليمن.

### ماهو سبب اختلاف العلماء في تحديد نشأة الباطنية؟

يعود إلى عوامل عدة من أهمها:

I. غموض أمر الباطنية في أدوار كثيرة مرّ بها تاريخهم، كل واحد من العلماء أرّخ لهم حسب ما وصل إليه من أخبارهم.

2. أن مذهب الباطنية نفسه يقبل تلك الاختلافات . . . فمن قال: إنهم ظهوروا في الإسلام، فلما يبدوونه من تظاهرهم به وتشيعهم أيضاً لآل البيت.

والحقيقة التي يجب أن ندركها أن مهما كانت الأسباب فإن الدعوة الباطنية يحوطها كثير من الغموض خصوصاً في بدء أمرها، أي في الدور الذي يسمونه ((دور الستر))؛ إذ لا يتمكن أحد من معرفتهم والكتابة عنهم الكتابة الدقيقة، ومهما كان فإن عقائد الباطنية على العموم قد استمدت من عقائد قديمة.

### ألقاب الباطنية

ألقاب الباطنية تمثل الأوصاف التي اتصفوا بها، وكان لكل لقب أطلق عليهم سبب، فمن ألقابهم:

I. الباطنية: ولقبوا به لدعواهم أن لظواهر القرآن وأخبار النبي صلى الله عليه وسلم بواطن تجرى في الظواهر مجرى اللب من القشر، وتلك البواطن رموز وإشارات إلى حقائق معينة، وأن من تقاعس عقله عن الغوص في الحفايا والأسرار والبواطن، أبتلي بالأغلال والآصار التي يعنون بها التكليفات الشرعية، التي تنحل عن ارتقى إلى علم الباطن فيستريح من أعبائه.

2. القرامطة: ولقبوا بهذا اللقب نسبة إلى رجل يقال له حمدان قرمط كان أحد دعائهم وقادتهم، فسمي أتباعه قرامطة وقرمطية.

3. الخرمية : ولقبوا به نسبة إلى أصل هذا اللفظ "خرم" وهو اسم اعجمي بمعنى الشئ المستلذ المستطاب الذي يرتاح الإنسان بمشاهدته ويهتز لرؤيته، وهذا اللقب دال على حاصل مذهبهم وزيدته، فإنه راجع إلى طي بساط التكليف، وحط أعباء الشرع عن المتعبدين، وتسليط الناس على اتباع اللذات، وطلب الشهوات، وقضاء الوطر من المباحات والمحرمات، وربما كان سبب إطلاق هذا اللقب ما سيأتي عند الحديث عن لقب "البابكية" .

4. البابكية : نسبة إلى زعيم من زعمائهم وطاغية من طاغاتهم يسمى بابك الخرمي، ظهر سنة إحدى ومائتين بناحية أذربيجان، وكان زنديقا حارب جيوش المسلمين فهزمهم فاستطاع شره وعلا أمره فخافه الناس، وبقي عشرين سنة يعيث في الأرض فسادا، قتل مائتي ألف وخمسة وخمسين ألفاً وخمسمائة، وكان إذا علم أن أحداً عنده بنت جميلة أو أخت طلبها منه، فإن بعثها إليه وإلا أخذها عنوة، واشتدت وطأته على جيوش المسلمين حتى مزق جندهم وبددهم، إلى أن أذن الله بهلاكه وزوال أمره، فبعث المعتصم بالله جيوشا لحربه فهزموه وأتباعه، وأخذوا بابك وصلبوه، ففرق أمر أتباعه وتشتوا شذر مذر، ويذكر المؤرخون أنه بقيت من البابكية جماعة، يقال: إن لهم ليلة يجتمع فيها رجالهم ونسأؤهم ويطنون سرجهم وشموعهم ثم يثب كل رجل إلى امرأة فيظفر بها، ويزعمون أن من استولى على امرأة استحلبها بالاصطياد .

5. الإسماعيلية : نسبة إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق الذي يزعمون أنه إمامهم، ويرون أن أدوار الإمامية انتهت به، إذ كان هو السابع بمحمد صلى الله عليه وسلم.

6. الحمرة: ولقبوا به لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة أيام بابك الخرمي، ولبسوها وكان ذلك شعارهم، وقيل : سببه أنهم يقررون أن كل من خالفهم من الفرق وأهل الحق حمير.

7. التعليمية: ولقبوا بذلك لأن مذهبهم قائم على إبطال الرأي وإبطال تصرف العقول ودعوة الخلق إلى التعلم من الإمام المعصوم، وأنه لا مدرك للعلوم إلا من خلاله.

### عقائد الباطنية

مذهب الباطنية كاسمه مستبطن غير ظاهر، وإنما عرفت مذاهبهم وعقائدهم - مع حرصهم وتشددهم في إخفائها - عن طريق من أسلم منهم، أما هم فينكرون تلك المذاهب، ويظهرون لكل ذي ملة أو مذهب ما يجب، فإن أتوا النصرى أظهروا لهم القول بالتثليث وأكدوا لهم ألوهية المسيح، وإن أتوا اليهود أظهروا لهم بغض المسلمين والنصارى، وإن اتقوا بزاهد أظهروا الزهد في الدنيا ومجانبة أهلها، فهم يلبسون لكل حالة لبوسها، حتى إذا أمن لهم ألقوا عليه شبهاتهم، ودعوه إلى الدخول في مذهبهم، وكشفوا له عقائدهم، بعد حرص وتحر شديد خشية أن يرتد عنهم .

فمن عقائدهم :

- I. قولهم بالهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان، إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني، واسم العلة السابق واسم المعلول التالي، وأن السابق هو الخالق بواسطة التالي لا بنفسه، وهو مذهب مأخوذ عن الكفار من الثنوية والمجوس في قولهم بالاهين " إله النور وإله الظلمة " فلم يغيروا سوى الأسماء .
2. اعتقادهم أن النبي عبارة عن شخص فاضت عليه قوة قدسية من السابق بواسطة التالي .
3. اعتقادهم أن القرآن عبارة عن تعبير النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن المعارف التي فاضت عليه وتسميته كلام الله من باب المجاز .
4. اعتقادهم أن لا بد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق، يُرجع إليه في تأويل الظواهر وحل الإشكالات في القرآن والأخبار والمعقولات، واتفقوا على أن الامام يساوي النبي في العصمة والاطلاع على الحقائق في كل الأمور، إلا أنه لا ينزل عليه الوحي، وإنما يتلقى ذلك من النبي، فإنه خليفته وبارئ منزلته، ولكل زمن إمامه ولا يخلو زمن من إمام .
5. اعتقادهم أن لكل شريعة نبوية مدة زمنية، إذا انصرفت بعث الله نبيا آخر ينسخ شريعته، ومدة شريعة كل نبي سبعة أعمار، وأن شريعة النبي صلى الله عليه وسلم نسخت بمجيء الإمام السابع جعفر بن محمد - وفق زعمهم - .

6. اتفق الباطنية على إنكار القيامة والبعث والنشور، وأن هذا النظام المشاهد في الدنيا من تعاقب الليل والنهار، وحصول الإنسان من نطفة وتولد النبات، وتولد الحيوانات لا يتصرم أبدا الدهر، وأن السموات والأرض لا يتصور انعدام أجسامهما، وقالوا عن القيامة: إنها رمز لخروج الإمام وقيام قائم الزمان وهو السابع الناسخ للشرع المغير للأمر .

7. أنكروا الجنة والنار، وقالوا معنى المعاد عود كل شئ إلى أصله، والإنسان مركب من العالم الروحاني والجسماني، أما الجسماني فيتحل إلى ما تركب منه، ويعود كل خلط إلى أصله وطبيعته، وذلك هو معاد الجسد، وأما الروحاني وهو النفس فإنها إن كانت صالحة - وفق مذهبهم - اتحدت عند مفارقة الجسم بالعالم الروحاني الذي منه انفصالها وفي ذلك سعادتها، فأما النفوس المنكوسة فإنها تبقى أبد الدهر في العالم الجسماني، تتناسخها الأبدان فلا تزال تتعرض فيها للألم والأسقام فلا تفارق جسدا إلا ويتلقاها جسد آخر، وهذا عين مذهب البراهمة الهندوس .

8. يعتقدون الإباحية المطلقة، والتقلت التام من التكاليف الشرعية، ويرون أنها أغلال وآصار انحلت عنهم لاتباعهم الإمام المعصوم .

9. اعتقاد بعضهم ألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقالوا وإنما ظهر في صورة الناموس ليؤنس خلقه، وفيه قال قائلهم :

أشهد أن لا إله إلا حيدرة الأنزع البطين

ولا حجاب عليه إلا محمد الصادق الأمين

ولا طريق إليه إلا سلمان ذو القوة المتين

### نماذج من تأويلات الباطنية

سبق أن دين الباطنية قائم على تحريف ظواهر الكتاب والسنة إلى معان مستبطنة، فمن أمثلة

تحريفاتهم الساذجة:

قالوا: إن معنى الزنا ليس هو إيلاج فرج في فرج محرم، وإنما المراد به إلقاء نطفة العلم الباطن في نفس من

لم يسبق معه عقد العهد، وعليه فلا يرى الباطنية حرجا في استباحة الزنا ، وزعموا أيضا أن الطهور

ليس هو الوضوء المعروف، وإنما المراد به التبري والتنظف من اعتقاد كل مذهب سوى مبايعة الامام .

وزعموا إن الصيام ليس معناه الإمساك عن المفطرات في وقت مخصوص، وإنما الصيام الامساك عن

كشف السر .

أما الطواف بالبيت سبعا فقالوا هو الطواف بمحمد صلى الله عليه وسلم إلى تمام الأئمة السبعة، وأولوا الصلوات الخمس بأنها أدلة على الأصول الأربعة وعلى الإمام، وعليه فلا حاجة لأداء هذه الصلوات المعهودة عند المسلمين.

ومن نماذج تأويلاتهم لمعجزات الأنبياء، تأويلهم طوفان نوح عليه السلام بأنه طوفان العلم الذي أغرق المتمسكين بظواهر الكتاب والسنة، وأن نار إبراهيم عليه السلام التي أقي فيها هي عبارة عن غضب النمرود، وليست نارا حقيقة، وزعموا أن جن سليمان هم باطنية ذلك الزمان والشياطين هم الظاهرية الذين كلفوا بالأعمال الشاقة، إلى آخر هذيانهم الذي يضحك التكلّي، لسخافة عقولهم وسذاجتها!!

### الوسيلة والطريقة للدعوى

أَتَّخِذْ هَؤُلَاءِ الْأَدْعِيَاءَ التَّلْفَعُ بِالتَّشْبِيعِ وَسِيلَةً لِلْحَشْدِ، وَتَأَلِيفِ جَمْعِيَّاتٍ سَرِيَّةٍ تَسْعَى فِي نَشْرِ مَذْهَبِ الْإِبَاحِيَّةِ الْمَزْدَكِيَّةِ الْمَجُوسِيَّةِ وَالْإِلْحَادِ الْفُلْسُفِيِّ.

وَالأَصْلُ فِي النِّشَاطِ الْبَاطِنِيِّ أَنْ دُعَاتِهِ يَدْعُونَ تَحْتَ بَرِيقِ الْإِثَارَةِ وَسِتَارِ السَّرِيَّةِ، بِدَعْوَى أَنْ دَعْوَاهُمْ لَا يَحْمِلُهَا إِلَّا مَلِكٌ مَقْرَبٌ أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، أَوْ مَنْ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ.

وَلَمَّا كَانَتِ السَّرِيَّةُ ضَرُورَةً تَنْظِيمِيَّةً لِلأَعْمَالِ الْبَاطِنِيَّةِ، خَاصَّةً فِي مَرَاجِلِ التَّحْرِيفِ وَالتَّجْنِيدِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ الْيَسِيرِ عَلَى الْبَاطِنِيِّينَ أَنْ يَجْعَلُوا مِنَ المَمارَسَاتِ الْبَاطِنِيَّةِ السَّرِيَّةِ هِيَ الأُخْرَى دِينًا، حَتَّى أَرْجِعُوا الأَصْلَ



في التضييل التنظيمي للباطنية والمسّمى "التقيّة" إلى جعفر الصادق، فيقولون: هو القائلُ في وجوبِ التقيّةِ  
وضرورة العملِ بها: "التقيّةُ ديني ودينُ آبائي وأجدادي، ومن لا تقيّةَ له لا دينَ له!".

وكيما يتمكّن دعائهم من نشرِ مقالاتهم لجؤوا للرمزيّة في العملِ الباطني، والتظاهرِ بالورعِ والزهدِ أمام  
العامةِ ومن لا يدري خفايا منكرهم، خاصّةً أيامَ المرحلةِ السريّة، فيبدون دماثةَ الأخلاقِ والتعبّدِ  
والتقشّف، والتحصّرَ على ما آل إليه المسلمون، حتى يكثُر من حولهم الأتباع، فيعلنون الدّعوةَ للإمام  
المستترِ المنجّي من الغمِّ نسلَ آل البيت، وعلى يديه الفرجُ وقيامُ الشريعة، فما اشتدَّ عودهم حتى  
يجهروا بالإباحيّة؛ فيكثُر من حولهم طعامُ النَّاسِ وأهلُ الفسقِ، كما يتكاثرُ الذُّبابُ على القذارةِ! فلا  
وجدوا حرامًا إلّا انتهكوه، ولا كبايّرَ إلّا صيروها من الشعائرِ، فالتفاقُ عندهم تسعةُ أعشارِ الدينِ،  
وزنا المرأةِ مع محارمها من كمالِ إيمانها، ورضا الزوجِ بأن يزني جاره بزوجه أمانه ثم يبصقَ عليه  
ويصفّعه بعد أن يقضيَ وطره منها: من كمالِ الصّبرِ، والخمرُ من أقدسِ المشروبِ، والصّلاةُ والزكاةُ  
والصيامُ تسقطُ عنهم؛ فكانوا من أكفرِ خلقِ الله!

### الطوائف والمذاهب الباطنية اليوم

## الشيعة الجعفرية الإثنا عشرية

يتواجد الشيعة الإثنا عشرية في أكثر من 105 دولة في العالم وخاصة في قارة آسيا وخاصة تتركز الطائفة الإثنا عشرية في أربعة دول وهي البحرين وأذربيجان والعراق وإيران ويشكلون إحدى أكبر طائفتين في لبنان، وتعتبر إيران أكبر دولة في العالم تحتوي على الشيعة الإثنا عشرية، ويرى البعض من السنة والشيعة أن السبب في ذلك يعود للصفويين الذين ساهموا في نشر التشيع، "حيث إن التشيع هو المذهب السالح في إيران من أوائل القرن العاشر (905) إلى يومنا هذا أن الدولة الصفوية أشاعت التشيع في إيران، بعد ملوك المغول فلو كان نجاح الثاني قليلاً، كان نجاح الصفويين كبيراً"، كما توجد أقلية شيعية إثنا عشرية كبيرة في باكستان والهند ولكن التقديرات غالباً ما تجمع الشيعة الإثنا عشرية مع الشيعة الإسماعيلية، إلى جانب وجود لهم في دول كثيرة تزيد عن 105 دولة في العالم.

### الدروز

الدروز ويسمون أنفسهم الموحدون هم طائفة وإثنية دينية عربية تُدين بمذهب التوحيد ذو التعاليم الباطنية؛ الذي تعود أصوله إلى مذهب الإسماعيلية إحدى المذاهب الإسلامية، وإلى الدولة الفاطمية بالقرن العاشر، كما ترجع جذور الدروز إلى غرب آسيا . ويطلقون على أنفسهم اسم أهل التوحيد أو الموحدون . يقَدَس الدروز النبي شعيب أحد أنبياء العرب، الذي يعدونه المؤسس الروحي والنبي الرئيسي في مذهب التوحيد . والمذهب التوحيدي قائم على تعاليم حمزة بن علي بن أحمد والخليفة

الفاطمي السادس الحاكم بأمر الله والفلاسفة اليونانيين القدماء مثل أفلاطون وأرسطو وفيثاغورس وزينون الرواقي. وتذكر بعض الأبحاث أن الطائفة الدرزية تأسست في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي ( 411هـ/1020م) على يد محمد بن إسماعيل الدرزي، ولكن بعضها ذكر أن المؤسس الفعلي هو حمزة بن علي بن محمد الزوزني وهو من وضع كتبهم الدينية، وأن الرجلين اختلفا، فهاجر الأول (محمد بن إسماعيل الدرزي) إلى بلاد الشام، واشتهرت الطائفة باسمه، لكن الدرروز لا يفضلون هذه النسبة، ويقولون إنها لا توجد في تاريخهم أو كتبهم المقدسة. ويعد المقتنى بهاء الدين من مؤسسي المذهب وهو من اقبل باب الاجتهاد والدعوة فيها.

رسائل الحكمة هي النص الأساسي لإيمان ومعتقدات الموحدون الدرروز. ويستند مذهب التوحيد أو الدرزية على عناصر من الإسماعيلية وهي فرع من الإسلام الشيعي، والغنوصية، والأفلاطونية المحدثة، والفيثاغورية، والمسيحية، والزرادشتية، والبوذية، والهندوسية، فضلاً عن فلسفات ومعتقدات أخرى، مما أدى إلى ابتكار لاهوت عُرف بالسريّة والتفسير الباطني للكتب الدينية وتسليط الضوء على دور العقل والصدق. يؤمن الدرروز بالظهور الإلهي، وفي التناسخ أو التقمص وهو مبدأ أساسي في المذهب الدرزي، والذي يتلخص مفهومه في رجوع الروح إلى الحياة بجسد آخر فوراً عند وفاة المرء نظراً لوجود ازدواجية أبدية في الجسد والروح ومن المستحيل أن توجد الروح بدون الجسد، وهي فكرة فلسفية ودينية مرتبطة بالجسد والروح والذات حسب المعتقدات الدرزية. يؤمن الموحدون الدرروز بظهور

سبعة أنبياء في فترات مختلفة من التاريخ وهم: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، ويسوع (عيسى بن مريم)، ومحمد، ومحمد بن إسماعيل.

يؤمن الدروز بميثاق أو عهد ولي الزمان، كقسم يصبح به الدرزي درزياً، ويعدّه ميثاقاً أزلياً. وعُرف الدرّوز بالانغلاق على أنفسهم وتماسكهم الاجتماعي والثقافي والسياسي، حيث دفعت حملات الاضطهاد الدرّوز إلى الانغلاق على أنفسهم، والسكن في جبال لبنان وسوريا وفلسطين وعاشوا داخل نظام اجتماعي مغلق على الطائفة. ويُفرق الدرّوز -بشكل عام- بين الشخص الروحاني والشخص الجثماني؛ فالأول بيده أسرار الطائفة (رؤساء، وعقلاء، وأجاويد)، أمّا الثاني فلا يبحث في الروحانيات، ولكنه منغمس في الدنيويات (الجهال). وتعرف أماكن العبادة لدى الدرّوز بالخلوات يسمعون فيها ما يتلى عليهم، ولا يسمح للجهال بحضورها أو سماع الكتب المقدسة إلا في عيدهم الوحيد، في عيد الأضحى باعتباره أهم عطلة لهم، ويختلف شكل شعائرهم عن تلك السائدة لدى معظم المسلمين.

نظراً لأن الدرّوز خرجوا من رحم الإسلام ويُشاركون الإسلام في معتقدات معينة، فإن الموقف من كون المذهب الدرّزي ديناً منفصلاً أو طائفة إسلامية هو موضوع مُثير للجدل؛ يُعدّ البعض مذهب التوحيد أحد المذاهب الإسلامية والمتفرّعة من الإسماعيلية، حيث يُشيرون إلى أن الدرّوز يؤمنون بالشهادتين، أن لا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله، وبالقرآن والقضاء والقدر واليوم الآخر، في حين يُعدّه بعض

الباحثين والعلماء ديانة إبراهيمية وتوحيدية مُستقلة مُنشقة من الإسلام، وهو ما ينفيه مشايخ الموحدون عن أنفسهم بحسب باحثين، حيث يعدّون أنفسهم فرقة إسلامية تحرص على فرادتها وتعز بتقاليدها، بينما يجادل عدد آخر من الباحثين أن عوام الدروز لا يعبّرون أنفسهم مسلمون، وأنه لا يُنظر إليهم على أنهم مسلمون على الإطلاق. وباستثناء تلاوة الشهادتان لا تتبع العقيدة الدرزية الشريعة الإسلامية ولا أركان الإسلام الخمسة (مثل الصيام في شهر رمضان، والحج إلى مكة، وتأدية الصلوات الخمس). وبينما يُعلن الدروز الإيمان بالشهادتان، يُجادل عدد من العلماء والباحثين أنّ الدروز يتلون الشهادتان كشكل من أشكال التقية حفاظًا على دينهم وسلامتهم والسرية وتجنبًا للاضطهاد.

لعبت الطائفة الدرزية دورًا هامًا في تشكيل تاريخ بلاد الشام، واستمرت في لعب دور سياسي كبير في هذه المنطقة كأقلية عرقية ودينية، تعرّض الدروز إلى الاضطهاد في العديد من الأحيان، إذ اعتبروا لدى علماء الدين في بعض الطوائف الإسلامية بأنهم مرتدين عن الإسلام، وبالتالي كُفرت العديد من الفتاوى الدروزَ واعتبرتهم مُرتدين عن دين الإسلام. من أبرز حملات الاضطهاد التي تعرّض لها الدروز كانت من الخلفية الفاطمي السابع الظاهر لإعزاز دين الله، حيث قام بمجملته إبادة المجتمعات المحلية الدرزية والتي شملت تطهيرًا عرقيًا في كلّ من أنطاكية وحلب وشمال سوريا. جرت حملات اضطهاد أخرى مماثلة من قبل المماليك والدولة العثمانية؛ وفي الآونة الأخيرة قام كل من تنظيم الدولة الإسلامية أو ما

يُعرف بداعش وتنظيم القاعدة مجملات تطهير في سوريا والدول المجاورة، استهدفت المعتقدات والأقليات غير المسلمة.

المذهب الدرزي هو واحد من الجماعات الدينية الكبرى في بلاد الشام، وتتراوح أعدادهم في العالم بين 800 ألف نسمة إلى حوالي المليونين. يتواجد الدرروز في المقام الأول بكل من سوريا ولبنان وإسرائيل، إلى جانب مجتمعات محلية صغيرة من الدرروز في الأردن وفي المهجر خاصةً في كل من فنزويلا والولايات المتحدة نتيجة للهجرة الدرزية من بلاد الشام. تتواجد أقدم وأكبر المجتمعات الدرزية في كل من جبل لبنان وجبل الدرروز وجبل الكرمل. ومن المعروف أنها شكّلت مجتمعات متماسكة مغلقة لا تسمح بانضمام لغير الدرروز، رغم أنهم مُندمجون بشكل كامل في أوطانهم المعتمدة.

#### التسمية

أبو عليّ المنصور الحاكم بأمر الله، وأعلن مؤسس الدرروز المعروف محمد بن إسماعيل الدرزي أن الحاكم تجسيد لله عام 1018.

يُشير الدرروز إلى أنفسهم باسم الموحدون نسبةً إلى عقيدتهم الأساسية في «توحيد الله» أو بتسميتهم الشائعة «بني معروف» ويعتقد الباحثون أن هذا الاسم هو لقبيلة عربية اعتنقت الدرزية في بداياتها أو ربما هو لقب بمعنى أهل المعرفة والخير، ويشق اسم الدرروز من اسم محمد بن إسماعيل الدرزي والذي

كان واعظاً مبكراً في الدعوة التوحيدية. وعلى الرغم من أن الدرزي يعتبرون محمد بن إسماعيل الدرزي زنديق، فقد استخدم الاسم للتعبير عنهم.

قبل أن تصبح الدعوة التوحيدية علنية، كانت الحركة سرية وعقدت اجتماعات مغلقة فيما كان يعرف بجلسات الحكمة. خلال هذه المرحلة، وقع نزاع بين محمد بن إسماعيل الدرزي وحمزة بن علي بن أحمد بشكل أساسي بشأن «غلو» الدرزي، والذي يشير إلى الاعتقاد بأن الله قد تجسد في البشر (وخاصةً علي وأحفاده، بما في ذلك الحاكم بأمر الله، الذي كان الخليفة في ذلك الوقت) وللدرزي الذي أطلق على نفسه اسم «سيف الإيمان»، مما دفع حمزة بن علي بن أحمد إلى كتابة رسالة يدحض فيها الحاجة إلى نشر الإيمان بالسيف وعدة رسائل يدحض فيها معتقدات الغلاة. وفي عام 1016 أعلن محمد بن إسماعيل الدرزي وأتباعه صراحةً معتقداتهم ودعوا الناس للانضمام إليهم، مما تسبب في أعمال شغب في القاهرة ضد الحركة التوحيدية بما في ذلك حمزة بن علي بن أحمد وأتباعه. أدى ذلك إلى تعليق الحركة لمدة عام وطرد الدرزي وأنصاره.

على الرغم من أن الكتب الدينية الدرزية تصف الدرزي بأنه «وقح» و«العجل» الذي يتسم بالعقل الضيق والمتسرع، لا يزال اسم «الدروز» يُستخدم لتحديد الهوية ولأسباب تاريخية. في عام 1018، اغتيل الدرزي بسبب تعاليمه. تزعم بعض المصادر أنه أُعدم من قبل الحاكم بأمر الله.

ترى بعض السلطات في اسم «الدروز» كلمة وصفية، مستمدة من اللغة العربية «دارس». وتكهن آخرون بأن الكلمة تأتي من الكلمة الفارسية (بالفرنسية: درزو، نقحرة: درزو) والتي تعني «التعيم» أو من الشيخ حسين الدرزي، الذي كان من أوائل المتحولين إلى الإيمان التوحيدي. في المراحل المبكرة للحركة، نادرًا ما يذكر المؤرخون كلمة «الدروز»، وفي النصوص الدينية الدرزية تظهر فقط كلمة المؤيد أو الموحدين. المؤرخ العربي الأول الوحيد الذي ذكر الدروز هو العالم المسيحي يحيى بن سعيد الأنطاكي من القرن الحادي عشر، والذي يشير بوضوح إلى مجموعة من الهرطقة التي أنشأها الدرزي، بدلًا من أتباع حمزة بن علي. وبالنسبة للمصادر الغربية، كان بنيامين التطيلي، المسافر اليهودي الذي مر عبر لبنان عام 1165 أو حوالي ذلك التاريخ، وهو أحد أوائل الكتاب الأوروبيين الذين أشاروا إلى الدروز بالاسم. وكلمة دوغوزين المذكورة في الإصدار باللغة العبرية المبكرة لرحلاته، ولكن من الواضح أن هذا خطأ في الكتابة. وقد وصف الدروز بأنهم «سكان الجبال، موحيدين، ويؤمنون» بخلود الروح «والتناسخ». وصرح أيضًا بأنهم «أحبوا اليهود».

## التاريخ المبكر

رسم لعائلة دُرزيّة من جبل لُبنان. تُعد الدُرزيّة أبرز الطوائف التي برزت خلال العهد الفاطميّ. في عام 996م مات الخليفة الفاطمي العزيز بالله وتولّى الخلافة بعده ولي عهده المنصور، ومن بعده ابنه الملقب بأبي تميم أحمد، وكان له من العمر حوالي إحدى عشر سنة. اتخذ الخليفة الصغير لنفسه لقب



“الحاكم بأمر الله”، وكان قوي العزيمة وذا شخصية استثنائية أثارت الجدلَ الكثيرَ في عصره وحتى الآن. وكان كثيرَ البطش. وفي سنة 408 هـ استدعى الإمام الحاكم كبيرَ دُعَاةِهِ وأحد المقربين إليه وهو حمزة بن علي وأمره أن يذهب إلى بلاد الشام ليتسلم رئاسة الدعوة الإسماعيلية فيها ويجعل مقره (وادي التيم) بسبب الاضطرابات الحاصلة في تلك المنطقة بذلك الوقت. وتمكن حمزة في خلال وقت قصير من السيطرة على الاضطراب وعمل جاهدا لتوسيع وانتشار الدعوة الإسماعيلية في بلاد الشام. حتى لقبه الإمام الحاكم بالسند الهادي.

بدأ الإيمان الدرزي كحركة في الطائفة الإسماعيلية والتي كانت تعارض بعض الإيديولوجيات الدينية والفلسفية التي كانت موجودة خلال تلك الحقبة. بشر بهذا الإيمان حمزة بن علي بن أحمد، وهو عالم باطني وصوفي. والذي جاء إلى مصر عام IOI4 وقام بتجميع مجموعة من العلماء والقادة من جميع أنحاء العالم لتأسيس الحركة التوحيدية. وعقد اجتماعات في مسجد ريزان، بالقرب من مسجد الحاكم بأمر الله.

في عام IOI7، كشف حمزة بن علي بن أحمد رسميًا عن الإيمان الدرزي وبدأ في نشر العقيدة التوحيدية. وحصل حمزة على دعم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، والذي أصدر مرسومًا يشجع الحرية الدينية قبل إعلان الدعوة الإلهية. وأصبح الحاكم بأمر الله شخصية محورية في العقيدة الدرزية رغم أن موقعه الديني كان محل خلاف بين العلماء. يصرح جون اسبوزيتو أن الحاكم كان يُعتقد أنه

«ليس فقط القائد الديني والسياسي المعين إلهياً، بل أيضاً هو الفكر الكوني الذي يربط الله بالخلقية»،  
بينما يرى آخرون مثل نسيم دانا ومردخاي نيسان أنه مظهر من مظاهر تناسخ الله أو الذي يفترض  
صورة الله.

يقول بعض العلماء الدروز وغير الدروز مثل سامي سويد وسامي مكارم أن هذا الالتباس يرجع إلى  
التشويش حول دور الداعية المبكر محمد بن إسماعيل الدرزي، الذي رفضت تعاليمه الدروز باعتبارها  
هرطقة. وتؤكد هذه المصادر أن الحاكم رفض ادعاءات الدرزي عن الألوهية، وأمر بإلغاء حركته مع  
دعم حركة حمزة بن علي بن أحمد.

في 23 فبراير 1021م اختفى الحاكم في إحدى الليالي أثناء رحلته المسائية - من المفترض أنه تم اغتياله،  
ربما بناءً على طلب من أخته الكبرى ست الملك. واختلفت المصادر في تفسير الأمر الذي حصل له  
في تلك الليلة، لكن تبقى الحقيقة أن الحاكم بأمر الله قد اختفى من دون أثر. اضطر الإسماعيليون في  
القاهرة إلى إعلان وفاة الحاكم بأمر الله وإعلان ابنه الظاهر لإعزاز دين الله إماماً وحاكماً للدولة  
الفاطمية. إلا أن حمزة بن علي رفض التسليم بموت الحاكم؛ وقال أن الحاكم اختفى ليعود في وقت  
لاحق ليملاً الأرض عدلاً. لذلك فقد رفض الاعتراف بإمامة ابنه الظاهر وأعلن هو ومن اتبعه في بلاد  
الشام عن انشقاقهم عن الدولة الفاطمية. ويعتقد الدروز أنه ذهب إلى الغيبة مع حمزة بن علي بن أحمد

وثلاثة من الدعاة البارزين الآخرين، تاركين رعاية «الحركة التبشيرية التوحيدية» لزعيم جديد، وهو المقتنى بهاء الدين. في 23 فبراير 1021م خرج الحاكم بأمر الله ليلاً وبدون حراسة كهافته ولم يعد.

تم استبدال الحاكم بابنه الفاصر، الظاهر لإعزاز دين الله. واعترفت حركة الدرروز التوحيدية، والتي كانت موجودة في الخلافة الفاطمية، بالظاهر لإعزاز دين الله كخليفة، لكنها اتبعت حمزة كإمام لها.

وأمرت الوصية على الخليفة الشاب، ست الملك، الجيش بتدمير الحركة في عام 1021. في الوقت نفسه، تم تعيين بهاء الدين السموقي على قيادة الحركة التوحيدية من قبل حمزة بن علي.

في البداية كشف نشكين الدرزي دعوتهم وهذا كان محالفاً لأصحابه الذين أكدوا على سرية الدعوة، إلا أن الكثير من الناس عرفوا بها حيث قام ماسكين بفتح سجل في مساجد القاهرة ليكتب فيه المؤمنون بالوهية الحاكم بأمر الله، فاكتب فيه سبعة عشر ألفاً (كلهم يخشون بطش الحاكم). ثار الناس بعد ذلك على هذه الدعوة بمساعدة الأتراك، فاختبأ نشكين في قصر الحاكم إلى أن استطاع الهرب إلى وادي التيم، على السفوح الغربية لجبل الشيخ في جنوب شرق لبنان، وكان يقطنه التوخيون الذين كانوا يدينون بالولاء للعبيديين، حيث تمكن من نشر دعوته بينهم، وقام بطرح أفكار جديدة مختلفة عن أفكار حمزة، ولقب نفسه بـ «سيف الإيمان» و«سيد الهادين»؛ وتصدّره هذا جعل حمزة يحقد عليه ويؤكّب الناس عليه حتى قتلوه في عام 411هـ أما حمزة وأتباعه، فقد التجأوا إلى مسجد ريدان قرب قصر الخليفة عندما ثار الناس، ولم يكن مع حمزة بن علي داخل المسجد سوى اثني عشر نفرًا، بينهم

إسماعيل بن مُحمد التميمي، ومُحمد بن وهب القرشي وسلامة بن عبد الوهاب السامري، وكان معهم بهاء الدين علي بن أحمد الطائي وأيوب بن علي، ورفاعة بن عبد الوارث ومحسن بن علي.

على مدار الأعوام السبعة التالية، واجه الدروز اضطهادًا شديدًا من قبل الخليفة الجديد، الظاهر لإعزاز دين الله، الذي أراد القضاء على الإيمان الدرزي. وكان هذا نتيجة صراع على السلطة داخل الدولة الفاطمية، حيث شوهد الدروز بعين الريبة بسبب رفضهم الاعتراف بالخليفة الجديد، الظاهر لإعزاز دين الله، كإمام لهم. وانضم العديد من الجواسيس، وخاصة أتباع الدرزي، إلى حركة التوحيد من أجل التسلل إلى المجتمع الدرزي. بدأ الجواسيس في إثارة المتاعب وتلطيخ سمعة الدروز. نتج عن ذلك احتكاك مع الخليفة الجديد الذي اشتبك عسكريًا مع المجتمع الدرزي. وتراوحت المصادمات بين أنطاكية والإسكندرية، حيث تم ذبح عشرات الآلاف من الدروز على يد الجيش الفاطمي. وكانت أكبر مذبحة في أنطاكية، حيث قُتل 5,000 من الزعماء الدينيين الدروز، تلتها مذبحة حلب. ونتيجة لذلك، مارس الدروز إيمانهم بسرية تحت الأرض، على أمل البقاء على قيد الحياة، حيث أُجبر المعتقلون إما على التحلي عن عقيدتهم أو القتل. وتم العثور على ناجين من الدروز في جنوب لبنان وسوريا. وفي عام 1038، بعد مرور عامين على وفاة الظاهر لإعزاز دين الله، تمكنت الحركة الدرزية التوحيدية من الإستئناف والإستمرار لأن القيادة الجديدة التي حلت مكان الظاهر لإعزاز دين الله كانت تربطها علاقات سياسية ودية مع زعيم درزي بارز واحد على الأقل.

في عام 1043م، أعلن المقتنى بهاء الدين أنَّ الطائفة لم تعد تقبل أنصار جدد، ومنذ ذلك الوقت، تم حظر التبشير.

فهي تنحصر في بلاد الشام، حيث ينحصر في بعض القرى في لبنان وسوريا وفلسطين والأردن (والسبب أن الطائفة الدرزية هي نشأت في مصر لكنها لم تلبث أن هاجرت إلى الشام، حيث محور العقيدة الدرزية هو الخليفة الفاطمي أبو علي المنصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمي الملقب بالحاكم بأمر الله ولد سنة 375هـ / 985م وقتل سنة 411هـ / 1021م، والطائفة الدرزية تؤمن بسرية أفكارها، فلا تنشرها على الناس)، ومجموع الدرروز في العالم يتراوح من نصف مليون إلى مليون.

#### الشيعة الجعفرية العلوية

العلويون أو العلوية أو النصيرية بازدرء هم مجموعة عرقية دينية تعيش أساسًا في بلاد الشام، وهي طائفة نشأت من الإسلام الشيعي. العلويون يقدسون علي بن أبي طالب، الذي يعتبر أول إمام للمدرسة الإثني عشرية. يعتقد أن المجموعة قد أسسها محمد بن نصير خلال القرن التاسع. كان ابن نصير من تلاميذ الإمام الإثني عشري العاشر علي الهادي والإمام الحادي عشر الحسن العسكري. لهذا السبب، يُطلق على العلويين أيضًا اسم النصيريين.

وفقاً للمؤرخ مهرداد إزادي، تشير الدراسات الاستقصائية إلى أن العلويين يمثلون 17.2٪ من السكان السوريين، بزيادة من 11.8٪ في عام 2010، وهم أقلية مهمة في مقاطعة هاتاي التركية وشمال لبنان. كما يعيشون في قرية العجر في هضبة الجولان. يشكل العلويون المجموعة الدينية المهيمنة على الساحل السوري والبلدات القريبة من الساحل، والتي يسكنها أيضاً السنة والمسيحيون والإسماعيليون. غالباً ما يتم الخلط بينهم وبين العلويين، طائفة دينية متميزة في تركيا تتبع الطريقة البكاشية.

يُعرف العلويون على أنهم مجموعة عرقية دينية منفصلة. القرآن ليس سوى واحد من كتبهم ونصوصهم المقدسة، وتفسيرهم له لديه القليل جداً من القواسم المشتركة مع تفسير المسلمين الشيعة ولكنه يتوافق مع أوائل الباطنية وطوائف الغلاة الأخرى. تنفصل اللاهوت والطقوس العلوية عن الإسلام الشيعي السائد بعدة طرق مهمة. على سبيل المثال، يشرب العلويون النبيذ باعتباره جوهر علي المعتمد على الجوهر في طقوسهم. بينما يمتنع المسلمون الآخرون عن الكحول، يتم تشجيع العلويين على الشرب باعتدال في المجتمع. أخيراً، يؤمن البعض منهم بالتمص أي إنتقال الروح بعد الموت لجسد حيوان أو إنسان آخر، لكنها ليست أساسية في عقيدتهم.

حافظ العلويون تاريخياً على معتقداتهم في طي الكتمان عن الغرباء والعلويين الذين لم يبدووا، لذلك نشأت شائعات عنهم. تميل الروايات العربية عن معتقداتهم إلى أن تكون حزبية (إيجابية أو سلبية).

ومع ذلك، منذ أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، أحرزت الدراسات الغربية حول الديانة العلوية تقدماً كبيراً. في صميم العقيدة العلوية يوجد ثلاث إلهي يتكون من ثلاثة جوانب للإله الواحد. تظهر هذه الجوانب، أو الانبثاق، بشكل دوري في شكل بشري عبر التاريخ.

شكل إنشاء الانتداب الفرنسي على سوريا نقطة تحول في تاريخ العلويين. لقد أعطى الفرنسيين سلطة تجنيد مدنيين سوريين في قواتهم المسلحة لفترة غير محددة وخلق مناطق حصرية للأقليات، بما في ذلك دولة جبل العلويين. تم تفكيك دولة جبل العلويين في وقت لاحق، لكن العلويين ظلوا يشكلون جزءاً مهماً من القوات المسلحة السورية. منذ أن تولى حافظ الأسد السلطة من خلال الحركة التصحيحية عام 1970، هيمنت على الحكومة نخبة سياسية بقيادة عائلة الأسد العلوية. خلال الانتفاضة الإسلامية في سوريا في السبعينيات والثمانينيات، تعرضت المؤسسة لضغوط. لقد نتج عن الحرب الأهلية السورية ضغوط أكبر.

الاختلاف مع بقية الشيعة بعد وفاة الإمام حسن العسكري يعتقد الشيعة أن ابنه محمد بن حسن المهدي قد غاب «غيبه صغرى»، حيث أنه رغم احتجابه عن عامة الناس إلا أنه كان يستطيع الإجابة عن المسائل الفقهية التي كانت ترسل إليه عبر وسطاء محددين، وهم ماسماهم الناس «السفراء»، وهم أربعة أشخاص.

إلا أن مجموعة أخرى من الشيعة كان لها اعتقاد آخر، حيث لم تؤمن هذه الجماعة بهؤلاء السفراء وإنما آمنت أن محمد بن نصير النميري هو «باب» الحسن العسكري وابنه محمد المهدي، مثلما كان علي باب الرسول محمد استنادا إلى الحديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها». إذن اعتبرت هذه الجماعة محمد بن نصير اقرب الاشخاص إلى الحسن العسكري والمهدي وأكثر الناس معرفة بعقائدهم ودينهم وأحاديثهم. فسماهم الناس «النصيرية» نسبةً إلى محمد بن نصير. ويسمون أنفسهم بالعلويين.

### أدلة التشريع

العلوية هي طريقة وليست مذهبًا، لأنها تعتبر أن الدين الإسلامي هو دينها الوحيد وطريقتها في فهم الإسلام عرفانية نابعة عن منهج علي بن أبي طالب في فهم الإسلام وأصول الطريقة النصيرية العرفانية تعتمد على أربع أركان رئيسية وهي:

### القرآن

### الأحاديث النبوية والسنة

### الإجماع

### العقل



تعود التسمية بكلمة نصيري إلى محمد بن نصير البكري النميري الذي كان من معاصري الحسن العسكري. تعتقد النصيرية بأن أبي شعيب (لقبه الحسن العسكري بأبي شعيب) هو الباب الشرعي للإمام الحسن العسكري ولكن الشيعة المقصرة أو الجعفرية يرفضون ما يقوله الشيعة النصيرية ببابية السيد أبي شعيب بل يعتبرون أن سفير الإمام كان أبو جعفر السمان وهو المسؤول المالي لدى العسكري لذلك انتقد الشيعة النصيرية الشيعة الجعفرية بعدم تمييزهم بين المرجع العلمي والديني أي الباب الشرعي وهو السيد أبي شعيب محمد بن نصير وبين القائم بالإعمال المالية وهو أبو جعفر العمري البغدادي السمان.

التاريخ

الأمر حتى وفاة الحسن العسكري

البداية الحقيقية للعقيدة العلوية هو بداية التشيع كما يراها العلويون أنفسهم، وهي عندهم استمرار للإسلام المحمدي عبر الأوصياء الشرعيين للنبي وهم الأئمة الإثنا عشر حيث كان أوائل من أطلق عليهم الشيعة هم أصحاب علي ومن يواليه هم شيعته واستمر التشيع في من يحملون عقيدة الإيمان بإمامة الأئمة الإثنا عشر والتي يروون انها كانت بنص واضح عن الرسول وهي مستمرة حتى وقتنا الحالي

ويعزى الانقسام بين العلويين والشيعة الإثني عشرية ما بعد زمن (الإمام الحسن الآخر العسكري) حيث يؤمن التصيرية بابية محمد بن نصير في فترة الغيبة الصغرى.

محمد بن نصير

هو أبوشعيب محمد بن نصير بن بكر العبدي النميري التميمي البصري وكانت كتب الإمام الحجة ودلائله وتوقيعاته تخرج على يد السيد أبي شعيب محمد بن نصير بن بكر النميري البصري وبالرد على هؤلاء الذين تكلموا عن هذه الشخصية الإسلامية الخطيرة والذين حملوا وزر اتهام خاصة الأئمة منهم السلام وأبوابهم وادّعوا لهم نوابًا لم يسمع أحد بهم أن يرجعوا إلى الله وأهل العصمة وإلى المكتبة العظيمة التي خطها أتباع السيد محمد بن نصير والتي لولاها لضاعت معالم وعلوم الشيعة وإلى جهادهم في سبيل الحفاظ على الخط الإمامي الأصيل وبالعودة إلى الحديث الوارد عن أبي الحسن صاحب العسكري: عن علي بن حسان قال: جعلت فداك عن أخذ معالم ديني فقد كثرت المقالات فقال العسكري: خذها ممن يرميه المسلمون بالرفض وترميه المقصرة من الشيعة بالغلو وهو عند المرتفعة محسود فاطلبه فأنت تجد عنده ما تريد من معالم دينك فلم اجد هذه الصفة في غير أبي شعيب محمد بن نصير فتبعته فوجدت عنده كل ما أردته.

فهذه حجة الغلو على محمد بن نصير التي يتناقلها المقصرة من الشيعة هي دليل شرعي على بآبة محمد بن نصير بدليل قول العسكري منه السلام.

خلفه على رئاسة الطائفة محمد بن جندب ثم أبو محمد عبد الله بن محمد الجنان الجنبلائي 235 \_  
287 هـ من جنبلا بفارس، وكنيته العابد والزاهد

الحسين بن حمدان الخصبي: المولود سنة 260 هـ من أسرة كريمة عريقة في التشيع والإمامة وفدت من منطقة الجزيرة العليا (ديار ربيعة) إلى الكوفة ومنها انتشرت في محيطها حيث استقر جده خصيب بن أحمد الخصبي الحمداني التغلي في بلدة جنبلاء الواقعة بين واسط والكوفة كي يكون قريبا في المشاهد المقدسة في الغري والحائر وفيها تعرف على السيد أبي محمد بن جنان الجنبلائي .

وكان من تلامذه الحسين بن حمدان الخصبي سيف الدولة الحمداني وابن عمه أبي فراس الحمداني وتجدر الإشارة انه لاقربا بن ابي عبد الله بن حمدان والاسرة الحمدانية في حلب مؤسسة الدولة الحمدانية لكن كان على درجة مرموقة عندهم .

وقد توفي في حلب وقبره معروف بها وله عدة مؤلفات بعضها موجود ومطبوع وضاع بعضها الآخر .

انتقل مركز حلب إلى اللاذقية وصار رئيسه أبو سعد الميمون سرور بن القاسم الطبراني 358 \_ 427

هـ .

ثم كان للعلويون مركزان احدهم في بغداد والآخر في اللاذقية، اما مركز بغداد فقد انتهى مع دخول المغول إلى بغداد، واستمر مركز اللاذقية.

ويعدّ سرور بن قاسم الطبراني من أعلام العلوية، إذ قام بالانتقال إلى مدينة اللاذقية السورية. وبالرغم من أقلية العلوية في سوريا، إلا أنها تتمتع بنفوذ واسع.

وفي عام 1097 إبان الحملة الصليبية، قاتل الصليبيون العلويين في بادي الأمر. وفي عام 1120، هزم الإسماعيليون والأكراد العلويين. وتمرور 3 سنوات على الهزيمة، تمكنوا من هزيمة الأكراد.

#### عقيدة

يصف العلويون أنفسهم بأنهم امتداد للشيعنة وقد صدرت قِتاو من الأزهر الشريف وعلماء الشيعة بكون العلويين طائفة إسلامية يحرم تكفيرها. يتصف المذهب عموماً بالغموض لذا لا توجد جمعية تعمل على نشر المذهب والتبشير به. يقوم مجموعة من الرجال على حفظ الأدبيات العلوية ويظن أغلب الناس بأنها ممنوعة من التداول، وهي اقرب إلى الباطنية اذ كشفها أحد اتباعهم في القرن التاسع عشر وهو سليمان الازني في كتابه الباكورة السليمانية في كشف اسرار الديانة النصيرية.

الاختلاف مع السنة

يرى العلويون أن الخلافة بعد الرسول يجب أن تكون للإمام علي بن أبي طالب، وذلك وفق القرآن كما يعتقدون، ووفق الأحاديث الذين يعتقدون بها ويجدون لها مخرجاً من صحاح السنة والشريعة على حد سواء. بينما يرى المسلمون السنة أن الرسول أمر أبا بكر الصديق بالصلاة بالمسلمين في حياته ولم يصل أحد بهذه الأمة في حياة الرسول سوى صاحبه وأبو زوجته أبو بكر فقد قال الرسول لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر. وأن علي بن أبي طالب كذلك كان خليفة المسلمين الرابع فلم يرشح نفسه قبلها فكان عالم دين ووزير لكل الخلفاء. فالتقديم يكون عند أهل السنة والجماعة بأحفظهم للقرآن وأعلمهم بالحديث والدين وأكبرهم سنّاً ومن يجمع المسلمون على تقديمه بعد أن يرشح نفسه ويقبل هو ذلك أولاً.

#### الاختلاف مع الشيعة الإمامية

يتفق العلويون مع الشيعة عامة بالرواية التاريخية لمرحلة الرسول وما بعد الرسول ولكنهم يختلفون بالنظريات الدينية والتفسير القرآنية وتقديسهم لعلي بن أبي طالب، ويزعمون أنهم يعرفون النصف الآخر من الحقيقة الظاهرة بالتواتر عن الأئمة المعصومين. أكثر ما يركز عليه العلويون هو اهتمامهم بالعقل، حيث يرمزون بالعقل للرسول.

يصف العلويون أنفسهم بأنهم امتداد للإمامية الإثنا عشرية إلا أن أفراد بعض الفرق الأخرى يكفرونهم لتقدسهم علي بن أبي طالب مع الرسول محمد . ولقلة الأدبيات العلوية، تبقى العلوية من المعتقدات المهمة لحرص الطائفة على بقاء مطبوعات الطائفة ضمن نطاق ضيق من التداول.

يتصف المذهب العلوي عموماً بالغموض والسرية، فعلى عكس مذاهب أخرى تسعى لجذب الأفراد وحثهم على التحول إليها، نجد المذهب العلوي يرتبط بمنطقة جبال العلويين جغرافية محددة على الساحل السوري ولا توجد مؤسسة رسمية تعمل على نشر المذهب والتبشير به . يقوم مجموعة من الرجال على حفظ الأدبيات العلوية ومنعها من التداول بين غير العلويين . وعندما يبلغ الصبيان عمر 15 أو 16 سنة، يخصصون سويغات من اليوم لتعليمهم العقيدة العلوية، ويترك الاختيار للصبيان إن أرادوا الاستمرار في التعمق في الأمور الدينية والارتباط مع أحد المشايخ للتوغل في أمور

وهم ينحصرزون في سوريا وتحديداً يستوطن العلويون منطقة جبال العلويين في اللاذقية (وقد أقامت فرنسا لهم دولة أطلقت عليها اسم «دولة العلويين» وقد استمرت هذه الدولة من سنة 1920م إلى سنة 1936م)، كما توجد أقليات في لبنان وتركيا، والطائفة العلوية هي طائفة جعفرية إثنا عشرية . يضاف إلى ذلك عدم اعتمادهم على نظام المرجعيات الدينية (الذي يعد أساسياً عند من سواهم)، وكذلك وجود القليل من الكتب في الفقه والحديث تميز هذه الطائفة . وهي تعتمد بشكل أساسي على الكتب الشيعية وعلى رأسها الكتب الأربعة ومصنفات أخرى كثيرة يشتركون فيها مع بقية الإثنا عشرية .

لإسماعيلية إحدى فرق الشيعة وثاني أكبرها بعد الاثنى عشرية، وهي من الفرق الباطنية.

يشارك الإسماعيلية مع الاثنا عشرية في مفهوم الإمامة، إلا أن الانشقاق وقع بينهم وبين باقي الشيعة بعد

موت الإمام السادس جعفر الصادق، إذ رأى فريق من جمهور الشيعة أن الإمامة في ابنه الأكبر الذي

أوصى له إسماعيل المبارك، بينما رأى فريق آخر أن الإمام هو أخوه موسى الكاظم لثبوت موت

إسماعيل في حياة أبيه وشهادة الناس ذلك.

يمثل التيار الإسماعيلي في الفكر الشيعي الجانب العرفاني والصوفي الذي يركز على طبيعة الله والخلق

وجهاد النفس، وفيه يجسد إمام الزمان الحقيقة المطلقة، بينما يركز التيار الاثنا عشري الأكثر حُرْفِيَّةً

على الشريعة وعلى سنن الرسول محمد والأئمة الاثنا عشر من آل بيته باعتبارهم منارات إلى سبيل

الله.

الإسماعيلية يتفقون مع عموم المسلمين في وحدانية الله ونبوة محمد ونزول القرآن الموحى، وإن كانوا

يختلفون معهم في أن القرآن يحمل تأويلاً باطناً غير تأويله الظاهر، لذلك نعتهم مناوؤوهم من السنة

وكذلك بعض من الشيعة الاثنا عشرية بالباطنية.

و بالرغم من وجود أفرع للمذهب الإسماعيلي فإنه في الاستخدام المعتاد اليوم تدل تسمية الإسماعيلية على النزارية.

وهي تنحصر في نجران المنطقة الواقعة جنوب السعودية وشمال اليمن، وقرى في شرق القارة الأفريقية، وكذلك في سوريا (حيث امتلكوا قلاعاً وحصوناً قديماً)، إلى جانب شبه القارة الهندية، وقد اختلفت الأرض التي سيطر عليها الإسماعيليون مدّاً وجزراً بحسب تقلبات الظروف والأحوال خلال فترة طويلة من الزمن، وتعتبر الإسماعيلية فرقة باطنية قديماً كانت تؤمن بسرية أفكارها فلا تنشرها على الناس بسبب منع ومحاربة الأمويين والعباسيين لمبادئها ولكنها ظهرت للجمع في الفترة الفاطمية وهي في الوقت الحالي مثل العديد من المذاهب الإسلامية يمكن الإطلاع على كافة أفكارها ومبادئها وهي فرقة إسلامية شيعية تؤمن كباقي الطوائف الإسلامية بالنبي محمد رسول الله وبالقرآن ولكنه سميت إسماعيلية لأنها اختلفت عن الفرقة الشيعية الإثني عشرية عند الإمام جعفر فالإثني عشرية قالت بإمامة موسى الكاظم والإسماعيلية بإمامة إسماعيل، ومجموع الطائفة الإسماعيلية في العالم يصل إلى ما يقارب 23 مليون نسمة.

عقيدة الإسماعيلية

القرآن



هو مصدر التشريع الأول والكتاب الألهي الوحيد الذي يعتبر الخارج عنه كافرا ومرتدا عن الإسلام، ومنه تنبثق كل العقائد الإسماعيلية الأساسية، وهو يحوي على طبقات للمعرفة البشرية، وإن كان تفسيره يحتمل تفسيراً ظاهراً وآخر باطنياً لا يمكن معرفته إلا للعلماء المختارين والأئمة.

## الجنان

هو كتاب الإسماعيليين المقدس، وهو عبارة عن بيوت شعر وتعليمات أخرى.

## البعث

هو يوم القيامة الذي يتم فيه محاسبة البشرية على أخطائها ومعاصيها وجرائمها

## الأرقام

لكل رقم دليل ديني معين وللأرقام دلالة بالغة الأهمية حين يتم ذكرها بالقرآن، مثال الرقم 7: فهناك سبع سموات وسبع طبقات للنار وسبعة أيام في الأسبوع والدنيا خلقت في ستة أيام وهكذا... ---

## الإمامة

تنطلق الأمامة من الأمام علي بن أبي طالب ولا تتوقف عند الإسماعيليين بل يعتبرون أن هناك أماما لكل زمان وعصر، وهذا الإمام تتوافر فيه مواصفات العدل والزهد والشجاعة والحكمة والصدق ولذلك تجب طاعته في كل أوامره.

### الداعي المطلق

صلة الوصل ما بين التلامذة والإمام والذي يمرر المعلومات السرية بينهم

### الظاهر

هو ما ظهر من معاني القرآن والكلام الحرفي الذي يكون فهمه واضحا للجميع، والظاهر هو ما تخظه الكلمات الالهية كأوامر للبشر، ويمكن للجميع ملاحظته.

### الباطن

هو المعاني والحقائق الخفية الموجودة وراء الكلمات الإلهية في القرآن والكتب السماوية والتي لا يدركها إلا الأئمة العالمون، وهي تخفي حقائق الوجود المستورة خلف هذه الكلمات الإلهية، وتخفي على كل الناس ولا يمكن رؤيتها الا بأذن الله.

### العقل

يعد العقل عند الطائفة الإسماعيلية هو عامل التشريع الديني الأساسي، فإن تعارض نص في الحديث النبوي أو القرآن الكريم مع مقتضيات العصر وتحدياته الطارئة، وجب التعديل ضمن تشريع قانوني بما يلائم المصالح الطارئة للمجتمع مع عدم المساس بالجوهر التشريعي للنص القرآني أو النبوي، والتأكيد أن النص القرآني أو النبوي هو الأساس، والتعديل الذي يتم إنما يتم ضمن قانون خاص يمكن تعديله لاحقاً في حال تغير الظروف.

## الأعمدة السبع

### الولاية

تعتبر الولاية مفهوماً سياسياً وقيادياً كالرئيس أو الملك أو السلطان، تجب طاعة الوالي أو الأمام على الحق، والثورة عليه وخلعه في حال كان ظالماً أو معتدياً أو متخاذلاً، ولا يصح قيام دولة إسلامية أو قيام جماعة تتخذ الإسلام ديناً لها إلا بوجود والي قائد مسؤول عن مصالح هذه الجماعة كبرت أم صغرت، وتعتبر إقامة العدل وحفظ الأمن والرعية.

## القاديانية الجماعة الأحمدية

### الجماعة الأحمدية

الزعيم ميرزا مسرور أحمد

المؤسس ميرزا غلام أحمد

تاريخ الظهور 23 مارس 1889

منشأ قاديان، منطقة البنجاب، شبه القارة الهندية

الجماعة الأحمدية (بالأردو: احمدية جماعت) أو القاديانية (بالأردو: قاديانيت) ورسميا الجماعة الإسلامية الأحمدية (بالأردوية: احمدية مسلم جماعت) هي حركة إسلامية تجديدية أو مسيحية تأسست في البنجاب، الهند البريطانية، في أواخر القرن التاسع عشر. نشأت مع حياة وتعاليم ميرزا غلام أحمد (1835-1908)، الذي ادعى أنه تم اختياره إلهيا ليكون المهدي المنتظر والمسيح الموعود المتوقع ظهوره من قبل المسلمين في نهاية الزمان وتحقيق «النصر الأخير للإسلام» بصورة سلمية؛ بالإضافة إلى تجسيد الشخصية الأخروية المتوقع قدومها وفقا للأديان الرئيسية الأخرى كما أعلن إلغاء الجهاد من الإسلام وحرّم على المسلمين الخروج علي الإنجليز وقاتلهم في الهند قائلا إنهم «ولاة أمر تجب طاعتهم» وأكد أن تعطيل الجهاد الإسلامي أهم أهدافه فقال في (تبليغ الرسالة، 7 / 17):

«وإنّي لعلى يقين من أنّه بقدر ما يكثر أتباعي، يقلّ المعتقدون بمسألة الجهاد، فإنّ مجرد الإيمان بي إنكارٌ للجهاد»

. وأنكر أن محمد آخر الأنبياء وأن «خاتم النبيين» تعني أفضل الأنبياء وأكبرهم درجة وزينتهم وليس آخرهم. أتباع الأحمديّة (وهو المصطلح الذي تم تبنيه في إشارة إلى أحد أسماء محمد وهو أحمد) يعرفون باسم «المسلمين الأحمديين» أو «الأحمديين» ببساطة.

يشدد الفكر الأحمدي على الاعتقاد بأن الإسلام هو الوحي النهائي للبشرية كما أوحى لمحمد وضرورة استعادته إلى «شكله الأول الحقيقي الذي ضاع عبر القرون» وفقا للأحمديّة. يعتبر أتباعه أن أحمد ظهر كالمهدي (أي يحمل صفات يسوع وفقاً لتفسيرهم للنبوءات الكتابية) لإحياء الإسلام وإطلاق نظامه الأخلاقي الذي من شأنه أن يحقق السلام الدائم. وهم يؤمنون أنه بتوجيه إلهي، قام بتطهير الإسلام من البدع الأجنبية في العقيدة والممارسة من خلال الدفاع عن ما يعتبر (في نظرهم) مفاهيم الإسلام الأصلية التي مارسها النبي محمد صلى الله عليه وسلم والصحابة. لذا يرى الأحمديون أنفسهم على أنهم يقودون الإسلام ونهضته.

أنشأ مرزا غلام أحمد المجتمع الأحمدي (أو الجماعة) في 23 مارس 1889 بقبول البيعة من أنصاره. منذ وفاته، قاد الجماعة عدد من الخلفاء وانتشرت في 210 دولة ومنطقة في العالم اعتباراً من عام 2017، ولديها تجمعات في جنوب آسيا وغرب أفريقيا وشرق أفريقيا وإندونيسيا. يمتلك الأحمديون تاريخاً دعويًا قويا وشكلوا أول منظمة دعوية إسلامية تصل إلى بريطانيا ودول غربية أخرى. حالياً، يقود

الجماعة عبر الخلافة الأحمديّة الخليفة، ميرزا مسرور أحمد، ويقدر عدد أتباعها بين 10 و20 مليون شخص في جميع أنحاء العالم (أي نحو 1% من إجمالي المسلمين).

أغلب أتباع الأحمديّة ينتمون إلى الطائفة الرئيسيّة للحركة والتي تعتبر منظمة وموحدة. ومع ذلك، في بدايات الحركة، انفصل عدد من الأحمديين عن الطائفة الرئيسيّة وشكلوا حركة لاهور الأحمديّة لنشر الإسلام، والتي تمثل اليوم جزءاً صغيراً من الأحمديين. يُنظر إلى بعض المعتقدات الخاصّة بالأحمديّة على أنّها تتناقض مع المفاهيم الحاليّة للعقيدة الإسلاميّة، وقد واجه بعض الأحمديين اضطهاداً. يعتبر العديد من المسلمين كالأزهر وهيئة كبار العلماء السعوديّة أنّهم إما كفّار أو أصحاب بدعة. كما تمّ إتهامها من المسلمين بأنّها صنّعة المخابرات البريطانيّة لإلغاء الجهاد ضد الاستعمار الإنجليزي للهند بينما تري الجماعة أنّها تسعى لإرساء الأمن والسلام في العالم، كثيرًا ما يتم استخدام مصطلح قاديانية للإشارة إلى الحركة بصورة ازدرائية ويستخدم في الوثائق الرسميّة لبعض البلدان.

المنارة البيضاء وعلم الأحمديّة في قاديان، الهند. بالنسبة للأحمديين، يرمز الاثنان إلى مجيء المسيح الموعود.

رؤية الحركة لنفسها

وتعتبر الجماعة الأحمديّة نفسها حركة إسلامية تجديدية وقد نشأت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي في شبه القارة الهندية. يشار إلى أتباع الجماعة الأحمديّة بالأحمديين أو المسلمين الأحمديين، مؤسسها هو ميرزا غلام أحمد القادياني (1835-1908)، نسبة إلى بلدة قاديان، في إقليم البنجاب في الهند، حيث وضع أسس جماعته في 23 من مارس عام 1889 وسماها الجماعة الإسلامية الأحمديّة. ادعى ميرزا غلام أحمد بأنه مجدد القرن الرابع عشر الهجري، وبأنه المسيح الموعود والمهدي المنتظر من قبل المسلمين، ذلك المصلح الذي تنبأت بمجيئه جميع الديانات العالمية بما فيها الإسلام في المرحلة التي وُصفت بأنها آخر الزمان، حيث من المفترض له أن يحقق النصر النهائي للدين الإسلامي وفق النبوءات الإسلامية أيضاً. إن الفكر الأحمدي يشدّد على الاعتقاد بأن الإسلام هو الديانة السماوية الأخيرة للبشرية جمعاء والتي نزلت على النبي محمد. ويشدّد على أهمية استعادة جوهره الحقيقي وشكله الأصلي، الذي أصبح مبهماً على مدى القرون الماضية. وبذلك ترى الجماعة الأحمديّة نفسها رائدةً في مجال إحياء الدين الإسلامي ونشره بطرق سلمية.

ويعتبرون أنفسهم جماعة دينية غير سياسية وهدفها التجديد في الإسلام وتقول بأنها تسعى لنشر الدين بوسائل سلمية عن طريق ترجمة القرآن إلى لغات عدة بلغت بحسب مصادر الجماعة 52 لغة عبر العالم. وتؤكد مصادر الجماعة الأحمديّة أنها لا علاقة لها بالسياسة وتعتمد إبعاد الدين عن السياسة كما تؤكد أيضاً أنها وأتباعها لن تقود أو تشارك في أي خروج على حكومة أي بلد تواجدت فيها.

بداياتهم

كان أول ظهور لهذه الجماعة في الهند وتحديدًا في بلدة قاديان إحدى قرى مقاطعة البنجاب الهندية وذلك عام 1889 على يد ميرزا غلام احمد الذي عاش في الفترة من 1835-1908 والذي قال عن نفسه "انه المسيح الموعود والمهدي المنتظر الذي بشر بأنه يأتي في آخر الزمان وقد استمر في دعوته حتى وفاته في العام 1908 ليخلفه 5 من (خلفاء الأحمديّة) حتى الآن. تولى خلافة الأحمديّة مؤخرًا خليفتهم الخامس ميرزا مسرور أحمد والمقيم في لندن حاليًا .

ويعود تاريخ عائلة مؤسس الأحمديّة إلى أصول فارسيّة، ويعتبر لقب ميرزا بمثابة لقب تكريمي، وكان أجداده قد تركوا خراسان [؟] الفارسيّة في القرن السادس عشر الميلادي في عهد ظهير الدين بابر مؤسس سلطنة مغول الهند .

الانتشار

يعيش الأحمديون في كل البلدان التي يوجد بها مهاجرون من شبه القارة الهندية، حيث أن الاضطهاد الشديد والقمع المنظم تجاه هذه الجماعة في عدد من الدول الإسلامية حذت بالعديد من أفرادها الأحمدين للهجرة والاستقرار في بقاع أخرى من العالم. وتعتبر الجماعة الأحمديّة من أولى الجماعات التي تدعي بأنها مسلمة التي وصلت إلى بريطانيا والبلدان الغربية الأخرى. وللأحمدين نشاط كبير في



أفريقيا، وفي بعض الدول الغربية، ولهم في أفريقيا وحدها ما يزيد عن خمسة آلاف مرشد وداعية متفرغين لدعوة الناس إلى الأحمديّة.

بعد وفاة الحاج مولانا حافظ حكيم نور الدين - الخليفة الأول لمؤسسها - انقسمت الجماعة إلى فرعين: الحركة الأحمديّة في لاهور وجماعة المسلمين الأحمديّة.

نشط الأحمديون في الدعوة إلى مذهبهم بوسائل عدة. ويوجد في بريطانيا قناة فضائية باسم التلفزيون الإسلامي يديرها الأحمديّة.

#### العقيدة

يعد الأحمديون أنفسهم مسلمين ، يؤمنون بالقرآن وبأركان الإيمان جميعها: بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث والحساب ، وبأركان الإسلام كلها؛ وبأن من غير شيئاً فيها فقد خرج من الدين . وتؤمن الجماعة الإسلامية الأحمديّة بأن ميرزا غلام أحمد مبعوث من الله سبحانه وتعالى، مثيلاً لعيسى عليه السلام ليضع الحروب الدينية، مُديناً ومستنكراً سفك الدماء، معيداً أسس الأخلاق والعدالة والسلام إلى العالم، ويؤمنون بأنه سيخلص الإسلام من الأفكار والممارسات المتعصبة، ليعيده إلى شكله الحقيقي كما كان في عهد النبي محمد .

يرى الأحمديون أنفسهم مسلمين ويمارسون الدين الإسلامي على شكله الأصلي . ومع ذلك، فإن بعض المعتقدات الأحمديّة تعتبر مخالفةً للفكر الإسلامي التقليدي منذ تأسيس الجماعة، حيث أن الكثير من عامة المسلمين ينظرون إلى الأحمديين على أنهم غير مسلمين نظراً لوجهة نظرهم وقناعاتهم بأن ميرزا غلام أحمد مبعوث من الله، وفهمهم للجهاد بشكله السلمي، ووجهة نظر الجماعة لقضية ختم النبوة في تفسيرهم للآية القرآنية مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا .

يعتقد الأحمديون أن مؤسس جماعتهم هو «الإمام المهدي»، جاء مجددًا للدين الإسلامي، ومعنى التجديد عندهم هو إزالة ما تراكم على الدين من غبار عبر القرون، ليعيده ناصعًا نقيًا كما جاء به محمد رسول الإسلام الذي يؤمنون بأنه «عبد الله ورسوله وخاتم النبيين». كما ادعى ميرزا غلام أحمد أن مجيئه قد بشر به محمد ونبوءات أخرى في مختلف الأديان، وأنه هو المسيح المنتظر، حيث يفسرون أن المسيح المنتظر ليس هو نفسه عيسى ابن مريم الذي يعتقدون أن لم يمت على الصليب (انظر أدناه).  
ميرزا غلام أحمد المسيح الموعود والمهدي المنتظر لدي الأحمديين .

عقيدة الأحمديّة في الله

إن إلهنا هو ذلك الإله الذي هو حيٌّ الآن كما كان حيًّا من قبل، ويتكلم الآن كما كان يتكلم من قبل،  
ويسمع الآن كما كان يسمع من قبل. إنه لظنُّ باطل بأنه سبحانه وتعالى يسمع الآن ولكنه لم يعد يتكلم.  
كلا، بل إنه يسمع ويتكلم أيضًا. إن صفاته كلها أزلية أبدية، لم تعطل منها أية صفة قط، ولن تعطل  
أبدًا. إنه ذلك الأحد الذي لا شريك له، ولا ولد له، ولا صاحبة له. وإنه ذلك الفريد الذي لا كهو  
له. . . . إنه قريب مع بعده، وبعيد مع قربه، وإنه يمكن أن يظهر نفسه لأهل الكشف على سبيل التمثل،  
إلا أنه لا جسم له ولا شكل. . . . وإنه على العرش، ولكن لا يمكن القول إنه ليس على الأرض. هو  
مجمع الصفات الكاملة كلها، ومظهر المحامد الحقة كلها، ومنبع المحاسن كلها، وجامع للقوى كلها، ومبدأ  
للفيوض كلها، ومرجع للأشياء كلها، ومالك لكل مُلكٍ، ومتصفٌ بكل كمالٍ، ومنزه عن كل عيب  
وضعف، ومخصوص بأن يعبده وحده أهل الأرض والسماء. الجماعة الأحمدية

إن فردوسنا إلهنا، وإن أعظم ملذاتنا في ربنا، لأننا رأيناه ووجدنا فيه الحسن كله. هذا الكنز جديرٌ  
بالاقتناء ولو اقتدى الإنسان به حياته، وهذه الجوهرة حريّةٌ بالشراء ولو ضحى الإنسان في طلبها كل  
وجوده. أيها المحرومون، هلموا سراعًا إلى هذا ينبوع ليروي عطشكم. إنه ينبوع الحياة الذي ينقذكم.  
ماذا أفعل وكيف أقر هذه البشارة في القلوب؟ وبأي دَفٍّ أنادي في الأسواق بأن هذا هو إلهكم حتى  
يسمع الناس؟ وبأي دواء أعالج حتى تنفتح للسمع آذان الناس؟ إن كنتم لله فتيقنوا أن الله لكم.

ضريح روزا بال لعيسي المسيح في سريناغار، كشمير. حيث يعتقد الأحمديون أن المسيح دُفن هناك بعد نجاته من الصلب.

## خمس أركان

أركان الإسلام هي خمسة أركان أساسية في الإسلام، تعتبر واجبة على جميع الأحمديين. يقدمها القرآن كإطار للعبادة وعلامة على الالتزام بالإيمان. وهي: (I) الشهادتين، (2) الصلاة، (3) الزكاة، (4) صيام رمضان، (5) الحج إلى مكة مرة واحدة على الأقل. في العمر. يتفق الأحمديون مع كل من الطائفتين الشيعية والسنية على التفاصيل الأساسية لأداء هذه الأعمال. ومع ذلك، فإن الأحمديّة في باكستان محظورة بموجب القانون، وإلى حد ما في البلدان الإسلامية الأخرى بالاضطهاد، من التعريف بأنفسهم كمسلمين. هذا يخلق بعض الصعوبة في أداء الأعمال الواجبة. على الرغم من أن الأحمديين من بعض البلدان يؤدون فريضة الحج إلى مكة، إلا أنهم غير مسموح بهم بموجب القانون السعودي.

معتقدات أحمديّة مختلفة

وفاة عيسى ابن مريم

مات عيسى ابن مريم ميتة عادية، فلم يُقتل ولم يُصلب، لكنه هو الذي عُلق على الصليب وأنجاه الله من الموت عليه، فأُنزل وهو حيٌّ مغشي عليه، ثم هاجر ولسنين أخرى. كما جاء في دعوى الصلب في

القرآن الكريم: «وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَكِنَّ شُبَّهَ لَهُمْ  
وَأَنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا \* بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ  
وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا .» القرآن الكريم سورة النساء 157-158. من جهة أخرى فالأحمديون  
يعتقدون أن لا يُسمى مصلوبًا إلا من مات صلبًا، ومن ثم فإن معنى قول الله «شبه لهم» معناه شبه  
لهم صلبه، أي اشتبه عليهم أنه قد مات على الصليب، وليس معناه شبه لهم شخص آخر. كما أن  
المقصود بنزوله هو مجيء شخص شبيه به من الأمة الإسلامية.

### المجيء الثاني للمسيح

على عكس العقيدة الإسلامية السائدة، يعتقد الأحمديون أن المسيح قد صلب ونجا أربع ساعات على  
الصليب. تم إفاقة لاحقًا من الإغماء في القبر. يعتقد الأحمديون أن المسيح مات في كشمير عن  
الشيخوخة بينما كان يبحث عن قبائل إسرائيل المفقودة. يُعتقد أن رفات يسوع مدفونة في ضريح روزا  
بال في كشمير تحت اسم يوز أساف. على وجه الخصوص، يُعتقد أن النبوءات التوراتية والإسلامية  
المتعلقة بمجيء المسيح الثاني كانت مجازية، وأن ميرزا غلام أحمد قد حقق شخصيًا هذه النبوءات  
وظهور المسيح الثاني. يعتقد الأحمديون أيضًا أن «المسيح الموعود» و «الإمام المهدي» هما نفس  
الشخص، وأنه من خلال تعاليمه وتأثيره وصلواته وتعليمات أتباعه، سيهزم الإسلام المسيح الدجال في

فترة. على غرار الفترة الزمنية التي استغرقتها المسيحية الوليدة في الظهور وأن قوة الدجال سوف تتلاشى ببطء، مما يبشر بالنصر النهائي المتوقع للإسلام وعصر السلام.

## ختم النبوة

«خاتم النبيين» تعني عند الأحمديين أكمل النبيين وأعلامهم منزلة وفي الوقت نفسه تعني آخرهم، وكمالُ نبوة رسول الإسلام محمد يقتضي أن يصل تلامذته مستويات روحانية أعلى مما وصلته الأمم السابقة. والأحمديون يعيرون على غير الأحمديين من المسلمين الذين يؤمنون بعودة المسيح، حيث يرى الأحمديون أن هذا يتنافى مع ختم النبوة كلياً. والأحمديون لا يميزون إطلاق كلمة نبيّ على مؤسس جماعتهم، إلا إذا كانت مقيدة، مثل نبي ظليّ أو بروزي أو تابع أو من الأمة أو ما شابه ذلك، لأن النبوات كلها قد انقطعت إلا نبوة رسول الإسلام محمد.

## الجهاد

حسب العقيدة الأحمدية، يمكن تقسيم الجهاد إلى ثلاث فئات: الجهاد الأكبر وهو الجهاد ضد الذات، ويشير إلى النضال ضد الشهوات الزهيدة مثل الغضب والشهوة والكرهية. يشير الجهاد الكبير إلى النشر السلمي للإسلام، مع التركيز بشكل خاص على نشر الرسالة الحقيقية للإسلام بالقلم. الجهاد الأصغر هو كفاح مسلح يتم اللجوء إليه فقط للدفاع عن النفس في ظل حالات الاضطهاد الديني

الشديد مع عدم القدرة على اتباع المعتقدات الدينية الأساسية للفرد، وحتى في ذلك الوقت فقط بتوجيه مباشر من الخليفة. يشير الأحمديون إلى أنه وفقاً للنسبة الإسلامية، فإن ميرزا غلام أحمد قد جعل الجهاد في شكله العسكري غير قابل للتطبيق في العصر الحالي لأن الإسلام كدين لا يتم مهاجمته عسكرياً ولكن من خلال الأدب ووسائل الإعلام الأخرى، وبالتالي يجب أن يكون الرد بطريقة مماثلة. يعتقدون أن الجواب على الكراهية يجب أن يكون بالحب.

فيما يتعلق بالإرهاب، كتب الخليفة الرابع للجماعة في عام 1989:

وبقدر ما يتعلق الأمر بالإسلام، فإنه يرفض ويدين بشكل قاطع كل شكل من أشكال الإرهاب. لا يقدم أي غطاء أو تبرير لأي عمل من أعمال العنف، سواء ارتكبه فرد أو جماعة أو حكومة.

الناسخ والمنسوخ

على عكس معظم علماء المذاهب الإسلامية الأخرى، لا يعتقد الأحمديون أن أية آيات من القرآن تنسخ أو تلغي آيات أخرى. جميع الآيات القرآنية لها نفس الصلاحية، وذلك تمثيلاً مع تأكيدها على «جمال القرآن الذي لا يرقى إليه الشك وصلاحيته التي لا جدال فيها». يتم حل التناقض بين الأحكام غير المتوافقة ظاهرياً من خلال الانكماش القانوني في الفقه الأحمدية، بحيث يكون الحكم (الذي يعتبر

قابلاً للتطبيق فقط على الحالة المحددة التي تم الكشف عنها)، فعلاً ليس لأنه تم الكشف عنه أخيراً، ولكن لأنه الأكثر ملاءمة للوضع الحالي.

علم الخلافة الأحمدية.

هي خلافة غير سياسية تأسست في 27 مايو 1908 بعد وفاة غلام أحمد القادياني مؤسس الجماعة الأحمدية الذي ادعى أنه المسيح الموعود والمهدي المخلص الذي ينتظره المسلمون، يعتقد الأحمديون أنه إعادة تأسيس الخلافة الراشدة التي بدأت بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ولقب الخلفاء تعني خليفة المسيح الموعود، والخليفة هو القائد الروحي والتنظيمي المنتخب للجماعة الأحمدية في جميع أنحاء العالم وخليفة غلام أحمد القادياني. يعتقد المجتمع الأحمدية أنه أمر إلهي ويشار إليه أيضاً من قبل أعضائها باسم أمير المؤمنين وإمام الجماعة. الخليفة الخامس والحالي لمسيح الجماعة الأحمدية هو ميرزا مسرور أحمد.

الطبيعة الدورية للتاريخ

يعتقد الأحمديون أن تاريخ الدين دوري ويتم تجديده كل سبعة آلاف عام. تنقسم الدورة الحالية من زمن آدم التوراتي إلى سبع عهود أو عصور، بالتوازي مع أيام الأسبوع السبعة، مع فترات للنور والظلام. ظهر



ميرزا غلام أحمد على أنه المسيح الموعود في العصر السادس الذي يبشر بالعمر السابع والأخير للبشرية .

## الهيكل التنظيمي

مسجد بيت الفتوح في لندن، أحد أكبر المساجد في أوروبا . تُبث خطبة الجمعة للخليفة على الهواء مباشرة في جميع أنحاء العالم، عبر تلفزيون إم تي إيه

## الخليفة

يعتقد المسلمون الأحمديون أن الخلافة الأحمدية هي استئناف للخلافة الراشدة . يُعتقد أن هذا قد أُعيد تأسيسه مع ظهور ميرزا غلام أحمد الذي يعتقد الأحمديون أنه المسيح الموعود والمهدي . يؤكد المسلمون الأحمديون أنه وفقاً للآيات القرآنية (مثل [القرآن 24:55] ) والعديد من الأحاديث حول هذه المسألة، لا يمكن إنشاء الخلافة أو الخلافة إلا من قبل الله نفسه وهي نعمة إلهية تُمنح لمن يؤمن ويعمل صالحاً ويحافظ على وحدانية الله . لذلك ، فإن أي حركة لإقامة الخلافة تتمحور حول المساعي البشرية وحدها مآلها الفشل، لا سيما عندما تنحرف حالة الناس عن تعاليم النبوة وينتشرها نتيجة لذلك، وعدم قدرتهم على انتخاب خليفة يعود سببها الأساسي إلى عدم وجودهم . من البر فيهم . يُعتقد أنه من خلال الرؤى والأحلام والإرشاد الروحي، يغرس الله في قلوب وعقول المؤمنين الذين

يختارونهم. لا يسمح بالحملات أو الخطب أو التكهنات من أي نوع. وهكذا لم يتم تعيين الخليفة بالضرورة عن طريق الحق (أي الحق أو الكفء في نظر الناس) ولا عن طريق الاختيار فقط ولكن من قبل الله في المقام الأول.

وبحسب الفكر الأحمدية، ليس من الضروري أن يكون الخليفة رئيسًا للدولة، بل يتم التأكيد على الأهمية الروحية والدينية للخلافة. إنها قبل كل شيء وظيفة روحية، بهدف دعم وتعزيز ونشر تعاليم الإسلام والحفاظ على المعايير الروحية والأخلاقية العالية داخل المجتمع العالمي الذي أنشأه محمد. إذا تصادف أن يتولى الخليفة سلطة حكومية كرئيس للدولة، فهذا عرضي وفرعي فيما يتعلق بوظيفته الإجمالية كخليفة. يشير الأحمديون إلى الخليفة أيضًا باسم أمير المؤمنين. الخليفة الحالي والخامس هو ميرزا مسرور أحمد.

مجلس الشورى

مجلس الشورى أو مجلس الشورى، من حيث الأهمية هو أعلى مؤسسة في المجتمع بعد الخلافة. أسسها الخليفة الثاني ميرزا بشير الدين محمود أحمد عام 1922. تجتمع هذه الهيئة الاستشارية رسميًا مرة واحدة على الأقل في السنة. على الصعيد الدولي، يرأس الخليفة الخليفة. والغرض الرئيسي منه هو تقديم المشورة للخليفة في الأمور الهامة مثل التمويل والمشاريع والتعليم وغيرها من القضايا المتعلقة بأعضاء الجماعة. يشترط أن يقوم الخليفة بواجباته بالتشاور مع مراعاة آراء أعضاء المجلس. ومع ذلك

، ليس من واجبه أن يقبل دائماً آراء وتوصيات الأعضاء . يجوز للخليفة التعليق ، وإصدار التعليمات ، وإعلان قراراته بشأن المقترحات أثناء سير الإجراءات أو قد يؤجل الأمر لمزيد من التفكير . ومع ذلك، في معظم الحالات ، يقبل الخليفة النصيحة التي تقدمها الأغلبية . على الصعيد الوطني ، يترأس المجلس من قبل ' عامر (رئيس وطني) . في ختام الإجراءات، تُرسل التوصيات إلى الخليفة للموافقة عليها ، والتي يجوز له قبولها أو رفضها أو قبولها جزئياً .

## المقر

المقر الرئيسي للجماعة الإسلامية الأحمدية هو المدينة أو البلدة أو المكان الذي يقيم فيه الخليفة . على هذا النحو، منذ النفي القسري للخليفة الرابع من باكستان في عام 1984، كان المقر الفعلي للجماعة موجوداً في مسجد فضل في لندن، إنجلترا . في عام 2019، نقل الخليفة الخامس المقر الرئيسي إلى إسلام آباد، في تيلفورد، إنجلترا على أرض اشترتها الجماعة في عام 1985 . على الرغم من أن مدينتي مكة المكرمة والمدينة المنورة تعتبران أكثر قداسة ، إلا أن قاديان تعتبر المقر الروحي للجماعة . من المعتقد والمتنبأ أنه في المستقبل ستعود الخلافة الأحمدية مرة أخرى إلى قاديان، مسقط رأس ميرزا غلام أحمد . ومع ذلك ، فإن مدينة الربوة الأحمدية في باكستان منذ تأسيسها في 20 سبتمبر 1948 على يد الخليفة الثاني ، بعد التقسيم الهندي ، تتسق غالبية نشاط التنظيم في جميع أنحاء العالم . على وجه الخصوص، المدينة مسؤولة، ولكن ليس حصرياً، عن الهيئتين المركزيتين للمجتمع ؛ مجلس الأحمدية المركزي ومجلس

النظام الجديد . هيئة أخرى، لكنها أصغر بكثير، هي مجلس "التقاني الجديد"، نشطة أيضاً . تعمل جميع الهيئات المركزية بتوجيه من الخليفة .

## المؤسسات

الحرم الجامعي الباكستاني للجامعة الأحمدية بالربوة في شينيو، البنجاب، باكستان .

الحرم الجامعي الباكستاني للجامعة الأحمدية بالربوة من بين جميع المؤسسات الدينية للجماعة الإسلامية الأحمدية، فإن الجماعة الأحمدية، التي تُترجم أحياناً باسم الجماعة الأحمدية للاهوت واللغات، جديدة بالملاحظة بشكل خاص . وهو معهد إسلامي وتعليمي دولي له العديد من الجامعات في جميع أنحاء إفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا الشمالية . تأسست عام 1906 كقسم في مدرسة تعليم الإسلام (لاحقاً كلية تعليم الإسلام) من قبل ميرزا غلام أحمد، وهي المركز الرئيسي للجماعة الإسلامية الأحمدية لتعليم الإسلام وتدريب المبشرين . قد يتم تعيين الخريجين من قبل الخليفة إما كمبشرين للجماعة (يُطلق عليهم غالباً مربي أو إمام أو مولانا ) أو قاضياً أو مفتياً للمجتمع مع التخصص في مسائل الفقه (الفقه الإسلامي) . أصبح بعض خريجي الجامعة أيضاً مؤرخين إسلاميين . اعتباراً من عام 2008 ، هناك أكثر من 1300 خريج من الجامعة يعملون كمبشرين في جميع أنحاء العالم .

## المنظمات المساعدة

هناك خمس منظمات تابعة للجماعة الأحمديّة. كل منظمة مسؤولة عن التدريب الروحي والأخلاقي لأعضائها. إن جمعية "لجنة إمام الله" هي الأكبر من بين جميع المنظمات وتتألف من عضوات فوق سن 15 سنة. مجلس خدام الأحمديّة للأعضاء الذكور الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و 40 سنة؛ "مجلس أنصار الله" للأعضاء الذكور فوق سن الأربعين؛ "نصيرات الأحمديّة" للفتيات اللواتي تتراوح أعمارهن بين 7 و 15 سنة؛ وأطفال الأحمديّة للصبيان الذين تتراوح أعمارهم بين 7 و 15 سنة.

## المجتمع

تنقسم الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة العالميّة إلى مجتمعات وطنية، لكل منها مقرها الوطني. تنقسم كل جماعة وطنية إلى مجتمعات إقليمية، والتي يتم تقسيمها مرة أخرى إلى مجتمعات محلية. في كثير من الحالات، سيكون لكل مجتمع محلي مسجد أو مركز أو دار إرسالية خاصة به. الأمير، أو الرئيس الوطني، على الرغم من إشرافه من قبل الهيئات المركزية للمجتمع، يوجه الأمانة الوطنية أو الهيئة التنفيذية الوطنية التي تتكون من الأمناء الوطنيين مثل الأمين العام، سكرتير المالية وسكرتير الوعظ، وسكرتير التدريب الأخلاقي، وسكرتير التعليم، من بين آخرين. يتم تكرار هذا التصميم على المستويين الإقليمي والمحلي مع كل من الرئيس والهيئات التنفيذية. [

الأحداث السنوية

على عكس أعياد المسلمين في عيد الفطر وعيد الأضحى الذي يحتفل به المسلمون الأحمديون أيضاً، هناك العديد من الوظائف التي يمارسها الأحمديون على الرغم من عدم اعتبارها أعياداً دينية. على هذا النحو، لا تعتبر الوظائف إلزامية على حد سواء وليس من الضروري الاحتفال بها في اليوم المحدد للاحتفال عادة. أهم وظيفة دينية للمجتمع هي الجلسة السنوية أو المؤتمر السنوي ، الذي بدأه ميرزا غلام أحمد لأول مرة، وهو التجمع السنوي الرسمي للجماعة، بغرض زيادة المعرفة الدينية للفرد وتعزيز الانسجام والصدقة والتضامن داخل أعضاء المجتمع. وتشمل الوظائف الأخرى "يوم النبي الكريم" و "يوم المسيح الموعود" و "يوم الإصلاح الموعود" و "يوم الخلافة".

وجهة نظر المسلمين وبعض من الناس تجاه الأحمدية

يعتبر علماء المسلمين كلا من أتباع الجماعة الأحمدية والجمعية الأحمدية اللاهوتية غير مسلمين وهراطقة، ولا تقبل الجمعية الأحمدية اللاهوتية بهذا الاعتقاد ولا يرى أتباعها ميرزا غلام أحمد نبياً بالمعنى التقليدي. يدعي الأحمديون أن هذا الاعتبار نتيجة لسوء فهم أقوال ميرزا غلام أحمد التي تشير إلى بعثته "بروح محمد" (مشابها لبعثة يوحنا المعمدان بروح إلياس وقوته). يؤمن المسلمون الأحمديون بأن ميرزا غلام أحمد هو الإمام المهدي والمسيح الموعود، بينما يرفض ذلك عامة المسلمين مصرحين بأن ميرزا غلام أحمد لم يكن مصداقاً لنبوءات الإمام المهدي وأن لقب المسيح أعطي لعيسى وليس لأحد غيره، لذلك يعتبرون ميرزا غلام أحمد مدعياً كاذباً للنبوة.

عقدت رابطة العالم الإسلامي مؤتمرها السنوي في مكة المكرمة من I4 إلى I8 في شهر ربيع الأول عام 1394هـ الموافق أبريل 1974م، وحضره I40 وفداً ممثلين لدول إسلامية ومنظمات من جميع أنحاء العالم، وأصدر المؤتمر الإعلان التالي:

القاديانية أو الأحمديّة: حركة تخريبية ضد الإسلام والعالم الإسلامي، والتي تدعي زوراً وخداعاً أنها طائفة إسلامية، والتي تحتفي بستر الإسلام ومن أجل مصالح دنيوية تسعى وتخطط لتدمير أسس الإسلام الجماعة الأحمديّة

كلتا الحركتين الأحمديتين تُعدان خارجيتين عن دائرة الإسلام عند الحكومة الباكستانية، ويُسجل ذلك في وثائق سفرهم. وعلى النقيض من ذلك، فإن الأحمديين المواطنين في دول غريبة وبعض الدول الإسلامية يؤدون الحج والعمرة، حيث لا تدرك الحكومة السعودية أنهم أحمديون عند تقديمهم لطلب التأشيرة. وقد أيد قرار محكمة حق الأحمديين لتعريف أنفسهم كمسلمين في الهند. وبما أن معتقدات الجمعية أحمديّة اللاهوتية بخصوص نبوة ميرزا غلام أحمد أقرب لفكر عامة المسلمين، لذلك وجد فكرهم المنشور قبولاً أوسع عند أهل الفكر المسلمين.

بعض الجماعات الإسلامية تجمع الحركتين الأحمديتين معا وتشير إليهم بالـ"قاديانيين"، وإلى معتقداتهم بالـ"قاديانية" (نسبة إلى بلدة قاديان، في مقاطعة غوردسبور الواقعة في إقليم البنجاب في الهند، حيث وُلد مؤسسها)، وهي مصطلحات ازدرائية. لكن معظمهم، إن لم يكن كل الأحمديين من الطائفتين، لا

يعجبهم هذا المصطلح لأنه قد اكتسب دلالات مهينة على مر السنين، وإضافة لذلك فإنهم يفضلون التفريق بين حركتيهم المنفصلتين. معظم المسلمين لا يستخدمون مصطلح «مسلم» عند الإشارة إلى الأحمدين، مستشهدين بالفتاوى التي أصدرها علماء المسلمين، على الرغم من أن كلتا الطائفتين تشيران إلى أنفسهما بأنهم مسلمون. ومع ذلك، فيما أن أعضاء الجمعية الأحمديّة اللاهورية تنكر نبوة ميرزا غلام أحمد. في أوقات سابقة في باكستان والهند كان هناك اضطهاد على نطاق واسع للأحمدين من قبل جماعات مسلمة معينة. ولا تزال أعمال عنف متفرقة وكذلك اضطهاد ذو طابع أكثر دهاءً ضد الأحمديّة مستمرة حتى اليوم.

الطائفة الأحمديّة محظورة في باكستان منذ عام 1974، ويرى جميع فقهاء السنة والشيعة أن الأحمديّة [؟] «هراطقة وخارجون على الإسلام»، ويرون أنها حركة نشأت في شبه القارة الهندية بدعم من الاستعمار الإنجليزي بهدف إبعاد المسلمين عن مقاومة الاستعمار البريطاني، وذلك حسب عقيدتهم في الجهاد (المشروحة أعلاه). لذلك فإن أتباع الأحمديّة يتعرضون لتضييق حكومي إلى جانب ما يتعرضون له من عموم المسلمين. كذلك ثار في أبريل 2008 في إندونيسيا لفظ شعبي حول أتباع الجماعة الأحمديّة من الإندونيسيين، ومطالبات بحظر وجودهم.

وقد صدرت فتاوى متعددة من عدد من الجامع والهيئات الشرعية في العالم الإسلامي، تقضي بكفر القاديانية، منها الجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي، وجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر



الإسلامي، وهيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، هذا عدا ما صدر من فتاوى علماء مصر والشام والمغرب والهند وغيرها .

## الصوفية

ما هي الصلات بين الشيعة والصوفية، وهما التياران الباطنيان داخل الإسلام؟ خلال حياة الأئمة الشيعة التاريخية، حتى بداية القرن التاسع تقريباً، كان الشيعة والصوفية متقاربين جداً؛ كانت تعاليم الأئمة، التي تتضمن عنصراً روحانياً قوياً، تستقطب المتصوفين، وكان العديد من الشيوخ الصوفيين العظماء، بحسب بعض المصادر، يعاشرون الأئمة بالفعل .

## التشابه بين التصوف والتشيع

تقول الباحثة بريجيت بودون (Brigitte Boudon)، أستاذة فلسفة، ومؤسسة "خميس الفلسفة" ( Jeudis Philo) في مرسيليا، ومؤلفة "طرق الخلود في اليونان القديمة، رمزية بروفانس، رمزية الشجرة، رمزية الصليب" إنَّ للعديد من المفاهيم الصوفية الأساسية ما يوازيها في التشيع:

- استمرار الدفع النبوي في سلالة "أحباب الله القديسين"؛ حيث إنَّ مفهوم الولاية قريب جداً من مفهوم ولاية الشيعة؛ إذ يشير إلى التولية الإلهية للأئمة .

## الرؤية بالقلب

بعد احتجاب الإمام الثاني عشر للشيعة الإثني عشرية، في النصف الثاني من القرن التاسع، تطوّر هذا الفرع من الشيعة إلى شكل أكثر قانونية وتسييساً؛ حيث اندمجت العناصر الباطنية لهذا التيار في الصوفية، وفي الإسماعيلية؛ حيث إنه في وقت لاحق، انعكست الأدوار، فأصبح الشيعة هم أتباع الصوفية، خاصة أتباع مدرسة مُعلم القرن الثالث عشر والثالث عشر العظيم، محيي الدين ابن عربي. من المرجح جداً أن تكون الملابس الصوفية قد ارتبطت بالفعل بالروحانية في العصور ما قبل الإسلامية ويُعدّ حيدر أموي، وهو عالم من الشيعة الإثني عشرية، اشتهر في القرن الرابع عشر بتفسير أعمال ابن عربي، واحداً من أبرز الشخصيات في هذا التقارب بين الصوفية والشيعة.

عملياً؛ جميع المراتب الصوفية، التي بدأت تتشكل بعد القرن الثاني عشر، تُرجع سلاسل تلقينها الروحي إلى النبي محمد، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من قِبَلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، هَذَا الْأَخِيرُ كَانَ هُوَ أَيْضاً مُصَدِرَ الْمَعْرِفَةِ التَّقِينِيَّةِ فِي الْمَذْهَبِ الشَّيْعِيِّ.

ويمكن أيضاً ملاحظة تقارب التيارين الباطنيين في تشابه بعض الممارسات الروحية، مثل "الرؤية بالقلب".

التصوّف: الاتحاد مع الله

يشير التصوف إلى جهد استقراء الوحي القرآني، والقطيعة مع الدين القانوني (الشريعة) البحث، والرغبة في استعادة التجربة الحميمة التي كانت للنبي، عليه السلام، في ليلة المعراج: الصعود لتلقي تعاليم الله حول الصلوات الخمس.

الهدف الأسمى للصوفي؛ هو مماثلة إرادته بإرادة الله، وأن يكون حيزاً للتعبير الإلهي؛ جسداً وروحاً، إنها طريقة زهدية؛ حيث يقود فيها الكفاح ضدّ المشاعر بفضل القلب إلى النشوة، من خلال اتحاد مع الله، مبني على الحب المتبادل الذي يذكره القرآن.

علاقة الصوف بالتصوّف

الاشتقاق السائد بشكل عام، يستمدّ كلمة صوفي من كلمة "الصوف"؛ التي تشير إلى العُرف الصوفيّ في ارتداء ثوب ومعطف من الصوف الأبيض، بالتالي؛ فإنّ الكلمة لا تحمل أية إشارة إلى العقيدة الروحية التي تميز الصوفيين في الإسلام، ومن المرجح جداً أنّ تكون الملابس الصوفية قد ارتبطت بالفعل بالروحانية في العصور ما قبل الإسلامية.

يُوحى لفظ الصوفي بالعديد من تداعيات الأفكار والصور، مثل؛ النقاء، وكون الصوفي حبيب الله والفقير والشخص الذي يتبع الطريقة، كما يشير إلى جميع المتصوفين والروحانيين الذين يمارسون إيمان التصوّف.

يفترض أن أعضاء مجموعة الكوفة الروحية الشيعية، على حدود القرنين؛ الثاني والثالث للهجرة، هم أول من أطلق عليهم اسم الصوفية، لكن آثار الصوفية الشيعية ما لبثت أن اختفت حتى القرن السابع الهجري، وقد عادت للظهور من جديد إلى يومنا هذا.

الاشتقاق السائد بشكل عام، يستمد كلمة صوفي من كلمة «quot الصوف»

الاشتقاق السائد بشكل عام، يستمد كلمة صوفي من كلمة "الصوف"

من النقد إلى الاضطهاد

نقطة انطلاق شجرة النسب لمعظم التجمعات الصوفية، تمثل في أحد الأئمة؛ وقد واجهت الصوفية على مرّ القرون عدداً من الصعوبات من جانب الإسلام الرسمي، بدءاً من انتقادات ساخرة وانتهاءً بالاضطهاد.

ظاهرة الصوفية لم تظهر تماماً بذات الكيفية؛ حيث اختلفت تعبيراتها تبعاً للمكان الذي عاشت فيه، في إيران الشيعية، أو في الإسلام السنّي.

عددياً عبر القرون، الغالبية العظمى من الصوفيين يعيشون في العالم السنّي، وهو ما يبدو مفارقة؛ نظراً إلى قرب الرؤية الصوفية من الشيعة، وعلاوة على ذلك؛ ففي العالم الشيعي، غالباً ما يكون هناك تحفظ إزاء التصوف، أقرب إلى التحفظ والرفض والإنكار.

## ما هي الصلات بين الشيعة والسنة والتصوّف؟

إنه موضوع بالغ التعقيد؛ كان هناك صوفيون من الشيعة منذ البداية، لكنّ بعض الأئمة عبّروا عن شجب شديد تجاه الصوفيين .

الصوفية لم تظهر بذات الكيفية حيث اختلفت تبعاً للمكان الذي عاشت فيه في إيران الشيعية أو في الإسلام السنّي

في الواقع؛ منظمة الأخوية الصوفية هي المعرّضة أكثر للانتقاد من قبل الشيعة في أغلب الأحيان: الرهبنة، والثياب الرهبانية، ودور الشيخ الذي يميل إلى أن يحلّ محلّ الإمام، خاصّة محلّ الإمام الخفي، المعلّم والمرشد الداخلي، لأنّه غير مرئيّ .

تعتقد الشيعة أنّها، في جوهرها، الطريق الروحي، والمسار التلقيني بامتياز؛ فمن خلال الإخلاص للأئمة القديسين، يُبدي الشيعي استعدادَه لتلقّي هذا التلقين منهم، وهي المسارة (التلقين) التي تربطه، بواسطة صلة شخصية مباشرة بالعالم الروحي، في بُعدٍ رأسي، دون الحاجة إلى الدخول رسمياً في جماعة منظمة .

## التصوّف

### استبطان محتوى الوحي القرآني

التصوّف ظاهرة روحية ذات أهمية قصوى؛ إنّه في الأساس إثراء للرسالة الروحية التي جاء بها النبي، عليه السلام، والجهد من أجل إعادة تجسيد الطرائق تجسيدا شخصياً، من خلال استبطان محتوى الوحي القرآني، وفي الوقت نفسه مع التقيد الكامل بالقانون الديني، ويظلّ افتراض النشوة التي تلقن فيها النبي، عليه السلام، الأسرار الإلهية، تجربة مثالية تسعى الصوفية إلى الوصول إليها وإدراكها.

التصوّف احتجاج ضدّ آية نزعة لتقليص الإسلام إلى الدين القانوني والحرفي، وقد توصل إلى تطوير تقنية زهد روحيّ تستدعي درجاته وتقدّمه وأهدافه، ميثافيزيقا كاملة تسمّى "العرفان"، وهي معرفة الحقائق الخفية، الغنوص.

### مفاهيم الظاهر والباطن

للإسلام جانبان: جانب واضح بديهيّ خارجيّ ظاهر، وجانبٌ مخفيّ غامضٌ جوانبيّ باطنيّ.

التصوّف احتجاج ضدّ آية نزعة لتقليص الإسلام إلى الدين القانوني والحرفي

مصطلح الظاهر، يستحضر معنى "خلف، وراء، ظهر"؛ إنّ ما هو واضح في الواقع هو فقط "ظهر" الشيء، ونحن لا يمكن أن نعرف الشيء حقاً حين نراه من الخلف. في المقابل؛ الباطن يستحضر معنى "الأمم، الجبهة، المركز، الوسط"، إنّ ما هو مخفيّ هو في الواقع "واجهة" الشيء؛ فحتى تتمكن من معرفة شيء ما، عليك اكتشاف وجهه الذي يظلّ مخفياً.

الظاهر هو فضاء الشريعة، القانون الديني، الدين البديهي الواضح، هذا المصطلح العربي يستحضر صورة طريق عظيم، شريان واسع يمكن أن يضم عدداً كبيراً من الناس، على أغلبية، القانون (الشريعة) هو مجال التزامات العبادة، مجال "ما يجب القيام به"، مجال "الواجب".  
أما الباطن، والمسار الذي يميّزه، فيمكن تقسيمهما إلى ثلاث مراحل.

#### المرحلة الأولى: الطريقة

على عكس الشريعة، الطريق الكبير والواسع، يوحى بمسار ضيق لا يمكن أن يتخذه إلا قلة من الناس، يمكن تعريف هذه الخطوة الأولى على أنّها: "مجال كيفية القيام بما يجب القيام به".

الطريقة لفظ عربي يدل على "الدرب، الطريق، المسار"، وقد أخذت معنيين اثنين متتاليين في التصوّف الإسلامي:

في المعنى الأول: تُحدّد هذه الكلمة طريقة علم النفس الأخلاقي لتوجيه كل استعداد فردي؛ من خلال رسم مسارٍ ينطلق من الروح إلى الله، ويؤدي عبر مراحل مختلفة من الممارسة الحرفية للأمر الموحى به (الشريعة) إلى الحقيقة الإلهية - الحقيقة.

في معناه الثاني: يشير مصطلح الطريقة إلى مجموع طقوس التدريب الروحية الموصى بها، للعيش معاً في مختلف التجمعات الإسلامية، وقد توسع المعنى فأصبح مرادفاً للأخوية؛ أي لجمع قائم على تعليمات خاصة تحت سلطة المعلم نفسه.

لا يوجد فاصل، أو فجوات بين المسار الظاهر والمسار المخفي؛ بل الأمر يتعلق باستمرارية في مسار الرحلة الدينية نفسه، وتطور تدريجي في حالات الوعي.

المرحلة الثانية: المعرفة والمعجزة

تتكون المرحلة الثانية من الباطن من مستويين:

المستوى الأول: هو المعرفة؛ حرفياً "المعرفة" المتقدمة والمحوّلة، وهنا يتعلم الشخص معرفة العلم الروحي في المجالات الفلسفية أو اللاهوتية، إنه مجال "المعرفة"؛ حيث يبدأ المتعلم في تعلم العلوم التي تقربه من سعيه.

المستوى الثاني: هو الكرامة "المعجزة"؛ إنه "القوة" التي تطوّر في الصوفي حالات متغيرة من الوعي، وفهماً فورياً للقوانين والوسائل التي تؤدي إلى الغرض من السعي.

المرحلة الثالثة: الإدراك الكامل



المرحلة الثالثة والأخيرة من الحياة الروحية؛ هي مرحلة الإدراك الكامل؛ أي التجربة الحية للحقيقة والواقع. هنا، يصل المسافر إلى مجال الكائن (الكينونة)؛ إنها حالة اتحاد الأضداد، والتقاء الأضداد في معنى الكائن المطلق، إنه مجال الاتحاد والوحدة، وذوبان الإنسان في روح الإله.

ابن عربي: الأفلاطوني بامتياز

ابن عربي، الشخصية الصوفية المرموقة، يُطلق عليه أحياناً اسم "لسناني الباطنية الإسلامية"؛ وقد هزّت عقيدته عالم الفكر الإسلامي، ما أثار الكثير من الجدل، وهيمن عمله على الروحانية الإسلامية منذ القرن الثالث عشر المسيحي، ولم تعرف الصوفية أبداً شخصية أقوى وأكثر تعقيداً منه، أطلق عليه تلاميذه فيما بعد اسم الأفلاطوني بامتياز (ابن أفلاطون).

للإسلام جانبان: جانب واضح بديهي خارجي ظاهر، وجانبٌ مخفيٌ غامضٌ جوانبيٌّ باطنيٌّ أثر نفوذه في مؤيديه وخصومه، ويُمثل معجمه التقني الشكل المستكمل للمفردات اللغوية في اللغة العربية، وقد تبنت المفكرون المسلمون فيما بعد، سواء أكانوا عرباً أو إيرانيين أو أتراكاً، مصطلحاته.

ولد ابن عربي في مورسيا بإسبانيا عام 1165، وبدأ في إشبيلية باكتساب ثقافة إسلامية كلاسيكية؛ دينية وأدبية.

تؤكد سيرة حياته أنه في سنّ المراهقة، كان قد قام بالفعل بجولة في العلوم الإسلامية؛ كان عمره عشرين عاماً تقريباً عندما سمع دعوة السماء إلى الحياة الحقيقية، فاستجاب عن طريق انتخاب "الطريق"، وتجسّد تحوُّله الروحي أولاً باعتكافه لمدة تسعة أشهر تحت إشراف معلم روحي.

بعد الانتهاء من معتكفه الذي دام تسعة أشهر، وجّه ابن عربي حياته ونشاطه نحو تعميق الدراسات الميتافيزيقية والتقليدية، وزيارة المعلمين الروحيين العظام، وتأليف أعمال باطنية، وتكوين أشخاص يطمحون إلى حياة الفكر النقي والروحانية.

أطلق عليه تلاميذه فيما بعد اسم الأفلاطوني

ابن عربي يثير فضول ابن رشد

بمجرد دخول ابن عربي إلى الطريقة، ظهرت ظواهر نفسية استثنائية ما لبثت أن جذبت فضول الفيلسوف ابن رشد .

كان ابن رشد صديقاً مقرباً لأب لابن عربي، كان لقاءً لا ينسى بين عقليْن متعارضين تماماً، من حيث رؤيتهما للعالم، ومفهومهما للخلاص الذي سجله ابن عربي في أحد أعماله .

شغف ابن عربي بالكمال

تميّزت جهود ابن عربي بالبحث عن الكمال، وعن تطوّر مستمرّ نحو الحقيقة والسلام، كان شغوفاً  
بمعرفة كلّ درجات التفاني في جميع الأديان والمذاهب، عن طريق التواصل المباشر مع روح مؤسسيها .  
هذا الموقف من الانفتاح على العالمية لم يكن يمكن التعبير عنه في البيئة الأندلسية في عصره؛ لذلك، عام  
1202، غادر المغرب العربي نحو الشرق الأدنى، وهكذا عاش مغامرة رائعة امتدت 40 عاماً في الشرق  
المسلم . مكث سنتين في مكة، غارقاً في تأملات تخللتها رؤى وأحلام صوفية، وقد قادته رحلاته إلى  
بغداد والموصل والأناضول .

ومن عام 1224 حتى وفاته، عاش في دمشق، حيث دُفن، ورغم انتقاد العلماء الأرثوذكس، فقد  
مارس هناك حياة حافلة بالعمل والتعليم .

أشهر مؤلفات ابن عربي

أعماله عديدة للغاية؛ فقد فهرسها أحد الباحثين السوريين، يدعى عثمان يحيى، ووجد 856 عملاً،  
منها 550 عملاً وصل إلينا، وتشهد عليها 2917 مخطوطة .

حسبنا أن نستعرض بشكل رئيس أعماله الثلاثة الأكثر شهرة: كتاب "الفتوحات الروحية في مكة"،  
كتاب "التجليات الإلهية"، وكتاب "الأحجار الكريمة للحكمة" .

كتاب الفتوحات المكية

بدأ المؤلف بكتابته عام 1203، واستغرق ثلاثين عاماً لكتابته بالكامل، يتكون العمل، في مفهومه الأصلي، من 560 فصلاً، مقسمة إلى 6 أقسام كبيرة.

أجزاء هذا الكتاب المختلفة مرتبة عضوياً؛ في هذا الكتاب يضع ابن عربي الأسس العقائدية التي يعدها ضرورة للصوفي في صعوده إلى الواقع، وهذا هو الجانب النظري من رؤيته للكائن، ثم يأتي إلى التطبيقات التي يجب على الحاج اتباعها من أجل تقدّمه الروحي وكماله الشخصي، ثم يصف الحالات التي يتعيّن على الصوفي أن يمرّ بها، والأحداث التي يواجهها في صعوده، ثم تأتي البيوت الروحية، التي ترك الحبيب فيها آثار وجوده على هذه الأرض، المنفى والمعاناة، يتوقف الصوفي عند هذه المساكن لحظات عابرة، ويجد فيها الراحة والعزاء.

### وحدة الكائن من وحدة الإله

ما دامت هناك وحدة على مستوى البعد الإلهي، فهناك بالضرورة وحدة على مستوى الكائن. الأحادية اللاهوتية والأحادية الأنطولوجية مرتبطتان، ومن ناحية أخرى؛ إذا كان الله هو الكائن الوحيد للإيمان والعشق، فإنّ هذا الإله نفسه هو الموضوع الأسمى للكائن.

من هذا المنظور؛ ما هو الوضع الوجودي لكل ما هو غير الله؟ يجيب ابن عربي: إنها الأماكن التي يظهر فيها الكائن، الأشكال التي يكشف فيها الإله عن وجوده، أو إذا أخذنا صورته المفضلة، إنها المرايا المتجلية التي ينعكس فيها مجد الكائن، ابتداءً من المادة الخام (الذرة) إلى الفكر الأعلى.

أثار هذا العمل الغامض ردود أفعال عنيفة في عالم الفكر الإسلامي منذ نشره حتى اليوم، وبالفعل، فإنّ موقف ابن عربي بسيط، لكنه جريء للغاية: إنه يوضح عقيدته في التوحيد، ويمكن تلخيصها على النحو الآتي: إذا كان عرض الأنبياء في القرآن يبدو ك تفسير ديني زمني، فإنّ عرض هذه الشخصيات نفسها، عند ابن عربي، يظهر ك تفسير وجودي، أي أنّ المؤلف يتناولهم من حيث واقعهم الميتافيزيقي، وليس من حيث واقعهم التاريخي والديني.

كلّ كلمة نبوية هي تعبير خاص عن الحكمة الإلهية.

### مفهوم العالم "المثالي"

مفهوم "التصوري المثالي" (imaginal)؛ مصطلح اقتبسه الفيلسوف الفرنسي هنري كوربين (Henry Corbin)، ويحمل هذا اللفظ الجديد المبتكر، تعظيماً فلسفياً للصورة. الخيال الإبداعي يشكل الملكة المركزية للروح؛ فهو يمنحنا الوصول إلى منطقة وواقع الكائن الذي يظلّ من دونه هذا الخيال الإبداعي مُغلَقاً أمامنا، ومُتنوعاً علينا (H. Corbin)، الجسد الروحي والأرض السماوية).

قوة الروح هذه تفتح الكائن والمعرفة على عالم ما فوق الحسي: لا العالم المعروف بالحواس، ولا العالم المعروف بالفكر، إنما على عالم ثالث، عالم تفاعلي ما بين المحسوس والمفهوم، وهذا ما يطلق عليه بعض المؤلفين اسم "عالم الروح"، الذي تُطبق عليه الفلسفة الشرقية اسم "الملكوت".

### التقليد الأفلاطوني في الإسلام

تميز التقليد الأفلاطوني في الإسلام ثلاث حقائق: "العالم العقليّ أو العالم المفهومي، والعالم المثاليّ أو العالم الخيالي، والعالم الحسيّ. ويستند هذا التمييز على الاعتراف "بأشكال" محدّدة لكلّ منها تراتبياً، وفق ثلاث مناطق في الكائن والمعرفة: أشكال عقلانية، وأشكال مثالية، وأشكال محسوسة.

تقول الباحثة بريجيت بودون (Brigitte Boudon): "لقد أسعفتنا اللغة اللاتينية؛ حيث إن (

mundus imaginalis) "عالم التصويرية": هو في اللغة العربية المعادل الحرفي لـ "العلم المثالي"، لا يعني هذا عالماً من الصور كواقع مدنّ، أو ضعيف، أو متجذّر في المعطيات الحساسة، أو حقيقة خرافية، لكنه مصدر حقيقي للمعرفة، الروح "تلتقي" هذا الواقع المثالي من خلال إدراك مثالي، بمعرفة مثالية، وبوعيّ مثالي".

ابن سينا، السهروردي، ابن عربي، مولا سادرا شيرازي، كلهم فلاسفة، "شهود" على هذا الصعود إلى "أرض الرؤى"، بمنظور التقليد الفيثاغوري الأفلاطوني، النقي.

العالم المثالي؛ هو مكان رؤية الأنبياء والصوفيين، والقيامة، والملاحم والأساطير التلقينية، والرموز والطقوس التلقينية، وجميع عمليات الغنوص. إنه مكان "طريق الروح" (G. Durand, P. Solié) وجميع ظواهر الروح (H. Corbin).

إنّ الصوفية تمثل أبعد الصوفي للإسلام الأكثر بروزا وهي واحدة من أكثر التقاليد أهمية للباطنية الإسلامية. إنّ الإشتقاق اللغوي للإسم العربي (صوفي) يبدو مشتقا من الصوف، إشارة لرداء الصوف الذي يرتديه المتصوفون. وقد أنتشر هذا المصطلح بدءا من القرن الثالث الهجري (التاسع ميلادي). حسب التقليد الإسلامي، فإنّ الأسلاف الروحانيين للصوفية كانوا من صحابة محمد، وعلى سبيل المثال سلمان الفارسي، الحلاق الفارسي الذي سكن منزل الرسول وأصبح نموذج التبني الروحي والمسارة الصوفية، ووايس الكاراني الذي أنشئ النبي محمد على ورعه.

لا يعرف سوى القليل عن الإتجاهات التنسكية في الإسلام (في القرن الثالث للهجرة، كانت أغلبية الصوفيين متزوجين وبعد قرنين أصبح المتزوجون قلة)، ولكنها تحققت على الأرجح تحت حكم أسرة

الأمويين . ففي الواقع أنّ عددا كبيرا من المؤمنين خاب أملهم بعدم المبالاة الدينية للخلفاء الذين شغلهم التوسع المستمر لإمبراطوريتهم فقط .

إنّ أول صوفي متنسك هو الحسن البصري، المولود في سنة 110 هجرية (728 ميلادية) المشهور بتقواه ومجزئه العميق، لأنّه كان يفكر دائما بيوم الدينونة، وهناك حالم آخر وهو إبراهيم بن أدهم المشهور بتعريفه لمظاهر الزهد الثلاثة:

1-التنازل عن الدنيا .

2-سعادة معرفة ترك الدنيا .

3-التحقيق التام لترك أهمية العالم .

الصوفية المتنسكة الأخرى هي رابعة العدوية، المولودة في سنة 185 هجرية (801 ميلادية) وهي أمة (عبدة) اعتقها سيدها، وأدخلت في الصوفية الحب المطلق لله وبدون مقابل، فألحيب لا يجوز أن يفكر لا في الجنة ولا في النار .

رابعة العدوية هي الأولى بين الصوفيات التي تكلمت عن غيرة الله: " يا أملي، يا راحتي، يا سعادتني، إنّ القلب لا يستطيع حب واحد آخر غيرك" . لقد أصبحت الصلاة بالنسبة لرابعة محادثة حب طويلة مع الله .



وكذلك فإن الإمام جعفر الصادق واحد من كبار معلمي الصوفية القديمة، عرّف التجربة الصوفية بعبارات حب إلهي: " نار الإلهية تفترس الإنسان تماما " الأمر الذي يبرهن على التضامن بين الشيعة وأول مظهر للصوفية.

وفي الواقع، فإن أبعاد الباطني الإسلامي، المميز للشيعة، كان بدئيا متماهيا في السنة مع الصوفية. وحسب رأي ابن خلدون: " إن الصوفيين أعمدوا النظريات الشيعة ". كذلك فإن الشيعة اعتبروا نظرياتهم كمصدر إلهام للصوفية، ويكفي أن يؤخذ في الحسبان واقعة أنه في القرون الأولى للإسلام كان من الصعب التدقيق فيما إذا كان الكاتب سنيا أو شيعيا، وحصل الإنقطاع بين الشيعة والصوفية عندما أدخل بعض معلمي الصوفية تفسيرا جديدا للتلقين الروحي وأحب الإلهي.

إن التجارب الصوفية والغنوصيات التيوصوفية تسربت بصعوبة إلى الإسلام الأصولي، فالمسلم لم يجرؤ على إدراك علاقة صميمية وواقعة حب روحي مع الله. فقد كان يكفيه التسليم لله، وإطاعة الشريعة، وإتمام تعليمات القرآن بواسطة السنة.

إن العلماء الأقياء بثقافتهم الدينية ومهارتهم بالإجتهد، كانوا يعتبرون وكأنهم الرؤساء الدينون للجماعة. وعليه فإن الصوفيين كانوا بعناد كبير ضد العقلايين، وبالنسبة لهم فإن المعرفة الحقيقية الدينية قد تم الحصول عليها بتجربة شخصية، موصلة لإتحاد مؤقت مع الله.

إنّ نتائج التجربة الصوفية في نظر علماء الدين والتفسيرات المقدمة من الصوفية، كانت تهدد حتى أسس الفقه الأصولي.

من جهة أخرى فإنّ طريق الصوفية يقتضي بالضرورة تلامذة مع لزوم تكريسهم وطول تدريبهم من قبل معلّم. إنّ هذه العلاقة الإستثنائية بين المعلّم وتلامذته وصلت سريعا لتمجيد الشيخ وعبادة القديسين، وكما كتب الهجويري: " إعلم أنّ مبدأ وأساس الصوفية، ومعرفة الله، تعتمد على القداسة" ( انظر كتاب كشف المحجوب ترجمة نيكلسون).

إنّ هذا التجديد أقلق علماء الدين، ولم يكن هذا فقط لأنهم رأوا سلطتهم مهددة أو متجاهلة. وبالنسبة للفقهاء الأصوليين، فإنّ الصوفيين كانوا متهمين بالهرطقة. وعليه يمكن الكشف في الصوفية التأثيرات التي يمكن اعتبارها كأنها (نجسة ومدنسة) من الأفلاطونية الحديثة، والغنوصية والمناوية. وبتاتهم بالهرطقة، فإنّ بعض الصوفيين - مثل المصري (ذي النون) المولود سنة 245 هجرية (859 ميلادية) والنوري المولود سنة 295 هجرية (907 ميلادية) قد اتهموا أمام الخليفة، وإنّ المعلمين الكبار كالحلاج والسهروردي اتهموا بإضطهادهما وبقتلهما، الأمر الذي أكره الصوفيين لإيصال تجاربهم ومفاهيمهم لتلامذة موثوقين فقط وضمن نطاق ضيق من المريدين.

ومع أنّ الحركة أستمّرت بالتّصاعد، لأنّها أّستجابت لإرضاء الغرائز الدّينية للشعب، غرائز هي في قسم منها مجمدة بالتّعليمات الجردة وغير الشّخصية للأصوليين، هؤلاء الشّريحة من الأمة الإسلاميّة وجدوا عزاء لهم في التّقريب الدّيني الأكثر شخصانيّة وأهيجاني للصوفيّين.

في الواقع وخارج التّعليم التّقيني المساري المحقّظ به للتلامذة، فإنّ معلّمي الصّوفيّة شجعوا (الأنغام الروحانيّة) العامّة. فالأناشيد الدّينية، والموسيقى الألاتيّة (ناي القصب، صنوح، دفوف وطبول) والرقص المقدّس، والترديد المسمّتر لإسم الله (ذكر) كانت تؤثّر في الشعب أكثر من النّخبة الروحيّة. إنّ الذّكر يشابه صلاة المسيحيّين الشّرقيين التي تحدّدت بترداد مسمّتر لإسم الله أو يسوع.

إنّ تقنيّة الذّكر معقّدة جدا ومشابهة لطريقة من نموذج يوجي (أوضاع جسديّة مميزة، وممارسة للشهيق ومظاهر صبغية ولونية وسمعيّة. . . . الأمر الذي يجعل من المسلمّ به وجود التّأثيرات الهدنيّة.

خلال مجرى الزمن، ومع بعض الإستثناءات، فإنّ الضّغط الممارس من قبل علماء الدّين على الصّوفيّين قد زال نهائيّا. وحتى الأكثر عداوة بين الذين مارسوا الأضطهاد ضد الصّوفيّين، أنتهوا إلى الاعتراف بالمساهمة الإستثنائيّة للصّوفيّين في الإنتشار وفي التّجديد الروحي للإسلام

## الصّلة بين التّصوّف والتّشيع

إن صلة الصوفية بالتشيع شيء مؤكد ، فمرجعهم دائماً من الصحابة هو علي بن أبي طالب أو الحسن بن علي " الذي هو أول الأقطاب " وقالت الصوفية بالقطب والأبدال وهذا من أثر الإسماعيلية والشيعية . وعوامل نشأة الفرقتين وطبيعة كل منها توجب أن يقترب التشيع والتصوف ، فالشيعية انهزموا في ميدان السياسة ، والصوفية انهزموا في ميدان الحياة ، وأهل فارس هم أكثر الناس تصوفاً بين الأمم الإسلامية ، وقد أخذ الصوفية فكرة الحياة المستمرة لبعض الأشخاص من الشيعة الذين يقولون بمهدية فلان أو فلان وأنه حي إلى الآن . قال ابن حزم : " وسلك في هذا السبيل بعض نوحي الصوفية فزعموا أن الخضر وإلياس عليهما السلام حيّان إلى اليوم " .

وقد اعتمد السلمي في تفسيره على ما يروى عن جعفر الصادق من تأويلات للقرآن مخالفة للمنهاج الصحيح في التفسير ، فإذا قالت الشيعة في تفسير قوله تعالى " وعلى الأعراف رجال " هو علي بن أبي طالب يعرف أنصاره بأسمائهم ، قال السلمي : أصحاب المعرفة أصحاب الأعراف ، وقال ابن عربي : " رجال هم العرفاء أهل الله وخاصته " .

ويذكر السراج أنه " لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من بين جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خصوصية بمعان جليلة وإشارات لطيفة وألفاظ مفردة وعبارة وبيان للتوحيد والمعرفة والعلم ، تعلق وتخلق بها أهل الحقائق من الصوفية " ، وعلي رضي الله عنه من علماء الصحابة وأفضلهم بعد سابقيه في الخلافة فلماذا هذه الخصوصية ؟

كما أخذ الصوفية مسألة عصمة الولي من الشيعة الذين يقولون بعصمة الأئمة ولكنهم أخفوها فترة من الزمن فسموها ( الحفظ ) ثم صرح بها القشيري فقال : " واعلم أن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات والعصمة من المعاصي والمخالفات , ويجوز أن يكون من جملة كرامات ولي الله أن يعلم أنه ولي " . ومن الموافقات الغربية أن كل زعماء الطرق الصوفية يرجع نسبهم إلى علي بن أبي طالب ويتوارثون زعامة الطريقة كالإمامة عند الشيعة , وإذا كانت المشيخة هي محصول المجاهدة والسلوك فهل ولد الشيخ يجب أن يكون شيخاً ؟

إن الشيخ عبد القادر الجيلاني يرجع نسبه إلى آل البيت وكذلك الشيخ أحمد الرفاعي والبدوي وأبو الحسن الشاذلي والبكاشي والسنوسي والمهدي وكل زعماء الطرق حتى في البلاد الأعجمية مثل محمد نور بخش وخواجه اسحق وباليم سلطان . . . .

وأخيراً فإننا لم نكتب عن الصوفية إلا لتوضيح منهج أهل السنة ونميزه عن غيره لأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها , ولأنه دين الله الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم وفهمه السلف وهو لا يحتمل هذه الطرق التي تفرق به عن سبيله , ولا يمكن أن تكون الصوفية - وبأقل درجاتها وأقصى اعتدالها - لا يمكن أن تكون هي منهج الإسلام , لهذه الأسباب كتبنا عنها وأما الذين يقولون : إن الصوفية ما هي إلا سلوك وتهذيب للنفس ورياضة روحية , هؤلاء يقال لهم : إذا لم تكن توجيهات القرآن الكريم وتوجيهات السنة النبوية فيهما تهذيب للنفس والسمو بها إلى درجات يحبها الله ورسوله

فلا خير فيما خالف هذه التوجيهات في سواء الصوفية أو غيرها وإذا كان قدماء الصوفية قد تكلموا بكلمات مقبولة عن خبايا النفس الإنسانية وتعرجاتها ، ومعالجة أمراض القلوب ، فهذا شيء طيب وهو من أمر الله ورسوله ولا نسميه صوفية لأنها أصبحت علماً على كل ما ذكرناه من البدع ، ولا بد لمن يأخذ بها أن يصيبه شيء منها ، فالغزالي الذي تكلم فأجاد عن أمراض القلوب قد وقع في حبالهم الوجودية عندما قال : " ترقى العارفون من حضيض المجاز إلى ذروة الحقيقة فأروا بالمشاهدة أن ليس في الوجود إلا الله " وهذا هو القول بوحدة الوجود .

شيء آخر لا بد أن يكون واضحاً وهو أنه عند توضيحنا لمنهج الصوفية فهذا لا يعني أن كل فرد من أفرادهم قد حكمنا عليه بفساد المعتقد وسوء المنقلب ، فكثيراً ما يلتبس الحق بالباطل ويجمع في الرجل الواحد الخير والشر والسنة والبدعة ومن العدل أن نذكر هذا وهذا لأن بعض الناس يظنون أن الصوفية هي الطريق الصحيح لما نشأوا عليه من صغرهم أو ما شاهدوه من آباءهم ومشايخهم ، ولكن لا بد من تبصيرهم بدينهم الحق وإبعادهم عن البدع التي يحسبونها صغيرة وهي عند الله كبيرة .

### أراء ونظريات في نشوء الفكر الباطني

المنشأ الفارسي للحركات الباطنية المنحرفة في الإسلام

يرى عبد الوهاب عزام، وهو من رواد الدراسات الفارسية في العالم العربي ويقدم تفسيرًا سياسيًا وعرقياً مهمًا وراء ابتداء بعض الفرس لمثل هذه الحركات إذ يرى أن غلاة القوميين من الفرس رغم دخولهم في الإسلام بقوا على كراهيتهم للعرب والإسلام، وظهر ذلك واضحًا في عصر الدولة الأموية. ثم انتعشت آمالهم في السيطرة على الدولة مع تأسيس الدولة العباسية، وبفضل أبي مسلم الخراساني “الفارسي” الذي أحدث قتله صدمة كبرى لدى الفرس، لدرجة أنهم لم يصدقوا موته، حيث بدأت أفكار خارجة عن الإسلام، واعتقد هؤلاء أن أبا مسلم “اختفى، وسيجيء مهيئًا من بعد”.

آمنوا بما أملته عليهم ثقافتهم الفارسية وأرادوا إقحامها في الإسلام لتخدم مصالحهم الشعبية. ويرى عزام أن الانتصار لآل البيت كان ذريعة، وأن أبا مسلم وموته أدبًا إلى ظهور حركات باطنية، مثل بابك الخرمي، وأن البعض منهم أراد هدم الكعبة انتقامًا لموت أبي مسلم، وامتد هذا إلى ما فعله القرامطة في الكعبة. ويرى عزام أن هذا إن دل على شيء فإنما يدل على “بقايا العصبية الدينية والجنسية في نفوس الفرس”.

والتأثير الفارسي على مجمل الحركات الباطنية واضح وجلي إذ يرجع الخطيب الأصل التاريخي للباطنية إلى المجوس والصابئة كما يشير محمد الخشت إلى أن المانوية، التي هي الديانة الفارسية القديمة، تعد إحدى الأصول الفلسفية والدينية للحركات الباطنية. كما أن الحسن الصباح مؤسس الفرقة الشهيرة بالحشاشين، وهي فرقة باطنية إرهابية- هو فارسي الأصل، وقام بالدعوة في بلاد فارس للإمام

المستور، وأسس قلعة لأتباعه هي قلعة الموت الشهيرة. وكان ميمون القداح، من الفرس أيضًا. كما تأثرت فرقة البابكية التي تنسب إلى بابك الخرمي بالمزدكية، وهي إحدى الديانات الفارسية القديمة.

تعدُّ الحركات الباطنية من أخطر الحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي ويرجع ذلك إلى أن هذه الحركات ادَّعت الانتساب إلى الإسلام، بينما كان هدفها الحقيقي الخفي صرف الدين الإسلامي عن مقاصده الحقيقية، والتشكيك فيه وفي أهميته. وتزداد خطورة الحركات الباطنية وخبث مقاصدها عندما نعرف أن معظم هذه الحركات تسَّرت وراء شعار ديني عاطفي.

ويكاد يُجمع العلماء على أن الباطنية حركة من الغلاة ظهرت وانتشرت في العالم الإسلامي. والمفهوم الرئيس لدى هذه الحركات هو الدعوة إلى أن النصوص الدينية لها ظواهر يدركها عامة الناس ولها بواطن لا يدركها إلا الخواص الذين اختصهم الله بأمر العقيدة، ووصل الأمر بعضها إلى القول بالوهية أئمتهم. ولقبوا بالباطنية لدعواهم أن للقرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر. ابتدعت هذه الحركات المنهج الباطني في تأويل الشريعة على نحو وصل في نهاية الأمر إلى نسخ الشريعة، من أجل رواج فكرهم الباطني المستمد أساسًا من خليط من ديانات الفرس القديمة، واليهودية، مع الاستعانة بالفلسفة اليونانية عند الحاجة. كما أنكرت الحركات الباطنية التفسيرات المختلفة التي وضعها علماء الإسلام الأجلاء، ومالوا إلى أن الإمام هو وحده المخوَّل بالحق في تفسير النصوص الدينية. وتؤمن



معظم الحركات الباطنية بمبدأ "التناسخ" أي تناسخ الأرواح، سواء بين الإنسان والإنسان، أو حتى بين الإنسان والحيوان، وهذا ما تقول به فرقهم.

ومن التعاليم الغريبة الشاذة ما نادى به ميمون القداح، وإليه تنسب ما عرفت بالفرقة الميمونية، التي لها علاقة وثيقة بفرقة "الخطابية"، إذ زعم هؤلاء تحريم العمل بظواهر الكتاب والسنة، ورفضوا فكرة المعاد في الآخرة.

وردّ العلماء جميعاً برفض الفكر الضال المضلل للحركات الباطنية، بل رفضوا أصلاً نسبة هؤلاء إلى مفهوم "الباطن" لأن الباطن اسم من أسماء الله، ومعناه لغويًا المحتجب عن أبصار الخلاق وأوهامهم، فلا يدركه بصر، ولا يحيط به وهم.

ووضع كبار العلماء العديد من المؤلفات في الرد على الفكر الضال المضلل للحركات الباطنية. ويجمع الباحثون على الدور الذي لعبه المتطرفون من الفرس في ابتداع الفكر والحركة الباطنية

كما أعلن بعض دعاة الباطنية من الفرس، عن انشقاق جديد، عندما نادوا بالوهية الحاكم بأمر الله الفاطمي في عام 408هـ، وكان من أشهر هؤلاء حمزة بن عليّ الزوزني الفارسي.

ويوضح المؤرخ العراقي الكبير عبد العزيز الدوري الأثر الفارسي العنصري المتطرف في نشأة الحركات الباطنية بأنها تسعى في مجملها إلى التظاهر بالإسلام، بينما تعمل في حقيقة الأمر على هدم "السلطان العربي الإسلامي"، كما تعمل على هدم الإسلام من الداخل.

وهكذا يمكن القول بأن معظم ما يسمى بالحركات الباطنية، هي في حقيقة أمرها خروج عن الإسلام الصحيح. وأن هذه الحركات أنكرت التفسير المجمع عليها، ونادت بالتأويل الباطني، وأن لها صلة وثيقة بالتيار القومي الفارسي المتطرف، وكانت جميعها ضد العرب والإسلام.

### **الباطنية ابتكار عرقي لإحياء معتقدات الفرس القديمة**

إن تفكيك العلاقات الفارسية العربية في مختلف مَدَدِهَا ومراحلها التاريخية، يقطع بأن الفرس انفردوا بصياغة أيديولوجية عرقية كارهة وناقمة على كل ما هو عربي. ويبدو أن الاستعلاء العرقي للفرس لم تُحمده روح الهدي الإسلامي والوحي الرباني وإنما زاد في استِعَار نار الحقد والنقمة على الفاتحين الجدد، ليعمل معها الفرس على محاولة شرعنة حقدهم البشري ورفعهم إلى مستوى العقيدة الدينية، من خلال عملية اختراق مذهبي ممنهج وتطويعه لخدمة أجندة عرقية صِرْفَة.

في هذا السياق، شكل التمازج بين "ادعاء الانتماء" إلى الإسلام و"التطرف" للعرق الفارسي بداية نشوء فكر شاذ متطرف دموي أخطر من سابقه. وهو الفكر الباطني الذي استغل الدين لتوجيه

اللاشعور الجماعي للأتباع لكره كل ما هو عربي والحقد عليه والاجتهاد لاستئصاله من خارطة الوجود الإنساني . وكل ذلك تحت مسوغات دينية جرى تطويعها من خلال لِي أعناق النصوص والروايات .

وعن خبث الباطنية وخطرهم على الإسلام والمسلمين نجد صاحب “ الفرق بين الفرق ” يقول “ اعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى... بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم، بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان ” .

وإذا كان هناك اختلاف حول التعريفات المرتبطة بالباطنية، فإن هناك “شبه اتفاق على أصولها الفارسية المجوسية، حيث يذكر “أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد الجوس، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم، ولم يجسروا على إظهاره خوفاً من سيوف المسلمين، فوضع الأعمار منهم أسساً من قبلها منهم صار في الباطن إلى تفضيل أديان الجوس، وتأولوا آيات القرآن وسُنن النبي عليه السلام على موافقة أسسهم” .

ويذهب أبو حامد الغزالي في نفس الاتجاه فيقول: “مما تطابق عليه نَقَلُ المقالات قاطبةً أن هذه الدعوة لم يفتحها منتسب إلى ملة، ولا معتقد لنحلة مُعْتَصِدٌ بنبوة... ولكن تشاور جماعة من الجوس والمزدكية، وشرذمة من الثنوية الملحدين... وضرَبوا سهام الرأي في استنباط تدبيرٍ يُخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين، ويُتَسُّ عنهم كربةً ما دهاهم من أمر المسلمين” .

ومن خلال هذه الآراء، وغيرها، يتبين أن الباطنية جاءت ردة فعلٍ فارسية عكسية على انتشار الإسلام وهيمنة العرب على شؤون الأقطار، فتأول الباطنية النصوص وابتدعوا الآراء ليستعلوا على الدين ويستبيحوا دماء حملة آخر رسالة رب العالمين.

وأمام قوة المسلمين وانتشارهم في البقاع، رأى الفرس ضرورة تفادي المواجهة المباشرة والعمل لمحاولة الاختراق المذهبي وتمير عقائدهم الباطلة، ومن ثم تشويه المذهبية وإلباسها لبوس المجوسية والزرادشتية. ولعل عجز الفرس عن إعلان المواجهة المباشرة مع العرب مرَّده - كما يدعون - إلى "تفاقم أمر محمد (عليه الصلاة والسلام) ... واستطارت في الأقطار دعوته، واتسعت ولايته، واتسقت أسبابه وشوكته حتى استولوا على ملك أسلافنا، وانهمكوا في التعم في الولايات محتقرين عقولنا، وقد طبقوا وجه الأرض ذات الطول والعرض، ولا مطمع في مقاومتهم بقتال، ولا سبيل إلى استنزاهم عما أصروا عليه إلا بمكر واحتيال... فسيلنا أن نتحل عقيدة طائفة من فرقهم هم أركهم عقولا وأسخفهم رأيا وألثيهم عريكة لقبول المحالات، وأطوعهم للتصديق بالأكاذيب والمزخرفات".

وحول هذه النقطة الخطيرة يصرح عبد القاهر البغدادي بأن ما يؤكد "ميل الباطنية إلى دين المجوس أنا لا نجد على ظهر الأرض مجوسياً إلا وهو مؤادٌ لهم، مُنتظر لظهورهم على الديار، يظنون أن الملك يعود إليهم بذلك، وربما استدل أعمارهم على ذلك بما يرويه المجوس عن زرادشت أنه قال لكشتاسف: إن

المَلِكُ يزول عن الفرس إلى روم اليونانية ثم يعود إلى الفرس، ثم يزول عن الفرس إلى العرب، ثم يعود إلى الفرس”.

إن تماهي الباطنية مع المعتقدات الفارسية يجد ارتباطه في استحالة الفصل بين اللسان العربي باعتباره مكوناً أصيلاً ومُعبِّراً عن الدين، إذ لا يمكن التبعيد أو التمعن في تفصيلات العقيدة وإعجاز الكتاب دون اللجوء والارتكان إلى اللغة العربية باعتبارها أداةً للفهم والاستيعاب واستكمال جمالية القراءة والفهم. ولذلك نفتقت عقلية الفرس على محاولة اختراق المذهب وتطويع النصوص لتتلاءم مع أصول المعتقدات الفارسية.

إجمالاً، يمكن تلخيص العلاقة الجدلية بين الفارسية والباطنية في الوصف الجامع للدكتور طلال الطريفي الذي أكد بأن الفرس آمنوا “بخصوصيتهم في فكرهم الديني، باعتباره ابتكاراً عرقياً خاصاً بهم، حتى حين دخلوا الإسلام أضافوا إليه فكرهم القديم، حتى عُرفت طرائقهم بالباطنية التي تنسلخ دائماً من نقاء الإسلام بأسرارها وقداستها وأكاذيبها وخرافتها”.

## السيطرة السياسية في زمن الدولة العباسية

## مكنت الفرس من بعث فكرهم القديم بالباطنية

تسللت الثقافة الفارسية إلى مفاصل التفكير عند العرب المسلمين في محاولة لتجريفه والقضاء عليه ثم اختطاف الإسلام لصالح الفرس، ولقد نجح الفرس المتعصبون في أواسط عصر الدولة العباسية، حاملين ذلك فكراً باطنياً، وشعبوية حاقدة ومظلومية غير منصفة ولا صادقة، هدفها القضاء على العرب وملكهم ومجدهم وارئ ستائر عديدة.

لقد توارث بعض من الفرس على مدى قرون أن الإسلام في شكله العربي هو عدوهم الأساس لأنه مفتاح السيادة العربية التي كرهوها وانعزلوا عنها ونظروا إليها نظرة الحسد والحقد والألم الذي لم يستطيعوا أن يتعايشوا معه وفهموا أنه لا سبيل لإسقاط الإرث الثقافي والقيمي للإسلام الذي تركه العرب الفاتحون في بلاد فارس بدون اختطاف الإسلام نفسه وتحويله إلى أداة في يدهم، ولكن في شكل مُشوّه مشبوه؛ سعيًا منهم لاستعادة ماضيهم وسلطانهم وإمبراطوريتهم الساسانية المفقودة، التي زعموا أن العرب المسلمين القادمين من صحراء الجزيرة العربية هم سبب تفككها واندثارها بعد معركة القادسية الشهيرة.

يشير الباحث محمد محزون في بحث له تحت عنوان: “الفرق الباطنية المنهاج والتاريخ”: “لقد كان المناخ مناسباً لهذه الحركات الباطنية لتنفث سمومها في عصر ضعف الخلافة العباسية؛ إذ سقطت هيبة المسلمين، واستشرت الأدوات الفكرية الخبيثة لهذه الحركات السرية الهدامة، وتعرض سلاطين

المسلمين ووزرائهم وقادتهم العسكريون وعلماؤهم للاغتيال وهم على أسرتهم، إلى غير ذلك من الظواهر المفجعة التي امتلأت بها كتب التاريخ قاطبة، وكانت كبرى عوامل نجاح الحملات الصليبية والمغولية .”

وجدير بالذكر أن الفكر الباطني في الأصل هو حلقة في سلسلة المحاولات التي قامت بها سلالات الأرسقراطيات الفارسية التي فقدت امتيازاتها بانهيار حكم الأكاسرة، وهي تهدف إلى استعادة ذلك المجد الغابر . ولتحقيق هذا الهدف لجأت إلى أساليب وشعارات جديدة، تنفق مع المنعطف العقائدي والحضاري الذي تحوّل إليه الشعب الفارسي بعد الفتوحات الإسلامية . وهذه الأساليب الجديدة تتجلى في الشعبية والباطنية والمذهبية، وإحياء اللغة الفارسية .

**استنهض الفرس جميع أفكارهم لمحاولة دمجها في الفكر الإسلامي عنوةً وقهراً**

وقد كانت بداية ظهور الفكر الباطني في القرن الثاني الهجري، ثم نشطت الحركات الباطنية في القرن الرابع الهجري وما تلاه حيث ضمت بين صفوفها جماعات مختلفة، يجمعها هدف مشترك هو إفساد العقيدة الإسلامية وتدمير المؤسسات العلمية والحكومية التي تمثل العقيدة؛ إذ ضمت فلاسفة ومفكرين كإخوان الصفا، وشعراء، وعلماء . كما أفرزت دولاً كالعبيدية والصفوية، وحركات كالقرامطة والحشاشين .

**العلاقة الخفية بين المزدكية الفارسية والباطنية**

ليست هناك من طريقة لفهم الباطنية إلا أن نذهب عميقاً في الأديان الفارسية القديمة ونبحث عن القواسم المشتركة بينها وبين الباطنية، والتي تُظهر أن المزدكية مورد أصيل استقت منه الباطنية أفكارها وطورتها بما يناسب المرحلة التي نشأت فيها، وألبستها رداء الدين الإسلامي. بينما المزدكية دينٌ وثني فارسي منبثق عن المانوية، أسسه الزعيم الديني الفارسي مَزْدَك المتوفى نحو (528م)، الذي قاد حركةً اشتراكية مناهضة للزرادشتية السائدة في عهده، وجزء مهم من رؤيته للكون مستمد من أصول الفكر الباطني، فقد راح يناقش قضية الظلمة والنور إذ يرى أن امتزاجهما هو الذي تمخضت عنه نشأة الدنيا صدفة، وأسس دينه على أفكار إباحة المشاركة في الأموال والنساء. وانتشرت أفكاره انتشاراً واسعاً في فارس في أواخر القرن السادس الميلادي، خاصة بعد أن اعتنقها ملك الفرس قُباد الأول. لكن الكهان الزرادشتيين والنبلاء الفرس ما لبثوا أن ثاروا عليها، فما كان من قُباد إلا أن ارتدَّ عنها، وقتل مَزْدَك وأتباعه.

تسللت المزدكية مثل كثير من تفاصيل الثقافة الفارسية إلى العرب، وخصوصاً بعد ضعف الدولة العباسية، “فأعيد إحياء المزدكية الفارسية تحت اسم “الْحَرَمَدِيَّةِ بالفارسية أو الْحَرَمِيَّةِ بالعربية”، من خلال عدة فرق متأصلة منها فرقة “البابكية” أتباع بابك الخرمي الذي ظهر في مدينة البذ بأذربيجان، وانتشرت فرقهم في منتصف القرن الرابع الهجري في خراسان والري وأصبهان وأذربيجان والكرج وماسبذان”.



## فيما يذكره الغزالي

يقول: (تم في اجتماع لقوم من أولاد الجوس والمزدكية وشرذمة من الثوية الملحدين، وطائفة كبيرة من ملحدة الفلاسفة المتقدمين، -زاد الديلمي: وبقايا الخرمية واليهود- . . جمعهم ناد واشتوروا في حيلة يدفعون بها الإسلام.

وقالوا: إن محمداً غلب علينا وأبطل ديننا، واتفق له من الأعوان ما لم تقدر على مقابلتهم، ولا مطمع لنا في نزع ما في أيدي المسلمين من المملكة بالسيف والحرب، لقوة شوكتهم وكثرة جنودهم، وكذلك لا مطمع لنا فيهم من قبيل المناظرة لما فيهم من العلماء والفضلاء والمتكلمين والمحققين فلم يبق إلا اللجوء إلى الحيل والدسائس.

ثم اتفقوا على وضع حيل وخطط مدروسة يسرون عليها لتحقيق أهدافهم من خلال الأمور التالية:

1 - التظاهر بالإسلام وحب آل البيت والانتصاف لهم.

2 - دعوى أن النصوص لها ظاهر وباطن، والظاهر قشور والباطن لبّ، والعقل يأخذ اللبّ ويترك القشور.

وهذا الزعم الكاذب يريدون من ورائه سلب المعاني عن الألفاظ، والإتيان بمعان باطنية تتفق مع ما

يهدفون إليه من الكيد للإسلام

3 - اختاروا أن يدخلوا على المسلمين عن طريق التشيع، وعلى مذهب الرافضة، وإن كان هؤلاء الباطنيون يعتبرون الروافض أيضاً على ضلال، إلا أنهم رأوهم - على حد ما ذكر الغزالي - أرك الناس عقولاً، وأسخفهم رأياً، وألينهم عريكة لقبول المحالات، وأطوعهم للتصديق بالأكاذيب المزخرفات، وأكثر الناس قبولاً لما يلقى عليهم من الروايات الواهية الكاذبة، فستروا بالانتساب إليهم ظاهراً للوصول إلى أصناف الناس، فكان ظاهرهم الرفض، وباطنهم الكفر المحض)) كما ذكر الغزالي.

أو كما قال بعض العلماء: إن الإمامية دهليز الباطنية . . . وهذا هو التفسير الواضح لما تلاحظ من التقارب الشديد بين الباطنية والرافضة.

4 - اتفقوا أن يثبوا دعواتهم وأن يلزموهم بحجة ماكرة، وهي أنه يجب على كل داعية أن يوافق هوى المدعو مهما كان مذهبه ودينه مستعملاً معه الحيل التسع المعروفة عنهم والتي سنذكرها فيما بعد .

### كتب المِلل والنحل والفرق

لقد وردت فيها تفاصيل وافرة، حول عقائد هذه الفرق، التي كان أعضاؤها منضوين لمدة في سلك أتباع الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام.

وبناء على هذه المصادر، يبدو أن المغيرة بن سعيد المقتول في العام 119هـ، زعيم الفرقة المغيرية، هو أول من قال من بين المسلمين بمعانٍ رمزية للحروف الأبجدية، وكان يؤول كذلك بعض آيات القرآن

الكريم، فالأمانة التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها، إنما هي كما عبّر عنها المغيرة حرمان عليّ عليه السّلام من الخلافة .

أبو منصور العجلي المقتول في العام 124هـ، زعيم غلاة الفرقة المنصورية، كان أيضًا يؤوّل القرآن المجيد، ويُقلّ عنه أنّه كان يقول إن السموات في النص القرآني ترمز إلى الأئمة، والأرض رمز لأتباعهم .

وكذلك نُسبت إليه الفكرة الباطنية المبدئية التي تقول إنّ النبي محمد صلّى الله عليه وآله على الرغم من أنّه هو الذي أتى بالقرآن، فإنّ الإمام هو المخوّل بالتعبير التمثيلي الرمزي أي بتأويله . كما أنّه أنكر الجنة والنار وقال إنّهما اسمان لشخصين، وأوّل المحرّمات بأنّها الأشخاص الذين يجب معاداتهم، والفرائض بالأشخاص الذين تجب محبتهم .

شاع التأويل أيضًا بين أتباع أبي الخطّاب المقتول في العام 138هـ، مؤسس فرقة الخطّابية ، وأبرز الغلاة الأوائل . فهو أوّل من أسّس في الواقع بين المسلمين حركة ذات توجّهات باطنية، وفضلا عن ذلك فقد كان أتباع الخطّابية يقولون بوجود نبيّين في كل فترة زمنية، أحدهما الناطق يبلغ واقع الدين الظاهري إلى الناس، والآخر الصّامت يؤوّل الدين للمختارين .

عبدالله بن سبأ (السبئية )

في حياة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه كان عبد الله بن سبأ وأصحابه يؤلهون عليّاً ويؤمنون بحياته بعد مقتله، ويقولون برجعة النبي عليه الصلاة والسلام وينشرون مذهب الحلول وتناسخ الأرواح. وبعد مقتله نشط أصحاب النحلة الكيسانية وأعادوا مثل هذا القول في حياة « محمد ابن الحنفية ». وقيل عن المختار الثقفي داعية القوم: أنه ادعى النبوة ونظم له قرآناً يعارض به القرآن الكريم ويفرضه على صحبه في الصلوات. وقد بقى المرجؤون والقائلون بالرجعة والحلول يتمادون في ضلالتهم بعد أن برئ منهم الإمام علي وعاقبهم بالحريق، وبعد أن كذبهم ابنه وأعرض عنهم وأقام في الحجاز وتركهم بالعراق يلجون في الادعاء له والادعاء عليه.

### أصله و موطنه

اتفقت كتب المقالات والفرق ومعظم كتب التاريخ والأدب التي تعرضت لموضوع الفتنة التي حدثت أيام الخليفة عثمان بن عفان-رضي الله عنه - ، ولحادث مقتل الخليفة علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- في الكوفة ، على ذكر عبد الله بن سبأ، وأنه شخصية يهودية ظهر في مجتمع المسلمين بعقائد وأفكار، ليفتن المسلمين في دينهم، ثم اجتمع إليه رعايا القبائل وبعض الموتورين، فاستطاع بهم شق وحدة المسلمين، وإيقاف الفتوحات الخارجية، لتبدأ حروب أهل البيت، وإن كان هناك اختلاف بينهم في عرض أخباره.

وتتفق المصادر السنية والمصادر الشيعية على أن عبد الله بن سبأ يهودي من صنعاء باليمن، أسلم لتدبير المكائد للمسلمين، و بث الفتنة، و عوامل الفرقة و الاختلاف فيما بينهم .

أ - جاء في تاريخ الطبري: (كان عبد الله بن سبأ يهوديا من صنعاء) .

ب - قال ابن عساکر: (عبد الله بن سبأ الذي تنسب إليه السبئية، وهو من الغلاة الرافضة، أصله من اليمن) .

ج - قال الناشئ الأكبر: (وكان عبد الله بن سبأ من أهل صنعاء، أسلم على يد علي، و سكن المدائن) .

د - قال سعد بن عبد الله القمي الأشعري : (و حكى جماعة من أهل العلم بان عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ، ووالى عليا .

هـ - ساق المستشرق الألماني اسرائيل فريدليندر حججا عديدة في دراسة بعنوان :عبد الله بن سبأ وأصله اليهودي، عن يهودية ابن سبأ و أصله اليمني .

و - قال أحمد أمين : (إن ابن السوداء هذا أتى أبا الدرداء و عبادة بن الصامت فلم يسمعا لقوله، و أخذه عبادة إلى معاوية و قال له : هذا و الله الذي بعث عليك أبا ذر و نحن نعلم أن ابن السوداء هذا لقب لقب به عبد الله بن سبأ ، وكان يهوديا من صنعاء) .

ز - قال د . صالح درادكة ما نصه : (إن أخبار الفتنة وصلتنا عن طرق أخرى غير طرق سيف بن عمر التيمي، وهذه الروايات بعمومها لا تخالف رواية سيف ، وإنما تؤكد صحتها وتضيف إليها بعض التفاصيل، وإذا كان المؤرخون يأخذون برواية سيف ، فلأنهم وجدوا فيها كشفاً للبد الحفية التي كانت وراء تنظيم المعارضة على عثمان . . إلى إن يقول: لهذا لا يمكن إنكار وجود السبئية في أحداث ذكرها قدامى المؤرخين للمل و النحل، ومع وضوح حقيقة وجود السبئية يجب أن لا تخفى عن أعيننا الحقيقة الأخرى ، وهي : أنه لولا وجود المعارضة لما تمكن عبد الله بن سبأ من الوصول إلى أهدافه فكل الروايات التي أوردناها آنفاً ، تدل على أن عبد الله بن سبأ، كان يهودياً من صنعاء وهي كانت في أيام احتلال الأحباش لها، قاعدة مهمة لليهود، و الظاهر أنهم أقاموا فيها قبل غزو الأحباش لليمن .

ومما يؤكد يهودية- عبد الله بن سبأ- ما ذكره الإمام ابن حزم الأندلسي إذ قال ما نصه: (و القسم الثاني من الغالية يقولون بإلهية غير الله عز وجل، وأولهم قوم أصحاب عبد الله بن سبأ الحميري فنسبه إلى قبيلة حمير، و قبيلة حمير كانت تسكن في صنعاء .

قال محقق كتاب ( قرّة العيون بأخبار اليمن الميمون ) : ( وصنعاء هي حاضرة اليمن في معظم العصور الإسلامية، و من أقدم المدن العربية، قد قيل أنها بنيت بعد الطوفان، وهي عروس الجزيرة العربية، و

تاجها المتلألئ، و محط أملاك حمير، و حمير هذه ينتسب إليها كعب بن ملتع الرعيني الحميري الذي  
اشتهر باسم كعب الأحبار ، و كان عالم أهل الكتاب، ومن كبار أحبارها .

ويقول ابن قتيبة : (كانت اليهودية في حمير و بني كنانة و بني الحارث بن كعب و كنده ) و لم تذكر  
المصادر التي وفت عندها اسم والد عبد الله بن سبأ . . . اللهم إلا الزبيدي صاحب تاج العروس،  
فقد ذكر إن (سبأ) الواردة في حديث (فروة بن مسيك المرادي)، هو : والد عبد الله بن سبأ صاحب  
السبئية من الغلاة ، و هو رأي بعيد عن الصواب، فقد يكون والده من صميم حمير، وقد يكون من  
المنتسبين إليها بالولاء، وقد يكون من الأبناء فلم يعرف له أب، أما أمه فهي حبشية الأصل ومن هنا  
جاء لقبه (ابن السوداء) و من الثابت تاريخياً أن التزاوج بين الأحباش و اليمنيين، أنتج في اليمن سلالة  
هجينة، ربما يكون ابن سبأ أحد أفرادها .

أ. جاء ذكر السبئية على لسان أعشى همذان المتوفى عام (83هـ / 702م) وقد هجا المختار الثقفي  
وأنصاره من أهل الكوفة لقوله : شهدت عليكم أنكم سبئية و أني بكم يا شرطة الكفر عارف .

ب . وفي الطبقات لابن سعد (المتوفى عام 230هـ / 844م) ورد ذكر معتقدات و السبئية و أفكار  
زعيمها، فعن عمر بن الأصم قال: (قيل للحسين بن علي: إن أناساً من شيعة أبي الحسن علي يزعمون  
أنه دابة الأرض، وأنه سيبعث قبل يوم القيامة، فقال: كذبوا، ليس أولئك شيعة، أولئك أعداءه لو  
علمنا ذلك ما قسمنا ميراثه، ولا أنكحنا نساءه) .

ج. روى أبو عاصم خشيش ابن اصرم المتوفى (253هـ / 859م) خبر إحراق علي - رضي الله عنه - لجماعة من أصحاب ابن سبأ في كتابه (الاستقامة) .

د. - يقول ابن قتيبة المتوفى عام (276هـ / 889م) (إن السبئية من الرافضة، ينسبون إلى عبد الله بن سبأ) .

هـ. - أورد الناشئ الأكبر المتوفى عام (293هـ / 905م) عن ابن سبأ وطائفته ما يلي: ( وفرقة زعموا أن عليا حي لم يمت، وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، وهؤلاء هم السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان عبد الله بن سبأ يهودي من أهل صنعاء، وسكن المدائن) .

### المقالات منها

أ. - نقل القمي المتوفى عام (301هـ / 913م) أن عبد الله بن سبأ أول من أظهر الطعن على أبي بكر، وعمر، وعثمان، والصحابة وتبرأ منهم وادعى أن عليا أمره بذلك .

ب. - وتحدث النوبختي المتوفى عام (310هـ / 922م) عن أخبار ابن سبأ فذكر انه لما بلغ نعي علي بالمدائن قال الذي نقله: (كذبت، لو جئنا بدماعه في سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلا ما صدقناك، لعلمنا أنه لم يمت، ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض) .



- ج. - يقول ابن حبان المتوفى سنة (354هـ / 965م): ( وكان الكلبي محمد بن السائب الإخباري سبياً من أصحاب عبد الله بن سبأ، من أولئك الذين يقولون: (إن علياً لم يمت، وإنه راجعاً إلى الدنيا قبل قيام الساعة)، وإن رأوا سحابة قالوا (أمير المؤمنين فيها) .
- د. - يذكر كبير محدثي الشيعة ابن بابويه القمي المتوفى سنة (381هـ / 991م) موقف ابن سبأ وهو يعترض على علي رضي الله عنه في رفع اليدين إلى السماء أثناء الدعاء .
- هـ. - وفي مفتاح العلوم للخوارزمي المتوفى عام (387هـ / 997م) (السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ) .
- و. - ذكر ابن أبي الحديد المتوفى عام (655هـ / 1257م) في شرح نهج البلاغة ما نصه: ( فلما قتل أمير المؤمنين عليه السلام أظهر ابن سبأ مقالته، وصارت له طائفة وفرقة يعرفونه ويتبعونه) .
- ز. - ذكر السكسكي المتوفى عام (683هـ / 1339م) ( إن ابن سبأ وجماعته أو من قالوا بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت) ، كما ذكرت كتب الأدب، والمقالات، والفرق، أشخاصاً بأعيانهم بأنهم من فرقة السبئية مما يعني أن هذه الكلمة ليست للذم والتعير، وإنما هي أسم لفرقة ضالة مضلة لها أتباعها وعقائدها، وذكر ابن قتيبة أن (المغيرة بن سعد البجلي مولى لبجيلة كان سبياً) .

وكذلك جابر بن يزيد الجعفي، ذكره ابن حبان في عداد السبئية، حيث قال: (كان جابر سبياً من أصحاب عبد الله بن سبأ وكان يقول: أن علياً يرجع إلى الدنيا) (100) وروي عن سفیان بن عيينة أنه - أي جابر - كان يقول: (علي دابة الأرض) ومنهم أبو النصر محمد بن السائب الكلبي الكوفي الذي قال فيه ابن حبان: (وكان الكلبي سبياً من أصحاب عبد الله بن سبأ))

### عبد الله بن سبأ حقيقة أم خيال ؟

إن تشكيك بعض الباحثين المعاصرين في عبد الله بن سبأ وأنه شخصية وهمية وإنكارهم وجوده لا يستند إلى الدليل العملي ، ولا يعتمد على المصادر المتقدمة ، بل هو مجرد استنتاج يقوم على آراء وتخمينات شخصية تختلف بواعثها حسب ميول واتجاهات متبنيها ، ويمكن القول إن الشكك والمنكرين لشخصية ابن سبأ هم طائفة من المستشرقين ، وقئة من الباحثين العرب ، وغالبية الشيعة المعاصرين .

لقد اتفق المؤرخون والمحدثون وأصحاب كتب الفرق والملل والنحل والطبقات والأدب والأنساب الذين تعرضوا للسبئية على وجود شخصية عبد الله بن سبأ الذي ظهر في كتب أهل السنة - كما ظهر في كتب الشيعة - شخصية تاريخية حقيقية. ولهذا فإن أخبار الفتنة ودور ابن سبأ فيها لم تكن قصراً على تاريخ الإمام الطبري واستناداً إلى روايات سيف بن عمر التميمي فيه ، وإنما هي أخبار منتشرة في روايات المتقدمين وفي ثنايا الكتب التي رصدت أحداث التاريخ الإسلامي ، وآراء الفرق والنحل

في تلك الفترة ، إلا أن ميزة تاريخ الإمام الطبري على غيره أنه أعزرها مادة وأكثرها تفصيلاً لا أكثر . و لهذا كان التشكيك في هذه الأحداث بلا سند وبلا دليل ، إن يعني الهدم لكل تلك الأخبار ، والتسفيه بأولئك المخبرين والعلماء ، وتزييف الحقائق التاريخية .

فمتى كانت المنهجية ضرباً من ضروب الاستنتاج العقلي المحض في مقابل النصوص الروايات المتضاربة؟ وهل تكون المنهجية في الضرب صفحاً و الإعراض عن المصادر الكثيرة المتقدمة و المتأخرة التي أثبتت لابن سبأ شخصية واقعية!

وفي ما يلي ذكر عدد من المحاور والتي تدور حول ورود أي ذكر لعبد الله بن سبأ أو السبئية طائفته في الكتب والمصادر المتقدمة ( السنية والشيعية ، المتقدمة منها والمعاصرة ) ؛ لأن ورود أي ذكر للسبئية دليل على انتسابها له ، وهذا دليل بدوره على وجود ابن سبأ في الحقيقة ، مع الرد على محاولات التشكيك في وجود عبد الله بن سبأ ، وما ينسب إليه من أعمال ، و سأتبع فيه الترتيب الزمني للأحداث :-

## أولاً

**من أثبت وجود عبد الله بن سبأ من الفرقين**

## عبد الله بن سبأ عند أهل السنة

I - جاء ذكر السبئية على لسان أعشى همدان ( ت 84 هـ ) في ديوانه (ص 148) و تاريخ الطبري ( 6/83) وقد هجى المختار بن أبي عبيد الثقفي و أنصاره من أهل الكوفة بعدما قرع مع أشرف قبائل الكوفة إلى البصرة بقوله :

شهدت عليكم أنكم سبئية و أني بكم يا شرطة الكفر عارف

2 - و جاء ذكر السبئية في كتاب الإرجاء للحسن بن محمد بن الحنفية (ت 95 هـ) - راجع كتاب ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي للدكتور سفر الحوالي (361 - I/345) ، حيث تحدث عن معنى الإرجاء المنسوب للحسن ، و ذكر كلام أهل العلم في ذلك فليراجع للأهمية - ما يلي : ( و من خصومة هذه السبئية التي أدركنا ، إذ يقولون هُدينا لوجي ضل عنه الناس ) . رواه ابن أبي عمر العدني في كتاب الإيمان ( ص 249) .

3 - و هناك رواية عن الشعبي ( ت 103 هـ ) ذكرها ابن عساكر في تاريخه (7/29) ، تفيد أن : ( أول من كذب عبد الله بن سبأ ) .

4 - وهذا الفرزدق (شيعي الولاء سني المذهب) ( ت II6 هـ ) يهجو في ديوانه ( ص 242-243 ) ،

أشارف العراق ومن انضم إلى ثورة عبد الرحمن بن الأشعث في معركة دير الجماجم ، و يصفهم بالسبئية ، حيث يقول :

كأن على دير الجماجم منهم حصائد أو أعجاز نخل تقعرا

تعرف همدانية سبئية وتكره عينيتها على ما تنكرا

رأته مع القتلى وغير بعلا عليها تراب في دم قد تقعرا

أراحوه من رأس وعينين كاتا بعيدن طرفا بالحياة أحزرا

من الناكثين العهد من سبئية وإما زيري من الذئب أعذرا

ولو أنهم إذ نافقوا كان منهم يهوديهم كانوا بذلك أعذرا

ويمكن الاستنتاج من هذا النص أن السبئية تعني فئة لها هوية سياسية معنية و مذهب عقائدي محدد

باتمائها إلى عبد الله بن سبأ اليهودي المعروف ، صاحب المذهب .

5 - وقد نقل الإمام الطبري في تفسيره (3/II9) رأياً لقتادة بن دعامة السدوسي البصري ( ت 7IIهـ

( ، في النص التالي : ﴿ فَمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ [آل عمران

7] ، وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية قال : ( إن لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدري ) .

6 - وفي الطبقات الكبرى لابن سعد ( ت 230هـ ) ورد ذكر السبئية وأفكار زعيمها وإن لم يشر إلى

ابن سبأ بالاسم . الطبقات (3/39) .

7 - وجاء عند ابن حبيب البغدادي ( ت 245هـ ) في المحبر ( ص 308 ) ، ذكر لعبد الله بن سبأ

حينما اعتبره أحد أبناء الحبشيات .

8 - كما روى أبو عاصم حُشيش بن أصرم ( ت 253هـ ) ، خبر إحراق علي رضي الله عنه لجماعة

من أصحاب ابن سبأ في كتابه الاستقامة . أنظر : منهاج السنة لابن تيمية ( 7/I ) .

9 - وجاء في البيان والتبيين (3/8I) للجاحظ (من كبار زعماء المعتزلة) ( ت 255هـ ) ، إشارة إلى

عبد الله بن سبأ .

و خبر إحراق علي بن أبي طالب رضي الله عنه لطائفة من الزنادقة تكشف عنه الروايات الصحيحة

في كتب الصحاح والسنن والمسند . أنظر على سبيل المثال : سنن أبي داود (4/I26) والنسائي (

7/I04) والحاكم في المستدرک (3/538) .

IO - فقد ذكر الإمام البخاري ( ت 256هـ ) في كتاب استتابة المرتدين من صحيحه ( 8/50 ) عن  
عكرمة قال : ( أتى علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم ، فبلغ ذلك ابن عباس فقال : لو كنت أنا لم  
أحرقهم لنهي النبي صلى الله عليه وسلم : ( لا تعذبوا بعذاب الله ) ، ولقتلتهم لقول رسول الله صلى  
الله عليه وسلم : ( من بدل دينه فاقتلوه ) .

ومن الثابت تاريخياً أن الذين حرقهم علي رضي الله عنه هم أتباع عبد الله بن سبأ حينما قالوا بأنه  
الإله .

II - ذكر الجوزجاني ( ت 259هـ ) في أحوال الرجال ( ص 38 ) أن السبئية غلت في الكفر فزعمت  
أن علياً إلهاً حتى حرقهم بالنار إنكاراً عليهم واستبصاراً في أمرهم حين يقول :  
لما رأيت الأمر أمراً منكراً أجمت ناري و دعوت قنبرا .

I2 - ويقول ابن قتيبة ( 276هـ ) في المعارف ( ص 267 ) : ( السبئية من الرافضة ينسبون إلى عبد  
الله بن سبأ ) . وفي تأويل مختلف الحديث ( ص 73 ) يقول : ( أن عبد الله بن سبأ ادعى الربوبية  
لعلي ، فأحرق علي أصحابه بالنار .

I3 - ويذكر البلاذري ( ت 279هـ ) ابن سبأ من جملة من أتوا إلى علي رضي الله عنه يسألونه من  
رأيه في أبي بكر و عمر ، فقال : أو تفرغتم لهذا . أنساب الأشراف ( 3/382 ) .

I4 - ويعتبر الإمام الطبري ( ت 310هـ ) من الذي أفاضوا في تاريخهم من ذكر أخبار ابن سبأ معتمداً في ذلك على الإخباري سيف بن عمر . تاريخ الطبري ( 4/283 ، 326 ، 331 ، 340 ، 349 ، 398 ، 493 - 494 ، 505 ) .

I5 - وأكد ابن عبد ربه ( ت 328هـ ) أن ابن سبأ و طائفته السبئية قد غلّو في علي حينما قالوا : هو الله خالقنا ، كما غلت النصراني في المسيح ابن مريم عليه السلام . العقد الفريد ( 2/405 ) .

I6 - ويذكر أبو الحسن الأشعري ( ت 330هـ ) في مقالات الإسلاميين ( I/85 ) عبد الله بن سبأ وطائفته من ضمن أصناف الغلاة ، إذ يزعمون أن علياً لم يمت ، وأنه سيرجع إلى الدنيا فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً .

I7 - ويذكر ابن حبان ( ت 354هـ ) في كتاب المجروحين ( 2/253 ) : ( أن الكلبي سبياً من أصحاب عبد الله بن سبأ ، من أولئك الذين يقولون : إن علياً لم يمت ، وإنه راجع إلى الدنيا قبل قيام الساعة ) .

I8 - يقول المقدسي ( ت 355هـ ) في كتابه البدء والتاريخ ( 5/I29 ) : ( إن عبد الله بن سبأ قال للذي جاء ينعي إليه موت علي بن أبي طالب : لو جئنا بدماعه في صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ) .



19 - ويذكر الملطي ( ت 377هـ ) في كتابه التنبيه و الرد على أهل الأهواء و البدع ( ص 18 )

فيقول : ( ففي عهد علي رضي الله عنه جاءت السبئية إليه وقالوا له : أنت أنت ! ! ، قال : من

أنا ؟ قالوا : الخالق البارئ ، فاستتابهم ، فلم يرجعوا ، فأوقد لهم ناراً عظيمة وأحرقهم .

20 - و ذكر أبو حفص ابن شاهين ( ت 385هـ ) أن علياً حرّق جماعة من غلاة الشيعة ونفى

بعضهم ، و من المنفيين عبد الله بن سبأ . أورده ابن تيمية في منهاج السنة ( 1/7 ) .

21 - و يذكر الخوارزمي ( ت 387هـ ) في كتابه مفاتيح العلوم ( ص 22 ) ، أن السبئية أصحاب عبد

الله بن سبأ .

22 - و يرد ذكر عبد الله بن سبأ عند الهمداني ( ت 415هـ ) في كتابه تثبيت دلائل النبوة (

3/548 ) .

23 - و ذكر الغدادي ( ت 429هـ ) في الفرق بين الفرق ( ص 15 و ما بعدها ) : أن فرقة السبئية

أظهروا بدعتهم في زمان علي رضي الله عنه فأحرق قوماً منهم و نفى ابن سبأ إلى سباط المدائن إذ

نهاه ابن عباس رضي الله عنهما عن قتله حينما بلغه غلوه فيه وأشار عليه بنفيه إلى المدائن حتى لا

تختلف عليه أصحابه ، لاسيما و هو عازم على العودة إلى قتال أهل الشام

24 - و نقل ابن حزم ( ت 456هـ ) في الفصل في الممل والنحل ( 4/I86 ) : ( و القسم الثاني من الفرق الغالية الذين يقولون بالإلهية لغير الله عز وجل فأولهم قوم من أصحاب عبد الله بن سبأ الحميري لعنه الله ، أتوا إلى علي بن أبي طالب فقالوا مشافهة : أنت هو ، فقال لهم : ومن هو ؟ فقالوا : أنت الله ، فاستعظم الأمر وأمر بنار فأججت وأحرقهم بالنار ) .

25 - يقول الأسفرايني ( ت 471هـ ) في التبصرة في الدين ( ص 108 ) : ( إن ابن سبأ قال بنبوته علي في أول أمره ، ثم دعا إلى الوهيته ، ودعا الخلق إلى ذلك فأجابته جماعة إلى ذلك في وقت علي ) .

26 - ويتحدث الشهرستاني ( ت 548هـ ) في الممل والنحل ( 2/II6 ، I55 ) عن ابن سبأ فيقول : ( و منه انشعبت أصناف الغلاة ) ، ويقول في موضع آخر : ( إن ابن سبأ هو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي ) .

27 - وينسب السمعاني ( ت 562هـ ) في كتابه الأنساب ( 7/24 ) السبئية إلى عبد الله بن سبأ .

28 - و ترجم ابن عساكر ( ت 571هـ ) في تاريخه ( 29/3 ) لأبن سبأ بقوله : عبد الله بن سبأ الذي تنسب إلى السبئية ، وهم الغلاة من الرافضة ، أصله من اليمن ، وكان يهودياً وأظهر الإسلام .

29 - ويقول نشوان الحميري ( ت 573هـ ) في كتابه المحور العين ( ص 154 ) : ( فقالت السبئية إن علياً حي لم يميت ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، ويردّ الناس على دين واحد قبل يوم القيامة ) .

30 - ويؤكد فخر الدين الرازي ( ت 606هـ ) في كتابه اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ( ص 57 ) ، كغيره من أصحاب المقالات والفرق خبر إحراق علي لطائفة من السبئية .

31 - ويذكر ابن الأثير ( ت 630هـ ) في كتابه اللباب ( ص 2/98 ) ارتباط السبئية من حيث النسبة بعبد الله بن سبأ . كما وأنه أورد روايات الطبري بعد حذف أسانيدھا في كتابه الكامل ( 3/II4 ، I44 ، I47 ، I47 ، I54 إلى غيرها من الصفحات ) .

32 - وذكر السكسكي ( ت 683هـ ) في كتابه البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان : ( أن ابن سبأ وجماعته أول من قالوا بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت ) .

33 - ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ( ت 727هـ ) أن أصل الرفض من المنافيين الزنادقة ، فإنه ابتدعه ابن سبأ الزنديق ، وأظهر الغلو في علي بدعوى الإمامة والنص عليه ، وادعى العصمة له .  
أنظر مجموع الفتاوى ( 4/435 ) و ( 28/483 ) وفي كثير من الصفحات في كتابه : منهاج السنة النبوية .

34 - ويرد ذكر عبد الله بن سبأ عند الملقمي ( ت 74I هـ ) في كتابه التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ( ص 54 ) ، بقوله : ( وفي سنة ثلاث و ثلاثين تحرك جماعة في شأن عثمان رضي الله عنه . . و كانوا جماعة منهم ، مالك الأشتر ، والأسود بن يزيد . . و عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء .

35 - و عند الذهبي ( ت 748 هـ ) في كتابه المغني في الضعفاء ( I/339 ) و في الميزان ( 2/426 ) :  
( عبد الله بن سبأ من غلاة الشيعة ، ضال مضل ) ، و ذكره أيضاً في تاريخ الإسلام ( 2/122-123 )  
36 - و ذكر الصفدي ( ت 764 هـ ) في كتبه الوافي بالوفيات ( I7/20 ) في ترجمة ابن سبأ : ( عبد الله بن سبأ رأس الطائفة السبئية . . قال لعلي أنت الإله ، فنفاه إلى المدائن ، فلما قتل علي رضي الله عنه زعم ابن سبأ أنه لم يمت لأن فيه جزءاً إلهياً وأن ابن ملجم إنما قتل شيطاناً تصوّر بصورة علي ، و أن علياً في السحاب ، و الرعد صوته ، و البرق سوطه ، وأنه سينزل إلى الأرض ) .

37 - و ذكر ابن كثير ( ت 774 هـ ) في البداية و النهاية ( 7/183 ) أن من أسباب تألب الأحزاب على عثمان ظهور ابن سبأ و صيرورته إلى مصر ، و إذاعته على الملأ كلاماً اخترعه من عند نفسه .

38 - و جاء في الفرق الإسلامية ( ص 34 ) للكرماني ( ت 786 هـ ) أن علياً رضي الله عنه لما قتل زعم عبد الله بن سبأ أنه لم يمت ، وأن فيه الجزء الإلهي .

- 39 - ويشير الشاطبي ( ت 790هـ ) في كتابه الاعتصام ( 2/197 ) إلى أن بدعة السبئية من البدع الاعتقادية المتعلقة بوجود إله مع الله ، وهي بدعة تختلف عن غيرها من المقالات .
- 40 - وذكر ابن أبي العز الحنفي ( ت 792هـ ) في شرح العقيدة الطحاوية ( ص 578 ) أن عبد الله بن سبأ أظهر الإسلام وأراد أن يفسد دين الإسلام كما فعل بولص بدين النصرانية .
- 41 - ويعرف الجرجاني ( ت 816هـ ) في كتابه التعريفات ( ص 79 ) عبد الله بن سبأ بأنه رأس الطائفة السبئية . . وأن أصحابه عندما يسمعون الرعد يقولون : عليك السلام يا أمير المؤمنين .
- 42 - ويقول المقرئ ( ت 845هـ ) في الخطط ( 2/356-357 ) : ( أن عبد الله بن سبأ قام في زمن علي رضي الله عنه مُحدثاً القول بالوصية والرجعة والتناسخ ) .
- 43 - وقد سرد الحافظ بن حجر ( ت 852هـ ) في كتابه لسان الميزان ( 3/290 ) أخبار ابن سبأ من غير طريق سيف بن عمر ، ثم قال : ( وأخبار عبد الله بن سبأ شهيرة في التواريخ ، وليس له رواية والحمد لله ) .
- 44 - وذكر العيني ( ت 855هـ ) في كتابه عقد الجمان ( 9/168 ) : ( أن ابن سبأ دخل مصر وطاف في كورها ، وأظهر الأمر بالمعروف ، وتكلم في الرجعة ، وقررها في قلوب المصريين .

45 - و أكد السيوطي ( ت 9IIهـ ) في كتابه لب الأبواب في تحرير الأنساب ( I/I32 ) نسبة السبئية إلى عبد الله بن سبأ

46 - و ذكر السفارني ( ت II88هـ ) في كتابه لوامع الأنوار ( I/80 ) ضمن فرق الشيعة فرقة السبائية وقال : ( وهم أتباع عبد الله بن سبأ الذي قال لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

أنت الإله حقاً ، فأحرق من أصحاب هذه المقالة من قدر عليه منهم فخذ لهم أخايد وأحرقهم بالنار

47 - و يروي الزبيدي ( ت I205هـ ) أن سبأ الوارد في حديث فروة بن مسيك المرادي هو والد عبد

الله بن سبأ صاحب السبئية من الغلاة . تاج العروس ( I/75-76 ) ، و كلام الزبيدي هذا غير مقبول

و يرد حديث فروة بن مسيك ، راجع صحيح سنن أبي داود ( برقم 3373 ) و الترمذي ( برقم

3220 ) كتاب تفسير سورة سبأ ، و في الحديث زيادة تفصيل أن سبأ رجل من العرب ولد له عشرة من

الأبناء : سكن منهم ستة في اليمن و أربعة في الشام ، و هم أصول القبائل العربية : لحم و جذام و

غسان . . الخ ، مما يدل على أن سبأ رجل متقدم جداً من أصول العرب ، فما علاقة ذلك بسبأ والد

عبد الله صاحب السبئية ؟ !

48 - و تحدث عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي ( ت I239هـ ) في كتابه مختصر التحفة الاثني عشرية

( ص 3I7 ) عن ابن سبأ بقوله : ( و من أكبر المصائب في الإسلام في ذلك الحين تسليط إبليس من

أبالسة اليهود على الطبقة الثانية من المسلمين فتظاهر لهم بالإسلام و ادعى الغيرة على الدين والمحبة

لأهله . . وإن هذا الشيطان هو عبد الله بن سبأ من يهود صنعاء ، وكان يسمى ابن السوداء ، و كان يث دعوة مجنث و تدرج و دهاء .

49 - و محمد صديق حسن خان ( ت 1307هـ ) في خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان ( ص 8 ، 33 ، 44 ) .

هذا ما تيسر جمعه من أقوال العلماء ، و من سلف الأمة ، و هناك الكثير غيرهم ، و كلها تأكد و تجمع على ثبوت شخصية عبد الله بن سبأ اليهودي بكونه حقيقة لا خيال ، و كوني آثرت ذكر المتقدمين ، لأنه إذا ثبت عندهم ؛ فهم أعرف منا ، لأنه تسنى لهم الاطلاع على الكثير من الكتب التي تعد في زمننا هذا في عداد المفقود ، فهم الأصل الذي نحن عيال عليه ، نفتبس منه و تثبت ، كما وأن هناك الكثير من المثبتين لهذه الشخصية من المعاصرين ، راجع للأهمية كتاب : العنصرية اليهودية وآثارها في المجمع الإسلامي و الموقف منها للدكتور أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغبيني ( 2 / 530-531 ) ، حيث ذكر عدداً كبيراً من المثبتين لشخصية ابن سبأ من المعاصرين .

## المثبتين لشخصية ابن سبأ من الشيعة

I - ورد في تاريخ الطبري (5/193) على لسان أبي مخنف لوط بن يحيى (ت 157هـ) وهو يصف معقل بن قيس الرياحي والذي كلفه المغيرة بن شعبة وإبي معاوية على الكوفة بقتال المستورد بن علفة الخارجي وأصحابه ، فيصفه بأنه من السبئية المفترين الكذابين .

2 - الأصفهاني (ت 283هـ) ذكره الدكتور أحمد الزغبني في كتابه العنصرية اليهودية (2/528) .

3 - أورد الناشئ الأكبر (ت 293هـ) في كتابه مسائل الإمامة (ص 22-23) ما يلي : ( و فرقة زعموا أن علياً رضي الله عنه حي لم يمت ، وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ، وهؤلاء هم السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ ، وكان عبد الله بن سبأ رجلاً من أهل صنعاء يهودياً . . . و سكن المدائن . . . ) .

4 - ونقل القمي (ت 301هـ) في كتابه المقالات والفرق (ص 20 طهران 1963م تحقيق الدكتور محمد جواد مشكور فيروي) أن عبد الله بن سبأ أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة ، و تبرأ منهم ، وادعى أن علياً أمره بذلك . و ( أن السبئية قالوا للذي نعاه ( أي علي بن أبي طالب ) : كذبت يا عدو الله لو جئنا والله بدماعه خربة فأقمت على قتله سبعين عدلاً ما صدقناك ولعلمنا أن لم يمت ولم يقتل وإن لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملك الأرض ثم مضوا ( . . . )



5- ويتحدث النوبختي ( ت 310هـ ) في كتابه فرق الشيعة ( ص 23 ) عن أخبار ابن سبأ فيذكر أنه لما بلغ ابن سبأ نعي علي بالمدائن ، قال للذي نعاه : كذبت لوجئتنا بدماعه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلنا أنه لم يمت ولم يقتل ، ولا يموت حتى يملك الأرض .

ويقول في ( ص 44 ) وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عليه السلام أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً عليه السلام وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي بعد موسى على نبينا وآله وعليهما السلام بالغلو فقال في إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام بمثل ذلك وهو أول من شهر القول بفرض إمامة علي عليه السلام وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفه . يقول النوبختي : فمن هنا قال من خالف الشيعة إن أصل الرفض مأخوذ من اليهود .

6- ويقول أبو حاتم الرازي ( ت 322هـ ) في كتابه الزينة في الكلمات الإسلامية ( ص 305 ) : ( أن عبد الله بن سبأ و من قال بقوله من السبئية كانوا يزعمون أن علياً هو الإله ، وأنه يحيي الموتى ، وادعوا غيبته بعد موته .

7- وروى الكشي ( ت 340هـ ) في الرجال ( ص 98-99 ) بسنده إلى أبي جعفر محمد الباقر قوله : أن عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة ، ويزعم أن أمير المؤمنين - عليه السلام - هو الله ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً . وهناك أقوال مشابهة عن جعفر الصادق وعلي بن الحسين تلحن فيها عبد الله بن سبأ في ( ص 70 ، 100 ) من نفس الكتاب .

ويروي الكشي في ( رجال الكشي ص 98 ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات كربلاء ) بسنده إلى أبي جعفر ( أن عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة وزعم أن أمير المؤمنين هو الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فبلغ ذلك أمير المؤمنين فدعاه وسأله فأقر بذلك وقال : نعم أنت هو وقد كان ألقى في روعي أنك أنت الله وأنا نبي فقال له أمير المؤمنين : ويلك قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا شككتك أمك وتب فأبى فحبسه واستأبه ثلاثة أيام فلم يتب فأحرقه بالنار والصواب أنه نفاه بالمدائن ... )

8 - ويذكر أبو جعفر الصدوق بن بابويه القمي ( ت 381هـ ) في كتاب من لا يحضره الفقه ( I/213 ) ، موقف ابن سبأ وهو يعترض على علي رضي الله عنه رفع اليدين إلى السماء أثناء الدعاء .

9 - وجاء عند الشيخ المفيد ( ت 413هـ ) في كتاب شرح عقائد الصدور ( ص 257 ) ذكر الغلاة من المتظاهرين بالإسلام - يقصد السبئية - الذين نسبوا أمير المؤمنين علي والأئمة من ذريته إلى الألوهية والنبوة ، فحكم فيهم أمير المؤمنين بالقتل والتحريق بالنار .

10 - وقال أبو جعفر الطوسي ( ت 460هـ ) في كتبه تهذيب الأحكام ( 2/322 ) أن ابن سبأ رجع إلى الكفر وأظهر الغلو

II - ابن شهر آشوب ( ت 588هـ ) في مناقب آل أبي طالب ( I/227-228 ) .

I2 - وذكر ابن أبي الحديد ( ت 655هـ ) في شرح نهج البلاغة ( 2/99 ) ما نصه : ( فلما قتل أمير المؤمنين عليه السلام أظهر ابن سبأ مقاله ، وصارت له طائفة و فرقه يصدقونه و يتبعونه .

I3 - وأشار الحسن بن علي الحلبي ( ت 726هـ ) في كتابه الرجال ( 2/71 ) إلى ابن سبأ ضمن أصناف الضعفاء .

I4 - ويرى ابن المرتضى ( ت 840هـ ) وهو من أئمة الشيعة الزيدية ، أن أصل التشيع مرجعه إلى ابن سبأ ، لأنه أول من أحدث القول بالنص في الإمامة . تاج العروس لابن المرتضى ( ص 5 ، 6 ) .

I5 - ويرى الأردبيلي ( ت 1100هـ ) في كتاب جامع الرواة ( I/485 ) أن ابن سبأ غال ملعون يزعم ألوهية علي و نبوته .

I6 - المجلسي ( ت 1110هـ ) في بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ( 25/286-287 ) .

I7 - يقول نعمة الله الجزائري ( ت 1112هـ ) في كتابه الأنوار النعمانية ( 2/234 ) : ( قال عبد الله بن سبأ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أنت الإله حقاً فنفاه علي عليه السلام إلى المدائن و قيل إنه كان يهودياً فأسلم وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون و في موسى مثل ما قال في علي .

I8 - طاهر العاملي ( ت 1138هـ ) في مقدمة مرآة الأنوار و مشكاة الأسرار في تفسير القرآن (ص

. ( 62 )

19 - و عند المامقاني ( ت 1323هـ ) في كتابه تنقيح المقال في أحوال الرجال (2/183) جاء ذكر ابن سبأ ضمن نقولات عدة ساقها المؤلف من مصادر شيعية متقدمة عليه .

20 - أما محمد حسين المظفري ( ت 1369هـ ) و هو من الشيعة المعاصرين الذين لا ينكرون وجود ابن سبأ وإن كان ينفي أن يكون للشيعة به أي اتصال . تاريخ الشيعة ( ص 10 ) .

21 - أما الخوانساري فقد جاء ذكر ابن سبأ عنده على لسان جعفر الصادق الذي لعن ابن سبأ لاتهامه بالكذب والتزوير . روضات الجنات (3/141) .

### المنكرون وجود عبد الله بن سبأ من الفريقين

المنكرون لوجود ابن سبأ من أهل السنة ومن حسب عليهم

1 - الدكتور : طه حسين ، يقف طه حسين على رأس الكتاب المحدثين الذين شككوا في وجود ابن سبأ بل وأنكروه . أنظر كتاب الفتنة الكبرى - عثمان - ( ص 132 ) ، و علي و بنوه ( ص 90 ) . يذكر أن زوجة طه حسين و سكرتيره (و كلاهما نصرينيان) ذكرا أن طه حسين تنصر في باريس!

2 - الدكتور : علي سامي النشار ، و هو يأتي بعد طه حسين في إنكاره لشخصية ابن سبأ و اعتبارها شخصية وهمية . راجع كتاب نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (2/ 38 - 39) .

3 - الدكتور : حامد حنفي داود ، و هو من الذين تأثروا بكتابات الشيعة حول شخصية ابن سبأ فانكر وجودها ، و ذلك عندما قام بكتابة المقدمة المتعلقة بكتاب ( عبد الله بن سبأ و أساطير أخرى ) و من ضمن ما قال : ( و أخيراً يسرني أن أعلن إعجابي بهذا السفر الجليل لصاحبه العلامة المحقق السيد مرتضى العسكري ) ، أما رأيه في عبد الله بن سبأ فأوضحه بقوله : ( و لعل أعظم هذه الأخطاء التاريخية التي أفلتت من زمام هؤلاء الباحثين وغم عليهم أمرها فلم يفقهوها و يفتنوا إليها هذه المفتريات التي افتروها على علماء الشيعة حين لفقوا عليهم قصة عبد الله بن سبأ فيما لفقوه من قصص . ( I / 18 ، 21 ) و ضمن كتابه : التشيع ظاهرة طبيعية في إطار الدعوة الإسلامية ( ص 18 ) .

4 - وهناك أيضاً الدكتور : محمد كامل حسين في كتابه : أدب مصر الفاطمية ( ص 7 ) .

5 - أيضاً : عبد العزيز الهلابي في كتابه عبد الله بن سبأ ( ص 73 ) ، حيث حجب هذا

الشخص الغموض الذي أثاره غيره من المشككين في وجود ابن سبأ فلازم الإنكار .

6 - والشيء بالشيء يذكر يعتبر الأستاذ حسن بن فرحان المالكي (شيعي المذهب) تلميذ المذكور

أعلاه من المنكرين لوجود ابن سبأ ، و في أحيان أخرى ينكر دور ابن سبأ في الفتنة . راجع كلامه في

جريدة المسلمون الأعداد ( 657 ، 658 ) .

- 7 - ومن المنكرين والمتشككين والمترددین في إثبات و نفي شخصية عبد الله بن سبأ ، الدكتور :  
جواد علي في مقال له بعنوان ( عبد الله بن سبأ ) منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد السادس  
( ص 84 ، 100 ) وأيضاً في مجلة الرسالة العدد ( 778 ) ( ص 609-610 ) .
- 8 - وأيضاً الدكتور : محمد عمارة (من مؤيدي المعتزلة والمرجئة) في كتابه الخلافة ونشأة الأحزاب  
الإسلامية ( ص 154-155 ) ، فيقول : ( وتنسب أغلب مصادر التاريخ والفكر الإسلامي إلى ابن  
السوداء هذا نشاط عظيمًا وجهداً خرافياً ) ، ويقول : ( فإن وجود ابن سبأ على فرض التسليم  
بوجوده ) إلى غيرها من النقول .
- 9 - والدكتور : عبد الله السامرائي في كتابه الغلو والفرق الغالبة في الحضارة الإسلامية ( ص 86 ) ،  
إلا أنه يثبت وجود الأفكار التي تنسب إلى عبد الله بن سبأ ، من غير جزم بوجود صاحبها .

**المنكرون لوجود ابن سبأ من الشيعة**

I - محمد الحسين كاشف الغطاء ، في كتابه أصل الشيعة وأصولها ( ص 61 ) يقول : ( على أنه لا يستبعد أن يكون هو - أي عبد الله بن سبأ - ومجنون بني عامر وأبو هلال . . وأمثالهم أحاديث خرافية وضعها القصاص لتزجية الفراغ و شغل أوقات الناس ) .

2 - مرتضى العسكري وله كتابان في هذا الموضوع ، ينفي فيهما وجود ابن سبأ من الأصل ، ويعتبر مرتضى هذا من أكثر الشيعة المحدثين اهتماماً بمسألة عبد الله بن سبأ . الكتاب الأول بعنوان : ( عبد الله بن سبأ بحث حول ما كتبه المؤرخون والمستشرقون ابتداء من القرن الثاني الهجري ) . ورمز له بالجزء الأول . الكتاب الثاني بعنوان : ( عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى ) .

3 - محمد جواد مغنیه ، وقد ذكر ذلك في تقديمه لكتاب عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى لمرتضى العسكري ( I/I2 ) . وكتاب التشيع ( ص 18 ) .

4 - الدكتور علي الوردی ، في كتاب وعاظ السلاطين ( ص 273-276 ) ، يقول : ( يجيل إلى أن حكاية ابن سبأ من أولها إلى آخرها كانت حكاية متقنة الحبك رائعة التصوير ) ، ويعتبر علي الوردی صاحب بدعة القول بأن ابن السوداء وهو عمار بن ياسر رضي الله عنه ، ( ص 278 ) .

5 - عبد الله الفياض في كتابه تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة ( ص 95 ) ، يقول : ( يبدو أن ابن سبأ كان شخصية إلى الخيال أقرب منها إلى الحقيقة ) .

6 - الدكتور كامل مصطفى الشيبني في كتاب الصلة بين التصوف والتشيع ( ص 41 ) ، و قد تابع

الدكتور علي الوردي في كلامه حول كون عمار بن ياسر هو ابن السوداء ، ( ص 88 ) .

7 - طالب الرفاعي في التشيع ظاهرة طبيعية في إطار الدعوة الإسلامية ( ص 20 ) .

ولعل هذا النفي شبه الجماعي من قبل أولئك الباحثين الشيعة لشخصية عبد الله بن سبأ ، هو بغرض

نفي التأثير اليهودي في عقائد الشيعة ، و تبرئة ساحتهم من عبد الله بن سبأ ، و لكن أنى لهم ذلك .

و قد أعجبتني مقولة للدكتور سعدي الهاشمي يقول فيها : ( و بهذه النقول والنصوص الواضحة المنقولة

من كتب القوم ( الشيعة ) تتضح لنا حقيقة شخصية ابن سبأ اليهودي ، و من طعن من الشيعة في ذلك

فقد طعن في كتبهم التي نقلت لعنات الأئمة المعصومين - عندهم - على هذا اليهودي ( ابن سبأ ) و

لا يجوز و لا يتصور أن تخرج اللعنات من المعصوم على مجهول ، و كذلك لا يجوز في معتقد القوم تكذيب

المعصوم ) . ابن سبأ حقيقة لا خيال ( ص 76 ) .

### المثبتون لوجود ابن سبأ من المستشرقين

اهتم المستشرقون بمسألة عبد الله بن سبأ و درسوا ما جاء عنه ، و نحن لسنا بحاجة إلى قيام أمثال

هؤلاء الحاقدين لإثبات شخصية ابن سبأ لنثبت شخصيته بدورنا ، لكن تطرقت لذكرهم فقط من

باب بيان أن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها ، كما فعل أبي هريرة رضي الله عنه

عندما تعلم فضل سورة آية الكرسي من إبليس لعنه الله . البخاري مع الفتح ( 487/4 - 488 ) .



I - المستشرق الألماني : يوليوس فلهاوزن (1844-1918 م) ، يقول : ( ومنشأ السبأية يرجع إلى زمان علي والحسن ، وتنسب إلى عبد الله بن سبأ وكما يتضح من اسمه الغريب فإنه كان أيضاً يمينياً والواقع أنه من العاصمة صنعاء ، ويقال أنه كان يهودياً ) . في كتابه : الخوارج والشيعة ( ص 170-171 ) .

2 - المستشرق : فان فلوتن ( 1866-1903 م ) ، يرى أن فرقة السبأية ينتسبون إلى عبد الله بن سبأ فيقول : ( وأما السبأية أنصار عبد الله بن سبأ الذي كان يرى أحقية علي بالخلافة منذ أيام عثمان ، فكان يعتقدون أن جزءاً إلهياً تجسد في علي ثم في خلفائه من بعده . السيادة العربية والشيعة و الإسرائيليات في عهد بني أمية ( ص 80 ) .

3 - المستشرق الإيطالي : كياتاني ( 1869-1926 م ) ، يخلص هذا المستشرق في مجته الذي نشره في حوليات الإسلام الجزء الثامن من سنة (33-35هـ) إلى أن ابن سبأ موجود في الحقيقة لكنه ينكر روايات سيف بن عمر في تاريخ الطبري والتي تشير إلى أن المؤامرة التي أطاحت بعثمان ذات أسباب دينية ، كما وأنه ينكر أن تكون آراء ابن سبأ المؤهلة لعلي قد حدثت في أيامه ، وينتهي إلى القول بأن هذه الآراء وليدة تصورات الشيعة في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة .

4 - المستشرق : ليفي ديلافيدا ( المولود عام 1886م ) ، حيث مرّ بعبد الله بن سبأ وهو يتحدث عن خلافة علي من خلال كتاب أنساب الأشراف للبلاذري .

5 - المستشرق الألماني : إسرائيل فريد لندر ، وقد كتب مقالاً عن عبد الله بن سبأ في المجلة الآشورية  
العدد من سنة (1909م ، ص 322) و (1910م ، ص 23) بعنوان : ( عبد الله بن سبأ مؤسس  
الشيعة وأصله اليهودي ) وقد خلص في بحثه هذا الذي يربوا على الثمانين صفحة إلى القول بأنه لا  
يتشكك مطلقاً في شخصية ابن سبأ .

6 - المستشرق المجري : جولد تسيهر ( 1921م ) ، يقول : ( كما أن الإغراق في تأليه علي الذي  
صاغه في مبدأ الأمر عبد الله بن سبأ ) . في كتابه : العقيدة والشريعة في الإسلام ( ص 205 ) .

7 - رينولد نكلس ( 1945م ) ، يقول في كتابه تاريخ الأدب العربي ( ص 215 ) : ( فعبد الله بن سبأ  
الذي أسس طائفة السبائيين كان من سكان صنعاء اليمن ، وقد قيل إنه كان من اليهود وقد أسلم في  
عهد عثمان وأصبح مبشراً متجولاً ) .

8 - داويت . م . رونلدرسن ، يقول : ( فقد ظهر منذ زمن عثمان داعية متنقل اسمه عبد الله بن  
سبأ قطع البلاد الإسلامية طويلاً و عرضاً يريد إفساد المسلمين كما يقول الطبري ) . عقيدة الشيعة  
( ص 85 ) .

9 - المستشرق الإنجليزي : برنارد لويس ، فهو يرى أن عبد الله بن سبأ هو أصل التشيع . راجع  
كلامه في كتابه : أصول الإسماعيلية ( ص 86 ) .

هذه أهم الكتابات الاستشراقية في موضوع عبد الله بن سبأ ، وهناك غير هؤلاء الكثير ، راجع للأهمية كتاب : عبد الله بن سبأ و أثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام للدكتور سليمان العودة ( ص 73 ) .

أما المنكرون لشخصية ابن سبأ من المستشرقين ، فهم فئة قليلة و الذين وقفوا في شخصية ابن سبأ و أصبحت عندهم مجرد خرافة و محل شك ، و ليس هناك من داع لذكرهم ، لعدم انتشار أفكارهم بخلاف المثبتين فهم من المستشرقين المعروفين و الذين يعتمد عليهم الكثير من تأثر بفكر الاستشراق ، و كان هدف هؤلاء المستشرقين من ذلك التشكيك أو الإنكار هو ادعاء أن الفن إنما هي من عمل الصحابة أنفسهم ، و أن نسبتها إلى اليهود أو الزنادقة هو نوع من الدفاع عن الصحابة لئلا إليها الإخباريون والمؤرخون المسلمون ليعلقوا أخطاء هؤلاء الصحابة على عناصر أخرى ، على أن إنكار بعضهم لشخصية ابن سبأ إنما يرجع إلى رغبتهم في الانتهاء إلى النتيجة التالية : لا حاجة لمخرب يمشي بين الصحابة ، فقد كانت نوازع الطمع و حب الدنيا والسلطة مستحوذة عليهم ، فراحوا يقاتلون بعضهم عن قصد و تصميم ، و القصد من ذلك الإساءة إلى الإسلام و أهله ، و إلقاء في روع الناس أن الإسلام إذا عجز عن تقويم أخلاق الصحابة و سلوكهم وإصلاح جماعتهم بعد أن فارقه الرسول صلى الله عليه وسلم بمدة وجيزة ، فهو أعجز أن يكون منهجاً للإصلاح في هذا العصر . أنظر : تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة للدكتور : محمد أحزون (I/314) .

## أسباب إنكار ابن سبأ عند بعض المبطلين

أولاً : قالوا : إعراض المؤرخين عن ذكر ابن سبأ أو ابن السوداء في حرب صفين ، وكونه غاب عنها ، وكيف له أن يغيب عن هذا المعركة وهو الذي كان يصول ويجول في حرب الجمل ، لهذا لم يستطع المؤرخون الإجابة على هذا السؤال الحير ! وهذا مما يدل على أن غير موجود .

الرد عليه : إن المؤرخين عند حديثهم عن موضوع معين لا يلتزمون بذكر كل تفاصيل ما جرى في الأحداث والوقائع التي ذكروها في كتبهم ، هذا على افتراض مشاركة ابن سبأ في حرب صفين ، و على افتراض عدم مشاركته في حرب صفين ، هل يعد ذلك دليلاً على عدم وجوده ، فيعارض به ما أثبتته المؤرخون من وجود ابن سبأ وما كان له من دور ؟! وفي اعتقادي أن هذه الشبهة لا تقوى على ما أثبتته المؤرخون والمحققون من سنة و شيعه من وجود ابن سبأ .

ثانياً : قالوا : إن أخبار ابن سبأ إنما انتشرت بين الناس عن طريق الطبري ، والطبري أخذها عن سيف بن عمر ، إذاً فسيف هو المصدر الوحيد لأخبار ابن سبأ ، وسيف هذا كذاب ضعفه علماء الجرح والتعديل .

الرد عليه و سيكون على ثلاثة فروع :

أ - كون الطبري هو المصدر الوحيد لأخبار ابن سبأ ، وهذه الأخبار جميعها جاءت من طريق سيف بن عمر .

الرد : هذه شبهة باطلة إذ لم ينفرد الطبري وحده بروايات سيف ، بل هناك روايات لسيف تحدث عن ابن سبأ لا توجد عند الطبري ، و مثاله :

I - من طريق ابن عساكر ( ت 571هـ ) في تاريخه ( 29/9 ) ، وقد أورد رواية من طريق سيف بن عمر ليست عند الطبري .

2 - من طريق المالقي ( ت 741هـ ) في كتابه التمهيد و البيان ( ص 54 ) وقد أورد رواية ليست عند الطبري من طريق سيف بن عمر .

3 - من طريق الذهبي ( ت 748هـ ) في كتابه تاريخ الإسلام ( 122-2/123 ) وهذه الرواية أيضاً غير موجودة في الطبري .

فهذه الطرق الثلاثة تدلنا على أن الطبري لم ينفرد بروايات سيف بن عمر عن ابن سبأ ، وأنه ليس المصدر الوحيد لهذه الأخبار .

ب - كون سيف بن عمر هو المصدر الوحيد لأخبار ابن سبأ .

الرد : هذه الشبهة أيضاً غير صحيحة ، فقد ثبتت روايات ذكر فيها ابن سبأ لم يكن سيف في سندها ، و إن الذي يتبين لنا من خلال البحث والتنقيب أن سيف بن عمر ليس هو المصدر الوحيد لأخبار عبد الله بن سبأ ، و سأورد هنا عدد من النصوص لابن عساكر تذكر ابن سبأ لا ينتهي سندها إلى

سيف بن عمر ، وقد اخترت تاريخ ابن عساكر بالذات لأنه يعتمد في روايته للأخبار على السند كما هو حال الطبري في تاريخه .

الرواية الأولى : ذكرها ابن عساكر بسنده إلى الشعبي ، قال : أول من كذب عبد الله بن سبأ .

الرواية الثانية : ذكرها ابن عساكر بسنده إلى عمار الدهني ، قال : سمعت أبا الطفيل يقول : رأيت

المسيب بن نجبة أتى به يلبية - يعني ابن السوداء - ، و علي على المنبر ، فقال علي : ما شأنه ؟

فقال : يكذب على الله وعلى رسوله .

الرواية الثالثة : ذكرها ابن عساكر بسنده إلى زيد بن وهب عن علي قال : ما لي وما لهذا الحميت

الأسود ؟ .

الرواية الرابعة : ذكرها ابن عساكر بسنده إلى شعبة عن سلمة قال : قال سمعت أبا الزعراء يحدث

عن علي عليه السلام قال : ما لي وما لهذا الحميت الأسود ؟ .

الرواية الخامسة : ذكرها ابن عساكر بسنده إلى شعبة عن سلمة بن كهيل عن زيد قال : قال علي بن

أبي طالب ما لي ولهذا الحميت الأسود ؟ - يعني عبد الله بن سبأ - وكان يقع في أبي بكر وعمر .

الرواية السادسة : ذكرها ابن عساكر بسنده إلى سلمة بن كهيل عن حجية بن عدي الكندي قال :

رأيت علياً كرم الله وجهه وهو على المنبر ، وهو يقول : من يعذرني من هذا الحميت الأسود ، الذي

يكذب على الله ورسوله ؟ - يعني ابن السوداء - لولا أن لا يزال يخرج عليّ عصابة تنعى عليّ دمه  
كما أدعيت عليّ دماء أهل النهر ، لجعلت منهم ركماً .

الرواية السابعة : ذكرها ابن عساكر بسنده إلى أبو الأحوص عن مغيرة عن سماك قال : بلغ عليا أن ابن  
السوداء ينتقص أبا بكر وعمر ، فدعا به ، ودعا بالسيف - أو قال : فهم بقتله - فكلّم فيه ، فقال :  
لا يساكني بلد أنا فيه . قال : فسيره إلى المدائن . تاريخ دمشق لابن عساكر ( IO-7 / 29 ) .

ج - كون سيف بن عمر ( ت 180هـ ) كذاب ضعفه علماء الجرح والتعديل .

الرد : مكانة سيف بن عمر ( ت 180هـ ) بين الجرح والتعديل ، حتى تكون الصورة واضحة للقارئ .  
أولاً : سيف بن عمر محدثاً :-

يقول النسائي في الضعفاء والمتروكين ( ص 14 ) : ( سيف بن عمر الضبي ضعيف ) . وذكر ابن أبي

حاتم في الجرح والتعديل ( 2/278 ) أن سيف بن عمر : ( متروك الحديث ، يشبه حديثه حديث

الواقدي ) . و عند ابن معين في نفس المصدر ( 2/278 ) أن سيفاً ضعيفاً الحديث . وذكره الذهبي

فيمن له رواية في الكتب الستة ، واكتفى بالقول : ( ضعفه ابن معين وغيره ) . الكاشف ( I/416 ) .

وفي المغني في الضعفاء ( ص 292 ) قال الذهبي : ( سيف بن عمر التميمي الأسدي له تواليف متروك

باتفاق ) . و عند ابن حجر في التقريب ( I/344 ) : ( سيف ضعيف الحديث ) . ويقول ابن حبان

في المجروحين (I/345) : ( سيف بن عمر الضبي الأسدي من أهل البصرة اتهم بالزندقة . . يروي الموضوعات عن الأثبات ) .

هذا بالنسبة لسيف بن عمر وكونه محدثاً ، لكن فما عساه يكون إخبارياً مؤرخاً ؟!

هنا لا بد وقبل أن أذكر أقوال أهل العلم فيه أن أنبه أنه لا بد من التفريق بين رواية ( الحديث ) ورواية الأخبار الأخرى ، فعلى الأولى تبنى الأحكام و تقام الحدود ، فهي تتصل مباشرة بأصل من أصول التشريع ، و من هنا تحرز العلماء -رحمهم الله- في شروط من تأخذ عنه الرواية ، لكن يختلف الأمر بالنسبة لرواية الأخبار ، فهي وإن كانت مهمة - لا سيما حينما يكون مجالها الإخبار عن الصحابة - إلا أنها لا تمحص كما يمحص الحديث ، و من هنا فلا بد من مراعاة هذا القياس و تطبيقه على ( سيف ) بكونه محدثاً ، وإخبارياً . راجع للأهمية كتاب : تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة محمد المحزون (I/82-143) فقد تحدث عن هذا الموضوع فأجاد .

نعود إلى كتب الرجال نفسها فنجد الآتي :-

يقول الذهبي في ميزان الاعتدال ( 2/255 ) : ( كان إخبارياً عارفاً ) . ويقول ابن حجر في تقريب

التهذيب ( I/344 ) : ( عمدة في التاريخ ) . أما اتهام ابن حبان لسيف بالزندقة فيجيب عنه ابن

حجر في التقريب ( I/344 ) بقوله : ( أفحش ابن حبان القول فيه ) . ولا يصح اتهام سيف بالزندقة



دون دليل ، إذ بكيف نفسر رواياته في الفتنة و حديثه عما جرى بين الصحابة ، فأسلوبه الذي روى به تلك الأحداث أبعد ما يكون عن أسلوب الزنادقة ، و هو الذي فضح و هتك ستر الزنادقة أمثال ابن سبأ !!

و بعد هذا لا يشك أحد أن رواية سيف مرشحة على غيره من الإخباريين أمثال أبي مخنف و الواقدي وابن الكلبي ، و غيرهم الكثير ، فإن روايات سيف تنفق و تتسجم مع الروايات الصحيحة المروية عن الثقات ، علاوة على أنها صادرة و مأخوذة عن شاهد تلك الحوادث أو كان قريباً منها . للمزيد حول هذا الموضوع راجع كتاب : استشهاد عثمان و وقعة الجمل رواية سيف بن عمر ، للدكتور خالد بن محمد الغيث ( ص 19- 40 ) ، و عبد الله بن سبأ و أثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام للدكتور : سليمان العودة ( ص 104 - 110 ) .

ثالثاً : قالوا : لم يكن لابن سبأ وجود ، وإنما هو في الحقيقة شخصية رمزت لعمار بن ياسر ، ثم ساقوا عدد من الدعائم التي تؤيد هذا القول ، منها :-

1 - كان ابن سبأ يعرف بابن السوداء ، و عمار كان يكنى بابن السوداء أيضاً .

2 - كلاهما من أب يمانى ، و ينسبون إلى سبأ بن يشجب أصل أهل اليمن .

3 - كلاهما كان شديد الحب لعلي ، و من محرضي الناس على بيعته .

4 - ذهب عمار إلى مصر أيام عثمان وأخذ يحرّض الناس على عثمان ، و مثل هذا ينسب إلى ابن سبأ .

5 - ينسب إلى ابن سبأ القول بأن عثمان أخذ الخلافة بغير حق ، وأن صاحبها الشرعي هو علي ، وهذا نفسه كان يقول به عمار .

6 - ويشترك الاثنان في عرقلة مساعي الصلح في معركة الجمل .

7 - قالوا عن ابن سبأ أنه هو المحرك لأبي ذر في دعوته الاشتراكية ! و صلة عمار بأبي ذر وثيقة جداً .

الرد : هذا الرأي الذي خلصوا إليه ، إنما يدل على جهل صاحبه ، و هذا الرأي ترده كتب الجرح والتعديل وكتب الرجال الموثقة عند الشيعة ، فهي تذكر عمار بن ياسر ضمن أصحاب علي والرواية عنه ، و هو أحد الأركان الأربعة عندهم ، ثم هي تذكر في موضع آخر ترجمة عبد الله بن سبأ في معرض السب واللعنة . أنظر : رجال الطوسي ( ص 46 ، 51 ) و رجال الحلبي ( ص 255 ،

469 ) . فهل يمكن اعتبار الرجلين شخصية واحدة بعد ذلك ؟!

كما وأن عوامل توافق الشخصيتين ذهب كل منهما إلى مصر زمن عثمان ، فإن استقراء النصوص ومعرفة تاريخها يعطي مفهوماً غير الذي فهمه النافين لوجود ابن سبأ ، و بالتالي ينتصب هذا العامل

دليلاً على استقلال كل من الشخصيتين ، فعمار إنما بعثه عثمان إلى مصر سنة ( 35هـ ) ، بينما كان ظهور ابن سبأ سنة ( 30هـ ) كما في الطبري (4/24I) ، وهو الذي ساق الخبرين ، وشيء آخر و هو أن الطبري نفسه أورد أن من الذين استمالوا عماراً في مصر قوم منهم عبد الله بن سبأ . الطبري ( 4/34I ) ، وانظر أيضاً : البداية والنهاية لابن كثير (7/I67) و الكامل في التاريخ لابن الأثير (3/77) و تاريخ ابن خلدون ( 2/I034 ) فهؤلاء هو كبار المؤرخين وهم جميعاً أثبتوا الشخصيتين ؛ شخصية ابن سبأ و شخصية عمار بن ياسر ، فكيف لعامل بعد ذلك أن يقول إنهما شخص واحد ؟!

و أما قولهم بأن عمار كان يمانياً ، فكل يمانى يصح أن يقال له ابن سبأ ، فهذا غير صحيح ، فليست سبأ إلا جزءاً من بلاد اليمن الواسعة كما قال بذلك ياقوت في معجم البلدان ( 3/I8I ) .

و أما قولهم بأن عمار كان يقول بأن عثمان قد أخذ الخلافة بغير حق ، و أن صاحبها الشرعي هو علي ، فإن هذه المقولة زعم يحتاج إلى دليل ، بل الثابت أن عثمان رضي الله عنه كان يثق بعمار و هو الذي أرسله إلى مصر لضبط أمورها . راجع الطبري ( 4/34I ) .

كما وأن التشابه في الكنى لا يجعل من الرجلين شخصية واحدة ، كما وأن الظروف التاريخية وطابع كل من الشخصيتين لا تسمحان لنا بقبول هذا الرأي . وإن نظرة واحدة إلى كتب التراجم والرجال لتعطي القارئ فكرة واسعة في سبب قيام علماء الجرح والتعديل بتأليف الكتب التي تحتوي على المتشابه من الأسماء والكنى .

وشيء مهم آخر وهو أن عمار قتل يوم صفين ، في حين بقي ابن سبأ إلى بعد مقتل علي رضي الله عنه ، فهل بعد هذا يكون عمار بن ياسر هو عبد الله بن سبأ ؟!

رابعاً : قالوا : لم يكن لابن سبأ وجود في الحقيقة ، وإنما هو شخصية وهمية انتحلها أعداء الشيعة بهدف الطعن في مذهبهم ونسبته إلى رجل يهودي .

الرد : إن هذه دعوى لا تقوم عليها حجة ، فكما أنكم ادعيتم هذا ، فلغيركم أيضاً أن يدعي ما شاء ، لكن العبرة بالحجة والدليل ، فزعمكم أن هذه القصة قد اختلقها أهل السنة للشيعة على الشيعة ، ليس لها دليل ، وقد كان عليكم قبل أن تلقوا بظلال الشك جزافاً - وذلك دأبكم - أن تتأكدوا على الأقل من أن هذه القصة لم ينفرد بها أهل السنة فقط ، فهذا الزعم باطل لأن مصادر الشيعة هي الأخرى أثبتت - كما سلف - وجود ابن سبأ . وبهذا يسقط اعتراضكم على القصة بزعمكم أنها من مفتريات أهل السنة .

وبعد هذا الذي ذكرت وهذه الشبهات التي أبطلت ، أستطيع أن أقول : إن سبب إنكار الشيعة لوجود ابن سبأ إلى عقيدتهم التي بثها وتسربت إلى فرق الشيعة ، وهي عقيدة تتنافى مع أصول الإسلام ، وتضع القوم موضع الاتهام والشبهة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لما للعداء التاريخي في نفوس الشيعة نحو الصحابة ، ورغبة لإظهارهم بأنهم هم الذين أثاروا الفتنة بينهم .

وفي الختام يتأكد بعد استقراء المصادر سواء القديمة والمتأخرة عند السنة والشيعنة أن وجود عبد الله بن سبأ كان وجوداً حقيقياً تؤكد الروايات التاريخية ، و تفيض فيه كتب العقائد ، و ذكرته كتب الحديث والرجال والأنساب والطبقات و الأدب واللغة ، و سار على هذا النهج كثير من المحققين والباحثين المحدثين .

فهذه نصوص تثبت أن شخصية ابن سبأ شخصية حقيقية، و جماعته كذلك حقيقة تاريخية .

### ابن سبأ العقل المؤسس الأول

بعد أن علمنا من أن عبد الله بن سبأ شخصية تاريخية حقيقة لا مجال للطعن في وجودها علينا من خلال الأدلة الكثيرة أن نبين عن الأفعال التخريبية التي قام بها والأسباب والعوامل التي ساعدته في ذلك .

أولاً : ان الروايات تتحدث عن قدوم ابن سبأ للمدينة المنورة كان في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وفي ذلك الوقت كان الصراع الحنفي على السلطة والحكم قد ظهر للعيان ولم يعد يحاك في الخفاء فلا أحد يستطيع أن ينكر اعتقاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أحقيته بالخلافة الأولى وقد التفت حوله عصابة من الصحابة الكرام التي يمكن اعتبارها الخلية الأولى للشيعنة في ذلك العصر وعلينا الرجوع تاريخياً للفترة التي أختير فيها أبا بكر الصديق رضي الله عنه خليفة للمسلمين

عد وفاة النبي محمد قام علي بتغسيل وتجهيز جثمانه للدفن، وفي هذه الأثناء اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ورشحوا سعد بن عبادَةَ ليكون خليفة للمسلمين، وحين سمع أبو بكر وعمر بهذا توجهوا إلى السقيفة وأكدوا على أحقية المهاجرين بالخلافة كما تقول المصادر السننية ودار جدال بينهم، في النهاية تم اختيار أبي بكر ليكون خليفة النبي، بعدها توجهوا لبيت علي لأخذ البيعة منه.

يروى بعض المؤرخين أن عليًا كان مقتنعًا بأحقية في الخلافة، واعتقد أن المسلمين سيختاروه في السقيفة، فقال حين وصله نبأ ترشيح الأنصار لسعد بن عبادَةَ: «لو كانت الامامة فيهم، لم تكن الوصية بهم» ثم قال: «فماذا قالت قريش؟» قالوا: «احتجّت بأنّها شجرة الرسول»، فقال: «احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة»، فاجتمع علي وبعض الصحابة المحتجين على خلافة أبي بكر في بيت علي ومنهم طلحة بن عبيد الله، الزبير بن العوام وأمه صفية عمة النبي، ولكن السنة يصححون رواية تقول أنه تقبل الأمر ورضي بخلافة أبي بكر، كما وافقهم في هذا بعض الفقهاء الشيعة أمثال محمد حسين كاشف الغطاء في كتاب أصل الشيعة وأصولها حيث قال أن علي قد بايع وسالم. وتؤكد بعض المصادر أن علي بن أبي طالب احتفظ بدور كبير خلال عهد الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه، وكانوا يستشيروه في الكثير من الأمور.

بينما يؤكد أغلب الشيعة وبعض الباحثين المعاصرين روايات تقول أنه بايع كارها وتنفي بعضها مبايعته لأبي بكر. كما يعتبر علماء الشيعة الكثير من الصحابة مرتدين وخارجين عن الإسلام لرفضهم إمامة

علي وتحاذلهم عن نصرته باستثناء القليل منهم لا يعرف عددهم تحديدا فيقال ثلاثة أو أربعة منهم، وفي روايات أخرى سبعة، ويصل عددهم في بعض الروايات إلى سبعمائة كما تضاربت الروايات حول هويتهم فيذكر منهم الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، والعباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، وخالد بن سعيد بن العاص، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، وأبو ذر الغفاري، والبراء بن عازب، وأبي بن كعب، وهناك روايات في كتب الشيعة تقول أن بني هاشم لم يبايعوا أبا بكر. تقول الروايات الشيعية أن منزل علي تعرض للاقتحام أكثر من مرة وتعرضت زوجته للضرب وكسر ضلعها وإجهاض جنينها المحسن حين عصرها عمر بن الخطاب، وفي بعض الروايات قنذ مولى عمر- بين باب منزلها والحائط، وهدد عمر بن الخطاب -حسب الروايات الشيعية- بحرق البيت فخرج إليه الزبير بن العوام مستلا سيفه لكنه تعثر فأخذوا منه سيفه، بينما تنفي الروايات السنية حصول هذا الأمر، وأن الصحابة كانوا متآلفين، وذكر سليم بن قيس في كتابه أن عليا -حسب وجهة النظر الشيعية- رُبط بالحبال وتكالب عليه الناس أثناء مقاومته لمهاجمي داره وكاد أن يُقتل لولا أن حال بينه وبينهم زوجته فاطمة. على الرغم من ذلك يصحح رجال الدين الشيعة كذلك روايات مفادها أن علي بن أبي طالب التزم بمبدأ التقية مع أنهم يعدون الصحابة مغتصبين لإرث النبوة، ولم يطالب علي بحقه في القصاص لزوجته طوال فترة حكم الخلفاء الثلاثة مما يعتبره السنة موقف لا يليق بعلي بن أبي طالب كما ينكرون حدوث هذا الأمر من الأصل، بينما يقول الشيعة بأنه التزم بوصية أوصاه بها محمد قبل وفاته -حسب الروايات الشيعية وينكرها السنة- جاء فيها: «يا علي ستعذر

بك الأمة من بعدي، فقلت يا رسول الله فما تعهد إلي إذا كان كذلك؟ فقال: إن وجدت أعوانا فانبذ إليهم وجاهدهم. وإن لم تجد أعوانا فكف يدك واحتقن دمك حتى تجد على إقامة الدين وكتاب الله وسنتي أعوانا». فاستنصر علي القوم فلم يجبه غير أربعة أو خمسة، لكن علي قال «ولو كنت في أربعين رجلاً لفرقت جماعتكم»، فبايع كارها متبعا الوصية وحقنًا لدمه؛ وفي رواية أخرى أوردتها اليعقوبي أن أبا سفيان بن حرب بايع عليا، وذهب خالد بن سعيد إلى علي يبايعه قائلا له: «هلم أبايعك، فوالله ما في الناس أحد أولى بمقام محمد منك» فأقبل عليه أربعون رجلا فبايعوه، واعتزلوا في بيت علي، وبلغ أبا بكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب، فأتوا في جماعة واقتحموا البيت واشتبك عمر مع علي -حسب الروايات الشيعية التي ينكرها السنة- إلا أن فاطمة زوجة علي هددتهم قائلة: «والله لتخرجن أو لأكشفن شعري ولأعجنن إلى الله!» فخرجوا وأقام أتباع علي في بيته أياما لكنهم خرجوا واحدا تلو الآخر يبايعون أبا بكر ولم يبق إلا عليا، فبايع بعدها بستة أشهر. بعدها مكث في بيته حتى جمع القرآن، كما أنه اعتزل العمل السياسي وتفرغ لخدمة أهله وزراعة الحدائق والبساتين وحفر الآبار التي تعرف حاليا بآبار علي. وفي رواية أخرى لنفس القصة أن عليا رفض طلب أبي سفيان بن حرب بن أمية أن يبسط يده لئيبايعه ولينصره بالرجال والحيل، وكان جوابه له: «لَطَالَمَا عَادَيْتَ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ يَا أَبَا سُفْيَانَ، فَلَمْ يَصُرْهُ شَيْئًا إِنَّا وَجَدْنَا أَبَا بَكْرٍ لَهَا أَهْلًا».



الأ أن أمال علي بن أبي طالب في توليه للخلافة قد تحطمت بعد اختيار عمر بن الخطاب خليفة للمسلمين بعد أبي بكر رضي الله عنهم جميعا وفي عهد عمان بن عفان كان الوضع في المدينة المنورة مشوبا بالقلق والاعتراضات لذلك فمن الطبيعي أن يعود لعللي وأنصاره التفكير في الخلافة من جديد في هذا الوقت كان قدوم ابن سبأ الى المدينة المنورة وعرف ما فيها من صراعات وجدال أكثره يدور حول منصب الخلافة بعد أن تبين ان حجم معارضة عثمان بن عفان بدأت تزيد وشملت العديد من الأمصار .

ثانيا : أول عمل قام به ابن سبأ بعد اعلان اسلامه أنه مؤيد لحق علي بن ابي طالب في الخلافة بعيد وفاة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام لذلك فراح يعمل كبوقا إعلاميا لتعزيز مكانة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولأنه يهودي الأصل يعلم ما في التوراة من قصص وحكايات أنبياء إسرائيل فبدأ بتشبيه علي بهارون أخو موسى عليه السلام ولم يكفي بذلك بل جعله بمنزلة النبي وهناك أقوال بأنه شبه على بأنه عند الله بمنزلة المسيح عند النصارى ولقد حاول بذلك أضفاء نوع من القدسية على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويقال ان عليا قد أمر مجرقة وفي رواية أخرى بنفيه .

ثالثا : من المدينة المنورة أنتقل الى الكوفة نفيًا أو تكليفا بالمهمة التي كان قد بدأها في المدينة المنورة داعيا المسلمين الى مبايعة علي وهناك في الكوفة شكل خلية جديدة من شيعة علي بن أبي طالب

للمهيد لعلي للقدوم اليها ونقل عاصمة المسلمين من المدينة الى الكوفة كما قال علي رضي الله عنه :  
ان الرجال والأموال في العراق .

يروى الطبري في تاريخه عن يزيد الفقعسي قال: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أمه  
سوداء . فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم .

فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام،  
فأخروه حتى أتى مصر، فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول " لعجبٌ ممن يزعم أن عيسى يرجع،  
ويكذب بأن محمداً يرجع وقد قال الله عز وجل (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) محمد  
أحق بالرجوع من عيسى" .

قال: فقبل ذلك عنه . ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها . ثم قال لهم بعد ذلك إنه كان ألف نبي، ولكن  
نبي وصي، وكان عليّ وصي محمد . ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء . ثم قال بعد  
ذلك: من أظلم ممن لم يُجزِ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتناول أمر الأمة! ثم قال لهم بعد  
ذلك إن عثمان أخذها بغير حق . وهذا وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهضوا في هذا  
الأمر، فحرّكوه، وابدأوا الطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا  
الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر" .

يقول د. الخطيب: "وكان تأويل ابن سبأ لقوله تعالى (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) وقوله: "إني لأعجب ممن يقول برجعة عيسى ولا يقول برجعة محمد" أول تأويل لمعاني القرآن الكريم". ويعتبر الإمام الشهرستاني أنه بظهور الخوارج في زمن علي، وظهور الغلاة في حقه مثل عبد الله بن سبأ وجماعة معه، ابتدأت البدعة والضلالة، وصدق في هذين الفريقين قول النبي صلى الله عليه وسلم "يهلك فيه اثنان: محب غالٍ ومبغضٍ قال".

وهذا التأويل للآية الكريمة السابقة، وضع ابن سبأ المذهب الباطني "بما فيه من قول بالرجعة، والذي نشأ عليه مذهب التناسخ، وقالت به باقي حركات الغلو الأخرى. وهذا يعني أن عبد الله بن سبأ حاول أن يوجد نفس العوامل الشبيهة التي أدت إلى تحريف وتأويل التوراة والإنجيل من قبل على غرار ما فعل فيلون وطائفة القبالية.

فكان نشره لمبدأ الوصاية - بمعنى أن علياً وصي محمد صلى الله عليه وسلم - من جملة هذه العوامل التي أراد أن تتحقق، لذا نجده ينادي بعد ذلك بجلول جزء إلهي في علي وذريته وهو المذهب الذي يرجع إلى المؤثرات اليهودية والمسيحية المأخوذة عن الفلسفة الأفلاطونية".

هكذا استغل ابن سبأ التأويل الباطني ليدخل إلى الإسلام عقائد باطلة مثل الرجعة، والوصية، وأوهية علي، وإنكار موته، وهي العقائد التي تبنتها بعض فرق الشيعة، أما عن تأثر ابن سبأ بالعقائد اليهودية والمسيحية، ومحاوله إدخالها إلى الإسلام .

يقول د. الصلابي في "سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب" (2/4) .

"كانت المدينة المنورة طيلة عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخلفائه الثلاثة من بعده عاصمة الدولة الإسلامية ، ويقام فيها الخليفة ، ويتولى شؤونها بنفسه أثناء وجوده ، أما في حالة السفر فإنه ينوب عليها من يتولى شؤونها ، وقد اختلف الوضع بعد مبايعة علي رضي الله عنه بالخلافة ، إذ دعت الحالة العامة والارتباك الذي حدث بعد مقتل عثمان ، إلى مغادرة المدينة المنورة ، خصوصاً بعد خروج طلحة والزبير وعائشة باتجاه العراق ، قبل موقعة الجمل " .

وقال أيضاً:

" لم يكن الصحابة - رضي الله عنهم - في المدينة يؤيدون خروج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من المدينة ، فقد تبين ذلك حينما هم على النهوض إلى الشام ، ليزور أهلها ، وينظر ما هو رأي معاوية ، وما هو صانع ، فقد كان يرى أن المدينة لم تعد تمتلك المقومات التي تملكها بعض الأمصار في تلك المرحلة ، فقال: إن الرجال والأموال بالعراق ، فلما علم أبو أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - بهذا الميل قال للخليفة : يا أمير المؤمنين ، أقم بهذه البلاد لأنها الدرع الحصينة ، ومهاجرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وبها قبره ومنبره ، ومادة الإسلام ، فإن استقامت لك العرب ، كنت كمن كان ، وإن تشعب عليك قوم ، رميتهم بأعدائهم ، وإن ألبت حينئذ إلى السير : سرت وقد أعذرت

رابعاً : بعد مقتل علي وأبنة الحسين رضي الله عنهما بسبب الصراعات السلطوية في الإسلام ازدادت شيعتهما وخاصة بسبب استشهاد الحسين عليه السلام بين ربه وأنصاره ومقتله بطريقة تقشعر منها الأبدان وتدمي العيون وهو السبط الغالي عند جده رسول الله عليه الصلاة والسلام مع بدايات العصر العباسي بدأ تعمق الفكر الشيعي وانتشاره وكان المحور الوحيد والأساسي له هو أحقية أهل البيت ومظلوميتهم ومن الطبيعي أن تسخر كافة الأدوات والطرق لأثبات هذه الدعوى فأختلقت شيعته الكثير من الأحاديث المروية زورا عن الرسول الكريم والذي تؤكد توريث السلطة الزمنية لعلي ابن ابي طالب ولم يكتفوا بذلك فلجؤوا الى كتاب الله لاستخلاص أدلة منه تثبت مقولتهم والقرآن الكريم خال من أي نص صريح أو ضمني يؤيد ما يدعون فلجأوا الى التأويل وقاموا بتحرف وتجيير الكثير من النصوص القرآنية التي تؤيد ادعاءاتهم ومنها أستعانوا من جديد بأفكار ومقولات ابن سبأ وحديثه عن قدسية علي وعلمه ودرجته ومنزله مدعين أنه الوحيد الذي يعلم الظاهر والباطن ومن بعده آل بيته وتعلق الأمر كله بذرية الحسين وأدعوا ان أولاده هم الأئمة الحاكمون والمعصومون وقد تبلور أثر ذلك مذهب الاثني عشرية والذي أعتبر رائدا لهذه النظرية ومتبنيها الى يومنا هذا .

### **السبئية والشيعية الاثني عشرية**

ظهرت النزعة السبئية التي تضيف صفات الإله على الأئمة واضحة جلية من خلال أحاديث الإثني عشرية، فالأئمة يعلمون ما كان وما يكون ولا يخفى عليهم شيء، ولا يسهون ولا ينسون ولا يخطئون

مطلقاً، إلى آخر قائمة الأوصاف التي يجعلونها للأمة التي هي من خصائص الجبار جل علاه، حتى عقدوا أبواباً في مصادر التلقي المعتمدة لديهم لتأسيس هذا الغلو وضمونها طائفة من أساطيرهم التي نسبوها كذباً وزوراً إلى بعض أئمة آل البيت لترويحاً عند أتباعهم.

شيعة اليوم هم من يطلق عليهم لقب «الشيعة» في عصرنا، وهم الشيعة الإمامية الإثني عشرية، ويدخل فيهم الإسماعيلية الباطنية، ولا يدخل فيهم الزيدية؛ لأنهم لم يأخذوا بمقالات الشيعة الغالية. وإن كان لقب «الشيعة» مختصاً في زماننا بالإثني عشرية، بحيث إذا أطلق لقب «الشيعة» لا ينصرف إلا إليهم، في نظر جمع من الباحثين، إلا أنهم يلقبون بألقاب أخرى تختلف باختلاف العصور والبلدان، فلهم - كما يقول الشهرستاني -: «دعوة في كل زمان، ومقالة جديدة بكل لسان».

أما السبئية فلم يعد لها وجود في عصرنا، فقد توارت عن الأنظار، وباتت في نظر جمع من الباحثين في المقالات والفرق من الطوائف المنقرضة والفرق المندثرة.

لكن الحقيقة الغائبة لدى الكثيرين أن السبئية وإن انقرضت واندثرت باعتبارها علماً على طائفة بعينها إلا أن عقائدها لم تنقرض ولم تندثر، وإنما بقيت عقائدها حية تنبض، حيث تبنت الشيعة الإثني عشرية المعتقدات السبئية الغالية، وتلقفت آراءها، وورثت غلوها، فالإثني عشرية في حقيقة الأمر هي السبئية، حتى يقال إن «السبئية» الاسم الأقدم، و«الإثني عشرية» الاسم الأحدث لحقيقة واحدة.

ومما ينبغي أن يلحظ أن ربط التشيع بالسببية هو في التشيع المتضمن لهذه الأصول الغالية، أما «التشيع المتوسط والذي مضمونه تفضيل علي رضي الله عنه وتقديمه على غيره ونحو ذلك، فلم يكن هذا من إحداث الزنادقة، بخلاف دعوى النص والعصمة فإن الذي ابتدع ذلك كان منافقاً زنديقاً».

ووكما رأينا في مبحث موسع عنه ان عبد الله بن سبأ هو رأس الطائفة السببية التي كانت تقول بالوهية علي رضي الله عنه، كما تقول برجعته، وتطعن في الصحابة، وكان يهودياً يتظاهر بالإسلام، رحل لنشر فتنه إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة، ودخل دمشق في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر وجهر ببدعته.

وقد تكاثر ذكر أخبار فتنه وشذوذه وسعيه في التآمر هو وطائفته في كتب الفرق والرجال والتاريخ وغيرها من مصادر السنة والشيعية جميعاً.

وأكد طائفة من الباحثين القدماء والمعاصرين أن ابن سبأ هو أساس المذهب الشيعي والحجر الأول في بنائه، فابن تيمية يرى أن ابن سبأ أول من أحدث القول بالعصمة لعلي رضي الله عنه، وبالنص عليه في الخلافة، وأنه أراد إفساد دين الإسلام، كما أفسد بولس دين النصارى، وكذا ابن المرتضى، ويرى أبو زهرة أن عبد الله بن سبأ هو الطاغوت الأكبر الذي كان على رأس الطوائف الناقمين على الإسلام الذين يكيدون لأهله، وأنه قال برجعة علي، وأنه وصي محمد صلى الله عليه وسلم، ودعا إلى ذلك، وذكر أبو زهرة أن فتنه ابن سبأ وزمرته كانت من أعظم الفتن التي نبت في ظلها المذهب الشيعي، ويرى

سعید الأفغانی أن ابن سبأ أحد أبطال جمعية سرية (تلمودية) غايتها تقويض الدولة الإسلامية، وأنها تعمل لحساب دولة الروم.

وأخطر العقائد التي ورثها شيعة اليوم عن سبئية الأمس تأليه علي رضي الله عنه ووصفه بأوصاف لا يوصف بها إلا رب العالمين. تقول روايتهم: «عن سماعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبدالله - عليه السلام - فأرعدت السماء وأبرقت، فقال أبو عبدالله - عليه السلام - : أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم، قلت: من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين - عليه السلام -». يعني كل ما وقع من رعد وبرق فهو من أمر علي، لا من أمر الواحد القهار.

فماذا يستنبط المسلم المنصف من هذه الرواية، والله جل شأنه يقول: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد: 12]؟ أليست هذه هي السبئية قد أطلت برأسها المشوه من خلال كتب الإثني عشرية؟ أليس هذا ادعاء لربوبية علي رضي الله عنه، أو أن له شركاً في الربوبية؟

جاء في بعض روايات كتاب «سليم بن قيس» مخاطبة علي بهذه الألقاب: «يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن، يا من هو بكل شيء عليم»، ويقول: «إن هذا الوصف صدر من الشمس لعلي وأنه سمعه أبو بكر وعمر والمهاجرون والأنصار فصعقوا ثم أفاقوا بعد ساعات»، وهذه الأوصاف هي آثار السبئية التي توله علياً، والتي ورثها الإثني عشرية، وأبقت عقائدها في مصادرها، ونسبتها لآل البيت، فأزرت



على الآل بهذا وأمثاله، وهي تدعي التشيع لهم، وهذه أوصاف لرب العالمين، قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ  
وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وهذه العقائد السبئية التي تذهب إلى القول بألوهية علي رضي الله عنه، وهذا الأثر السام لا يزال ينخر  
في كيان الإثنى عشرية، ولا يزال إلى اليوم بعض شيوخ هذه الطائفة يصرح ويجاهر بهذه المقالة، فهذا  
أحد شيوخهم ويدعى عبدالحسين العاملي (أحد آياتهم التي ينسبونها - زورًا - إلى الله سبحانه)،  
يقول هذا العاملي في مدح أمير المؤمنين علي - برأه الله مما يفترون -:

أبا حسن أنت عين الإله

وعنوان قدرته السامية

وأنت المحيط يعلم الغيوب

فهل عندك تعزب من خافية

وأنت مدير رحي الكائنات

وعلة إيجادها الباقية

لك الأمر إن شئت تنجي غدًا

ولن شئت تسفع بالناصية

انظر كيف جعل مخلوقاً من مخلوقات الله هو الإله بعينه، والمتصف بما للرب من تدبير وإحياء وإماتة، فهو مدبر أمر الكائنات وعلّة إيجادها ومظهر القدرة الإلهية، وهو المحيط بعلم الغيب، بل هو مالك يوم الدين، إذ له الأمر في ذلك اليوم، ونجاة العباد، وهلاكهم بمشيئته؟ .

ومن المؤكد ان نشأة الفكر الباطني في الإسلام كانت لمقتضيات الصراع السلطوي التي عقب وفاة الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام وما تفرع عنه من انقسامات و فرق كان أولها ( شيعة علي ) وهي التي جاهدت منذ البدايات على التمسك بمقولة أحقية علي بن ابي طالب رضي الله عنه بالخلافة ومنذ تلك اللحظة وبناء على هذه المقولة ظهرت فلسفة الباطن في الاسلام فمن هم اوائل من تشيع لعلي ومن هم الشيعة ؟

## الشيعة المعاصرة

### المبحث الأول

تعريف الشيعة لغة واصطلاحاً

الشيعة ، والتشييع ، والمشايعة في اللغة تدور حول معنى: المتابعة، والمناصرة، والموافقة بالرأي، والاجتماع على الأمر، أو الممالة عليه .

يقول ابن منظور : (والشيعة أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شِيعٌ، وأشياح جمع الجمع . وأصل الشيعة: الفرقة من الناس، ويقع على الواحد والاثنتين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ، ومعنى واحد، وقد غلب هذا الاسم على من يتولى علياً وأهل بيته، حتى صار لهم اسماً خاصاً، فإذا قيل: فلان من الشيعة عرف أنه منهم، وفي مذهب الشيعة كذا أي: عندهم، وأصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة) .

ويقول ابن فارس عند مادة شييع : (الشين والياء والعين أصلان : يدل أحدهما على معاضدة ومساعدة ، والآخر على بث وإشادة . يقال للشجاع : المشييع ، كأنه لقوته قد قوي وشييع بغيره . والمشييع هو الذي يساعد الآخر ويقارنه ، والشيعة الأعوان والأنصار .

وأما الآخر ؛ فقولهم : شاع الحديث إذا ذاع وانتشر )

وقد وردت مادة شييع في كتاب الله العظيم في اثني عشر موضعاً ، قد أجمل ابن الجوزي رحمه الله معانيها بقوله: (وذكر أهل التفسير أن الشييع في القرآن على أربعة أوجه :

أحدها: الفرق، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا

أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿ [الأنعام : 159]

﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الحجر : 10]

والثاني: الأهل والنسب، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شَيْعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ [القصص : 15]

والثالث: أهل الملة، ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴾

[مریم : 69]

﴿ وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴾ [الصافات : 83]

والرابع: الأهواء المختلفة، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾

[الأنعام : 65]

### التشيع اصطلاحا

لم يتفق أهل العلم على اصطلاح واحد للتشيع ، بل لهم في ذلك أقوال عدة ؛ سيما إذا عرف أن

المخالف في كثير من تلك الأقوال من ينتسب للتشيع نفسه ، فمن أشهر ما جاء في ذلك :

I- أنه اسم غلب على كل من يتولى علياً رضي الله عنه وأهل بيته حتى صار اسماً لهم خاصة ومن ذهب لهذا القول طائفة من أهل اللغة منهم ابن منظور والفيروزبادي والزبيدي وجنح له ابن خلدون في مقدمته كما أنه قول طائفة من الشيعة الاثني عشرية ؛ منهم القمي في مقالاته ، والنوختي في فرق الشيعة ؛ غير أنهم حددوا زمنه بعهد رسول الله عليه الصلاة والسلام .

2- من يقول بأن : الشيعة هم الذين فضلوا علياً على عثمان رضي الله عنهما حتى يقال : فلان عثماني ، وفلان شيعة لعلي .

وهذا التعريف مبني على ما كان متعارفاً عليه عند الأوائل من أهل السنة ، فالتشيع في العصر الأول غير التشيع فيما بعده ، ولهذا كان في الصدر الأول لا يسمى شيعياً إلا من قدم علياً على عثمان .  
ولذلك قيل : شيعي وعثماني ، فالشيعي من قدم علياً على عثمان ، والعثماني : من قدم عثمان على علي رضي الله عن الجميع .

فعلى هذا يكون التعريف للشيعة في الصدر الأول: أنهم الذين يقدمون علياً على عثمان فقط . وليس هذا خاصاً بالشيعة بل انتسب إلى هذا التشيع طائفة من أهل السنة .

ولهذا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن: الشيعة الأولى كانوا على عهد علي كانوا يفضلون أبا بكر وعمر .

وقد منع شريك بن عبد الله - وهو ممن يوصف بالتشيع - إطلاق اسم التشيع على من يفضل علياً على أبي بكر وعمر؛ وذلك لمخالفته لما تواتر عن علي في ذلك، والتشيع يعني المناصرة والمتابعة لا المخالفة والمنازعة.

3- من يقول بأن الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية؛ إما جليلاً وإما خفياً. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده. وأن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو تقية من عنده.

وهذا التعريف بهذا الإطلاق يخرج الشيعة الزيدية الذين يرون صحة إمامة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

4- ما ذهب إليه ابن حزم رحمه الله حيث قال: (ومن وافق الشيعة في أن علياً - رضي الله عنه - أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعياً)

وهذا التعريف شبيه بما ذهب إليه الأشعري في المقالات إذ يقول: (إنما قيل لهم: الشيعة، لأنهم شايعوا علياً - رضوان الله عليه - ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم)

وهو كما هو ظاهر يخرج الشيعة الأوائل الذين كانوا على مذهب السلف.

وهذا القول صرح به شيخ الشيعة وعالمها في زمنه المفيد حيث قال: ( لفظ الشيعة يطلق على أتباع أمير المؤمنين صلوات الله عليه، على سبيل الولاء والاعتقاد لإمامته بعد الرسول صلوات الله عليه وآله بلا فصل، ونفي الإمامة عن تقدمه في مقام الخلافة، وجعله في الاعتقاد متبوعاً لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء) .

ولعل التعريف المختار هو القول بأن التشيع مرتبط أساساً بأطوار الشيعة ونشأتهم، ومراحل التطور العقدي عندهم، ذلك أن الملحوظ أن عقائد الشيعة وأفكارها لم تنزل في تغير وتطور مستمر؛ فالتشيع في العصر الأول غير التشيع فيما بعده ، وقد مر معنا قول الليث بن أبي سليم ؛ في أن الشيعة الأوائل ما يفضلون على أبي بكر وعمر أحداً ، وقول أبي إسحاق السبيعي رحمه الله في تغير أطوار التشيع ، و أنه كان عند الأوائل ؛ لا يعدو عن تقديم عليّ على عثمان في التفضيل دون أبي بكر وعمر . فمبدأ التشيع تغير ، وأصبحت الشيعة شيعاً ، حتى صار قناعاً يتستر به كل من أراد الكيد للإسلام والمسلمين .

ومن هنا فالتشيع في زمن السلف مفهوم وتعريف غير المفهوم والتعريف المتأخر للشيعة . فالشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم : هو من تكلم في عثمان والزبير، وطلحة، ومعاوية، وطائفة ممن حارب علياً - رضي الله عنه - وتعرض لسبهم والغالي في زمننا وعُرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة، ويتبرأ من الشيخين فهذا ضال مفتر وعليه فالتشيع درجات، وأطوار، ومراحل، كما أنه فرق وطوائف ،

## المبحث الثاني

### نشأة التشيع وبدايته

( لحة تاريخية عن نشأة التشيع وأطواره )

إن الشيعة بأصولها ومعتقداتها لم تولد فجأة، بل مرّت بمراحل كثيرة ونشأت شيئاً فشيئاً . وانقسمت  
حيال ذلك إلى فرق كثيرة .

ولا شك أن المتبع التاريخي والفكري للمراحل والأطوار التي مرّ بها التشيع يلحظ ذلك جلياً .

ولعل من المناسب في هذا الباب الأخذ بآراء أصحاب الشأن فيما يخصهم أولاً ، ومن ثم نخرج بذكر  
أقوال مخالفينهم ، وبيان مدى ارتباط الأقوال بعضها ، وتقدها نقداً علمياً معطوفاً بالقول المختار  
المستند على

الدليل ، ومن هنا فسأستعرض آراء الشيعة في التشيع ، وأعقب بأقوال مخالفينهم ، ثم نختم المبحث  
بالرأي الذي نراه أقرب إلى الصواب فأقول أولاً .

### رأي الشيعة في نشأة التشيع

الرأي الأول : أن التشيع قديم ولد قبل رسالة النبي عليه الصلاة والسلام ، وأنه ما من نبي إلا وقد  
عُرِضَ عليه الإيمان بولاية علي .



وقد نحا هذا المنحى طائفة من أعلام الإمامية ووضعوها في ذلك كثيرا من الأساطير غدت عند متأخريهم من ضروريات مذهبهم ، حتى عدَّ بعضهم بأن رواياتهم التي تقول: بأن الله حين خلق الخلق أخذ الميثاق على الأنبياء في ولاية علي وآل بيته تزيد على ألف حديث .

ولم تكف مبالغات الشيعة بهذا القول فحسب ، بل قالت: بأن الله عز وجل عرض ولاية آل البيت على السماوات والأرض والجبال والأمصار ، وأن كل نبي أمر بالدعوة إلى ولاية علي رضي الله عنه ، بل عُرضت الولاية على جميع الأشياء فما قبل صلح، وما لم يقبل فسد .

التقد : ولاشك في فساد هذا القول وبعده عن النهج الشرعي المبني على الكتاب والسنة فضلا عن مخالفته لإجماع المسلمين ؛

فآيات الكتاب العزيز خلو من هذه المزاعم ، وقد كانت دعوة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - إلى توحيد الله لا إلى ولاية علي فضلا عن الأئمة فكل رسل الله وأنبيائه كانوا يدعون أقوامهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له .

وإذا كانت مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ، فلماذا خلا القرآن الكريم منها ، وهو المهيم على الكتب كلها ، والمحفوظ من رب العزة جل في علاه؟! .

يقول ابن تيمية في هذا الصدد : (وهذه كتب الأنبياء التي أخرج الناس ما فيها من ذكر النبي عليه الصلاة والسلام ليس في شيء منها ذكر عليؑ، وهؤلاء الذين أسلموا من أهل الكتاب لم يذكر أحد منهم أن ذكر عليؑ عندهم، فكيف يجوز أن يقال: إن كلاً من الأنبياء بعثوا بالإقرار بولاية عليؑ، ولم يذكروا ذلك لأئمتهم، ولا نقله أحد منهم ؟).

وقد أجمع المسلمون على أن الرجل لو آمن بالنبي عليه الصلاة والسلام وأطاعه، ومات في حياته قبل أن يعلم أن الله خلق أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً لم يضره ذلك شيئاً، ولم يمنعه من دخول الجنة. فإذا كان هذا في أمة محمد عليه الصلاة والسلام، فكيف يقال: إن الأنبياء يجب عليهم الإيمان بواحد من الصحابة.

الرأي الثاني: من يرى أن الرسول عليه الصلاة والسلام هو الذي وضع بذرة التشيع، وأن الشيعة ظهرت في عصره، وأن هناك بعض الصحابة الذين يتشيعون لعليؑ، ويوالونه في زمنه.

يقول القمي : (أول الفرق الشيعة، وهي فرقة علي بن أبي طالب المسمون شيعة علي في زمان النبي

صلى الله عليه وسلم وبعده، معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته، منهم المقداد بن الأسود

الكندي، وسلمان الفارسي، وأبو ذر جندب بن جنادة الغفاري وعمار بن ياسر، وهم أول من تشيع

من هذه الأمة) ويشاركه في هذا الرأي النونجي.

ويقول محمد حسين آل كاشف الغطا : ( إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو نفس

صاحب الشريعة ؛ أي أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام جنباً إلى جنب، وسواء بسواء، ولم

يزل غارسها يتعاهدا بالسقي والري حتى نمت وازدهرت في حياته، ثم أثمرت بعد وفاته).

وقد قال بهذا الرأي طائفة من الشيعة المعاصرين .

النقد : لعل السبب الذي دفع إلى تعزيز هذا القول عند من يقول به هو أن بعض علماء المسلمين أرجع

التشيع في نشأته وجذوره إلى أصول أجنبية- كما سيأتي - فقام الشيعة بمحاولة إعطاء التشيع صبغة

الشرعية، والرد على دعوى خصومهم في أن التشيع يرجع إلى أصل أجنبي، فادعوا هذه الدعوى،

وحاولوا تأييدها وإثباتها بكل وسيلة؛ فوضعوا روايات كثيرة في ذلك ونسبوا إلى رسول الله ،

وزعموا أنها رويت من طرق أهل السنة، وهي روايات (لا يعرفها جهاذة السنة ولا نقلة الشريعة، بل

أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه، أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة).

- وما يبين ضعف هذا الرأي أيضاً أنه لا أصل له في الكتاب والسنة، وليس له سند تاريخي ثابت

أيضاً .

- ومن الحقائق التاريخية المتواترة التي تكشف خطأ هذا الرأي ،وبعده عن الحقيقة ؛ أن التشيع لم يكن

له وجود زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهم . يقول ابن تيمية: (ففي خلافة أبي بكر وعمر لم يكن

أحد يسمى من الشيعة، ولا تضاف الشيعة إلى أحد).

وقد اعترف آيتهم محمد حسين آل كاشف الغطاء بذلك فقال: ( ولم يكن للشيعة والتشيع يومئذ -أي في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما- مجال للظهور؛ لأن الإسلام كان يجري على مناهجه القويمية... ).

وقال آخر: ( إن لفظ الشيعة قد أهمل بعد أن تمت الخلافة لأبي بكر، وصار المسلمون فرقة واحدة إلى أواخر أيام الخليفة الثالث ) .

ومما يبين بطلان هذا القول زعم هؤلاء أن الشيعة كانت تتألف من عمار، وأبي ذر، والمقداد، ومع ذلك لم يقل أحد من هؤلاء بعقيدة من عقائد الشيعة كدعوى النص، أو تكفير الشيخين: أبي بكر وعمر أو أكثر الصحابة، أو أظهروا البراءة والسب لهم، أو حتى كراهيتهم. مما يبين أن كل ما قاله الشيعة من دعاوى ملأوا بها كتبهم في هذا لا يعدو أن يكون وهماً نسجته خيالاتهم .

وقد بين موسى جار الله أن في هذه المقالة من الشيعة مغالطة فاحشة خرجت عن حدود كل أدب، و فيها افتراء على النبي عليه الصلاة والسلام ولعب بالكلمات، ويستنكر مقولتهم: (إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة)، فيقول: (أي حبة بذر النبي عليه الصلاة والسلام حتى أنبتت سنابل اللعن والتكفير للصحابة وخير الأمة، وسنابل الاعتقاد بأن القرآن محرف بأيدي منافقي الصحابة، وأن وفاق الأمة ضلال، وأن الرشاد في خلافها، حتى توارت العقيدة الحققة في لجج من ضلال الشيعة جم). .

الرأي الثالث: يجعل تاريخ ظهور الشيعة يوم الجمل .

قال ابن النديم: (إن علياً قصد طلحة والزبير ليقاتلها حتى يفياً إلى أمر الله جل اسمه، فسمى من اتبعه على ذلك الشيعة، فكان يقول: شيعتي، وسماهم - عليه السلام - الأصفياء الأولياء، شرطة الخميس، الأصحاب) .

وهذا القول كسابقه إذ لم يكن من ناصر علياً يومئذ يعتقد بشيء مما تقول به الشيعة .

### آراء غير الشيعة في نشأة التشيع

القول الأول: أن التشيع ظهر بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام حيث وجد من يرى أحقية عليّ - رضي الله عنه - بالإمامة . وهذا الرأي قال به طائفة من القدامى والمعاصرين، منهم ابن خلدون، وأحمد أمين؛ وهو مبني على ما نقله البعض من وجود رأي يقول بأحقية قرابة رسول الله بالخلافة بعده .

النقد: لا شك أنه إذا وجد من يرى أحقية عليّ بالإمامة، وأن الإمامة ينبغي أن تكون في القرابة، فقد وجد رأي يقول باستخلاف سعد بن عباد، وأن الإمامة ينبغي أن تكون في الأنصار .

القول الثاني: من يقول بأن التشيع بدأ بمقتل عثمان - رضي الله عنه .

حيث بدأ غرس هذه البذرة عبد الله بن سبأ اليهودي الذي بدأ حركته في أواخر عهد عثمان، وقد أكد طائفة من الباحثين القدماء والمعاصرين على أن ابن سبأ هو أساس المذهب الشيعي والحجر الأول في بنائه وقد تواتر ذكر ذلك في كتب السنة والشيعية على حد سواء .

كما اتفقوا على اعتباره حقيقة واقعية، وشخصية تاريخية ، فهذا سعد بن عبد الله القمي شيخ الطائفة وفقهها يقر بوجود ابن سبأ ، وأنه أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم، وادعى أن علياً - رضي الله عنه - أمره بذلك ، فأمر عليّ بقتله ثم ترك ذلك ، واكتفى بنفيه إلى المدائن .

ويميل شيخهم النوبختي إلى قول القمي حتى وافقه في الألفاظ نفسها، وقد نقل الكشي لعن الأئمة لابن سبأ، وقال: إنه كان يكذب على علي .

وذكر أيضاً عن أهل العلم: (أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ، ووالى علياً، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بالغلوة، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله ﷺ في علي مثل ذلك، وكان أول من أشهر القول بفرض إمامة علي ، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وأكفرهم، فمن ها هنا قال من خالف الشيعة: أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية) .

فابن سبأ حينئذ باعتراف كتب الشيعة؛ هو أول من قال بالوصية لعلي، ورجعته، وطعن في الخلفاء الثلاثة والصحابة. وهي آراء وعقائد أصبحت فيما بعد من أصول المذهب الإمامي؛ إذ صيغت على شكل روايات وأحاديث نسبت لآل البيت زوراً وبهتاناً، حتى وجدت القبول لدى أتباعهم.

القول الثالث: يقول بأن منشأ التشيع كان سنة 37هـ، ومن أشهر القائلين بهذا الرأي صاحب مختصر التحفة الاثني عشرية.

ولكن هذا الرأي لا يعني بداية الأصول الشيعية؛ حيث إننا لا نجد في أحداث هذه السنة من نادى بالوصية، أو قال بالرجعة، أو دعا إلى أصل من أصول الشيعة المعروفة، كما أن أنصار الإمام علي لا يمكن أن يقال: بأنهم على مذهب الشيعة، أو حتى على أصل من أصولها.

القول الرابع: من يقول بأن التشيع ولد إثر مقتل الحسين. وهو قول

شترومان حيث قال: (إن دم الحسين يعتبر البذرة الأولى للتشيع كعقيدة).

### الرأي المختار

بعد عرض معظم الآراء في نشأة التشيع، يظهر أن الشيعة كفكر وعقيدة لم تولد فجأة، بل إنها أخذت طوراً زمنياً، ومرت بمراحل. بيد أن طلائع العقيدة الشيعية وأصل أصولها ظهرت على يد السبئية

باعتراف كتب الشيعة التي قالت: بأن ابن سبأ أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي، والقول بوصيته

نصا والقول بالرجعة وأنه أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان خلفاء رسول الله x - رضي الله عنهم - فضلا عن غيرهم من الصحاب ، وهي بذاتها أصول الإمامية . وقد ثبت عند أهل السنة بأن هذه العقائد ظهرت زمن عليّ ، فقد قيل له رضي الله عنه : هل عندكم شيء مما ليس في القرآن وما ليس عند الناس ؟ فنفي ذلك .

وثبت أيضا أنه قال: ( لايفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد المفترى) .

ثم استفحلت الأحداث حتى هيأت جواً مناسباً لظهور هاتيك العقائد المبتدعة، كمعركة صفين، وما أعقبها من حادثة التحكيم ، ومقتل عليّ، ثم مقتل الحسين .

وكل هذه الأحداث دفعت القلوب والعواطف إلى التشيع لآل البيت، فتسلل الفكر السبائي ، حتى صار التشيع وسيلة لكل من أراد هدم الإسلام من ملحد ومناق وطاغوت .

وبقي ابن سبأ بعد مقتل علي رضي الله عنه في محاولة هدم الإسلام فلم يعترف بمقتله ؛ بل اعتبر ذلك غيبة سيغيبها ثم يرجع ، فوضع بذلك فكرة الرجعة ، وقال للذي جاء بنجر مقتله : كذبت لو جئنا بدماعه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلا لعلمنا أنه لم يقتل ، ولا يموت حتى يملك الأرض ويملاها عدلا كما ملئت جورا . ولم يكف بهذا الزعم بل قال بالحلول وأنه الله وأنه سيجيء بالسحاب ، وأن الرعد صوته ، والبرق سوطه أو تبسمه ، وسينزل بعد ذلك إلى الأرض فيملاها عدلا .



ثم استمر تلامذة ابن سبأ من بعده في بث مبادئه , وتوالت على الأمة بزوغ فرق التشيع ؛ حتى خرجت الباطنية بفرقها وسواتها التي جنت على الإسلام وأهله العظام .

ومن هنا يمكن القول بأن التشيع لم يكن مذهبا واحدا , بل إنه اتخذ أطوارا مختلفة، ومر بمراحل عديدة , فقد كان لكل عصر نوع من التشيع , ولكل طائفة لون من التشيع . فقد وجد المعاصرون لعلي الذين أبرزوا فضائله وكفاءته , كما ظهر في عهده أيضاً من فضله على عثمان فقط , وظهر بعد ذلك الرافضة الذين رفضوا ولايتي أبي بكر وعمر , ثم ظهر الغلاة الذين كفروا الصحابة . وقد ذكر الذهبي أن الشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من يتكلم في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية وطائفة ممن حارب عليا رضي الله عنه وتعرض لسبهم , والغالي في زمننا وعرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين .

لقد ذكرنا في مدخل هذا الكتاب ان خير من يمثل العقل الباطني في الاسلام هم الشيعة كما رأينا وفي عصرنا هذا فإن الفرقة الشيعية التي لازالت قائمة الى اليوم وهي تنمص الفكر الباطني وفلسفته هي الطائفة الاثني عشرية أو الأمامية وهي تمثل تسعون بالمئة من شيعة وقتنا الحالي ولا بد لنا أن نسلط الضوء على هذه الطائفة لنثبت عن مائة نهجها الباطني وتمسكه به لتحقيق طموحات عرقية وسياسية تحارب الاسلام والشريعة حقيقة وفعلا وتدعي الانتساب اليه تقية ونفاقا وزورا وبهتاناً .

## الشيعة الاثني عشرية

### المطلب الأول

#### ألقاب الشيعة الاثني عشرية

من الألقاب التي يطلقها بعض كتاب الفرق والمقالات وغيرهم على الاثني عشرية ما يلي:

I- الشيعة:

لقب الشيعة في الأصل يطلق على فرق الشيعة كلها، ولكن هذا المصطلح اليوم إذا أطلق - في نظر جمع من الشيعة وغيرهم - لا ينصرف إلا إلى طائفة الاثني عشرية. وممن قال بهذا الرأي: شترومان ، والنوري الطبرسي وغيرهم. يقول كاشف الغطا: (يختص اسم الشيعة اليوم على إطلاقه بالإمامية) وهو يعني بالإمامية الاثني عشرية، كما يدل عليه ما بعد هذه الجملة، ويقول محمد حسين العاملي: (بما أن الزيدية اليوم ومثلهم الإسماعيلية لا يعرفون إلا بهذين الانتسابين، وبما أن الفطحية والواقفية لا وجود لها في هذا العصر، انحصر اسم الشيعة بالإمامية الاثني عشرية).

وهذا القول مع شهرته هو الأقرب، لا لأن الاثني عشرية يمثلون القاعدة الكبيرة من بين الفرق الشيعية فحسب، بل لسبب آخر وهو أن مصادر الاثني عشرية في الحديث والرواية قد استوعبت معظم آراء

الفرق الشيعية التي خرجت في فترات التاريخ المختلفة إن لم يكن كلها - كما سلف -، فأصبحت هذه الطائفة هي الوجه المعبر عن الفرق الشيعية الأخرى.

## 2- الإمامية:

وهذا اللقب عند كثير من أصحاب الفرق والمقالات يطلق على مجموعة من الفرق الشيعية، ولكن تخصص فيما بعد عند جمع من المؤلفين وغيرهم بالاثني عشرية، ولعل من أول من ذهب إلى ذلك شيخ الاثني عشرية في زمنه المفيد في كتابه أوائل المقالات، وأشار السمعاني إلى أن ذلك هو المعروف في عصره فقال: (وعلى هذه الطائفة - يشير إلى الاثني عشرية - يطلق الآن الإمامية). وقال ابن خلدون: (وأما الاثنا عشرية فربما خصوا باسم الإمامية عند المتأخرين منهم). وأشار صاحب مختصر التحفة الاثني عشرية إلى أن الاثني عشرية؛ هي المتبادرة عند إطلاق لفظ الإمامية. ويقول الكوثري: (والمعروف أن الإمامية هم: الاثنا عشرية).

وسموا بذلك لقولهم بوجوب الإمامة، والعصمة، ووجوب النص، وكل من قال بهذه فهو إمامي مجد تعبير المفيد.

وكتب الفرق والمقالات تجعل لقب الإمامية ؛ أعم من ذلك وأشمل، فالشهرستاني والأشعري مثلاً يريان ( أن الإمامية : هم القائلون بإمامة علي - رضي الله عنه - نصاً ظاهراً، وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف، بل إشارة إليه بالعين) .

ومنهم من قال بأن التسمية جاءت لأنهم يزعمون أن الدنيا لا تخلو من إمام، إما ظاهراً مكشوفاً، وإما باطناً موصوفاً. ومنهم من يرى أنها سميت (بذلك لجعلها أمور الدين كلها للإمام، وأنه كالنبي، ولا يخلو وقت من إمام يُحتاج إليه في أمر الدين والدنيا) .

وقد ذكر ابن أبي الحديد أن مقالة الإمامية - فضلاً عن لقبها - لم تشتهر إلا متأخرة. يقول ابن أبي الحديد: (لم تكن مقالة الإمامية ومن نحا نحوهم من الطاعنين في إمامة السلف مشهورة حينئذ (يعني في العصر الأموي) على هذا النحو من الاشتهار) .

3- الاثنا عشرية:

لقب اشتهروا به لدعواهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر من نسبه إلى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه

والاثنا عشرية كما يقول محمد جواد مغنية : (نعت يطلق على الشيعة الإمامية القائلة باثني عشر إماماً تعينهم بأسمائهم) وظهور هذا الاسم كان بلا شك بعد ميلاد فكرة الأئمة الاثني عشر، والتي حدثت

بعد وفاة الحسن العسكري سنة 260هـ أو قبلها بقليل ، إذ قبل وفاة الحسن لم يكن أحد يقول بإمامة المنتظر إمامهم الثاني عشر، ولا عرف من زمن علي ودولة بني أمية أحد ادعى إمامة الاثني عشر.

4- القطعية: وهو من ألقب الاثني عشرية عند طائفة من أصحاب الفرق، كالأشعري والشهرستاني وغيرهم، ومنهم من يعتبر القطعية: فرقة من فرق الإمامية وليس من ألقب الاثني عشرية.

5- أصحاب الانتظار:

وهو لقب أطلقه عليهم الرازي؛ لأنهم يقولون: بأن الإمام بعد الحسن العسكري ولده محمد المهدي المنتظر الغائب المزعوم.

والانتظار للإمام مما يشترك في القول به جمع من فرق الشيعة على اختلاف بينهم في تعيينه، ولا يختص به طائفة الاثني عشرية.

6- الرافضة:

ذهب جمع من العلماء إلى إطلاق اسم الرافضة على الاثني عشرية كالأشعري وابن حزم. وهم إنما سموا بذلك لرفضهم القرآن والسنة والصحابة بل رفضوا الشريعة وغير ذلك- كما سيظهر جليا في ثنايا

مباحث الرسالة

ولم تنكر هذا اللقب كذب الاثني عشرية أيضا ، فقد أورد شيخهم المجلسي في البحار أربعة أحاديث من أحاديثهم في مدح التسمية بالرافضة وعنون له باب فضل الرافضة ومدح والتسمية بها .

وسبب التسمية كما يقول أبو الحسن الأشعري: ( وإنما سمو رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر) .  
وقد تعقبه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: ( الصحيح أنهم سمو رافضة لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لما خرج بالكوفة) .

ولا معارضة بين القولين لأنهم ما رفضوا زيدا إلا لما أظهر مقاله في الشيخين ، ومذهبه في خلافتها (3) .  
فالقول بأنهم سمو رافضة لرفضهم زيدا ، أو لرفضهم مذهبهم ومقالته ؛ مؤداهما واحد ، غير أن أحدهما راعى التاريخ والآخر السبب .

7- الجعفرية: نسبة إلى جعفر الصادق إمامهم السادس ، وهو من باب التسمية للعام باسم الخاص .  
وقد ذكرت مصادر الإمامية أن اسم الجعفرية كان شائعاً في زمن جعفر ، وأن جعفر لا يرضى به .

8- الخاصة:

وهو لقب يطلقه شيوخ الشيعة على طائفتهم ، في مقابلة تسمية أهل السنة والجماعة بالعامية .

وقد جاء في دائرة المعارف الشيعية ما نصه: (الخاصة في اصطلاح بعض أهل الدراية: الإمامية الاثنا عشرية، والعامية: أهل السنة والجماعة) .

## المطلب الثاني

### فرق الاثني عشرية

الاثنا عشرية امتداد للشيعة الإمامية (بمعناها العام) ، وفصيلة من فصائلها . بل فرقة واحدة من خمس عشرة فرقة انقسمت إليها الشيعة بعد وفاة الحسن العسكري ، ومع هذا الامتداد (نجد الاثني عشرية منقسمة أيضاً إلى:

- أصولية

- وأخبارية

- وشيخية أو الأحمدية

- وكشفية - وركنية.

- وكريمخانية.

- وقزلباشية.

وكلها داخلة في المجموعة الاثني عشرية وأصولها مبثوثة في كتب الاثني عشرية، وهي بعد هذا يكفر بعضها بعضاً).

وزاد بعض الباحثين من الشيعة أسماء أخرى غير هذه ، ولا يبعد أن تظهر فرق أخرى غيرها ، لا سيما وأن نصوص الاثني عشرية التي تنسبها للأئمة ، وتروىها كتبهم ، تحمل في ثناياها بذور نحل مختلفة ، وأهواء متباينة . يجد فيها كل صاحب هوى وغلو وبدعة بغيته ومرامه ، مع اتساع العمل بالتقية، وكثرة الكذب والافتراء على الأئمة، وانضواء الملحددين والمتآمريين في صفوفهم، وعجز شيوخهم عن تنقية ما علق بالمذهب عبر القرون، انضاف إلى ذلك فقدان الموازين الصحيحة الثابتة لتمحيص الروايات وتحقيقتها .

وأما الحديث المفصل عن كل فرقة بذاتها فهذا موضوع يطول الحديث فيه، ولا يدخل في صلب موضوعنا . غير أن الحديث عن الأصولية التي هي أساس المذهب الاثني عشري، وتمثل الأكثرية فيه، ويقابلها الإخبارية- وإن كانت أقل منها- قد يكون له حظ من الشأن بهذا الاعتبار ، لا سيما إذا انضاف إلى ذلك أن الخلاف الأصولي الأخباري يمثل خلافاً في بنية المذهب الاثني عشري، فهو خلاف بين رجال الشيعة الذين جمعوا تراث المذهب الاثني عشري ونقلوه .

فالأخباريون يمتنعون الاجتهاد، ويعملون بأخبارهم، ويرون أن ما في كتب الأخبار الأربعة عند الشيعة وهي: الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه كلها صحيحة قطعية الصدور عن الأئمة، ويقصرون على الكتاب والخبر، ولذلك عرفوا بالأخبارية نسبة إلى الأخبار ، وينكرون الإجماع ودليل العقل ، ولا يرون حاجة إلى تعلم أصول الفقه، ولا يرون صحته .



ويقابلهم في الطرف الآخر الأصوليون أو المجتهدون، وهم القائلون بالاجتهاد، وبأن أدلة الأحكام الكتاب والسنة والإجماع ودليل العقل، ولا يحكمون بصحة كل ما في الكتب الأربعة. وهم يمثلون الأكثرية. ولا شك أن الخلاف بين الفرقتين بهذا الاعتبار قوي وجذري أيضاً. وقد جرت من جرائه بين هاتين الفرقتين ردود ومنازعات، وتكفير وتشنيع، حتى إن بعضهم يفتي بتحريم الصلاة خلف البعض الآخر، وكان من شيوخ الأخبارية من لا يلمس مؤلفات الأصوليين بيده تحاشياً من نجاستها، وإنما يقبضها من وراء ملابسه.

بل كفر الاسترأبادي (الأخباري) بعض الأصوليين ونسبهم إلى تخريب الدين كما نسب الكاشاني (الأخباري) جمعاً من علمائهم إلى الكفر، ورد عليه بعضهم بأن له من المقالات التي جرى فيها على مذهب الصوفية والفلاسفة ما يوجب الكفر كقوله بوحدة الوجود. وهكذا يكفر بعضهم بعضاً كما كان أسلافهم من قبل، ولم يشفع لهم اتسابهم للمذهب.

وقد كانت بداية الافتراق إلى: أصولية، وأخبارية - كما يذكر البحراني - هو أن شيخهم محمد أمين الأسترأبادي هو أول من فتح باب الطعن على المجتهدين، وتقسيم الفرقة: إلى أخباري ومجتهد. ومنهم من يذكر أن البداية كانت أقدم من ذلك، وأن الأسترأبادي جردها.

## تكفير الاثني عشرية لفرق الباطنية

إن المتبع لحقيقة المذهب الشيعي الاثني عشري من خلال مصادره وجذوره , يجد أنه لم يكف بتكفير واستباحة دماء أهل السنة فحسب ، بل يجد أن طائفة الغلوي في التكفير قد وصلت إلى حدٍ عظيمٍ ، حيث تعدت الفرق غير الشيعية إلى الفرق الشيعية أيضاً من غير الاثني عشرية، وإن كانت من الشيعة الإمامية ؛ مثل: الواقفة، والفتحية، والناووسية، والإسماعيلية، والعلوية النصيرية، أو غيرها كالزيدية، وغيرها من فرق الشيعة الأخرى، فمسألة التكفير لمخالفهم من الشيعة الباطنية -فضلا عن أهل السنة- متجذّر في المذهب الاثني عشري .

ويمكن إيضاح هذا الموقف التكفيري الذي تبنته الاثنا عشرية تجاه فرق الشيعة الأخرى بجميع أطرافها عموماً , والباطنية بأصنافها على وجه الخصوص من خلال عدة مسالك يمكن عرضها كما يلي:

من جهة الموقف تجاه مؤسسي المذاهب الباطنية , كموقفهم تجاه أبي الخطاب الأسدي أو ابن نصير وغيره .

فمن يتأمل الكتب التي عنيت بالتاريخ والترجمة من أتباع المذهب الاثني عشري يجد الموقف تجاه المؤسسين لمذاهب الباطنية موقف النبذ والإقصاء والحكم عليه بالزندقة والابتداع والمروق من دائرة الإسلام .

فمثلاً يقول النوبختي في ابن نصير مؤسس مذهب النصيرية : ( وقد شذت فرقة من القائلين بإمامة علي بن محمد في حياته , فقالت : بنو رجل يقال له : محمد بن نصير النميري , وكان يدعي أنه نبي بعثه أبو الحسن العسكري عليه السلام , وكان يقول بالتناسخ , ويغلو في أبي الحسن , ويقول فيه بالربوبية , ويقول بالإباحة للمحارم وكان يقول بالتناسخ , ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم ) .  
فانظر كيف وصف ابن نصير بالشذوذ , والمروق عن التشيع بتعدد مساوئه التي تبناها في مذهبه , ولا شك أن هذا الوصف ينجر إلى طائفة النصيرية بالتبع .

وقال صائب عبد الحميد الشيعي المعاصر في تصنيفه لمؤرخي الشيعة في معجمه : ( مؤرخون غلاة اتسبوا إلى التشيع : لقد مُنيَ مذهب أهل البيت عليهم السلام بأصناف الغلاة , الذين أسهم الواقع التاريخي كثيراً في تكوين آرائهم الفاسدة , والغلو الذي نعينه ؛ هو الغلو في الاعتقاد على حقيقته , والذي يتجلى بادعاء الألوهية للأئمة , أو نسبة الصفات الإلهية إليهم .

وقد ظهر من أتباع الفرق الغالية مؤرخون كتبوا في الكثير من أبواب التاريخ , ودخلت أسماؤهم في فهارس مصنفي الشيعة وعلمائهم , منهم :

I . أحمد بن محمد بن سيار : قال النجاشي : فاسد المذهب , له في التاريخ كتاب الغارات .

2 - جعفر بن محمد بن مالك: أبو عبدالله، كوفي، كان يضع الحديث وضعاً، ويروي عن المجاهيل، فاسد المذهب والرواية، له في التاريخ: أخبار الأئمة ومواليدهم.

3 - الحسين بن حمدان الخصبى، المتوفى سنة 358 هـ أو 346 هـ: وهو شيخ الغلاة النصيرية في عصره، فاسد المذهب، وهو صاحب كتاب الهداية الكبرى الذي حاول أن يتجنب فيه العقائد الغالية لأنه كتبه لسيف الدولة الحمداني، أيام الحمدانيين، وهم من الشيعة الإمامية، وقد التجأ الخصبى إلى دولتهم وتقرّب إليهم بهذا الكتاب وبأمثاله.

4 - علي بن أحمد الكوفي: صاحب كتاب البدع المحدثه، وهو من الغلاة الخمسة. فهو لاء وأمثالهم لم ندرجهم في هذا المعجم؛ لأنه أفرد بشكل خاص لمن يصدق عليهم لقب التشيع). فجعل اتسابهم للتشيع لا يعدو أن يكون اتساباً نتيجة الغلو الذي سلكوه، وقد عد منهم الخصبى الذي يعد من مشاهير النصيرية وموزهم، وجعل كتابه الهداية الكبرى إنما ألف تقرّباً منهم لسيف الدولة فخرج مخرج التقية، وإلا فإن مذهبهم بعيد كل البعد عن التشيع.

وبهذا يعلم أن العداة للباطنية أو بعضهم عند الإمامية الاثنى عشرية يعتبر من بنيات مذهبهم. ومن مسالك العداة: التصريح بتكفير الباطنية عموماً ولعنها وسبها.

ومن مظاهر العداء تجاه الباطنية بأطرافها ما يسلكه الاثنا عشرية عند ذكرهم للباطنية من لعن وسب وقذف ، بل والتصريح بالكفر .

ومن أمثلة ذلك ما قاله المجلسي عنهم حيث قال : (أقوال الباطنية والملاحدة التي اتخذوا دين الله هزوا ولعبا، رفضوا أحكام الله ، وتعدوا حدودها ، فضلوا وأضلوا كثيرا من الناس . وكانوا من بدء ظهور الإسلام قوما يجرفون الكلم عن مواضعه ؛ يتبعون ما تشابه من كلام الله وكلام رسوله والأئمة عليهم السلام ، حبا للرئاسة ، وتفريق كلمة المسلمين ، أعاذنا الله من الزيغ والضلالة، وكان طائفة منهم ؛ يسمون الخطابية، يدينون بأمثال هذه الضلالات ، يخرجون الناس عن الطريق السوي) .

فوصف المجلسي الباطنية التي تندرج تحتها كل فرقها بأنهم ملاحدة ؛ قد اتخذوا دين الله هزوا ولعبا ، و تجاوزوا حدود الله تعالى ، بأطماع زائغة ، وضلالات تخرج الناس عن الشرع الحنيف ، وعلى رأس هرم أولئك الخطابية الأساس لفرق الباطنية ، والتي تفرعت فرق الباطنية منها .

وجاء في خاتمة المستدرك في وصف النصيرية بأنها : (المخمسة: من فرق غلاة الشيعة وهم منهم براء، ملعونون لديهم، إذ يعتقدون أن الله تعالى أوكل إدارة مصالح العباد إلى خمسة . سلمان - وهو رئيسهم - والمقداد وعمار وأبو ذر وعمرو بن أمية الضميري . وهناك خمسة آخرون ؛ ملقبون في كتب الفرق بالخطابية أتباع أبي الخطاب، هم غلاة ملعونون، تبرأ الشيعة الاثنا عشرية منهم يعتقدون أن الله

تعالى ظهر بصورة النبي، والنبي ظهر بجمسة صور هي محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام).

وهو كسابقه يحمل في طياته موقف العداء الواضح للباطنية، حيث حكم ببراء طائفته الاثني عشرية منهم، باعتبارها من فرق الغلاة المستحقة للعن لاعتقادهم أن الله ظهر في بعض صور آل البيت، ووكل أمر الكون إلى طائفة من الناس.

ويقول عالمهم البياضي في حق الشيعة الإسماعيلية: (إنهم خارجون عن الملة الحنيفية بالاعتقادات الرديئة، وذلك أنهم قالوا: كل ظاهر فله باطن، وأن الله بتوسط كلمة كن أوجد عالمي الخلق والأمر، فجعلوه محتاجاً في فعله إلى الواسطة والآلة).

فحكم على الإسماعيلية بالخروج عن الملة لما يحمله معتقدتهم من طعن في ذات الله تعالى. وقال علامتهم محمد طاهر النجفي: (وأما الإسماعيلية فمذهبهم واضح البطلان، لسوء عقائدهم، وقبح مذاهبهم).

ونصّ محققهم الشهير بالحلي على نجاسة الإسماعيلية

ووصف عبد الله شُبْر الإسماعيلية بأنها: (من الفرق الضالة المبتدعة).

وقال علامتهم وإمامهم النوري الطبرسي : (ووافقنا على ذلك السيد الفاضل المعاصر الخوانساري رحمه الله في الروضات في ترجمة جلال الرومي حيث قال: الإسماعيلية وإن كانوا في ظاهر دعاويهم الكاذبة، من جملة فرق الشيعة المنكرين لخلافة غير أمير المؤمنين عليه السلام، إلا أن الغالب عليهم الإلحاد، والزندقة، والمروق عن الدين، والخروج عن دائرة الموحدين، والمليين، وأتباع النبيين).

فالإسماعيلية عند النوري الطبرسي ومن سبقه ؛ من الفرق التي تنتسب للشيعة وهم كفارٌ ومشركون وأنجاسٌ وكلابٌ، وملاحدةٌ، وزنادقةٌ، يحرم مجالستهم.

وقد حدا هذا الموقف العدائي تجاه الإسماعيلية بالدكتور عارف تامر -الإسماعيلي المعاصر- إلى أن يشتكي من ظلم الشيعة الاثني عشرية لطائفته الإسماعيلية عبر التاريخ ، وجعله يترحم على أهل السنة ، وعلى معاملتهم للإسماعيلية، حيث يقول: (صرت أخشى أن ينالني مثلهم - يقصد قداماء الإسماعيلية- وأن يأتيني الدور فأتهم في عقيدتي وديني. إن كل هذا يدفعني إلى الترحم على الأمويين والعباسيين الأعداء، فهم ليسوا أقسى قلباً من أبناء العم الأقربين).

ومن مسالك العداء من الاثني عشرية تجاه الباطنية ؛ حكمهم بالكفر تارة على أفراد المسائل التي انفردت بها بعض فرق الباطنية على وجه الخصوص ، أو قالت بها الباطنية عموماً تارة أخرى ، كقوله بألوهية الأئمة عموماً أو بعضهم وكقولهم بالحلول والتناسخ .

و من أمثلة ذلك قول كامل الشيبلي ناقلاً لكلام القمي على وجه التأييد له : ( اعتقادنا في الغلاة  
والمفوضية أنهم كفار بالله جل اسمه، وأنهم شر من اليهود والنصارى والمجوس ، ومن جميع أهل البدع  
والأهواء المضلة ) .

فالغلاة- الباطنية - في اعتقاد الشيبلي والقمي من الكفار المارقين، وهم شر من سائر أهل الملل ، ومن  
جميع أهل البدع .

ومن المسالك : دخولهم في جملة من اعتقد بخلاف مذهب الاثني عشرية وإن شاركوهم في ولاية وإمامة  
بعض الأئمة .

فهذا المرجع الشيعي الكبير المعاصر آية الله العظمى محمد الحسيني الشيرازي ، يقول: (وأما سائر أقسام  
الشيعة غير الاثني عشرية، فقد دلت نصوص كثيرة على كفرهم، ككثير من الأخبار ، الدالة على أن  
من جحد إماماً كان كمن قال: إن الله ثالث ثلاثة .

ويقول شيخهم بهاء الدين العاملي : (المستفاد من تصفح كتب علمائنا، المؤلف في السير والجرح  
والتعديل، أن أصحابنا الإمامية كان اجتنابهم لمن كان من الشيعة على الحق أولاً، ثم أنكر إمامة بعض  
الأئمة -عليهم السلام- في أقصى المراتب، بل كانوا يجترزون عن مجالستهم، والتكلم معهم فضلاً عن  
أخذ الحديث عنهم، بل كان تظاهرهم بالعداوة لهم أشد من تظاهرهم بها للعامة -أي أهل السنة-،



فإنهم كانوا يتقون العامة، ويجالسونهم ويتقلون عنهم، ويظهرون لهم أنهم منهم، خوفاً من شوكتهم، لأن حكام الضلال منهم.

وأما هؤلاء المخذولون، فلم يكن لأصحابنا الإمامية ضرورة داعية إلى أن يسلكوا معهم على ذلك المنوال، وخصوصاً الواقعة، فإن الإمامية كانوا في غاية الاجتناب لهم، والتباعد عنهم، حتى أنهم كانوا يسمونهم المطورة أي: الكلاب التي أصابها المطر. وأئمتنا -عليهم السلام- كانوا ينهون شيعتهم عن مجالستهم ومخالطتهم، ويأمرونهم بالدعاء عليهم في الصلاة، ويقولون: إنهم كفار، مشركون، زنادقة، وأنهم شر من النواصب، وأن من خالطهم فهو منهم، وكتب أصحابنا مملوءة بذلك).

وقد نقل العلامة الشيعي الشيخ الحر العاملي الكلام السابق بطوله مؤيداً له ومُناصراً.

والشيخ المفيد وهو شيخ الشيعة في عصره، بل منظر الطائفة، وحثها والمقدم فيها، يقول وهو يحكي إجماع الشيعة في موقفهم تجاه المخالفين: (اتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار، وأن على الإمام أن يستتبعهم عند التمكّن بعد الدعوة لهم، وإقامة البيئات عليهم، فإن تابوا عن بدعهم وصاروا إلى الصواب، وإلا قتلهم لردتهم عن الإيمان، وأن من مات منهم على تلك البدعة فهو من أهل النار).

- وهذا علامتهم ومحققهم عبدالله شبر، يبيّن حكم جميع الفرق الإسلامية حتى المسالمة منها والتي تحب التعايش السلمي - عند علماء الشيعة، فيقول: (وأما سائر المخالفين ممن لم ينصب ولم يعاند ولم

يتعصب، فالذي عليه جملة من الإمامية كالسيد المرتضى أنهم كفار في الدنيا والآخرة، والذي عليه الأكثر الأشهر أنهم كفار مخلدون في الآخرة).

فهذه أقوال أساطين المذهب الاثني عشري في فرق الباطنية عموما وتفصيلا، ولم نشأ الاستقصاء  
حياله، بل رمنا بيان الموقف الاثني عشري تجاه الباطنية عموما وأفرادا. وهو - كما سبق - موقف  
في حقيقته يظهر العداء الدفين في نفوس الاثني عشرية تجاه الباطنية.

إذ هم بجميع فرقهم لا يعدون أن يكونوا إحدى الفرق الهالكة الناكبة عن الصراط الموعودة بالعذاب  
المهين لكفرها ومروقها عن الدين وإن لبست لباس التشيع وتسترته به.

وأحب أن أنبه إلى أن إكثاري النقل غير المستقصي يراد به إلقاء الضوء على النظرة التكفيرية من أرباب  
المذهب الاثني عشري تجاه الباطنية، والذي يكاد يكون شبه إجماع بينهم، وهو في حقيقته حكم من  
الاثني عشرية على أنفسهم؛ إذ شاركت الباطنية في جل المسائل التي كُفرت بها الباطنية إن لم تكن  
كلها، وهو ما سيظهر بيانه في مضامين الرسالة بإذن الله تعالى.

وبالتالي فتلك الأحكام التي سيقت في الباطنية دليل قوي وظاهر في نفس الوقت على بطلان المذهب  
الاثني عشري؛ لأنهم حكموا على غيرهم بما وقعوا فيه أنفسهم. وهي مسألة من أهم ثمار هذا  
البحث.

## المطلب الثاني

### التقارب المعاصر بين المذهب الاثني عشرية والمذهب الباطني

قد يتعجب من يتأمل في المذهب الاثني عشري في الموقف المعاصر تجاه الفكر الباطني , ومدى ارتباطه به , بعد أن يعلم موقف رموزه المتقدمين من المذهب الباطني , فقد تجاهل الفكر الاثنا عشري المعاصر الموقف الذي كان يكتنف المتقدمين تجاه المذهب الباطني , فحين اتجه المتقدمون الإقصاء والتبرؤ والتكفير للمذهب الباطني ؛ يرى الناظر أن المذهب المعاصر امتزج بالفكر الباطني واختلط بعظمه ودمه , فاحتوى كثيرا من آراء الفكر الباطني , فتغيرت تلك المواقف , بل وانقلبت رأسا على عقب , فعدت المخالفة موافقة , والسخط والإنكار رضا وقبولا , والتكفير والتبديع إلى أخوة ومحبة , فتجزرت الصلة بعد أن كانت النفرة والتكفير السائد .

والملاحظ في العصر الحاضر , ومن عنده أدنى اطلاع يجد أن المذهب الاثني عشري له صلة وثيقة بمذاهب الباطنية بجميع أطرافها , ولعل من أسباب تلك الصلة عدة أمور منها :

### الصلة في مصادر التلقي

إن وحدة مصادر التلقي هي العامل الأول والأخير في اتفاق الاعتقاد والوجهة عند أية طائفة من الطوائف . وهي التي تصل اللاحقين بالسابقين , والآخرين بالأولين .

والشيعة المعاصرون قد اعتمدوا في التلقي على جملة من كتب الباطنية بل المتأمل في كتبهم الأربعة التي قال فيها عبد الحسين الموسوي: (وهي: الكافي والتهديب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه، وهي متواترة، ومضامينها مقطوع بصحتها، والكافي أقدمها وأحسنها وأتقنها).

يجد أن أنها قد ضمنت في طياتها كثيراً من النصوص التي حاكت في كثير من ألفاظها ومعانيها ما جاء في كتب الباطنية؛ من الإسماعيلية والنصيرية وغيرها.

ويجد أنهم يرجعون إلى معين واحد، ومصدر واحد. وبالطبعي لن يختلفوا، ولا سيما في الأصول الأساسية، لذلك حوت من الغلو والبلاء ما لم يخاطر بهال الشيعة السابقين كما ترى في البحار للمجلسي، وأصبحت - مع ذلك - عمدة عند شيعة هذا العصر، وهذا يعني بطبيعة الحال تطوراً خطيراً عند المعاصرين ينقلهم إلى دركات من الضلال والتطرف.

فبعض المصادر الإسماعيلية والنصيرية قد أصبحت عمدة عند المعاصرين من الاثني عشرية، مثل كتاب دعائم الإسلام للقاضي النعمان بن محمد بن منصور، المتوفى سنة (363هـ) وهو إسماعيلي - كما تؤكد ذلك بعض مصادر الاثني عشرية نفسها - ومثل كتاب الهداية الكبرى للخصيبي وهو نصيري كما هو معلوم بتصريحهم أنفسهم.

ورغم تكفير الاثني عشرية للإسماعيلية والنصيرية. ومع ذلك فإن كبار شيوخهم المعاصرين يرجعون إليهما ويعدانهما من مصادرهم كما فعل الخميني وغيره وأدهى من ذلك أنه قد صرح بعض علماء الاثني عشرية المعاصرون بوحدة الأصل في التلقي بين الإسماعيلية والاثني عشرية فقال: (وإذا لم يكن الفاطميون على المذهب الاثني عشري فإن هذا المذهب قد اشتد أزره ووجد منطلقاً في عهدهم فقد عظم نفوذه ونشط دعواته. . . ذلك أن الاثني عشرية والإسماعيلية وإن اختلفوا من جهات، فإنهم يلتقون في هذه الشعائر مجازة في تدريس علوم آل البيت والتفقه بها وحمل الناس عليها).

وفي الوقت نفسه أن كتب الاثني عشرية تكون مصدراً من مصادر الباطنية فكتاب مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين للحافظ رجب البرسي - وهو من أعلام الاثني عشرية - ومع ذلك هو مصدر من مصادر النصيرية لما يحويه الكتاب بين دفتيه من تأليه لأمير المؤمنين ووصفه بصفات رب العالمين , وقد عد النصيري عبدالرحمن الخير الأصول الأربعة عند الاثني عشرية - الكافي والتهديب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه - من مصادر طائفته .

ومن مواطن الصلة اتفاق الطائفتين على التلقي عن المعصومين من آل البيت بزعمهم ؛ إذ اعتقاد عصمة الأئمة من آل البيت من أبرز معالم الطائفتين وهو ما سينجلي بيانه في ثنايا البحث بإذن الله تعالى .

ومن مواطن الصلة بين الاثني عشرية وفرق الباطنية وهو فرع عن الذي قبله الوفاق الكبير في كثير من الروايات المنسوبة إلى الأئمة , ومن يطالع بعض الكتب الإسماعيلية والنصيرية يرى وفاقاً في جملة من

الروايات بينهم ، ومن الأمثلة لذلك حديثهم (من لم يؤمن برجعتنا فليس منا) وغيره مما سيبين خلال مباحث الرسالة .

ومنها أن شيوخ الشيعة المعاصرين وآياتها إذا تحدثوا عن طائفتهم ورجالها ودولها نسبوا لها كل الفرق والدول والرجال المنتمين للتشيع، وإن كانوا من الإسماعيلية والباطنية، أو من الزنادقة الدهرية، أو من المجسمة الغلاة. فهم إذا تحدثوا - مثلاً - عن دول الشيعة ذكروا الدولة الفاطمية في صدر دولهم مع أنها غير اثني عشرية .

وإذا جاء ذكر رجالهم رأيت كثيراً منهم من رؤوس الضلال والزندقة ممن تنسب إليهم فرق خاصة ليست من الاثني عشرية، بل تحمل النسبة لأسمائهم بأعيانها .

ومن هنا ترى أن الاثني عشرية تحاول أن تحتضن كل فرقة تنسب إلى التشيع، وإن كانت من فرق الكفر باعتراف كتب الشيعة القديمة نفسها .

قلحظ - مثلاً - أنهم يصفون صفة الشرعية على بعض الغلاة الكفرة باتفاق المسلمين كالنصيرية .

وقد كتب أحد علماء الاثني عشرية المعاصرين وهو المدعو حسن الشيرازي رسالة سماها (العلويون شيعة أهل البيت) - والعلويون لقب للنصيرية - وذكر في رسالته هذه أنه التقى بالنصيريين في سوريا ولبنان، وذلك بأمر من مرجعهم الديني محمد الشيرازي وقال: بأنه وجدهم كما يظن من شيعة أهل

البيت الذين يتمتعون بصفاء الإخلاص وبراءة الالتزام بالحق، وينتمون إلى علي بن أبي طالب بالولاية، وبعضهم ينتمي إليه بالولاية والنسب. وقال بأن العلويين والشيعة كلمتان مترادفتان مثل كلمتي الإمامية والجعفرية.

ولا ندري أصدر ذلك منه تقية أم غير ذلك غير أن المؤدى والنتيجة واحد، سيما إذا أخذنا بالاعتبار أنه لم ينكر أحد من شيوخ الاثني عشرية على الشيرازي، مع أنه قد عرف واشتهر عن النصيرية الكفر والزندقة، بل إن بعض كتب الشيعة تكفر النصيرية وتعتبرها فرقة خارجة عن الإسلام وكثير من المعاصرين رغم ذلك يرونها من الجعفرية وإن تسمت بغير هذا الاسم. وأدهى من ذلك أن يذهب بعض كبار مراجع الشيعة في هذا العصر إلى أنه لا يوجد اليوم على ظهر الأرض فرقة من الفرق الغالية مع وجود النصيرية والدروز والأغاخانية وغيرها، فكأنه يحكم عليها بعدم الغلو.

يقول محمد حسين آل كاشف الغطا: (إن جميع الفرق الغالية قد بادت ولا يوجد منها اليوم نافع ضرمة).

والواقع أن أسماء الكثير من الفرق الشيعية قد اختفى، وبقيت آراؤها وعقائدها في كتب الاثني عشرية. إذ ما من عقيدة من عقائد تلك الفرق إلا ولها شاهد ودليل في كتب الاثني عشرية. كعقيدة البداء، وعقيدة تأليه الأئمة، ومسألة تفضيل الأئمة على الأنبياء وغيرها - كما تجده في ثنايا هذه

الرسالة - قد تسلت آراء الفرق الشيعية الغالية إلى كتب الاثني عشرية على شكل روايات منسوبة للأئمة , وارتضى ذلك المعاصرون .

ولعل السبب وراء حدوث هذا التسرب هو شيوخ الشيعة أنفسهم ؛ الذين حملهم التعصب على قبول رواية الشيعي أياً كان مذهبه , والإعراض عن رواية ما يسمونهم بالعامية - وهم أهل السنة - .

وقد اعترف شيخهم الطوسي بأن معظم رجالهم في الحديث من أصحاب المذاهب الفاسدة، ومع ذلك

قال بأن كتبهم معتمدة . ومن يراجع تراجم رجالهم يلحظ ذلك . حيث فيهم الواقفي، والفتحي

وغيرهما بل يقول الشريف المرتضى مؤيداً هذا الواقع الذي نهجته الاثنا عشرية: ( إن معظم الفقه

وجمهوره لا يخلو مستنده ممن يذهب مذهب الواقفة :إما أن يكون أصلاً أو في الخبر أو فرعاً , راويا عن

غيره ومروياً عنه , وإلى غلاة وخطابية ومخمسة وأصحاب حلول كفلان وفلان ومن لا يحصى أيضا

كثرة , وإلى قمي مشبه مجبر - إلى أن يقول - فمن أين يصح لنا خبر يروونه ؟ ) .

ومنها تصريح بعض مفكري الشيعة في العصر الحاضر بأن الفكر الاثني عشري قد استوعب آراء

وعقائد فرق الشيعة القديمة، حيث قال: (ولكن يجب أن نشير قبل أن نضع القلم بأن ما مر بنا من

أفكار الشيعة , مما كان خاصاً بفرقة بعينها لم يلبث أن دخل كله في التشيع الاثني عشري , ودعم

بالحجج العقلية وبالنصوص . والتشيع الحالي إنما هو زبدة الحركات الشيعية كلها من عمار إلى حجر بن

عدي إلى المختار وكيسان إلى محمد بن الحنفية وأبي هاشم إلى بيان ابن سمعان، والغلاة الكوفيين إلى



الغلاة من أنصار عبد الله بن الحارث إلى الزيديين والإسماعيليين، ثم الإمامية التي صارت اثنا عشرية،  
وقام بعملية المزج متكلمو الشيعة ومصنوفها) .

فالتشيع الحالي قد استوعب خلاصة الاتجاهات الشيعية بكل ما فيها من غلو وتطرف .

ومن مواطن الصلة والتقارب أن الاتجاه الباطني واضح في كتب الاثني عشرية من خلال تأويلهم آيات  
القرآن ، وأركان الإسلام ، وما قالوه في التقية والكتمان . فأصبحت الاثنا عشرية هي المصب الأخير  
لكل الروافد الشيعية بكل ما فيها من شطحات، ويجد كل صاحب غلو وتطرف بغيته ، وما يؤيد  
مذهبه في كتب هذه الطائفة .

وهذا التطور الخطير الذي عليه المذهب الاثنا عشري في العصر الحاضر يعتبر غلوًا وتطرفًا عند قدماء  
الشيعة، وأن شيعة العصر الحاضر يعتقدون عقائد يرونها من ضرورات المذهب وأركانه، وهي عند  
قدماء الشيعة من الغلو والكفر . يقول شيخهم المحقاني في معرض دفاعه عن المفضل بن عمرو الجعفي  
فيما رمي به من قبل بعض علماء الشيعة القدماء، يقول: (إنا قد بينا غير مرة أن رمي القدماء الرجل  
بالغلو لا يعتمد عليه، ولا يركن إليه لوضوح كون القول بأدنى مراتب فضائلهم (يعني الأئمة) غلوًا عند  
القدماء، وكون ما نعهده اليوم من ضروريات مذهب التشيع غلوًا عند هؤلاء، وكذاك في ذلك عدّ  
الصدوق نفي السهو عنهم غلوًا، مع أنه اليوم من ضروريات المذهب، وكذلك إثبات قدرتهم على العلم  
بما يأتي (أي علم الغيب) بتوسط جبرائيل والنبي غلوًا عندهم ومن ضروريات المذهب اليوم) .

وهذا النص يتبين أن شيعة العصر الحاضر لم يكتفوا بمتابعة سابقهم حتى زادوا عليهم في الغلو والتطرف حتى أصبح من ضرورات مذهب التشيع.

ولعل هذه الصلة التي انعقدت بين المذهبين في واقعنا المعاصر والمشاهد في المواقف الدولية والعلاقات السياسية ما هو إلا قرينة الالتقاء ، وفي الوقت نفسه ثمرة هاتيك الصلة وهو ما سنلمح إليه في الفقرة التالية.

### من مواطن الصلة التحالف السياسي

فقد كانت فتوى الشيرازي الشهيرة والتي نصت على عداد النصيرية من الاثني عشرية وهي -كما يقول بعض الكتاب - من إعداد وتخطيط وإخراج موسى الصدر، الذي كانت تربطه صلة وثيقة بمحافظ الأسد قبل أن يقوم بانقلابه العسكري عام 1970م. هذا من جهة وهي دليل على التآلف الحاصل بين الطائفتين من جهة أخرى. إذ كان حافظ الأسد أول رئيس جمهورية لسوريا من غير أهل السنة، ويصعب جداً على السوريين أن يهضموا رئيساً من أبناء الطائفة النصيرية. لكن هذه المعضلة سقطت بدعامتين:

الأولى: أنه قومي عربي، وزعيم من زعماء حزب البعث العربي الاشتراكي.

الثانية: أن الطائفة النصيرية، والتي سميت بالعلوية، هم من الشيعة الإمامية الإثني عشرية نتيجة تلك الفتوى. ولذا كان وقوفه مع إيران الثورة أيام الشاه بعث محوراً شيعياً يمتد من طهران عبر دمشق إلى جنوب لبنان .

وقد كان الأسد مدينا لصديقه الصدر بذلك الذي أنقذه عام 1973م إبان رئاسته حين أصدر تلك الفتوى التي تقر بأن العلويين هم من المسلمين الشيعة، والصدر كما هو معلوم إيراني الأصل قلباً وقالباً قدم إلى لبنان عام 1970م ليؤدي دوراً يخدم الطائفة في لبنان من جهة ، ويخدم إيران ومرجعته من جهة أخرى.

وقد بذلت الشيعة الإمامية الاثنا عشرية أيضاً جهوداً مضنية للحد من الفوارق اللاهوتية بين الطيف الشيعي الاثني عشري السائد والعلويين .

فالشرق الأوسط منطقة يهيمن عليها السنة. كما أن إيران والعراق هي الدول ذات الأغلبية الشيعية الوحيدة مقارنة بغيرها في المنطقة، بينما بقيت سوريا على مدى عقود الدولة العربية الرئيسية الوحيدة التي يحكمها فرع من الشيعة. ولذا كان بين إيران وسوريا روابط نفسية طبيعية تحولت إلى تحالف سياسي غطاؤه هوية دينية مشتركة. وقد تعززت هذه الروابط بصورة أكثر عقب بروز حكومة يهيمن عليها الشيعة في العراق وهو ما سمي بعد ذلك بالهلل الشيعي .

لقد كانت حاجة نظام الأسد لحلفاء في إيران ولبنان جعلته يُغفل الفوارق اللاهوتية بين الشيعة الاثني عشرية والنصيرية العلوية نظرا لموقعه بين أقاليم السنة إذ لا يعدو كونه أقلية في الوسط السني .

وأما إيران الاثنا عشرية فقد دفع بها شغفها الإمبراطوري في المنطقة إلى إقامة علاقات مع العلويين في سوريا بل مع كل ما يسقط الهيبة السنية ولذا كان تعزيزها لمواطن النفوذ الشيعي في المنطقة العربية مما لا يرتاب فيه أحد .

وتجدر الإشارة إلى أن عمل روسيا حاليا من دعمها اللامحدود للدولة العلوية في سوريا ما هو إلا إرضاء لسياسات قادة إيران واستحلاب خيراتها المالية .

ومن جهة أخرى نرى التحالف العراقي السوري والذي يمثل هو الآخر الاتجاهين الاثني عشري والنصيري ما هو إلا نموذج آخر من صور التحالف السياسي العقدي بين الطائفتين , بل يمكن القول بأن الاصطفاف الإيراني العراقي اللبناني الممثل في حزب الله لا يجمعه إلا الطائفة والمذهب , وليس بمنأى عنا أن العراق الشيعي وقبل انطلاق الثورة السورية بأشهر كان دائم الشكوى لمجلس الأمن من نظام بشار الأسد , لكن ما أن انطلقت شرارة الثورة السورية حتى طغى البعد الطائفي المذهبي ليكون الاصطفاف المذكور على أساسه , وقد اتخذ حزب الله موقفا داعما وبشكل كامل للنظام السوري متبنيا وجهة نظره في رفض وجود ثورة , في الوقت الذي تباكى فيه على شيعة البحرين .

و الذي نخلص إليه من هذا كله أن هناك حاجة ماسة لبيان الصلة بين الاثني عشرية و فرق الباطنية ,  
لا سيما في هذا العصر الذي لازالت دعوى التقارب فيه قائمة على قدم وساق , ولعل في مضامين  
الرسالة ما يظهر المقصود من هذه الصلة .

أوجه الشبه بين معتقد الإثني عشرية  
والباطنية في الله عز وجل

في الحلول والاتحاد

تعريف الاتحاد و الحلول لغة واصطلاحا

أولا :الاتحاد والحلول في اللغة :

أ- الحلول : من حلَّ بالمكان يحلُّ حُلُولًا وحَلَلًا : نزول القوم بمحلّه , وهو تقيض الارتحال .

وحلَّه واحتلَّ به واحلَّه : نزل به .

والحلُّ الحُلُول والنزول يقال : حلَّ بالقوم , وحلَّهم واحتلَّ بهم , ورجل حالٌّ من قوم حُلُول وحَلَلًا وحَلَل

وأحلَّه به وحلَّه به وحلَّ به جعله يحلُّ .

والمحلُّ الموضوع الذي يحلُّ فيه . وهو - كما يقول الجرجاني (I) - (نوعان :

أحدهما : الحلول السرياني , وهو: عبارة عن اتحاد جسمين , بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما

إشارة إلى الآخر , كحلول ماء الورد في الورد , فيسمى الساري حالا والمسري محلا

الثاني الحلول الجواربي ؛وهو عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفا للآخر كحلول الماء في الكوز) .

فالنوع الأول هو ما يسمى بالاتحاد -وهو ما سيأتي تعريفه- والثاني يسمى بالحلول .

فالحلول بحسب ما نقله الجرجاني من تعريف ينقسم إلى أربعة أقسام :

- حلول عام

- حلول خاص

- اتحاد عام

- اتحاد خاص

ب - وأما الاتحاد في اللغة:

فهو مصدرٌ من أتحد يتحد اتحاداً . وأصل مادة الاتحاد من (وحد) . وهي تدور على معنى  
الانفراد .

ثانيا :الاتحاد والحلول في الاصطلاح :

الحلول هو :الاعتقاد بحلول ذات الله جل وعلا في كل مكان , أو بعض الأمكنة أو حلولة في بعض  
الأشخاص أو حلول جزء من ذاته في بعضهم .

فهو عندهم حلول الإله بذاته جزءا أو كلا في البشر أو بعضهم وتجليه في صورهم وأجسادهم .

يقول البغدادي : ( الحلولية :الذين زعموا أن الإله يدخل في الصورة الحسنة ,وربما سجد الواحد منهم للصورة الحسنة إذا رآها فوهم أنه فيها ) .

وقال ابن حزم: ( الحلول هو :القول مجلول الباري تعالى في أجسام خلقه) .

ويقول شيخ الإسلام عند ذكره لأنواع الحلول والاتحاد : ( وإنما الكفر الحلول العام أو الاتحاد أو الحلول الخاص وذلك أن القسمة رباعية ؛ لأن من جعل الرب هو العبد حقيقة ؛ فإما أن يقول مجلوله فيه ,أو اتحاده به . وعلى التقديرين فإما أن يجعل ذلك مختصا ببعض الخلق كالمسيح أو يجعله لجميع الخلق فهذه أربعة أقسام :

الأول : هو الحلول الخاص . وهو قول النسطورية من النصارى ,ونحوهم ممن يقول :إن اللاهوت حل في الناسوت وتدرع به كحلول الماء في الإناء . وهؤلاء حققوا كفر النصارى بسبب مخالطتهم للمسلمين وكان أولهم زمن المأمون وهذا قول وافق هؤلاء النصارى من غالبية هذه الأمة .

والثاني : هو الاتحاد الخاص . وهو قول يعقوبية النصارى , وهو أخبث قولاً , وهم السودان والقبط . يقولون : إن اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن بالماء . وهو قول من وافق هؤلاء من غالبية المنتسبين إلى الإسلام .



والثالث : هو الحلول العام . وهو القول الذي ذكر أئمة أهل السنة والحديث عن طائفة من الجهمية المتقدمين . وهو قول غالب متعبدة الجهمية الذين يقولون إن الله بذاته في كل مكان ويتمسكون بمتشابه القرآن .

الرابع الاتحاد العام , وهو : قول هؤلاء الملاحدة من غلاة الصوفية الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات وهؤلاء أكثر من اليهود والنصارى .

والذي نخلص إليه من هذا أن الحلول والاتحاد هو اعتقاد امتزاج الله أو صفة من صفاته الذاتية في خلقه كلهم أو بعضهم ؛ امتزاجا سرانيا أو ظرفيا بحيث يصيران شيئا واحدا يجعل الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر

### نشأة القول بالحلول وأشهر القائلين به

أول من عرف عنه القول بالحلول ممن ينتسب إلى الإسلام عبد الله بن سبأ ؛ الملقب بابن السوداء , والذي كان يهوديا فأظهر الإسلام , وطاف بالبلاد ليفتن المسلمين عن دينهم . وقد أظهر الغلو في علي بن أبي طالب , وأنه وصي رسول الله عليه الصلاة والسلام , ثم زعم أنه نبي , ثم تدرج في مقاله حتى قال هذه المقالة الخبيثة , وأن عليا رب وإله ؛ يخلق الخلق , ويبسط الرزق . ولما بلغ عليا ذلك هم بقتله ؛ فقيل : أنه أحرقه , وقيل : هرب منه إلى جهة بلاد فارس أو نحوها , ونشر فيها عقيدته في الحلول , وتابعه على هذه العقيدة الباطلة طوائف كثيرة , تعود كلها إلى الأصل نفسه ( التشيع ) .

فانتشر القول بالحلول بذلك في كثير من فرق الرفض بل في أكثرها . يقول البغدادي : ( الحلوية في الجملة عشر فرق كلها كانت في دولة الإسلام , وغرض جميعها القصد إلى إفساد القول بتوحيد الصانع .  
وتفصيل فرقها في الأكثر يرجع إلى غلاة الروافض , وذلك أن السبائية والبيانية والجناحية والخطابية والتميرية منهم ؛ بأجمعها حلوية , وظهر بعدهم المتنعية بما وراء نهر جيحون . وظهر قوم بمر , يقال لهم : رزامية , وقوم يقال لهم : بركوكية) .

وقال الرازي : (أول من أظهر هذه المقالة أي القول بالحلول في الإسلام الروافض فإنهم ادعوا الحلول في حق أئمتهم ) .

ثم انتشر القول بالحلول بعد ذلك في طوائف المسلمين المنتسبين إلى الإسلام فقالت به الجهمية أتباع الجهم بن صفوان المقتول سنة 128 هـ الذين أنكروا علو الله على خلقه وزعموا بأنه سبحانه حال في كل مكان وجعلوا وجود الخالق في المخلوقات من جنس اللاهوت في الناسوت .

يقول شيخ الإسلام : ( والنفاة من الجهمية تارة يقولون : بالحلول والاتحاد أو نحو ذلك . وتارة يقولون : لا مباين للعالم ولا داخل فيه , والشخص الواحد منهم يقول هذا تارة , وهذا تارة . فإنهم في حيرة , والغالب على متكلميهم نفي الأمرين , والغالب على عبادهم وفقهائهم وصوفيتهم وعامتهم الحلول . فمتكلموهم لا يعبدون شيئاً , ومتصوفتهم يعبدون كل شيء ) .

ومن قال بعقيدة الحلول ممن ينتسب للإسلام غلاة المتصوفة . وقد صنف الرازي الحلولية من ضمن طوائف الصوفية . فقال: ( الخامسة: الحلولية . وهم طائفة من هؤلاء الذين ذكرناهم ؛ يرون في أنفسهم أحوالا عجيبة , وليس لهم من العلوم نصيب وافر , فيتوهمون أنه قد حصل لهم الحلول أو الاتحاد ؛ فيدعون دعاوى عظيمة ) .

ومن اشتهر عنه القول بذلك من هؤلاء الحسين بن منصور الحلاج المقتول سنة 309 هـ القائل: ( من هذب نفسه في الطاعة , وصبر على الشهوات واللذات ؛ ارتقى إلى مقام المقربين . ثم لا يزال يصفو ويرتقي في درجات المصافاة , حتى يصفو عن البشرية . فإذا لم يبق فيه من البشرية حظ ؛ حل فيه روح الإله ؛ الذي حل في عيسى بن مريم . ولم يرد شيئا إلا كان كما أراد , وكان جميع فعله فعل الله تعالى ) .

يقول أبو الحسن الأشعري : ( وفي النساك من الصوفية من يقول بالحلول , وأن الباري يحل في الأشخاص , وأصحاب هذه المقالة إذا أرادوا شيئا يستحسنونه ؛ قالوا لا ندري لعل الله حال فيه , ومالوا إلى اطراح الشرائع , وزعموا : أن الإنسان ليس عليه فرض , ولا يلزمه عبادة إذا وصل إلى معبوده ) .

والمقصود من هذا كله أن مقالة الحلول والاتحاد نشأت في الإسلام على يد ابن سبأ , وفشت في المنتسبين للتشيع من الإمامية الاثني عشرية و فرق الباطنية , ثم لم تزل تسر في الأمة , حتى طالت المتصوفة , ولم يزل أمر الحلول في الأمة حتى الساعة , نسأل الله العفو والسلامة .

### الحلول والاتحاد عند الاثني عشرية

لقد غلا الشيعة الإمامية في آل البيت , فاعتقدوا أنهم أوصياء نبي الله , وخلفاؤه من بعده ؛ عليا ثم بقية الأئمة الاثني عشر . وأن الخلفاء الثلاثة السابقين له في الخلافة كانوا غاصبين لها , فهم مرتدون بذلك وكذلك كل من بايعهم أو والاهم .

ولم يقفوا عند هذا الحد في الغلو , بل تدرج بهم الغلو في الأئمة حتى رفعوهم فوق مرتبة البشر , وأطلقوا عليهم من الصفات ما لا يوصف به البشر؛ فهم أنوار كانت في الملكوت الأعلى , تحضر مجالسهم , وتعينهم في الملمات , وتخصمهم بالجنة دون سواهم .

وخصوهم بخصائص الربوبية ؛ من تصرفهم في الأكوان , وإحاطتهم بكل شيء , ومعرفتهم بكل ما ظهر وما بطن , وعلمهم بخافية الصدور , وخائنة الأعين , وأنهم يعلمون الغيب , وما في أصلاب الرجال , وأنهم قائمون مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام , وإقامة الحدود , وحفظ الشرائع , وأن أمرهم أمر الله تعالى , ونهيهم نهيه , وطاعتهم طاعته , ومعصيتهم معصيته , ووليهم وليه , وعدوهم عدوه , ولا يجوز الرد عليهم , فالراد عليهم كالراد على الله , وأنهم لا يقع منهم صغيرة ولا كبيرة , ولا يقع منهم

سهو في شيء في الدين , وأنهم معصومون كعصمة الأنبياء , مطهرون من كل دنس . بل فضلوهم على الأنبياء , كما يقول إمامهم الخميني : ( إن للإمام مقاما محمودا ودرجة سامية , وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون , وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب , ولا نبي مرسل ) , ( وتعاليمهم كتعاليم القرآن ؛ لا تخص جيلا خاصا , وإنما هي تعاليم للجميع في كل عصر ومصر إلى يوم القيامة , يجب تنفيذها وإتباعها ) .

وليس المقصود هنا بيان معتقدتهم في الإمامة فهذا له مبحث خاص - سيأتي بيانه في مضامين هذه الرسالة- , وإنما المقصود بيان ما آل إليه الغلو فيهم , وأن البدعة تبدأ شبرا ثم ذراعا , حتى تكون أميالا وفراسخ . وهو ما حصل عند هؤلاء بالفعل فقد انجرت هذه البدعة الشنيعة إلى تبني ما رام ابنُ سبأ تأصيله وتقعيده حين ادعى ألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه , وادعى حلول الله تعالى فيه , وادعى الرجعة له؛ فقد ذكر ابن أبي الحديد أن عبد الله بن سبأ قام إلى علي وهو يخطب فقال له: (أنت أنت، وجعل يكررها، فقال له -علي- ويلك من أنا، فقال: أنت الله، فأمر بأخذه وأخذ قوم كانوا معه على رأيه) .

والمتبع لآراء الاثني عشرية قديما وحديثا , والمطلع على مصادرهم المعتمدة ؛ يجد أن مسألة القول بالحلول متجذر في المذهب الاثني عشرية , ويتجلى هذا في مظاهر عدة :

منها تصريح علماءهم بهذه العقيدة المنحرفة - سيما المتأخرون منهم- وأن الله عز وجل حل في الأئمة  
، وقد أسندوا في ذلك روايات إلى الأئمة من أهل البيت تروج لهذه العقيدة .

أ - منهم عبد الله شبر حيث قال: ( للأئمة حالة روحانية برزخية أولية تجري عليهم فيها صفات  
الربوبية وإليه أشير في الدعاء : لا فرق بينك وبينهم إلا أنهم عبادك المخلصون) .

فلم يجعل بين الأئمة وبين الله فرقا سوى وصفهم بأنهم عباد الله المخلصون وما عدا ذلك فلا فرق .

ب - ويؤكد هذا أيضا شيخهم التبريزي الأنصاري حيث يقول :

( هذه فاطمة بنت أسد أقبلت تحمل لاهوت الأبد

فاسجدوا ذلا له في من سجد فله الأملاك خرت سجدا

إذ تجلى نوره في آدم ) .

ففاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب قد حملت في أحشائها الله - جل في علاه وتقدس عما  
يقولون علوا كبيرا- وهو منه صريح في الحلول ، ونتيجة لذلك فعلى الشيعي إذا أقبلت أن يسجد لها  
ذلا وخضوعا إذ من في أحشائها خرت له الأملاك كلها ، كما أنه تجلى نوره في آدم ، فأى غلو أعظم من  
هذا الإلحاد .

ج- ومن صرح بذلك إمامهم الخميني حيث يقول في مدح أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : (خليفته  
(يعني خليفة رسول) ، القائم مقامه في الملك والملكوت، المتحد بحقيقته في حضرت الجبروت واللاهوت،  
أصل شجرة طوبى، وحقيقة سدرة المنتهى، الرفيق الأعلى في مقام أو أدنى، معلم الروحانيين، ومؤيد  
الأنبياء والمرسلين علي أمير المؤمنين) .

فقوله المتحد بحقيقته في حضرت اللاهوت ظاهر الدلالة في عقيدة الحلول وأن الله حل في علي ثم  
ينسب الخميني لأمر المؤمنين علي أنه قال: (كنت من الأنبياء باطناً ومع رسول الله ظاهراً) .

ويعلق على ذلك قائلا: (فإنه عليه السلام صاحب الولاية المطلقة الكلية والولاية باطن الخلافة . فهو  
عليه السلام بمقام ولايته الكلية قائم على كل نفس بما كسبت، ومع كل الأشياء معية قيومية ظلّية إلهية  
ظل المعية القيومية الحقّة الإلهية، إلا أن الولاية لما كانت في الأنبياء أكثر خصهم بالذكر) .

فالخميني هنا يرى أمير المؤمنين ليس قائماً على الأنبياء فحسب، بل على كل نفس فأى غلو وتطرف  
أشد من هذا ، وهل هذا إلا تأليه صريح لعلي رضي الله عنه؟! .

وقوله: (عدم رؤية فعل وصفة حتى من الله تعالى) هو منه تأكيد على مذهبه الاتحادي، لأن رؤية فعل  
متميز، وإثبات صفة معينة لله يعني إثبات الغيرية والتثنية ، وهذا شرك عندهم .

ثم يستطرد ناقلاً عن أحد أئمة أن قال: (لنا مع الله حالات : هو هو ، ونحن نحن، وهو نحن، ونحن  
هو) .

ويعلق على ذلك بقوله: (وكلمات أهل المعرفة خصوصاً الشيخ الكبير محي الدين مشحونة بأمثال ذلك مثل قوله: الحق خلق، والخلق حق، والحق حق، والخلق خلق).

وقال في نصوصه: (إن الحق المنزه هو الحق المشبه) ثم نقل جملة من كلمات ابن عربي). وقال: (لا ظهور ولا وجود إلا له تبارك وتعالى، والعالم خيال في خيال عند الأحرار).

وقال في موضع آخر: (وإذا نظف دار التحقق من غبار الكثرة، وطوى الحجب النورانية والظلمانية، ونال مقام التوحيد الذاتي، والفناء الكلي تحصل له الاستعاذة الحقيقية).

فانظر إلى قول هذا الإمام -المعظم عند أتباعه تعظيماً عظيماً حتى عدوه في مصاف الأنبياء بل أفضل من بعضهم- كيف طفح بالحلول والاتحاد بل والقول بوحدة الوجود، ثم إنك تراه كثيراً ما يستدل على مذهبه في وحدة الوجود بقول ابن عربي، والذي يصفه بالشيخ الكبير، وكذا القونوي، ويصفه بـ(خليفة الشيخ الكبير محيي الدين).

ومن صرح بالحلول منهم حسن الابطحي في موقعه على الشبكة العنكبوتية ويشاركه في هذا أيضاً شيخهم أحمد النجفي في كتابه صوم الوصال حيث ينقل دعاءين أحدهما يقول: (أنه لا فرق بين الله والأئمة إلا كونهم عباده) والآخر يقول: (بأن سيدنا علي هو نفس الله).

وأنكى من ذلك أن علق على الأول قائلاً: وهو شبيه بما ورد في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام (السلام على نفس الله القائمة فيه بالسنن).

فنفس الله قائمة في عليّ وهذا منه حلول محض وبالتالي فقوله الأول مشروح بالأثر الذي نقله وكأنه يقول

إنه لا فرق على الحقيقة بين الله



والأئمة ، وأن تسميتهم عبادا لا يعدو أن يكون لفظا لا حقيقة له ، إذ الحقيقة لا فرق .

ومن مظاهر القول بالحلول إطلاق أسماء الله تعالى وصفاته على الأئمة:

فأطلقوا أسماء الله الحسنی وصفاته العلی على أئمتهم وأسندوا في ذلك روايات منسوبة إليهم من ذلك

أ- ما رواه الكاشاني عن أبي جعفر قال في حديث طويل في فضائل آل البيت : ( نحن والله الأوصياء

من بعد الرسول ، ونحن المثاني الذي أعطاه الله عز وجل نبينا ، ونحن شجرة النبوة ، ومنبت

الرحمة ، ومعدن الحكمة ، ومصايح العلم ، وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، وموضع سر الله ،

ووديعة الله جل اسمه في عباده ، وحرمة الله الأكبر ، وعهده المسؤل عنه ، فمن وفى عهدنا فقد وفى

عهد الله ، ومن خفر فقد خفر ذمة الله وعهده ، عرفنا من عرفناه ، وجهلنا من جهلناه ، نحن

الأسماء الحسنی ؛ الذي لا يقبل الله من العباد عملا إلا بمعرفتها ، ونحن والله الكلمات التي تلقاها آدم

من ربه فتاب عليه

ب- وفي بصائر الدرجات عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : ( أنا عين الله وأنا يد الله وأنا جنب الله

وأنا باب الله ) .

ج - وعن أبي عبد الله قال كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : ( أنا علم الله وأنا قلب الله الواعي

ولسان الله الناطق وعين الله الناظر وأنا جنب الله وأنا يد الله ) .

د- وذكر الكليني في أصوله: (عن محمد الباقر أنه قال: (نحن وجه الله ونحن عين الله في خلقه ويده المبسوطة بالرحمة على عباده) , (نحن لسان الله ونحن وجه الله ونحن عين الله في خلقه) .

هـ - وعن أبي عبد الله عليه السلام جعفر الصادق كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه كثيرا ما يقول: (أنا قسيم الله بين الجنة والنار، لقد أوتيت خصالا ما سبقني إليها أحد قبلي ؛ علمت المنايا والبلايا والأنساب ، وفصل الخطاب . فلم يفتني ما سبقني ، ولم يعزب عني ما غاب عني) .

ففي هذه الروايات المنسوبة إلى أئمتهم ، ومثلها كثير جدا في مصادرهم كلها صريحة الدلالة على غلو هؤلاء في أئمتهم ؛ أن وصفوهم بصفات الله تعالى .

فالائمة بزعم هؤلاء هم أسماء الله الحسنی . وهم لسان الله ، ووجهه وعينه وجنبه ويده القادرة .

ب - وجاء في رجال الكشي قال علي: (أنا الأول ، وأنا الآخر ، وأنا الظاهر ، وأنا الباطن ، وأنا وارث الأرض) .

ج- وجاء في كتاب مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار عن علي رضي الله عنه أنه قال: ( أنا رب الأرض الذي يسكن الأرض به) .

وهذا صريح في إضفاء الألوهية على علي ، ومظهر من مظاهر حلول الله تعالى فيه .

ومن مظاهر القول بالحلول عند الاثني عشرية اعتقادهم أن الأئمة من آل بيتهم أصحاب النور الإلهي ؛ الذي هو أصل الوجود ، وأنهم مخلوقون منه .

وقد نقل الاثنا عشرية روايات يصعب حصرها منسوبة للأئمة في حقيقة خلقهم ، وأنهم يتمايزون عن بقية الخلق في ذلك فهم خلقوا من نور الله الأزلي ومن تلك الروايات من رواه المفيد عن جعفر الصادق أنه قال : ( إن الله تبارك وتعالى خلقنا من نور عظمته وصنعنا برحمته ) .

وهذه الخصوصية التي لآل البيت في الخلقة دون بقية البشر؛ قرينة واضحة على وجود الجزء الإلهي فيهم - بحسب اعتقادهم - ، وبالتالي فمعرفة الله في الحقيقة - بزعمهم - ، ولا حظ في الإسلام لمن لم يعرفهم ، وقد جاء في بحار الأنوار : ( أن علياً عليه السلام قال لأبي ذر وسلمان : ( إنّه لا يستكمل أحد الإيمان حتى يعرفني كنه معرفتي بالنورانية ) . . . . ثم قال ) : معرفتي بالنورانية معرفة الله عز وجل ، ومعرفة الله عز وجل معرفتي بالنورانية، وهو الدين الخالص الذي قال الله تعالى : ( وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ) . فهذه الرواية تبين أن لا فرق بين معرفة الأئمة وبين معرفة الله تعالى ؛ إذ الكل واحد ؛ فمن عرف الأئمة فقد عرف الله ، ومن عرف الله عرف الأئمة ومن جهل بأحدهما جهل بالآخر .

ومن الروايات أيضاً في هذا الباب ما رووه - بزعمهم - (عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: لا تعجبوا من قدرة الله ، أنا محمد ومحمد أنا) .

وعنه أيضا قال: ( إن الله خلق محمداً وعلياً وأحد عشر من ولده من نور عظمته، فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره يعبدونه قبل خلق الخلق، ويسبحون الله ويقدمون له ).

ونسبوا إلى: ( الإمام الباقر عليه السلام أنه قال : يا قوم لا تعجبوا من أمر الله، أنا عليّ، وعليّ أنا، وكلنا واحد من نور واحد، وروحنا من أمر الله ، أولنا محمّد، وأوسطنا محمد، وآخرنا محمّد , وكلنا محمّد ) .

فالأئمة وحدهم من نور عظمة الله - بزعمهم - , وهم موجود في الأزل قبل خلق الخلق , وما ثمة فرق بين بعضهم البعض , إذ الكل واحد , وهذا الكلام شبيهه بقول أهل الوحدة أن الكل واحد فالناكح هو المنكوح , والعابد هو المعبود .

بل ذكروا أن الله مسح الأئمة بيمينه وأفضى نوره فيهم , وأنه خلطهم بنفسه , فجعل ظلمهم ظلمه .

وأورد ( عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن الله خلقنا من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقا وبشرا نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً )

وروى الطوسي بإسناده أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : ( يا علي , خلقي الله تعالى وأنت من نور الله حين خلق آدم , وأفرغ ذلك النور في صلبه , فأفضى بها إلى عبد المطلب , ثم افترقا من عبد المطلب ؛ أنا في عبد الله , وأنت في أبي طالب ) .

وروى الصدوق عن جعفر الصادق أنه قال: ( أما علمت أن محمدا وعليا صلوات الله عليهما كانا نوراً بين يدي الله جل جلاله قبل خلق الخلق بألفي عام وأن الملائكة لما رأت ذلك النور . . . . فأوحى الله عز وجل إليهم : هذا نور من نوري أصله نبوة وفرعه إمامة . . )

فالنور عندهم هو جزء من الإله , منه كان النبي عليه الصلاة والسلام وعلي وأولاده وحتى فاطمة فقد روى ابن بابويه أنها : (كانت نوراً قبل خلق الخلق) .

فعقيدة الخلق هذه ساهمت في غلوهم في الأئمة وفي صفاتهم وخصائصهم ورفعهم إلى درجة حلول بعض خصائص وصفات الإلهية فيهم .

ومنها اعتقادهم بأن أنفس الأئمة جزء من نفس الله تعالى:

ومن مظاهر القول بالحلول ما يعتقد هؤلاء من أن أنفس الأئمة مخلوقة من نفس الله تعالى , وأنها جزء منه سبحانه ؛ ففي زيارة صفوان الجمال لمولانا أمير المؤمنين السلام: (عليّ وجه الله الذي من آمن به

آمن ،السلام على نفس الله تعالى القائمة فيه بالسنن ، والتي من عرفها يطمئن ،السلام على أذن الله  
الواعية في الأمم ، ويده الباسطة بالنعم ) .

وتجد نفس الزيارة في مجار الأنوار وفي مستدرك سفينة البحار مثل ذلك أيضا .

وقد سئل علامتهم الحائري عن نفس النبي والأئمة عند قبضها وإفاضتها ؟ وكان في جوابه : (النفس  
هنا معناها الروح ، يعني خرجت روحي من جسدي ، فتبارك بها ، وامسح بها وجهك ، ولأن  
روحه الزكية أفضل روح ، وأشرف روح بين الأرواح ، فهي مباركة طيبة . هذا إذا كانت روحه  
البشرية ، وأما إذا كانت النفس اللاهوتية ، فهي التي تنتقل من معصوم إلى معصوم) .

فالحائري هنا صرح بأن نفس الأئمة المعصومين ليست كنفس البشر بل نفس لاهوتية تنتقل من جسد  
إلى جسد كقول النصارى في عيسى بن مريم ، وهذا هو حقيقة قول الحلوية .

وقال آيتهم العاملي في أحد أجوبته عن حضور الزهراء مجالس ولدها الحسين رضي الله عنهما : (لأن  
سيدة نساء العالمين الصديقة الكبرى الزهراء البتول - صلوات ربي عليها - مخلوقة من نور عظمة الله

تبارك وتعالى ، ولها ولاية تكوينية كبرى على جميع العوالم المادية والملكوئية ، ولها من الطاعة على عامة  
خلقه ما لا يمكننا وصفه ؛ لعدم وجود قابليات تتحمل بعض علوم وأسرار تلك الظاهرة الزكية  
والجوهرية الإلهية . والعنصر الحمدي والشبيه العلوي، فهي فوق ما تصوّر ، ومهما أفضنا في بيان

فضائلها و معجزها و حقيقتها النورانية ، فإننا مقصرون ، وعن إدراك ماهيتها عاجزون ، إذ كيف يحيط المحدود بالكلّي ، والعاجز الداني بالنوراني العالّي ؛ الذي لم يؤمر بالسجود للملائكة ؟ ! فمولاتي الزهراء البتول -روحي فداها- حجة الله تعالى على عامة خلقه من الملائكة والأنبياء والمرسلين والأوصياء والصدّيقين والجن والإنس وما يُرى وما لا يُرى من خلقه فالآية وإن نزلت في أمير المؤمنين عليّ - عليه السلام - إلاّ أنّها تشمل الصديقة الكبرى وأولادها المطهرين - عليهم السلام - لكونهم من نورٍ واحدٍ ، فما ثبت لأمر المؤمنين ، فهو ثابت لها إلاّ ما أخرجته الدليل ) قال : ( ويشهد لما نقول ما ورد بالمستفيض بألفاظ متعددة عن الله تعالى قال لنبيه الأكرم صلّى الله عليه وآله ( لو لم أخلق عليّاً لما كان لفاطمة ابنتك كهو علي وجه الأرضين آدم فمن دونه) ويؤيد هذا ما ورد في آية المباهلة الدالة على أنّها نفس النبي والوليّ - عليهم السلام-، كما أنّها الصديقة الكبرى التي دارت على معرفتها القرون الأولى حسبما جاء في الأخبار الكثيرة بل ما تكاملت نبوة نبيّ إلاّ بمعرفتها والاعتقاد بولايتها) .

(والحاصل: إنّ مقتضى الولاية الكبرى لتلك الجوهرة النفيسة هو الاعتقاد بحضورها وهيمنتها على العوالم الملكيّة والملكوّية بما دل عليه قوله قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون . وحيث أنّها -روحي فداها- مخلوقة من نور عظمة وجلال الله تعالى فلا بدّ من القول باستشرافها لكلّ العوالم رؤيةً حضورية تامة وليس على نحو المجاز والاستعارة، فحضورها نظير حضور ملك الموت على آلاف المحتضرين في ساعة واحدة، وهكذا حضور

أمير المؤمنين والسيدة الطاهرة وأهل بيتهما الطاهرين - عليهم السلام - على شيعتهم المحتضرين في لحظة واحدة ، وهذا الحضور سبب إشكالاً عند بعض ضعاف النفوس من العلماء فرفضوه من أساسه، ولكنه ليس بهذا المستوى من الصعوبة، فقد حلَّ الإشكال العلامة المجلسي - رحمه الله تعالى - في البحار فقال بما معناه: أنَّ حضورهم - عليهم السلام - في لحظة واحدة على آلاف المحتضرين ممكنٌ لأنَّه يحصلُ بأبدانهم المثالية أو الصور النورانية المشابهة لصورهم الحقيقية، أو كالقمر أو الشمس يشرقان على عامة الخلق، وكلهم يصدق عليه أنَّه رأى الشمس والقمر حقيقةً (

ومنها اعتقادهم تجلي الله تعالى في صورة فاطمة بنت رسول الله عليها وعلى أبيها أفضل الصلاة والسلام أو الأئمة:

ففاطمة رضي الله عنها في معتقدهم إله ظهر بصورة امرأة . جاء عن أمير المؤمنين فيما ينقلونه عنه : ( لم تكن الزهراء امرأة عادية، بل كانت امرأة روحانية، امرأة ملكوتية، إنساناً بكل ما للإنسان من معنى، إنها موجود ملكوتي ظهر في عالمنا على صورة إنسان، بل موجود إلهي جبروتي ظهر بصورة امرأة) .

والله يتجلى بمظاهر النبي والأئمة كما قال إبراهيم الأنصاري : (فاكتساب الطهارة والكرم والجمال والعلم وغيرها من الصفات الإلهية يعني الارتباط بالطهارة المطلقة والكرم والجمال والعلم المطلق، وكلُّ هذه الصفات بالمستوى الرفيع متوفرة في مظهر المشيئة الإلهية وهم محمد وآل محمد عليهم السلام) .



وقال الحميني في فاطمة رضي الله عنها : ( إنها امرأة قد ربّت في حجرتها الصغيرة وبيتها المتواضع  
أناساً قد انبثق نورهم من البسيطة إلى عمق الأفلاك وكان ذلك النور يتلألأ من عالم الملك إلى جانب  
الملكوت الأعلى صلوات الله وسلامه على هذه الحجرة المتواضعة التي أصبحت تجلّ لنور العظمة  
الإلهية ومحلاً لتربية المصطفين من أولاد آدم)

ويواصل فيقول: ( جميع الأبعاد المتصورة للمرأة وللإنسان قد تجلّت في الزهراء - سلام الله عليها -  
وكانت متواجدة فيها . لم تكن الزهراء امرأة عادية، هي امرأة روحانية، هي امرأة ملكوتية ، هي إنسان  
بجميع معنى الكلمة، إنها جميع نسخة الإنسانية، جميع حقيقة المرأة ، جميع حقيقة الإنسان إنها ليست  
امرأة عادية، إنها موجود ملكوتي قد ظهرت في العالم على صورة إنسان ، إنها امرأة قد اشتملت على  
جميع خواص الأنبياء ، هي امرأة لو كانت رجلاً لكانت نبياً ، امرأة لو كانت رجلاً كانت في موقع رسول  
الله صلي الله عليه وآله المعنويات، التجليات الملكوتية والإلهية والجبروتية والملكية والناسوتية كلها قد  
اجتمعت في هذا الموجود .

إنّ الإنسان موجود متحرّك من مرتبة الطبيعة إلى مرتبة الغيب ، وإلى الفناء في الألوهية . وقد حصلت  
للصديقة الطاهرة هذه المعاني وهذه المسائل . فهي بالحركة المعنوية من مرحلة الطبيعة ، وبقدرة الله  
وباليد الغيبية وبتربية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استمرت في طيّ المراتب إلى أن وصلت إلى  
مرتبة لم ينلها أحد من الخلق .

كائن الهي جبروتي ظهر على هيئة امرأة فقد اجتمعت في هذه المرأة جميع الخصال الكمالية المتصورة للإنسان وللمرأة . إنها المرأة التي تتحلى بجميع خصال الأنبياء . المرأة التي لو كانت رجلا لكانت نبيا , لو كانت رجلا لكانت بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) .

والمقصود أن الاثني عشرية قد تأصل فيهم فكرة القول بالحلول واتحاد الناسوت باللاهوت

### أوجه الشبه بين معتقد الشيعة الاثني عشرية وفرق الباطنية

#### في الحلول والاتحاد

و بعد هذا العرض لمعتقد الاثني عشرية وفرق الباطنية في الحلول والاتحاد يظهر جليا جملة من نقاط الاشتراك بين الطائفتين . في هذا يمكن عرضها عرضاً سريعاً ندرك من خلاله أثر إحدى الطائفتين على الأخرى , وأهم تلك النقاط التي التقى فيها الطائفتان :

I - أن أهم المسائل التي دعت كلتا الطائفتين إلى القول بحلول الله في أحد من خلقه هو الغلو في الأئمة مما لا مستند له من نصوص الشريعة , فقد حدا الغلو بالطائفتين إلى اعتقاد حلول الله تعالى في أحد خلقه .

ومسألة الغلو مطلقا قد حسم أمرها الشارع في كثير من النصوص الشرعية , وبين مساوئها , وأن الذي أهلك من كان قبلنا من الأمم : وجود الغلو فيهم .

2 - اتفاق الطائفتين على رفع الأئمة فوق مكاتهم البشرية إلى مقام الربوبية .

3- اتفاق الطائفتين على لي النصوص الشرعية وتأييدها تأويلاً باطنياً يخالف مضمونها الشرعي .

4 - اختلاق الطائفتين لروايات مزعومة عن الأئمة لتأييد فكرة القول بالحلول . وهذا يظهر في كثير من الروايات التي ركنت إليها الطائفتان في هذه المسألة .

5- أن القول بالحلول مستقى من تأثرهم بالأديان التي جاء الشارع يكفر من اعتنقها .

فهي ليست وليدة فهم خاطئ أو جهل للنصوص الشرعية ، وإنما هو في بداياته تأثير مذاهب وجدت مستنقعا خصبا للتفريخ فيها .

المفاسد المترتبة على القول بالحلول :

ترتب على القول بالحلول عدة مفسد كثيرة وعظيمة، تناهض حقيقة الإسلام ، وتخالفه تماماً ، وتجلى

هذه المفاسد من خلال أمور نعرف من خلالها خطر القول بالحلول . فمنها :

I - إلغاء الرسالة برمتها وما جاءت به ، وأنه لا فائدة من إرسال الرسل والأنبياء ؛ لأن ذات الله

حلت في خلقه أو في بعضهم على زعمهم فانعدمت الفوارق بين الله وخلقته .

2 - أن القول بالحلول يستلزم منه افتقار الخالق إلى المخلوق الذي حل فيه، كما أنه يستلزم إمكان الحال أو قدم الحل ، وانقلاب الغني عن الشيء محتاجا إليه ، ويستلزم كذلك الانقسام والصغر والحقارة ؛ إذ زعموا حلوله في جميع الأعضاء ، وأصغرها وأرذلها . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ( وكل من وقع بنوع من الحلول لزم افتقار الخالق إلى غيره ، واستغناء غيره عنه ؛ فإن الحال في غيره إن لم يكن محتاجا إليه بوجه من الوجوه امتنع الحلول ، سواء قيل : إن الخالق قائم بنفسه أو بغيره .

فإن قال الحلولي: أنا أثبت حلولا ، لا حلول الأجسام ، ولا الأعراض ؛ وحينئذ فلا يلزم افتقاره فيه إلى غيره ، قيل : هذا لا حقيقية له ، وهو كقول من قال : أثبت قيامه بغيره من غير احتياج إلى ذلك الحل الذي من شأنه أن يقوم ما قام فيه ؛ لأن قيامه بالغير ليس كقيام الأجسام والأعراض ، وأثبته في غيره لا مماسا له ولا مبائنا عنه )

3 - أن فرعون وقومه مؤمنون بالله ، عابدون الله على الحقيقة ، لأن له الحق على مذهبهم أن يزعم أن الله تعالى حل فيه . كما أن عباد الأصنام والأوثان والشمس والقمر وغيرها ما عبدوا إلا الله لأنه يحق لهم أن يزعموا أن الله حل في معبوداتهم .

بل يلزم على القول بالحلول أن الرسل والأنبياء ضيقوا على الخلق ، وحجروا واسعا حين دعوا إلى توحيد الله تعالى وأن الله فوق السماوات مستو على العرش ؛ إذ على عقيدة هؤلاء يجوز التوجه بالعبادة لكل شيء يعتقد أن الله حل فيه . ومن هنا فلا مناص في عبادة غير الله لأن الحججة واحدة .

4 - ومن لوازم القول بالحلول أنه لا حاجة للمخلوقين إلى الرسل والرسالات ؛ فإذا كان الله يحل في خلقه ؛ فلا داعي إلى إنزال الوحي ، وبعثة الرسل ودعواتهم ؛ إذ كل من حل الله فيه يصبح أعظم وأفضل من النبي والرسول : فيتكلم الرب على لسانه بما شاء بدلا من بعثة أولئك .

5 - ومن لوازم هذه العقيدة الباطلة نسبة النقص والضعف والحاجة إلى الله تعالى ؛ إذ هو على معنى هذه العقيدة الحلولية غير قادر ولا غني ولا صمد ولا قيوم ؛ لحاجته وافتقاره إلى خلقه أو بعضهم مجلوه فيهم . وهذا مناقض لأصل الإيمان بالله تعالى ومناقض لأصل كلمة التوحيد .

6 - ومن لوازمه أنه يجوز على الله تعالى وعلى رسوله x وخير الأمة أن يتكلموا بما هو خلاف الحق ، وأنهم يكتمون الحق الذي يجب اعتقاده ولا يبوحون به قط ، ولا يدلون عليه ، وأن الحق كان خافيا حتى جاء الحلولية فأظهره للناس .

7 - ومن لوازمه أن ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير الحلولي . بل كان وجود الكتاب والسنة ضررا محضا في أصل الدين ؛ لأن حقيقة دعوى هؤلاء الحلولية ؛ أنكم يا معشر العباد لا تطلبون معرفة الله لا من كتاب ولا سنة ولا من طريق سلف الأمة ، ولكن انظروا ما تمليه عقيدة هؤلاء الجردة وما أملاه أسلافهم من عباد الأوثان والصلبان ؛ فاعرفوا الله به . وما لم تمله عليه عقولهم وأسلافهم فلا تعتدوه ؛ لأن كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الله ، وأن الرسول معزول عن

التعليم والإخبار بصفات من أرسله ، فالناس عند التنازع لا يردون ما تنازعو فيه إلى الله والرسول ، وإنما إلى ما كانوا عليه في الجاهلية وما لا يؤمن به الأنبياء .

وأما ما جاء في الكتاب والسنة فلا يؤمن به ولا يعتقد ما فيه إلا بعد عرضه على عقول هؤلاء الناس من الحلولية ؛ فما قررته تلك العقول فهو الحق ، وما عداه فباطل يجب رده ، أو تخريجه على شواذ اللغة ، ووحشي الكلام ، وغرائب الألفاظ ؛ ليوافق ما تقره تلك العقول . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض رده على نفاة العلو والاستواء : ( ولازم هذه المقالة: أن لا يكون الكتاب هدى للناس ، ولا بياناً ، ولا شفاء لما في الصدور ، ولا نوراً ، ولا مرداً عند التنازع ؛ لأننا نعلم بالاضطرار أن ما يقوله هؤلاء المتكلمون: إنه الحق الذي يجب اعتقاده: لم يدل عليه الكتاب والسنة لا نصاً ولا ظاهراً . وبالاضطرار يعلم كل عاقل أن من دل الخلق على أن الله ليس على العرش ولا فوق السموات ونحو ذلك بقوله: + پ پ پ (I) لقد أبعد النجعة ، وهو إما ملغز ، وإما مدلس لم يخاطبهم بلسان عربي مبين . ولازم هذه المقالة: أن يكون ترك الناس بلا رسالة: خيراً لهم في أصل دينهم . لأن مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد؛ وإنما الرسالة زادتهم عمى وضلالة ) .

### حكم القول بالحلول والاتحاد

القول بالحلول مناقض لشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله عليه الصلاة والسلام ؛ وذلك أن القول به يعد نفيًا لوحداية الله تعالى في ألوهيته وربوبيته ؛ لأنه اعتقاد ألوهية غير الله بزعم حلول الإله

فيه ، وبالتالي تصبح بعض المخلوقات أو كلها أربابا وآلهة مع الله تعالى ، كما أن القول بالحلول تنقص لرب العالمين ؛ بنفي صفات العلو والفوقية والاستواء على العرش وغيرها من صفات الكمال الثابتة لله تعالى ، ووصفه بالنقائص مجلولة فيها .

ولهذا فإن القول بالحلول أو الاتحاد كفر بالله تعالى ، مخرج من الملة الإسلامية ؛ لمخالفته الصريحة لنصوص الوحي ولما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام .

وقد كفر علماء الإسلام من أنكر علو الله تعالى واستوائه على عرشه ، فضلا عن زعم حلوله في بعض مخلوقاته ؛ فقد سئل الإمام أبو حنيفة رحمه الله عن الذي يقول : لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض وكذلك سئل عن الذي يقول بأن الله على العرش استوى ولكنه يقول ؛ لا أدري في السماء أم في الأرض ، فأفتى رحمه الله بأنه كافر ؛ لأنه أنكر أن يكون في السماء لأن الله تعالى في أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل) .

ثم إنه أردف ذلك بتكفير من قال: إنه على العرش استوى، ولكن توقف في كون العرش في السماء أم في الأرض، قال: لأنه أنكر أنه في السماء ؛ لأن الله في أعلى عليين ، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل .

وهذا تصريح من أبي حنيفة بتكفير من أنكر أن يكون الله في السماء، واحتج على ذلك بأن الله في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل، وكل من هاتين الحجبتين فطرية عقلية؛ فإن القلوب

مفطورة على الإقرار بأن الله في العلو، وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل).

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة : ( من لم يقر بأن الله - عز وجل - على عرشه ، قد استوى فوق سبع سماواته ؛ فهو كافر بربه ، حلال الدم ، يستتاب وإلا ضربت عنقه ، وألقي على بعض المزابل ؛ حتى لا يتأذى الناس بنتن رائحة جيفته ، وكان ماله فيئاً لا يرثه أحد من المسلمين ؛ إذ المسلم لا يرث الكافر) .

فهذا تصريح من هذا الإمام بتكفير من اعتقد بالحلول . وقد جاءت الآثار أن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أتي بقوم من الرافضة فحرقهم - كما قد سبق - فبلغ ذلك ابن عباس رضي الله عنهما فقال : أما أنا فلو كنت لقتلتهم ، لقول الرسول الله × : (( من بدل دينه فاقتلوه )) ولما حرقتهم لنهي رسول الله : (( لا تعذبوا بعذاب الله )) .

قال شيخ الإسلام : ( ومن هؤلاء الحلولية والاتحادية من يخص الحلول والاتحاد ببعض الأشخاص، إما ببعض الأنبياء كالمسيح، أو ببعض الصحابة ، كقول الغالية في علي ، أو ببعض الشيوخ ، كالحلاجية ونحوهم، أو ببعض الملوك، أو ببعض الصور، كصور المردان ، ويقول أحدهم: إنما أنظر إلى صفات خالقي، وأشهد لها في هذه الصورة . والكفر في هذا القول أبين من أن يخفى على من يؤمن بالله ورسوله ، ولو قال مثل هذا الكلام في نبي كريم لكان كافراً ، فكيف إذا قاله في صبي أمرد؟! )



وقد حكى غير واحد من أهل العلم الإجماع على أن القول بالحلول كفر مخرج من الملة ومن قال ذلك القاضي عياض (حيث قال رحمه الله : ( بيان ما هو من المقالات كفر) ثم أخذ يعدد هذه المقالات الكفرية فقال : ( فكل مقالة صرحت بنفي الربوبية أو الوجدانية , أو عبادة أحد غير الله , فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر فرق أصحاب الاثنين , وأصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية . . . . . )  
فذلك كله كفر بإجماع المسلمين . . . . . وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج إليه ومكالمته , أو حلوله في بعض الأشخاص ؛ كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة ) .

وقد ذكر الإمام الشاطبي رحمه الله أن القول بالحلول : (لا يختلف المسلمون في التكفير به )

**أوجه الشبه بين موقف الاثني عشرية و فرق الباطنية من القرآن الكريم .**

### **موقف الاثني عشرية من القرآن الكريم**

لقد كان للاثني عشرية من القرآن الكريم موقف لم يكن على الجادة من الحق الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام , وترك عليه أمته من البيان والهدى والوضوح , الذي عهد من بعده إلى أصحابه , ونقلوه من بعده لأمتهم , وقد كان هذا الموقف الذي سلكته الاثنا عشرية بعيدا في كل معطياته , ومغايرا عن ذلك المنهج النبوي الروي .

ولعل أبرز المعالم التي ظهر بها المذهب الاثنا عشري تجاه القرآن الكريم يمكن عرضه في عدة مسائل :

المسألة الأولى: قولهم: إن القرآن ليس بحجة إلا بقيم:

فالقرآن العظيم هو الشاهد والدليل والحجة , غير أن الكليني في أصول الكافي يقرر: ( أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم: وأن علياً كان قيم القرآن , وكانت طاعته مفترضة، وكان الحجة على الناس بعد رسول الله ) ولم تكن هذه المقالة حكراً على الكليني فحسب حتى يمكن دفعها بتقرده بها , بل وجدت هذه المقالة رواجاً في جملة من كتب الاثني عشرية المعتمدة كرجال الكشي وعلل الشرائع والحاسن ووسائل الشيعة وغيرها .

وخطورة هذه المقولة تكمن في أنه لا يمكن أن يحتج محتج بالقرآن الكريم إلا بعد الرجوع لقول الإمام . وهذا يعني أن الحجة قائمة في قول الإمام لا في قول الملك العلام، فالقرآن لا يؤخذ بنظامه إلا من جهة الإمام القيم على تنفيذه .

وقد جاء عندهم في تنمة هذا النص آف الذكر ما يعزز هذا وهو قوله : ( فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجئ، والقدرى، والزنديق الذي لا يؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته فعرفت أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم) .

ويظهر من هذا أنهم يرون أن الحجة في قول الإمام ؛ لأنه الأقدر على البيان من القرآن، ولهذا سموه بالقرآن الصامت ، وسَمَوْا الإمام بالقرآن الناطق، ويروون عن علي أنه قال: (هذا كتاب الله الصامت وأنا كتاب الله الناطق) وقال: (ذلك القرآن فاستنطقوه فما ينطق لكم أخبركم عنه . . . )

ويقولون في رواياتهم : (وعليُّ تفسير كتاب الله) ، و (أن الأئمة هم القرآن نفسه ) .

وحيثما يزعمون بأن القرآن لم يفسر إلا لرجل واحد هو علي .

والسبب في ربط حجية القرآن بوجود القيم (الإمام) بزعمهم ؛ هو أن القرآن فسر لرجل واحد وهو علي، ثم انتقل علم القرآن من علي إلى سائر الأئمة الاثني عشر، كل إمام يعهد بهذا العلم إلى من بعده، حتى انتهى إلى الإمام الثاني عشر ؛ وهو غائب مفقود عند الاثني عشرية منذ ما يزيد على أحد عشر قرناً، ومعدوم عند طوائف من الشيعة وغيرهم .

فظل القرآن مرتبطاً بغائب فلا حجة فيه حينئذ ، وحسبك بهذا أن ترى أي بُعْدٍ وضلال وصل إليه من ربط دينه بإمامه ، وكتاب ربه بفهمه وبيانه ، وأي حجة تقوم على البشرية بذلك .

ومما يحسن التنبية إليه هاهنا أن الاثني عشرية يعتبرون القرآن إماماً صامتاً ، وأن الإمام قرآن ناطق ، ودوره بالنسبة للقرآن كدور النبي × له سواء بسواء ، فلا بد من الرجوع إلى الإمام في بيان مراد الله في كتابه ، ولهذا منع كثير منهم العمل بظواهر القرآن دون الرجوع إلى الأخبار الواردة عن الأئمة ، يقول

محمد علي الكاظمي في بيان هذا الأمر : ( إن الأخبار الناهية عن العمل بالكتاب وإن كانت مستفيضة بل متواترة ؛ إلا أنها على كثرتها بين طائفتين :

- طائفة تدل على المنع عن تفسير القرآن بالرأي والاستحسانات الظنية .

-وطائفة تدل على المنع عن الاستقلال في العمل بظاهر الكتاب من دون مراجعة أهل البيت ؛ الذين نزل الكتاب في بيتهم صلوات الله عليهم ) .

وقال شيخهم الطوسي : ( واعلم أن الرواية ظاهرة في أخبار أصحابنا بأن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام , وعن الأئمة الأطهار عليهم السلام , الذين قولهم حجة كقول النبي وأن القول فيه بالرأي لا يجوز ) .

ويقول علي الكوراني : ( وقد ثبت بحديث : ( إني تارك فيكم الثقلين ) أن النبي عليه الصلاة والسلام عين عترته مفسرين شرعيين للقرآن , فلا يجوز تجاوز تفسيرهم) .

### **اعتقادهم بأن الأئمة اختصوا بمعرفة القرآن لا يشركهم فيه أحد**

تعتقد الاثنا عشرية أن الله سبحانه قد خص أئمتهم الاثني عشر بعلم القرآن كله، وأنهم اختصوا بتأويله، فمن طلب علم القرآن من غيرهم فقد ضل وحاد عن طريق الصواب. بل قالوا : إن متشابه القرآن إنما يعد متشابها بالنسبة لعامة الناس , أما الأئمة فإنه لا متشابه عليهم ؛ لأنهم هم الراسخون في العلم

الذين أسند الله تعالى إليهم تأويل القرآن . وكل إمام من الاثني عشر في عصره هو المرجع في بيان القرآن ؛ بين لهم ما يرى تبيانه ، ويحكم ما يرى كتمانته .

ولا بد لهؤلاء المتخصصين أن يكونوا معصومين : ذلك أن القرآن كتاب لا تناقض فيه بتصریح القرآن ذاته

إذن لا بد أن يكون المرجع في فهم القرآن ، وتوضيح ما أشكل منه بمعزل عن التناقض أيضا . أي لا

يصح أن يكون أهل الذكر أصحاب مشارب متضاربة ، ولا يمكن أن نجد هذه الميزة إلا في المعصومين (

فالأئمة هم المخصوصون بعلم القرآن و فهمه دون غيرهم من البشر يجب الرجوع إليهم لأنهم - بزعم -

على تعبيرهم شيخهم الخوئي (هم الأدلاء على القرآن ، والعاملون بفضله ، فمن الواجب أن تقتصر

على أقوالهم ونسختهم بإرشادهم ) .

وقد أسندوا إلى جعفر الصادق أنه قال : ( إنا أهل البيت لم ينزل الله يبعث فينا من يعلم كتابه من أوله

إلى آخره ، وإن عندنا من حلال الله وحرامه ما يسعنا كتمانته ، ما نستطيع أن نحدث به أحدا ) .

ولم يعولوا منطلقهم في هذه المسألة على هذا الأثر فقط بل ساقوا جملة من الأخبار حوتها مصنفاتهم

وصنوها من الروايات نقلوها عن أئمتهم منها على سبيل المثال لا الحصر :

I- ما جاء في أصول الكافي عن أبي عبد الله أنه قال : (إن الناس يكفهم القرآن ، ولو وجدوا له مفسراً ، وإن رسول الله - صلى الله عليه وآله - فسر له لرجل واحد ، وفسر للأمة شأن ذلك الرجل : وهو علي بن أبي طالب) .

فالنبي الكريم فسر القرآن لرجل واحد من أمته ، وترك البقية في جهالة ؟!! وهل بهذا الزعم أدى الأمانة التي على عاتقه يوم أن تركهم بهذه الحال ؟ مسائل لو تأملها اللبيب بأدنى تأمل لعلم بطلانها ، لكن من يهن الله فما له من مكرم .

2- وجاء في جملة من مصادرهم أن رسول الله - وآله - قال: (إن الله أنزل عليّ القرآن ، وهو الذي من خالفه ضل ، ومن يتغي علمه عند غير علي هلك) .

فهذه الرواية حصرت علم القرآن في عليّ ، كما أنها في نفس الوقت وصفت مخالف القرآن بالضلال ، لكن المخالفة هنا هل هي باعتبار الفهم المتبادر أو ما ورد من تفسير آياته مما تؤيده اللغة أو نقل عن النبي × أم أن المقصود بالمخالفة على تفسير عليّ بن أبي طالب وحده ، وهل يدخل في الضلال ما جاء من تفاسير منقولة عن الأئمة الباقين مما هو مخالف لقول عليّ ؟ وإذا لم يدخلوا في الضلال فكيف يخرجونهم من النص ، وهو صريح في وصف المخالف من غير بيان لجنسه ؟ وهل إخراج بقية الأئمة من دلالة الحديث محصور بهم أم أن لغيرهم أيضاً استثناء ؟ كلها تساؤلات كافية في بطلان هذا الأثر .

3- وذكرت بعض كتبهم أن أبا جعفر قال: (يا قتادة، أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال: هكذا يزعمون، فقال أبو جعفر - رضي الله عنه -: (بلغني أنك تفسر القرآن؟ فقال له قتادة: نعم - إلى أن قال:- ويحك يا قتادة، إنما يعرف القرآن من خوطب به)

فمعرفة القرآن محصورة بمن خوطب به وهم الأئمة، لا غيرهم، وهل هذا يعني أن الآيات التي خوطب بها الكفار خوطب بها الأئمة أيضاً؟ أم أن فهما حصر بمن وجهت له هذه الآيات التي سيقت في الكافرين؟.

4- وفي تفسير فرات: (. . . إنما على الناس أن يقرأوا القرآن كما أنزل، فإذا احتاجوا إلى تفسيره فالاهتداء بنا وإلينا).

ورواياتهم في هذا الباب كثيرة جداً، ولو ذهبت أنقل ما بين يدي منها لاستغرق مجلداً. وجاء في الكافي - أصح الكتب لديهم - مجموعة من الأبواب كل باب منها يتضمن أخباراً في هذا الموضوع مثل:

(باب: أن الأئمة - رضي الله عنهم - ولاة أمر الله وخزنة علمه).

(باب: أن أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمة).

(باب: أن من وصفه الله تعالى في كتابه بالعلم هم الأئمة).

(باب: أن الراسخين في العلم هم الأئمة) .

(باب: أن الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت في صدورهم) .

فهذه الأبواب والتي يندرج تحت كل باب جملة من النصوص المنسوبة إلى الأئمة , وكما يظهر من عنوان كل عنوان حصر علم الدين بالأئمة المعصومين .

وأما صاحب البحار فقد ضرب بسهم وافر في هذا المضمار، ومن هذه الأبواب التي حواها :

(باب : أنهم أهل علم القرآن) .

(وباب: أنهم خزان الله على علمه ) .

(باب :أنهم لا يجب عنهم علم السماء والأرض) .

(باب: أنهم لا يجب عنهم شيء ) .

ومن يتأمل هذه الأبواب يجد أن الأئمة لم يبقوا شيئاً من الأمر إلا وقد حازوه , بل نالوا من العلم ما لم

يلغاه أحد من البشر ولا حتى الأنبياء , في غلو مشين لم تبلغه أمة من الأمم نسأل الله العافية والسلامة

وفي وسائل الشيعة للحر العاملي : (باب: عدم جواز استنباط الأحكام من ظواهر القرآن إلا بعد معرفة

تفسيرها من كلام الأئمة - رضي الله عنهم - فيه ثمانون حديثاً من أحاديثهم) .



فلا يجوز استنباط الأحكام من القرآن بدون إثارة علم إمامي ، وكان هذا الأثر يجيز الاستنباط بعد معرفة تفسير الأئمة ، ولا ندري هذا الاستنباط الجاز أسبق من الأئمة قولهم فيه فلا يكون بذلك استنباطا ؟ أم لم يسبقوا إليه فالمنع حينئذ لم يزل قائما ؟ .

وفي الفصول المهمة في أصول الأئمة (باب : أنه لا يعرف تفسير القرآن إلا الأئمة) .

وفي تفسير الصافي يخصص إحدى مقدمات تفسيره لهذه القضية وهي: (المقدمة الثانية في بُد ما جاء

في أن علم القرآن كله إنما هو عند أهل البيت - رضي الله عنهم -)

وهو والذي قبله كسابقه في الغلو الذي لم يسبق إليه مثيل في أمة من الأمم .

و صاحب مقدمة البرهان كذلك له نصيب من ذلك الانحراف حيث يقول في مقدمته لبرهانه : (الفصل

الخامس : في بيان ما يدل على أن علم تأويل القرآن بل كله عند أهل البيت - عليهم السلام -) ويذكر

في هذا الفصل جملة من أخبارهم في هذه المسألة، ثم يقول: ( أقول: والأخبار في هذا الباب أكثر من أن

تحصى) ولو ذهبنا نستقصي الكتب الشيعية التي تعرضت لهذا لطل بنا المقام؛ لأن هذا من أصولهم

التي بني عليها مذهبهم ، حتى قال أحد آياتهم : (اعلم أن علم القرآن مخزون عند أهل البيت وهو مما

قضت به ضرورة المذهب) .

ولعل بداية هذه المقالة، وجذورها الأولى ترجع لابن سبأ فهو القائل: (بأن القرآن جزء من تسعة أجزاء , وعلمه عند علي ) .

ومن العجب أنهم بدعواهم أن علم القرآن عند الأئمة نسبوا إليهم علم كل شيء ، وقد صرحوا بذلك فقد جاء عن أبي عبد الله - فيما يروونه عنه - : (إني لأعلم ما في السموات , وأعلم ما في الأرضين ، وأعلم ما في الجنة، وأعلم ما في النار ، وأعلم ما كان وما يكون، ثم مكث هنيهة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه , فقال: علمت ذلك من كتاب الله . إن الله يقول: (فيه تبيان كل شيء) .

ومما علم من الإسلام بالضرورة أن علم القرآن لم يكن سراً تتوارثه سلالة معينة من الناس دون غيرهم ، ولم يكن لعلبي اختصاص بهذا دون سائر صحابة رسول الله x ، وأن الصحابة رضوان الله عليهم وفي مقدمتهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه هم الطليعة الأولى الذين حازوا شرف تلقي هذا القرآن من رسول البشرية محمد بن عبد الله x , ونقلوه إلى الأجيال من بعدهم كافة .

### القول بأن الإمام ينسخ القرآن

ومما جرح إليه الاثنا عشرية قولهم إن للإمام أن ينسخ القرآن , ويقيد مطلقه , ويخصص عامه . وهو نتيجة من نتائج اعتقادهم في كون الإمام قيما للقرآن، وأن الأئمة هم القرآن الناطق بإزاء القرآن الصامت , فهم خزنة علم الله وموضع سره وولاية أمره ووحيه , وأن التشريع لم يكتمل بوفاة الرسول الكريم ، بل

إن جملة من الشريعة بقيت لم تشرع أودعها الرسول لعلي رضي الله عنه ، أخرج علي منها ما يحتاجه عصره، ثم أودع ما بقي لمن بعده من ولده من الأئمة ، وهكذا إلى أن بقيت عند إمامهم الغائب .

وبناءً على ذلك فإن مسألة تخصيص عام القرآن، أو تقييد مطلقه، أو نسخه هي مسألة لم تنته بوفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ لأن النص النبوي، والتشريع الإلهي استمر ولم ينقطع بوفاة الرسول، بل استمر عندهم إلى بداية القرن الرابع الهجري ؛ وذلك بوقوع الغيبة الكبرى لمهديهم المنتظر خروجه .

والتي انتهت بها صلتهم بالإمام، وانقطع تلقي الوحي الإلهي عنه؛ لأنهم يعتقدون : ( أن حديث كل واحد من الأئمة الطاهرين قول الله عز وجل، ولا اختلاف في أقوالهم كما لا اختلاف في قوله تعالى ) .

ومن هنا قالوا: يجوز لمن سمع حديثاً عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق أن يرويه عن أبيه أو أحد أجداده؛ بل يجوز أن يقول: قال الله تعالى فكان للإمام جراً ذلك ، أن يكون له تخصيص القرآن، أو تقييده ، أو نسخه، وهو تخصيص أو تقييد أو نسخ للقرآن بالقرآن، لأن قول الإمام كقول الله عز وجل

- كما يقول أحد آياتهم المعاصرين : (إن حكمة التدرج اقتضت بيان جملة من الأحكام وكمائن جملة، ولكنه - سلام الله عليه (أي الرسول الكريم)- أودعها عند أوصيائه: كل وصي يعهد بها إلى الآخر، لينشرها في الوقت المناسب لها حسب الحكمة : من عام مخصص، أو مطلق، أو مقيد، أو مجمل

مبين ، إلى أمثال ذلك، فقد يذكر النبي عاماً ويذكر مخصصه بعد برهنة من حياته، ولا قد يذكره أصلاً، بل يودعه عند وصيه إلى وقته) .

ومسألة النسخ والتخصيص والتقييد ليست إلا جزءاً من وظيفة الأئمة الكبرى وهي : (التفويض في أمر الدين) ، والتي يقررها صاحب الكافي في باب يعقده في هذا الشأن بعنوان: (باب : التفويض إلى رسول الله - وآله - وإلى الأئمة - عليهم السلام - في أمر الدين) .

فالأئمة قد فوضوا في أمر هذا الدين، كما فوض رسول الله ، فلهم حق التشريع كما لرسول الله لا فرق بينهما؛ جاء في الكافي عن أحد الأئمة أنه قال: (إن الله عز وجل فوض إلى نبيه فما فوض إلى رسول الله - وآله - قد فوضه إلينا) .

ثم إن الأئمة هم مستودع علوم الملائكة والأنبياء والرسل، وعندهم جميع الكتب التي نزلت من السماء، وهذه المهام التشريعية هي من فيض هذه العلوم المخزونة عند الأئمة .

وأما التطبيق العملي لهذه العقيدة فهو ذلك الكم الهائل من الروايات في مسائل العقيدة وغيرها، والتي شذوا بها عن أئمة الإسلام ومنهجه . فمثلاً ألفاظ الكفر والكفار والشرك والمشركين الواردة في كتاب الله تعالى، والتي تعم كل من كفر بالله وأشرك؛ جاءت عندهم روايات كثيرة تخص هذا العموم بالكفر بولاية علي والشرك باتخاذ إمام معه ، فخصصوا عموم الكتاب بلا مخصص، أو بالأحرى حرفوا النصوص وزعموا أنه تخصيص، واعتبروا مسألة الإمامة أخطر من الشرك والكفر .

والمقصود أن من تتاج الغلو الذي سلكه الاثنا عشرية في الأئمة اعتقادهم أن لهم علم القرآن كله ، وأنهم  
المخصصون لعامة ، المقيدون لمطلقة ، المفصلون لمجملة ، الناسخون لما شاءوا من أحكامه لا يشركهم  
في ذلك أحد من البشر ومن رام فهم القرآن من غير طريقهم فقد تنكب عن الصراط وسلك طريق  
الضلالة ، يقول الفيض الكاشاني في بيان هذا المعتقد : ( لا يعلم علم الكتاب والسنة كله إلا من يعلم  
الناسخ من المنسوخ ، والمحكم والمتشابه ، والتأويل من الظاهر ، والمقيد من المطلق ، والعام من الخاص  
... إلى غير ذلك من الأحكام كلها ، ولا يعلم ذلك كله إلا النبي × ومن أخذ علمه من الله تعالى  
بواسطته من عترته المعصومين وأوصيائه المطهرين خلفا بعد سلف ) .

ويقول الجنازدي : ( إن في أخبار الرسول عليه الصلاة والسلام مثل القرآن ناسخا ومنسوخا ، عاما  
وخاصا ، ومحكما ومتشابها ، وقل من يعرف الناسخ من المنسوخ ، والعام من الخاص ، وموارد ورود  
الخاص ، والمحكم من المتشابه ، وتأويل المتشابه ، وموارد تعلق الناسخ وموارد ارتفاع النسخ ، وليس  
إلا من كان له بصيرة بمراتب الرجال ، واختلاف أحوالهم ، واقتضاء أحوالهم الأحكام اللاتفة بها ، وفي  
الأخبار الدالة على تفويض أمر العباد إلى رسول الله × ثم إليهم إشعار بأنهم ينظرون إلى أحوال العباد ،  
فيأمرون بحسب أحوالهم ، وفي نسبة إيقاع الخلاف بين أتباعهم إلى أنفسهم دلالة على ذلك ) .

فلولا الأئمة لزاغت الأمة وضلت عن جادة الحق بزعم هؤلاء .

**قولهم إن للقرآن معان باطنة**

ومما جرح إليه الاثنا عشرية حيال القرآن الكريم قولهم إن للقرآن ظاهراً وباطناً ، وإن الناس لا يعلمون إلا الظاهر ، وأما الباطن فلا يعلمه إلا الأئمة ومن يستقي منهم .

وقد حاول الشيعة بفكرة الظاهر والباطن تفسير القرآن كي يوافق معتقداتهم ، ويخدم مذهبهم سواء كان في مسألة الإمامة ، أو في الطعن في الصحابة ، أو في غيرهما من المسائل التي تفردت بها عن سائر الفرق .

وقد تحول كتاب الله إلى كتاب آخر غير ما في أيدي المسلمين جراء هذه المسألة التي لا ضابط لها ، ولا قاعدة يعتمد عليها . بل يجد المتأمل في تأويلاتهم آيات القرآن محاولة يائسة لتغيير هذا الدين ، وتحوير معالمة ، وطمس أركانه . ولا غرو فلا مستند لتأويلهم ولا أثر ولا لغة ولا منطق ولا سياق يدعم ما ركنوا إليه .

فأركان الدين في تأويلهم تفسر بالأئمة ، وآيات الشرك والكفر تؤول بالشرك بولاية علي وإمامته ، وآيات الحلال والحرام تفسر بالأئمة وأعدائهم ، وهكذا يخرج القارئ من هذه التأويلات بدين غير دين الإسلام . بل دين له ركنان أساسيان هما : الإيمان بإمامة الاثني عشر ، والكفر واللعن لأعدائهم . وقد قدم شيوخ هؤلاء في تطبيق هذا المبدأ مئات الروايات منسوبة للأئمة تؤيد المنحى الذي اتخوه ، وتقول آيات الله على غير تأويلها ، وتصرفها عما أنزلت فيه ولأجله ، بل توجه العقول الحصيفة ، وتنقرز منه الطباع السليمة . .

جاء في أصول الكافي عن محمد بن منصور - أحد رواةهم - فقال: (إن القرآن له ظهر وبطن، فجميع ما حرم الله في القرآن هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحل الله تعالى في الكتاب هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الحق) .

فللقرآن معاني باطنة تخالف الظاهر مخالفة تامة، وتضرب المثل بما أحل الله وحرم في كتابه من الطيبات، والخبائث، وأن المقصود بذلك رجال بأعيانهم هم الأئمة الاثنا عشرية، وأعداؤهم؛ وهم كل خلفاء المسلمين. وهذا التأويل لا أصل له من لغة أو عقل، أو دين، كما هو ظاهر.

ولعل الدافع إلى القول بأن القرآن له ظهر وبطن؛ هو خلو كتاب الله سبحانه من ذكر أئمتهم الاثني عشر، ومن النص على أعدائهم، وقد أقص مضاجعهم هذا الأمر؛ لأنه يفسد أصل مذهبهم القائم على الإمامة، وقد صرحوا بأن كتاب الله قد خلا من ذكر الأئمة فنقلوا عنهم قولهم: (لو قرئ القرآن كما أنزل لأفينا مسمين).

فلما لم يكن لهذا الأصل وهو (الإمامة) والأئمة ذكر في كتاب الله؛ قالوا بهذه المقالة لإقناع أتباعهم، وحتى يجعلوا لهذه المقالة القبول أسندوها لبعض آل البيت.

ومسألة القول بأن لنصوص القرآن باطناً يخالف ظاهرها شاعت في كتب القوم، وأصبحت أصلاً من أصولهم، لأنه لا بقاء لمذهبهم إلا بها، ولهذا عقد صاحب البحار باباً لهذا بعنوان: (باب أن للقرآن

ظهراً وبطناً) وقد ذكر في هذا الباب أكثر من ثمانين رواية، و قال في صدر هذا الباب: (قد مضى كثير من تلك الأخبار في أبواب كتاب الإمامة ونورد هنا مختصراً من بعضها).

و عقد صاحب تفسير البرهان باباً مماثلاً لما في البحار بعنوان: (باب في أن القرآن له ظهر و بطن).

كما أنه عقد به خمسة فصول حشر فيها روايات أئمة في هذا الباب ، انتخابها من مجموعة كبيرة من كتبهم المعتمدة.

كما قررت كثير من كتب التفسير عندهم في مقدماتها هذه المسألة كأصل من أصولهم كتفسير القمي، والعياشي ، والصافي وغيرها .

ومن نصوصهم في هذه المسألة: (إن للقرآن ظهراً وبطناً، و بطنه بطن إلى سبعة أبطن).

وعن جابر الجعفي قال: (سألت أبا جعفر عن شيء من تفسير القرآن فأجابني، ثم سألت ثانية

فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم؟

فقال لي: يا جابر: إن للقرآن بطناً، وللبطن بطناً وظهراً، وللظهر ظهراً، يا جابر، وليس شيء أبعد من

عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية لتكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل

يتصرف على وجوه).



وتقرر نصوصهم أن لكل آية معنى باطنياً، بل لكل آية سبعة بطون. ثم طاشت تقديراتهم فقالت: بأن لكل آية سبعين باطناً، واستفاضت بشأن ذلك أخبارهم؛ قال أحد شيوخهم: ( لكل آية من كلام الله ظهر وبتن. بل لكل واحدة منها كما يظهر من الأخبار المستفيضة سبعة وسبعون باطناً ).

ومن هنا يحلو للناظر فيها أن يؤول آيات كتاب الله العزيز على حسب هواه؛ إذ كل ما يراه لا يخرج مضمونه عن هذه السبعة بطون، فضلاً عن السبعين، بل لو حاولنا أن نأتي بعشر هذه البطون السبعين في آية واحدة من كتاب الله تعالى لما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، غير أن المعنى الذي لا مرية فيه الذي يحاولون إثباته من هذه السبعين باطناً لا يعدو أحد أمرين: إثبات إمامة الاثني عشر، أو الطعن في مخالفهم وتكفيرهم.

والناظر في رواياتهم التي تذهب هذا المذهب الباطني، والتي تتسع لعرضها المجلدات يجدها محصورة في هذين الموضوعين. يقول أحدهم: (وقد دلت أحاديث متكاثرة كادت أن تكون متواترة على أن بطونها وتأويلها بل كثير من تنزيلها وتفسيرها في فضل شأن السادة الأطهار... بل الحق المتبين أن أكثر آيات الفضل والإنعام والمدح والإكرام، بل كلها فيهم وفي أوليائهم نزلت، وأن جل فقرات التوبيخ والتشنيع والتهديد والتفطيع؛ بل جملتها في مخالفهم وأعدائهم... إن الله عز وجل جعل جملة بطن القرآن في دعوة الإمامة والولاية، كما جعل جل ظهره في دعوة التوحيد والنبوة والرسالة).

وقال آخر: (إن جل القرآن إنما نزل فيهم (يعني في الأئمة الاثني عشر) وفي أوليائهم وأعدائهم).

وقد زعم شيخهم البحراني أن علياً وحده ذكر في القرآن (II54) مرة.

بل جاء في بعض رواياتهم المنقولة تقول: (إن القرآن نزل أربعة أرباع: ربع حلال، وربع حرام، وربع سنن وأحكام، وربع خبر ما كان قبلكم ونبأ ما يكون بعدكم وفصل ما بينكم) وهذا يعني أنه ليس للأئمة ذكر صريح في القرآن.

ثم تأتي رواية أخرى تقول الرواية: (نزل القرآن أثلاثاً: ثلث فينا وفي عدونا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام) وكأن هذه الرواية تحاول أن تتلافى ما في الرواية السابقة من نسيان لذكر الأئمة، إلا أنها لم تجعل للأئمة وأعدائهم إلا ثلث القرآن لا جُله.

ولم يستقر الحال على ذلك حتى تأتي رواية ثالثة يزيد فيها نصيب الأئمة ومخالفهم من الثلث إلى النصف؛ تقول الرواية: (نزل القرآن على أربعة أرباع: ربع فينا، وربع في عدونا، وربع سنن وأمثال، وربع في فرائض وأحكام).

ولما لم يكن للأئمة ميزة ينفردون بها في القرآن عن مخالفهم في هذه الروايات؛ جاء العياشي وزاد فيها: (ولنا كرائم القرآن) كما صرح بذلك صاحب تفسير الصافي. فانتهاوا بهذا إلى القول بأن أكثر القرآن نزل فيهم وفي أعدائهم.

يقول الفيض الكاشاني: (وردت أخبار جمعة عن أهل البيت في تأويل كثير من آيات القرآن وبأوليائهم، وبأعدائهم، حتى أن جماعة من أصحابنا صنفوا كتباً في تأويل القرآن على هذا النحو جمعوا فيها ما ورد عنهم في تأويل القرآن آية آية، إما بهم أو بشيعتهم، أو بعدوهم، على ترتيب القرآن. وقد رأيت منها كتاباً كاد يقرب من عشرين ألف بيت، وقد روي في الكافي، وفي تفسير العياشي، وعلي بن إبراهيم القمي، والتفسير المسموع من أبي محمد الزكي أخباراً كثيرة من هذا القبيل).

وقال علامتهم أبو الحسن الشريف: (إن الأصل في تنزيل آيات القرآن؛ إنما هو الإرشاد إلى ولاية النبي والأئمة - صلوات الله عليهم - بحيث لا خير خبر به إلا وهو فيهم وفي أتباعهم، وعارفيهم، ولا سوء ذكر فيه إلا وهو صادق على أعدائهم وفي مخالفينهم).

وعقد الحر العاملي باباً عنون له: (باب: أن كل ما في القرآن من آيات التحليل والتحريم، فالمراد بها ظاهرها، والمراد باطنها أئمة العدل والجرور)، وبالتالي تعتبر آيات أحكام الحلال المقصود بها أئمتهم، وآيات الحرام المقصود بها خلفاء المسلمين باستثناء الإمام علي وبقية الأئمة الاثني عشر، وهذا كما أنه باب لهدم الشرائع هو كذلك أيضاً باب من أبواب الإباحية.

وفي كتاب الكافي روايات كثيرة في هذا الباب. وحسبك أن تقرأ: (باب فيه نكت وتنف من التنزيل في الولاية) ضمنه إحدى وتسعين رواية حشدها في هذا الباب، وحرف بها آيات القرآن عن معانيها وهذا

باب من مجموعة أبواب على هذا النهج ؛ كلها تضمنت عشرات الروايات التي تجعل من كتاب الله كتاباً شيعياً لا موضوع له سوى الأئمة وأتباعهم، وأعدائهم.

وفي مجار الأنوار الأمر نفسه أبواب كثيرة هي بمثابة قواعد وأصول في تفسير القرآن عندهم، تضم هذه الأبواب روايات كثيرة كلها تذهب هذا المذهب تجاه كتاب الله سبحانه ومن أمثلتها ما قاله المجلسي: (باب تأويل المؤمنين والإيمان والمسلمين والإسلام بهم وبولايتهم عليهم السلام، والكفار والمشركين، والكفر والشرك، والجبت والطاغوت واللات والعزى، والأصنام بأعدائهم ومخالفهم) و ذكر تحت هذا الباب مائة حديث تقريباً .

(باب أنهم عليهم السلام الأبرار والمتقون، والسابقون والمقربون، وشيعتهم أصحاب اليمين، وأعداؤهم الفجار والأشرار وأصحاب الشمال) وذكر فيه بضعا وعشرين رواية.

(باب : أنهم عليهم السلام وولايتهم العدل والمعروف والإحسان والقسط والميزان، وترك ولايتهم وأعدائهم الكفر والفسوق والعصيان والفحشاء والمنكر والبغي) وأورد فيه بضعة عشر حديثاً من أحاديثهم.

وغيرها من الأبواب التي حصرت كل معاني الإسلام في رجل، وغيرت مفهوم الشرك في عبادة الله، والكفر به، والطواغيت والأصنام إلى مفاهيم غريبة تكشف هوية واضعها ومرادهم ؛ فأعداء الأئمة

كل خليفة من خلفاء المسلمين - عدا الاثني عشر - من أبي بكر إلى أن تقوم الساعة، وكل من بايع هؤلاء الخلفاء من الصحابة ومن بعدهم إلى نهاية الدنيا، هؤلاء هم الأعداء الذين تُؤوّل بهم ألفاظ الكفر والشرك .

ومما عنون له صاحب البحار قوله : ( باب : إنهم الصلاة والزكاة والحج والصيام وسائر الطاعات، وأعداؤهم الفواحش والمعاصي ) ضمنه بضعة عشر رواية ، فأركان الإيمان، وأصول الإسلام، وشرائعه وأحكامه ! كلها انحصرت في الإمامة، ولا شرك ولا كفر إلا الشرك مع الإمام أو الكفر بولايته . إلى غير ذلك من الدعاوي الباطلة التي لا تسندها لغة ولا عقل، فضلاً عن الشرع وأصول الإسلام، بل بلغ به الحال في الغلو في هذا الباب إلى تجاوز كل الحدود ليصل إلى رفع الأئمة إلى أوصاف الرب جل جلاله فيقول: باب أنهم جنب الله وروحه ويد الله، وأمثالها، ويذكر فيه ستاً وثلاثين رواية .

### موقف الاثني عشرية من القول بتحريف القرآن

لم يكن للأئمة عند الاثني عشرية ذكر في كتاب الله ، ولا لبيان فضائلهم ، فضلاً عن الأمر بإتباعهم والنهي عن مخالفتهم ، أو الطعن في مخالفيهم من الصحابة ومن بعدهم ، وقد سبب هذا الأمر موقفاً عكسياً من أعلام المذهب تجاه القرآن الكريم ، فلم يكن موقفهم مشرفاً يشعر بتعظيم كتاب الله واعتقاد سلامته من أيدي التحريف ، وصيانة الله له وحفظه من وصول أيدي الإلحاد من أن يزيدوا فيه أو يبدلوه . فقد كانوا على التقيض من ذلك ؛ فقالوا : بوقوع التحريف في كتاب الله الكريم ، وأن القرآن

الكريم الذي بين أيدينا الذي تكفل الله بحفظه والذي تلوه ليلاً ونهاراً وتعبد به صباحاً ومساءً ليس هو - بزعمهم - القرآن الذي أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام ، وإنما هو صحف غير التحريف كثيراً من مراد الله فيها ، وأما الذي أنزل فهو محبباً عند المهدي المنتظر .

ولم يكن هذا القول بدعا في معتقدهم استحدث متأخرا ، لم يكن للمتقدمين فيه قول ، بل اعتقادهم التحريف والنقصان في كتاب الله الكريم هو من أصول المذهب ، طال المتقدمين منهم كما تجذر عند المتأخرين ، وقد صرح بذلك علماءهم المتقدمون والمتأخرون .

ولا ريب في أن منشأ القول بالتحريف عندهم - كما سبق - هو مسألة الإمامة التي خالفوا فيها غيرهم من المسلمين ، لانعدام الدليل العقلي والنقلي على ما أرادوه من النص على أئمتهم ووجوبها على الله تعالى ، ووجوب عصمتهم ، وغير ذلك ، فاضطروا إلى القول بالتحريف وعده من ضروريات المذهب ، فلما ضاق بهم الخناق في مذهبهم بذلك ، وعجزوا عن إيجاد ما يستند عليه من القرآن ، فأرادوا أن يوضحوا لأتباعهم أن النصوص كانت موجودة ، ولكن أيدي أهل السنة طالتها فحرفت ما استطاعت تحريفها ، وحذفت ما عجزت عنه .

ومن هنا قالوا بأن التحريف من أكبر مقاصد غصب الخلافة .

والمقصود أن الاثني عشرية قد تبنت القول بأن كتاب الله قد طالته أيدي التحريف من الزمن الأول زمن الصحابة رضوان الله عليهم . حتى عُدَّ ذلك أصلا من أصولهم , ويتضح من خلال عدة أمور منها :

I - تصريح علماء الاثني عشرية بالتحريف :

فقد صرح جمع غفير من علماء الاثني عشرية بتحريف القرآن في تأليفهم , وقبل التعرّيج بذكرهم أحب أن أنبه إلى أن شيخهم حسين نوري الطبرسي قد حسم المسألة في هذا الباب , وألف كتابا مخطوطا كبيرا في أكثر من أربعين وثلاثمائة ورقة في إثبات تحريف كتاب الله تعالى سماه (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب) لثبت أن مسألة التحريف في كتاب الله من المسلمات في المذهب الاثني عشري ولكن لما كان الواحد قد لا يمثل مذهب طائفته وقد يتملص منه أبناء طائفته في هذا الباب بالتبرؤ منه كان لزاما بيان من وافق الطبرسي في هذه المسألة ليعلم أنها من المسائل المتجدرة المسلمة فممن وافق الطبرسي وصرح بالتحريف:

فقال أبو عبد الله عليه السلام لقارئ هذه الآية : ( خير أمة ) يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين بن علي عليهم السلام ؟ فقيل له : وكيف نزلت يا ابن رسول الله ؟ فقال : إنما نزلت : ( كنتم خير أمة أخرجت للناس ) ألا ترى مدح الله لهم في آخر الآية ( تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ) .

ومثله قال أبو عبد الله عليه السلام : لقد سألوا الله عظيماً أن يجعلهم للمتقين إماماً . فقيل له : يا ابن رسول الله كيف نزلت ؟ فقال : إنما نزلت : (الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعل لنا من المتقين إماماً ) .

فقال أبو عبد الله : (كيف يحفظ الشيء من أمر الله وكيف يكون المعقب من بين يديه فقيل له : وكيف ذلك يا ابن رسول الله ؟ فقال : إنما نزلت ( له معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله ) .

فهذا النقل من القمي في تفسيره لهذه الآيات على وجه التأييد له كاف في الدلالة على أنه كان يعتقد القول بتحريف القرآن ، ولم يقف عند هذا الحد بل صرح بالتحريف في بداية تفسيره فقال : ( وأما ما هو محرف -أي من القرآن الكريم - فهو قوله : ( لكن الله يشهد بما أنزل إليك في علي أنزله بعلمه والملائكة يشهدون) وقوله : ( يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك في علي فإن لم تفعل فما بلغت رسالته) وقوله : ( إن الذين كفروا وظلموا آل محمد حقهم لم يكن الله ليغفر لهم)) وقوله : ( وسيعلم الذين ظلموا آل محمد حقهم أي منقلب ينقلبون) وقوله : (ولو ترى الذين ظلموا آل محمد حقهم في غمرات الموت) .



فانظر كيف القمي يفصح عن معتقده بزعمه أن آيات عدة من كتاب الله تعالى حرفت ، وانظر إلى الأمثلة التي ضربها على التحريف بزعمه تجدها لا تخرج عن إطار الإمامة ، ومظلومية آل البيت ، والظعن في الرعييل الأول من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام .

ب - ومنهم نعمة الله الجزائري الذي يقول: ((ولا تعجب من كثرة الأخبار الموضوعية) فإنهم بعد النبي عليه الصلاة والسلام قد غيروا ، وبدلوا في الدين ما هو أعظم من هذا ؛ كغيرهم القرآن ، وتحريف كلماته ، وحذف ما فيه من مدائح آل الرسول والأئمة الطاهرين ، وفصائح المتأففين وإظهار مساويهم ) .

فالصحابه بزعم هذا اعتدوا على آيات القرآن فحرفوا كلماتها وحذفوا ما فيه مدح آل البيت وما فيه فضائحهم ، ولا ندرى هذه المساوي التي يتغنى بها هؤلاء الاثنا عشرية كذبا وزورا أكانت تتلى آياتها في عهد رسول الله وهم بين ظهرايه وهم الأكثرية أم كان يتعامل معهم النبي × بالتيقنة فيكتمها عنهم ويعلمها علياً وآل بيته دون البقية ؟ .

ج - ومن صرح بالتحريف من علمائهم: مفسرهم الفيض الكاشاني حيث مهد في تفسيره باثنتي عشرة مقدمة ، خصص المقدمة السادسة لإثبات تحريف القرآن وعنون لها بقوله : (المقدمة السادسة في نبذ مما جاء في جمع القرآن ، وتحريفه وزيادته ونقصه، وتأويل ذلك) وشحنها بجملة من النقول الموضوعية

عن آل البيت في تأييد هذه المقدمة ثم قال فيها : ( ومنه - أي القرآن - ما هو مغير ومحرف وأنه حذف عنه أشياء كثيرة ) .

فالكاشاني يصرح هنا بأن القرآن الذي بين يدينا حرف من صحابة رسول الله بتغيير تارة ومجذف في أشياء كثيرة .

د - ومنهم الطبرسي : فقد روى في الاحتجاج عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال : ( لما توفي رسول الله جمع علي عليه السلام القرآن ، وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله ، فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم ، فوثب عمر وقال : يا علي اردده فلا حاجة لنا فيه ، فأخذه عليه السلام وانصرف ، ثم أحضروا زيد بن ثابت . وكان قارئاً للقرآن . فقال له عمر : إن عليا جاء بالقرآن ، وفيه فضائح المهاجرين والأنصار ، وقد رأينا أن نؤلف القرآن ، ونسقط منه ما كان فضيحة وهتكا للمهاجرين والأنصار . فأجابته زيد إلى ذلك . فلما استخلف عمر سأل عليا أن يدفع إليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم ) .

ويزعم الطبرسي أن الله تعالى عندما ذكر قصص الجرائم في القرآن صرح بأسماء مرتكبيها ، لكن الصحابة حذفوا هذه الأسماء ، فبقيت القصص مكناة . يقول : ( إن الكناية عن أسماء أصحاب الجرائم العظيمة من المنافقين في القرآن ، ليست من فعله تعالى ، وإنما من فعل المغيرين والمبدلين الذين جعلوا القرآن عضيبي ، واعتاضوا الدنيا من الدين ) .

ولم يكف الطبرسي بذلك، بل أخذ يؤول معانيه تبعاً لهوى نفسه، فزعم أن في القرآن الكريم رموزاً فيها فضائح المنافقين، وهذه الرموز لا يعلم معانيها إلا الأئمة من آل البيت، ولو علمها الصحابة لأسقطوها مع ما أسقطوا منه. ويقول: (ولو شرحت لك كل ما أسقط وحرف وبدل، مما يجري هذا المجرى لطلال، وظهر ما تحظر التقية إظهاره من مناقب الأولياء، ومثالب الأعداء).

فهذه بعض أقوال رموز أعلام الاثني عشرية في معتقدتهم بتحريف القرآن الكريم، وهي واضحة البرهان على هذا المنزلق الذي وقع فيه المذهب الاثنا عشري وعده من أصول المذهب. ولم نشأ الاستقصاء في هذا.

2 - ومن الأمور التي تدل على وقوع هؤلاء في القول بتحريف القرآن تواتر الروايات المنقولة عن الأئمة الاثني عشر واستفاضتها في ذلك:

وقد صرح بذلك جمع من كبار علماء الإمامية منهم:

أ - الشيخ المفيد حيث قال: (إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد باختلاف القرآن، وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان).

ب - ومنهم أبو الحسن العاملي حيث قال : ( اعلم أن الحق الذي لا محيص عنه بحسب الأخبار المتواترة أن هذا القرآن الذي في أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله × شيء من التغيرات ، وأسقط الذين جمعوه بعده كثيراً من الكلمات والآيات ) .

ج - وقال نعمة الله الجزائري: ( إن تسليم تواتره عن الوحي الإلهي ، وكون الكل قد نزل به الروح الأمين ، يفضي إلى طرح الأخبار المستفيضة ، بل المتواترة ، الدالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلاماً، ومادة، وإعراباً ، مع أن أصحابنا قد أطبقوا على صحتها والتصديق بها ) .

د - وقال محمد باقر المجلسي في معرض شرحه للحديث المنقول عن أبي عبد الله : ( إن القرآن الذي جاء به جبرائيل عليه السلام إلى محمد × سبعة عشر ألف آية ) قال : ( ولا يخفى أن هذا الخبر وكثير من الأخبار الصحيحة صريحة في نقص القرآن وتغييره وعندني أن الأخبار في هذا الباب متواترة معنى ، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد عن الأخبار رأساً ، بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا يقصر عن أخبار الإمامة فكيف يثبتونها بالخبر ؟) أي كيف يثبتون الإمامة بالخبر إذا طرحوا أخبار التحريف ؟ فلزم إثبات التحريف لتسلم أخبار الإمامة من هذه .

ه - وقال سلطان محمد الخراساني: (اعلم أنه قد استفاضت الأخبار عن الأئمة الأطهار بوقوع الزيادة والنقيصة والتحريف والتغيير فيه بحيث لا يكاد يقع شك) .

و - وقال العلامة الحجة السيد عدنان البحراني : (الأخبار التي لا تحصى (أي أخبار التحريف ) كثيرة وقد تجاوزت حد التواتر) .

وبهذا النقل عن هؤلاء الأعلام من المذهب الاثني عشري يتبين أن مسألة القول بتحريف القرآن من المسائل التي تواتر النقل فيها عن الأئمة , وهذا يعني أنها من المسلمات عندهم التي لا يمكن الطعن في ثقلها , وهذا يؤيد القول أن القول بالتحريف من أصول المذهب , وهو وإن كان معارضا للمسلمات القطعيات عند سائر المسلمين , فهو كذلك وصمة لا يمكن من أتباع المذهب التزلف منها , إذ ردها رد لأصل من الأصول , وبالتالي فلا محيد لأتباع المذهب من أحد أمرين لا محيص لهم عنهما :

-التمسك بأصل المذهب القائل بالتحريف . وهذا يعني معارضة القطعيات التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام وتكفل الله بحفظها .

- التبرؤ من المسألة ومن القول بها أو من قائلها ؛ وهذا يعني التبرؤ من أصل المذهب .

3- ومن الأمور التي تدل على استقرار القول بالتحريف عند هؤلاء: عدُّ القول بتحريف وتقصان

القرآن من ضروريات مذهب الشيعة الاثني عشرية :

وهذه المسألة هي نتيجة للمسألتين السابقتين :

- تصريح علماء الاثني عشرية .

- وتواتر النقل عن الأئمة .

فَتَخَرَّجَ من هاتين المسألتين عداد القول بالتحريف من ضروريات المذهب , وقد صرح جمع غفير من أعلام المذهب الاثني عشري بذلك منهم :

أ - أبو الحسن العاملي إذ قال : ( وعندني في وضوح صحة هذا القول ( تحريف القرآن وتغييره ) بعد تتبع الأخبار وتفحص الآثار ، بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع ، وأنه من أكبر مقاصد غصب الخلافة ) .

فمن واضحات المسائل وصحتها عند هذا الشيخ القول بتحريف القرآن , لأحد أمرين :

- كثرة الأخبار الواردة في إثبات التحريف وتواترها .

- كون مسلك التحريف من أكبر مقاصد غصب الخلافة ويقصد بذلك الخلفاء الراشدين الثلاثة .

ب - ومنهم العلامة الحجة السيد عدنان البحراني إذ قال: (وكونه : أي القول بالتحريف ) من ضروريات مذهبهم ( أي الشيعة ) .

فصرح البحراني هنا بأن مسألة تحريف القرآن من ضروريات المذهب التي تستلزم التسليم لها كل من اتسب إليه .

4- ومن الأمور التي تؤيد هذا القول حكاية كبار علماءهم الإجماع على القول بأن القرآن محرف:

الإجماع يفرق عند الاثني عشرية عن خبر التواتر ؛ إذ الخبر المتواتر إنما هو دليل لفظي على قول المعصوم ؛ أي أنه يثبت به نفس كلام المعصوم ، ولفظه فيما إذا كان التواتر للفظ . أما الإجماع فهو دليل قطعي على نفس رأي المعصوم لا على لفظ خاص له ؛ لأنه لا يثبت به في أي حال أن المعصوم قد تلفظ بلفظ خاص معين في بيانه للحكم .

ولأجل هذا يسمى الإجماع عندهم بالدليل اللبّي ؛ نظير الدليل العقلي : يعني أنه يثبت بهما نفس المعنى والمضمون من الحكم الشرعي ؛ الذي هو كالمثل بالنسبة إلى اللفظ الحاكي عنه .

ومن هنا فحكاية الإجماع في هذه المسألة مهم من حيث اجتماع اللفظ والمعنى في هذه المسألة من أقوال الأئمة . وهو مسلك آخر عن حكاية التواتر ، ولهذا أفردناه ههنا عن سابقه ، وقد حكى الإجماع على تحريف القرآن من علماء الاثني:

أ- علامتهم السيد عدنان البحراني: قال بعد أن ذكر الروايات التي تفيد التحريف في نظره: ( الأخبار التي لا تحصى كثيرة وقد تجاوزت حد التواتر ولا في نقلها كثير فائدة بعد شيوع القول بالتحريف والتغيير بين الفريقين وكونه من المسلمات عند الصحابة والتابعين بل وإجماع الفرقة الحقة وكونه من ضروريات مذهبهم وبه تضافرت أخبارهم ) .

ب - ومنهم محمد بن النعمان ( المفيد ) حيث قال : ( اتفقت الإمامية على أن أئمة الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام ) .

5- ومما يدل على ذلك أيضا ما ركوا إليه من وجود ما يسمى بمصحف فاطمة :

فقد جاءت نصوص عندهم تأمرهم بالعمل بالقرآن ريثما يخرج هذا المصحف مع إمامهم المنتظر .

أ- يقول شيخهم المفيد : (إن الخبر قد صحح من أئمتنا - عليهم السلام - أنهم أمروا بقراءة ما بين الدفتين، وأن لا تعداه، بلا زيادة فيه ولا نقصان منه، حتى يقوم القائم -عليه السلام - فيقرأ الناس القرآن على ما أنزله الله تعالى وجمعه أمير المؤمنين - عليه السلام -) .

فأمر أئمتهم أتباعهم بالعمل بهذا القرآن ، وأن لا يعدوه ، مع كونه محرفاً ، حتى يخرج القرآن الذي جمعه أمير المؤمنين علي ما أنزل الله تعالى ، وكان هذه الرواية تأمر الشيعة بالعمل بالضلالة قروناً عديدة وأجيابا بعد أجيال حتى يأتي الفرج بخروج القرآن الصحيح المنزل ، ولكن ما حكم أولئك الذين ولدوا وماتوا وهم يعملون بقرآن محرف ؟ ولا يسعهم الوقوف على الحقيقي السليم من التحريف إلى أن يخرج مهديهم المزعوم ؟ .

ب- ويقول شيخهم نعمة الله الجزائري: (قد روي في الأخبار أنهم عليهم السلام أمروا شيعتهم بقراءة هذا الموجود من القرآن في الصلاة وغيرها ، والعمل بأحكامه ، حتى يظهر مولانا صاحب الزمان فيرتفع



هذا القرآن من أيدي الناس إلى السماء، ويخرج القرآن الذي ألفه أمير المؤمنين فيقرأ ، ويعمل بأحكامه) .

وهذه الرواية كسابقتها تحظ الناس على التعبد بقرآن محرف، واستنباط الأحكام منه مع تحريفه ، حتى يخرج القرآن الذي ألفه عليّ ، وهذا تصريح منهم بأن القرآن المنتظر خروجه ، ليس هو القرآن المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام ، وإنما هو من تأليف عليّ رضي الله عنه .

ج -ويقول المجلسي نقلاً عن المفيد: ( نهونا عليهم السلام عن قراءة ما وردت به الأخبار من أحرف يزيد على الثابت في المصحف، لأنه لم يأت على التواتر وإنما جاء بالآحاد، وقد يغلط الواحد فيما ينقله، ولأنه متى قرأ الإنسان بما يخالف ما بين الدفتين غرر بنفسه مع أهل الخلاف، وأغرى به الجبارين، وعرض نفسه للهلاك، فمنعونا عليهم السلام من قراءة القرآن بخلاف ما يثبت بين الدفتين لما ذكرناه) .

ويشهد لهذه الحقيقة - اعتقاد هؤلاء وجود مصحف غير الذي بين أيدينا - : ما جنح إليه الكليني في كتابه الكافي ، حيث عقد باباً خاصاً بعنوان: (باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة عليهم السلام) وذكر فيه ست روايات لهم، منها ما رواه عن جابر الجعفي إنه سمع أبا جعفر يقول: ( ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده) .

د- وفي تفسير القمي عن أبي جعفر - رضي الله عنه - قال: (ما أحد من هذه الأمة جمع القرآن إلا وصي محمد صلى الله عليه وآله).

وقد ذكر بعض الشيعة أنه اطلع على هذا المصحف المزعوم فعن ابن الحميد قال: دخلت على أبي عبد الله - رضي الله عنه - فأخرج إليّ مصحفاً، قال: فتصفحته فوق بصري على موضع منه فإذا فيه مكتوب: (هذه جنهم التي كنتم بها تكذبان. فاصليا فيها لا تموتان فيها ولا تحيان) قال المجلسي: (يعني الأولين).

وفي الكافي عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: (دفع إليّ أبو الحسن مصحفاً وقال: (لا تنظر فيه، ففتحته وقرأت فيه: لم يكن الذين كفروا؛ فوجدت فيها اسم سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم قال: فبعث إليّ: ابعث بالمصحف).

فانظر إلى هذا الراوي يزعم أن أبا الحسن دفع إليه المصحف السليم من التحريف ، ونهاه عن النظر فيه ، ثم لم ينصع لقول إمامه فقرأ ما نهاه عنه . ولا ندري كيف تستجيز الإمامية النقل عنه ؛ إذ بعصيانه قول إمامه دخل في أقل الأحوال في الفسوق وقد حث الشارع بالتبين في النقل عن مثل هؤلاء ؟

وجاء - أيضا - في بصائر الدرجات عن البنزطي : ( أن الرضا عليه السلام أودع عنده ذلك المصحف المزعوم فقال هذا البنزطي: وكنت يوماً وحدي ففتحت المصحف لأقرأ فيه، فلما نشرته

نظرت فيه في (لم يكن) فإذا فيها أكثر مما في أيدينا أضعافه، فقدمت على قراءتها فلم أعرف شيئاً فأخذت الدواة والقرطاس فأردت أن أكتبها لكي أسأل عنها، فأتاني مسافر قبل أن أكتب منها شيئاً، معه مندبل وخيط وخاتمه فقال: مولاي يأمرك أن تضع المصحف في المندبل وتختمه وتبعث إليه بالخاتم، قال: ففعلت ) .

فهذه هي حقيقة المصحف المزعوم عند الأئمة من آل البيت ليس فيه سوى ما لم يستطع هذا الغر على فهمه ولا حتى حفظه وكان كتابة بعض منه يأخذ وقتاً طويلاً جداً خصوصاً إذا انضاف إلى ذلك أنه قد هباً الدواة والقرطاس ، وإن المرء ليتعجب كيف تنطلي مثل هذه الخزعبلات - التي لا يقبلها عاقل - على العقلاء من أتباع المذهب الاثني عشري إن كان فيهم عقلاء .

وقال شيخهم نعمة الله الجزائري: (إنه قد استفاض في الأخبار أن القرآن كما أنزل لم يؤلفه إلا أمير المؤمنين - إلى أن قال: - وهو الآن موجود عند مولانا المهدي رضي الله عنه مع الكتب السماوية وموارث الأنبياء) ، ومع ذلك فقد ارتبطت مصاحف قديمة عند الشيعة أيضاً بعقيدة أنها مكتوبة بخط علي، ويذكر ابن النديم - وهو شيعي - أنه رأى قرآناً بخط علي يتوارثه بيت من البيوت المنتسبة للحسن .

والسؤال المهم في هذا هل المصحف الذي رآه بخط عليّ هل هو مثل المصحف الذي بين أيدي المسلمين اليوم أم مصحف آخر ؟ ! فإن كان مثل الذي بين أيدينا فلا إشكال حينئذ وإن كان غيره فكيف وصل إلى هؤلاء وهو بيد المهدي المنتظر يخرج معه كما تقول رواياتهم التي سبق ذكرها ؟ ! .

### المبحث الثالث

#### أوجه الشبه بين معتقد الاثني عشرية وفرق الباطنية في القرآن الكريم

وبعد هذا العرض الموجز لموقف الطائفتين الاثني عشرية وفرق الباطنية من القرآن الكريم ، يجد المتأمل أن هناك كثيرا من نقاط الالتقاء بين الطائفتين في المواقف التي لا تعدو أن تكون نابعة من مصدر واحد ، أو تأثير كل منهما على الآخر .

ولعل من المناسب قبل بيان أظهر أوجه الالتقاء بين الطائفتين أن أبين أنه ما من مسألة جنحت إليها الاثنا عشرية في مسألة القرآن إلا ولها مثل عند إحدى فرق الباطنية إن لم يكن كلها ، بل حتى فيما ينقلونه من نصوص عن الأئمة تجد الأثر نفسه أو قريبا منه عند الطرف الآخر من فرق الباطنية مما ينبئ إلى الالتقاء في وحدة المصدر أو التأثير الفكري عند كل منهما على الآخر .

وأبرز معالم الالتقاء بين الطائفتين الاثني عشرية وفرق الباطنية في مسألة القرآن :

أ- اتفاهم على إسقاط هيمنة القرآن ، وأنه ليس بحجة إلا بقم ؛ وهم العرة الطاهرة من آل البيت عليهم السلام .

ب - اتفاهم على حصر علم القرآن وتفسيره بقئة معينة من الناس لا يشركهم أحد في ذلك ، وهم الأئمة من آل البيت ، وكل من أقدم على تأويل الكتاب العزيز من غير هدى من الأئمة فقد تعدى وظلم ، وخاض في بحر الهلاك ، وافترى لأنه تكلم بما ليس له علم .

ج - قولهم بأن الإمام انحصر فيه علم القرآن ، وأنه يعلم ما خفي منه وما ظهر وأنه الوحيد بدراية بناسخ القرآن ومنسوخه بل وله أن ينسخ ما شاء من القرآن .

د - اتفاهم على أن للقرآن معنى ظاهر يعرفه كثير من الناس ومعان باطنة استأثر بعلمها الأئمة من آل البيت دون غيرهم ، وأن علم الظاهر لا يكفي في النجاة دون علم الباطن الذي مجوزة الأئمة .

هـ - اتفاهم على الظنة بالكتاب ، وأنه ليس على ما تكفل الله بحفظه ، وأن القرآن الذي بأيدي الناس لا يعدوا أن يكون نالته أيدي التحريف من لدن صحابة رسول الله × ليستروا عن أنفسهم ما نزل في حقهم من فضائح ، فالكتاب الذي بأيدي الناس اليوم ليس هو الذي أنزل على النبي × ، وأن الذي أنزل على النبي × كاملا كان في جعبة علي رضي الله عنه ، وقد عهد به إلى آل بيته .

و - القول بوجود مصحف فاطمة عند الاثني عشرية والإسماعيلية من الباطنية , وتفردت الدروز بالقول بمصحفهم المسمى المنفرد بذاته الذي فاقت بلاغته القرآن على حد تعبيرهم .

ز- أن المتأمل في التأويل الباطني الذي سلكته الاثنا عشرية وفرق الباطنية يجد أنه لا يخرج عن أحد أمرين :

I- الغلو في الأئمة .

2- الطعن في صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام .

## المبحث الرابع

### بيان فساد معتقد الاثني عشرية وفرق الباطنية في القرآن الكريم

نظرا لتعدد المسائل التي سلكتها الاثنا عشرية وفرق الباطنية تجاه القرآن الكريم فإن بيان فساد مذهبهم في القرآن يستلزم فرز كل مسألة على حده , وبيان فسادها , ومن هنا جاء هذا المبحث مبني على مسائل حوت كل مسألة عدة من النقاط , تبين في فحواها هذه المفاصد التي سلكتها هذه الفرقة ومن سار على نهجها :

المسألة الأولى : بطلان قولهم بالتأويل الباطني

يعتبر التأويل الفاسد الذي تركن إليه الاثنا عشرية و فرق الباطنية , وأن لدين الله ظاهراً يعلمه العام  
وباطنا يعلمه الخاصة من الناس من أرباب المذاهب كل مجسبه : دهليزاً للزنادقة الملحدن الذين اتهمى  
بهم الأمر إلى إبطال الشرائع المعلومة من الدين ؛ التي ما قامت ديانة بعث الله عليها رسله إلا عليها ,  
وهو وإن كان هدفا منشودا عند هؤلاء إلا أنه في الوقت نفسه مما علم بالاضطرار أنه كذب وافتراء  
على الرسل , وتحريف للكلم عن مواضعه , فوجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتحريم الفواحش  
والخمر من الأمور العملية التي يكفر منكرها بالاتفاق .

وهي مع ذلك معلومة البطلان لكل من ينتسب إلى الإسلام , ودلائل بطلانها من وجوه كثيرة , نستعرض  
جملة منها , فنقول :

أن قولهم بالظاهر والباطن ليس هو إلا دعوى ليس لها في الواقع دليل , ولا تقوم عليها حجة , فلا  
تعدو أن تكون تحريفاً ومجاهرة بالكذب يقول ابن حزم : ( اعلموا أن دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه  
, وجهه لا سر تحته , كله برهان لا مسامحة فيه وكل من ادعى للديانة سرا وباطنا فهي دعاوى و  
مخارق) .

ويقول ابن تيمية في معرض رده على هذه الفئة من الناس : ( وكلام هؤلاء عن الباطن ومعانيه مخالف  
لأصول الدين ؛ حيث أن المعاني الباطنية التي تفوهوا بها باطلة , وما كان في نفسه باطلا فلا يكون  
الدليل عليه إلا باطلا ؛ لأن الباطل لا يكون عليه دليل يقتضي أنه حق ) .

أن رسول الله عليه الصلاة والسلام لم يكتم من الدين شيئاً ، ولم يخص أحداً من آل بيته بشيء من العلم دون غيره ، ولم يكن عنده × شيء من الأسرار ولا الرموز والبواطن كتمها عن الناس بل نشر علمه للناس كلهم ولم يستثن من ذلك أحداً ، وطبق ما نشره × في حياته العملية وحث عليها أصحابه ولم يكن ليناقض قوله فعله × ، والقول بالتأويل الذي يركن إليه هؤلاء في الفرائض الشرعية فيه اتهام له بالخيانة وكتمان العلم .

أن ما جرح إليه هؤلاء من التأويل الباطني لم يكن معروفاً قبل هؤلاء ، ولا حتى في الأمم السابقة قبل مبعثه ، يقول ابن تيمية : ( إن تأويلات الباطنية وتفسيراتها مما يعلم بطلانها فكل مؤمن بل كل يهودي ونصراني يعلم علماً ضرورياً أنها مخالفة لما جاءت به الرسل كموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام أجمعين ) .

ومنها ما قاله ابن تيمية في رده على هؤلاء ومن سلك سبيلهم حيث قال : ( ومن فسر القرآن والحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مقتر على الله ، ملحد في آيات الله ، محرف للكلم عن مواضعه ؛ وهو فتح للزندقة والإلحاد ، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام ) .

وقول هؤلاء كما أنه من أكفر الأقوال فجهلهم من أعظم الجهل ، وذلك أنه إذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يعلمه أهل العقل والذكاء من الناس ، وإذا علموه امتنع في العادة تواطؤهم على كتمانهم ، كما يمتنع



تواطؤهم على الكذب ؛ فإنه كما يتمتع في العادة تواطؤ الجميع على الكذب يتمتع تواطؤهم على كتمان ما تتوفر الهمم والدواعي على بيانه وذكره ، لا سيما مثل معرفة هذه الأمور العظيمة التي معرفتها والتكلم بها من أعظم ما تتوفر الهمم والدواعي عليه .

والباطنية ونحوهم أبطنوا خلاف ما أظهره للناس ، وسعوا في ذلك بكل طريق ، وتواطؤوا عليه ما شاء الله . حتى التبس أمرهم على كثير من أتباعهم . ثم إنهم مع ذلك اطلع على حقيقة أمرهم جميع أذكاء الناس من موافقيهم ومخالفهم ، وصنفوا الكتب في كشف أسرارهم ، ورفع أستارهم ، ولم يكن لهم في الباطن حرمة عند من عرف باطنهم ، ولا ثقة بما يخبرون به ، ولا التزام طاعة لما يأمرون ، وكذلك من فيه نوع من هذا الجنس .

فمن سلك هذه السبيل لم يبق لمن علم أمره ثقة بما يخبر به وبما يأمر به وحينئذ فينتقض عليه جميع ما خاطب به الناس .

ومنها أنه ما من خطاب يخاطبهم به هؤلاء إلا وأتباعهم يجوزون عليه أن يكونوا أرادوا به غير ما أظهره لهم ؛ فلا يثقون بأخبارهم وأوامرهم فيختل عليهم الأمر كله ، فيكون مقصودهم صلاحهم فيعود ذلك بالفساد العظيم؛ بل كل من وافقهم فلا بد أن يظهر خلاف ما أبطن كإتباع من سلك هذه السبيل ؛ لا تجد أحدا من موافقيهم إلا ولا بد أن يبين أن ظاهره خلاف باطنه ، ويحصل لهم بذلك من كشف الأسرار وهتك الأستار ما يصيرون به من شرار الكفار .

ومنها : أنه إذا كانت الرسل تبطن خلاف ما تظهر فإما أن يكون العلم بهذا الاختلاف ممكنا لغيرهم .

وإما أن لا يكون فإن لم يكن ممكنا ؛ كان مدعي ذلك كذابا مفتريا؛ فبطل قول هؤلاء وأمثالهم .

وإن كان العلم بذلك ممكنا علم بعض الناس مخالفة الباطن للظاهر . وليس لمن يعلم ذلك حد محدود؛

بل إذا علمه هذا علمه هذا وعلمه هذا فيشيع هذا ويظهر .

ولهذا كان من اعتقد هذا في الأنبياء معرضين عن حقيقة خبره وأمره لا يعتقدون باطن ما أخبر به ولا

ما أمر؛ بل يظهر عليه من مخالفة أمره والإعراض عن خبره ما يظهر لكل أحد . وأيضاً

لا تجد في أهل الإيمان من يحسن بهم الظن؛ بل يظهر فسقهم ونفاقهم لعوام المؤمنين فضلا عن خواصهم .

وأيضاً فمن كانت هذه حاله : كان خواصه أعلم الناس بباطنه ، والعلم بذلك يوجب الانحلال في

الباطن ، ومن علم حال خاصة النبي عليه الصلاة والسلام - كأبي بكر وعمر وغيرهما من السابقين

الأولين - علم أنهم كانوا أعظم الناس تصديقا لباطن أمر خبره وظاهره ، وطاعتهم له في سرهم

وعلايتهم ، ولم يكن أحد منهم يعتقد في خبره وأمره ما يناقض ظاهر ما بينه لهم ، ودلهم عليه

وأرشدهم إليه ، ولهذا لم يكن في الصحابة من تأول شيئاً من نصوصه على خلاف ما دل عليه ، لا

فيما أخبر به الله عن أسمائه وصفاته ، ولا فيما أخبر به عما بعد الموت . وأن ما ظهر من هذا ما

ظهر الإيمن هو عند الأئمة من أهل النفاق والاتحاد كالقرامطة والفلاسفة والجهمية نفاة حقائق الأسماء والصفات .

ومنها أيضا كما يقول ابن تيمية : (أن تعلم أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يخص أحدا من أصحابه بخطاب في علم الدين قصد كتمانهم عن غيره , ولكن كان قد يسأل الرجل عن المسألة التي لا يمكن جوابها؛ فيجيبه بما ينفعه (( كالأعرابي الذي سأله عن الساعة والساعة لا يعلم متى هي ؟ فقال: ما أعددت لها ؟ فقال ما أعددت لها من كثير عمل؛ ولكني أحب الله ورسوله فقال: المرء مع من أحب )) فأجابه بالمقصود من علمه بالساعة ولم يكن يخاطب أصحابه بخطاب لا يفهمونه؛ بل كان بعضهم أكمل فهما لكلامه من بعض ) .

ومما يحسن ذكره ههنا أن الإمام الغزالي سلك في نقده لمذهب هؤلاء ثلاثة مسالك ؛ الإبطال والمعارضة والتحقيق بكلام جميل جاء فيه :

(أما الإبطال فهو أن يقال بم عرفتم أن المراد من هذه الألفاظ ما ذكرتم؟ فإن أخذتموه من نظر العقل فهو عندكم باطل . وإن سمعتموه من لفظ الإمام المعصوم فلفظه ليس بأشد تصريحاً من هذه الألفاظ التي أولتموها , فلعل مراده أمر آخر أشد بطونا من الباطن الذي ذكرتموه . ولكنه جاوز الظاهر بدرجة وتسلسل إلى حد يبطل التفاهم والتفهم .

المسلك الثاني معارضة الفاسد بالفاسد : وهو أن يتناول جميع الأخبار على تقيض مذهبهم . مثلاً  
يقال : قوله لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة أي لا يدخل العقل دماغاً فيه التصديق بالمعصوم .  
وقوله : إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعا أي : إذا نكح الباطني بنت أحدكم فليغسلها عن  
درن الصحبة بماء العلم وصفاء العمل بعد أن يعفرها بتراب الإذلال , أو يقول قائل : النكاح لا ينعقد  
بغير شهود وولي . وأما قوله : كل نكاح لا يحضره أربعة فهو سفاح معناه : أن كل اعتقاد لم يشهد له  
الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فهو باطل . وقوله : لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل أي :  
لا وقاع إلا بذكر وأثنين . إلى غير ذلك من الترهات .

والمقصود من ذكر هذا القدر معارضة الفاسد بالفاسد , وتعريف الطريق في فتح هذا الباب , حتى إذا  
اهتديت إليه لم تعجز عن تنزيل كل لفظة من كتاب أو سنة على تقيض معتقدهم . فإن زعموا أنكم  
أنزلتم الصورة على المعصوم في قوله لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة فأبي مناسبة بينهما ؟ قلت : وأنتم  
نزلتم الثعبان على البرهان , والأب في حق عيسى على الإمام , واللبن على العلم في أنهار اللبن في الجنة  
, والجن على الباطنية , والشياطين على الظاهرية , والجبال على الرجال , فما المناسبة ؟ فإن قلت :  
البرهان يقضم الشبه كما يقضم الثعبان غيره , والإمام يفيد الوجود العلمي كما يفيد الأب الوجود  
الشخصي , واللبن يغذي الشخص كما يغذي العلم الروح , والجن باطن كالباطنية , فيقال لهم : فإذا  
أكتفتم بهذا القدر من المشاركة , فلم يخلق الله شيئاً إلا وبينهما مشاركة في وصف ما , فإننا نزلنا

الصورة على الإمام ؛ لأن الصورة مثال لا روح فيها كما أن الإمام عندكم معصوم ولا معجزة له، والدماغ مسكن العقل كما أن البيت مسكن العاقل، والملك شيء روحاني كما أن العقل كذلك، فثبت أن المراد بقوله: لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة معناه لا يدخل العقل دماغاً فيه اعتقاد عصمة الإمام، فإذا عرفت هذا فخذ كل لفظ ذكره، وخذ ما تريده، واطلب منهما المشاركة بوجه ما، وتأوله عليه فيكون دليلاً بموجب قولهم، كما عرفت في المناسبة بين الملك والعقل والدماغ والبيت والصورة والإمام وإذا انفتح لك الباب اطلعت على وجه حيلهم في التليس بنزع موجبات الألفاظ، وتقدير الهوسات بدلاً عنها للتوصل إلى إبطال الشرع وهذا القدر كاف في إبطال تأويلهم.

المسلك الثالث: وهو التحقيق: أن تقول: هذه البواطن والتأويلات التي ذكرتموها ما حكمها في الشرع؟  
أوجب إخفاؤها أم يجب إفشاؤها؟ فإن قلتم: يجب إفشاؤها إلى كل أحد. قلنا: فلم كتبها محمد عليه الصلاة والسلام فلم يذكر شيئاً من ذلك للصحابة ولعمامة الخلق حتى درج ذلك العصر السر بالإفشاء ممن اطلع عليه من أعظم الجنائيات؟! فلولا أن صاحب الشرع عرف سراً عظيماً ومصلحة كلية في إخفاء هذه الأسرار لما أخفاها؟! ولما كرر هذه الظواهر على أسماع الخلق؟! ولما تكررت في كلمات القرآن صفة الجنة والنار بألفاظ صريحة مع علمه بأن الناس يفهمون منه خلاف الباطن الذي هو حق؟! ويعتقدون هذه الظواهر التي لا حقيقة لها؟! فإن نسبتموه إلى الجهل بما فهمه الخلق منه فهو نسبة إلى الجهل بمعنى الكلام؛ إذ كان النبي عليه الصلاة والسلام يعلم قطعاً أن الخلق ليس يفهمون من

قوله الباطن الذي ذكرتموه لعلمه بأنه سر الله المكتم . فلم أفشيتم هذا السر وخرقتم هذا الحجاب ؟ وهل هذا إلا خروج عن الدين ومخالفة لصاحب الشرع ؟ وهدم لجميع ما أسسه ؟ إن سلم لكم جدلا أن ما ذكرتموه من الباطن حق عند الله وهذا لا يخرج لهم عنه . )

المسألة الثانية : بيان فساد قولهم بأن لا حجة للقرآن بلا إمام أو قيم :

نحى الاثنا عشرية ومن سار على نهجهم منحى القول بأن القرآن ليس بحجة إلا بقيم ، وأن من رام فهمه بدونه فقد سلك غير سبيل المؤمنين ، وهذا القول رغم بدعيته وشناعته في نفس الوقت إلا أنه فاسد من عدة وجوه يظهر من خلالها بطلان هذا القول :

I- أن الله عز وجل وصف كتابه في كثير من آياته بأنه بين واضح للخلق أجمعين وغيرها من الآيات الواضحات الدلالة في أنه سبحانه أنزلها مبينة للخلق أجمعين .

وهذا يبين أن ما ذهب إليه هؤلاء من حصر علمه وفهمه في طائفة معينة من الناس بعيد كل البعد عما أفصح الله بيانه ، وهي في مضامينها أيضا تبين أن الأصل في آيات الله الوضوح والبيان للناس ، لا يتعذر فهمها على من نزلت بين أظهرهم وبلغتهم .

وهذا يبين بطلان ما جنح إليه هؤلاء ؛ لأن قولهم في حقيقته مخالف لصريح هذه الآيات .

2- أن الله جعل بلوغ هذا الكتاب كاف في إقامة الحجّة على خلقه من غير ما حاجة إلى فئّة معينة من

البشر

3- أن الله أخبر في كتابه أنه أنزله على نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام مفصلة آياته ، وأن في الأخذ

بذلك وتطبيق أحكامه هدى للبشرية كافة ، كما أنه بيّن في كثير من الآيات أنه أرسل رسوله بشيراً

ونذيراً من غير ذكر للأئمة أو حصر علم كتابه بهم .

4- أن النبي عليه السلام بعث في قوم بلسانهم ولغتهم ، ولم يثقل عليهم فهم الكتاب المنزل بينهم ، ولو

استعصى عليهم ما يسمعه منه أو تعذر عليهم فهمه أو كان ممزوجاً بالفكر الباطني الذي سلكه

هؤلاء لكان في كفرهم به أشدّ تصريحاً ، وقد بيّن الله في كتابه أنه أنزله على رسوله × بلسان قومه

ليبين لهم ، وحتى لا يكون لهم أن يتذرعوا بالكفر به لعجمته وعدم فهمه .

5- أن قول هؤلاء لم يستند إلى دليل صريح من الكتاب العزيز أو صحيح من السنة النبوية على

صاحبها أفضل صلاة وأتم تسليم ، بل ما ذهبوا إليه لا يعدو أن يكون من الأمور التي بنيت على الآثار

المكذوبة على الأئمة ، أو الأحاجي التي لا يعجز أي إنسان أن يتبنى مثلها وأعظم منها ؛ في الطعن في

الأنبياء والرسل وفي ذات دين الله فضلاً عن آل البيت وغيرهم .

6 - أن بعضاً من رموز الاثني عشرية يقر بأن بالإمكان فهم القرآن الكريم دون الرجوع إلى قول إمام من الأئمة . يقول محمد باقر الصدر في كلام له عن التفسير الموضوعي : (يراد من الموضوعية في التفسير ما ينسب إلى الموضوع , حيث يختار المفسر موضوعاً معيناً , ثم يجمع الآيات التي تشترك في ذلك الموضوع فيفسرها ويحاول استخلاص نظرية قرآنية منها فيما يخص ذلك الموضوع , ويمكن أن يسمى هذا المنهج منهجاً توحيدياً أيضاً باعتبار أنه يوحد بين هذه الآيات ضمن مركب نظري واحد) .

( في سياق بحث واحد ؛ لكي يستخرج نتيجة هذا السياق المفهوم القرآني الذي يمكن أن يحدد موقف الإسلام تجاه التجربة , أو المقولة الفكرية ) .

وهو بهذا يقرر إمكانية استخراج موقف الإسلام دون الرجوع إلى قول إمام من الأئمة .

7 - أن القول بمحصر علم القرآن في الأئمة , وأن القرآن لا حجة فيه بدونهم , فيه طعن في حقيقة الدين , وفي النبي عليه الصلاة والسلام أيضاً ؛ لأنهم بقولهم هذا المبني على أن بعض علوم الدين لم تظهر للناس إلا في عهد بعض الأئمة الذين عنوا بإظهار شرع الله ومراد الله في كتابه , فهم بذلك يزعمون أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يبين لأُمَّته ؛ وصحابته ومن بعدهم ما يجب عليهم في دينهم إلى أن توفي عليه الصلاة والسلام , ولم يكمل لهم دينهم وما يجب لهم في حق الله وشرعه من أمور , وهذا بلا شك طعن في الله وفي رسوله وفي كتابه الحكم .



8 - أن ما ذكروه من تواتر نصوصهم المنقولة عن الأئمة وما قرروه من نقل أقوالهم من عدم حجية القرآن بدون الأئمة لم يقره كثير من مفسري الشيعة ، حيث جنحوا إلى تفسير بعض آيات الكتاب العزيز من غير استناد إلى أقوال الأئمة ، وهذه المسألة مغايرة للتي قبلها إذ الأولى في التقرير ، وهذه في التطبيق ولاشك أن ثمة فرق بين التنظير والتطبيق .

وكتب التفسير التي قيدها علماء الشيعة لم تكن كلها مبنية على أقوال الأئمة بل مشحونة بما ينقل عنهم وعن غيرهم باعترافهم ، وهذا يبين بطلان القول بعدم فهم القرآن وسقوط حجتيه من غير إمام ناطق .

9- أن قولهم في هذا متناقض ، فحين يقولون: بأن القرآن لم يفسر إلا لرجل واحد هو علي . وهو في الوقت نفسه هو القرآن نفسه ! وإذا كان هو القرآن أو القيم عليه فلماذا يفسر له ، وكيف يفسر له وهو تفسيره ؟ ! فهي أقوال يضرب بعضها بعضاً ، ويتناقض بعضها بعضاً ، وهي برهان أنها من وضع من أراد إفساد دين المسلمين .

10 - أن الله قد وصف كتابه بأنه يهدي إلى أقوم السبل وأرشدنا وقد جاء عن علي - رضي الله عنه - في وصف هذا الكتاب المبارك: بأنه : (كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا

تلتبس به الألسن، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر،  
ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم).

وقال ابن عباس - رضي الله عنه - : (تضمن الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا  
يشقى في الآخرة).

II - أنه جاء في بعض مصادرهم المعتمدة أن : (الرضا - رضي الله عنه - ذكر يوماً القرآن فعظم  
الحجة فيه . . فقال: هو حبل الله المتين وعروته الوثقى . . جعل دليل البرهان وحجة على كل إنسان،  
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد). وفي نص آخر عنهم: (. . فإذا  
التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، من جعله أمامه قاده إلى  
الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل . .).

وفي نهج البلاغة المنسوب لعلي - رضي الله عنه - قال: (فالقرآن أمر زاجر، وصامت ناطق، حجة  
الله على خلقه . .).

II- أن المتأمل لهذه المقالة التي تواترت في كتب الشيعة يلاحظ أنها من وضع عدو حاقد أراد أن  
يصد الشيعة عن كتاب الله سبحانه، ويضلهم عن هدى الله، فما دامت تلك المقالة ربطت حجية  
القرآن بوجود القيم، والقيم هو أحد الأئمة الاثني عشر؛ لأن القرآن فسر لرجل واحد وهو علي، وقد

انتقل علم القرآن من علي إلى سائر الأئمة الاثني عشر، كل إمام يعهد بهذا العلم إلى من بعده، حتى انتهى إلى الإمام الثاني عشر الغائب المفقود عند الاثني عشرية منذ ما يزيد على أحد عشر قرناً، ومعدوم عند طوائف من الشيعة وغيرهم.

## أوجه الشبه بين معتقد البداء عند الاثني عشرية وفرق الباطنية

### تمهيد

مسألة البداء من المسائل المتعلقة بربوبية الله تعالى واستحقاقه الألوهية ؛ لأنها متفرعة عن مسألة علم الباري جل في علاه وإحاطة علمه بالأشياء .

و من أعظم لوازم ألوهيته سبحانه إحاطة علمه بكل شيء ، ومن أعظم الطعن في ربوبية الله الطعن في علمه واعتقاد تطرق الجهل إليه ، والله جل وعلا منزه عن الجهل لأن الجهل نقص بذاته والله منزه عن النقائص . قد أحاط علمه بكل شيء إذ علمه مطلق في كل الأزمنة أزلاً وأبداً باتفاق أهل الإسلام .

ومن هنا جاءت هذه المسألة لبيان أن القول بالبداء من أعظم الطعون في ذات الباري المعبود ؛ إذ الطعن في علمه طعن في استحقاقه العبودية من الخلق أجمعين .

وليس لنا الخوض في هذه المسألة لدلالة الفطرة عليها وإيمان الحس بحقيقتها لولا أنها تعد أصل من أصول المذهب الاثني عشرية .

## المبحث الأول

### معتقد البداء عند الاثني عشرية

معناه ومنشأه ومنزله وحكم القول به :

معنى البداء في اللغة والاصطلاح :

البداء في اللغة مشتق من : بَدَا بَدُوًّا وَبُدُوًّا وَبَدَاءَةً: ظهر .

وبَدَا له في الأمر بَدُوًّا وَبَدَاءً وبدا: نشأ له فيه رأي .

فالبداء في اللغة - كما هو ظاهر هنا - له معنيان :

فالأول: الظهور بعد الخفاء . تقول: بدا سور المدينة أي: ظهر .

الثاني: نشأة الرأي الجديد .

قال الفراء: بدا لي بداء أي: ظهر لي رأي آخر .

وقال الجوهرى : بدا له في الأمر بداء . أي: نشأ له فيه رأي .

والبداء بمعنييه يستلزم سبق الجهل وحدوث العلم . وهو وارد في البشر لا يخرج عنهم لأن الجهل يُحيط بهم من بين يديهم ومن خلفهم .

وكلاهما محال على الله تعالى إذ أن الله جلّ جلاله يعلم علماً إجمالياً وعلماً تفصيلياً كل شيء ، كليات الأشياء وجزئياتها علماً مطلقاً من الأزل إلى الأبد في كل آن قبل خلقها وبعده على حد سواء في الظهور والإحاطة ، فالبداء والضلال والغفلة في علم الله مُحال : مستحيل ممتنع .

### حقيقة البداء عند الشيعة

البداء عند: الشيعة أن يظهر ويبدو لله عزّ شأنه أمر لم يكن عالمياً به .

وهو حقيقة ظهور الشيء بعد أن كان مجهولاً أو بعبارة أخرى استصواب شيء علم بعد أن لم يكن معلوماً ، وبهذا المعنى وصف الاثنا عشرية الله تعالى ، أي أن الله تعالى يظهر ويبدو له أمر بعد أن لم يكن في علمه ، يقول أحدهم : (ربما تعلق العلم بمصلحة فقصدنا بالفعل ، ثم تعلق العلم بمصلحة أخرى توجب خلاف المصلحة الأولى فحينئذ نريد خلاف ما كنا نريده قبل وهو الذي نقول بدا لنا أن نفعل كذا أي ظهر لنا بعدما كان خفياً عنا كذا ، والبداء الظهور ، فالبداء ظهور ما كان خفياً من الفعل

لظهور ما كان خفياً من العلم بالمصلحة ، ثم توسع في الاستعمال فأطلقنا البداء على ظهور كل فعل كان الظاهر خلافه) .

وجاءت رواية في الكافي فيها التصريح بأن الله بدا له الأمر في إسماعيل بن جعفر بعد أن لم يكن يعرف ، ففي الكافي : (عن أبي هاشم الجعفري قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام بعد ما مضى ابنه أبو جعفر وإني لأفكر في نفسي أريد أن أقول: كأنهما أعني أبا جعفر وأبا محمد في هذا الوقت كأبي الحسن موسى وإسماعيل ابني جعفر ابن محمد عليهم السلام وإن قصتهما كقصتهما، إذ كان أبو محمد المرجى بعد أبي جعفر عليه السلام فأقبل علي أبو الحسن قبل أن أنطق فقال: نعم يا أبا هاشم بدا لله في أبي محمد بعد أبي جعفر عليه السلام ما لم يكن يعرف له، كما بدا له في موسى بعد مضي إسماعيل ما كشف به عن حاله وهو كما حدثتك نفسك وإن كره المبطلون) .

ومن جهل البداء عند الاثني عشرية أو لم يعترف به فليس له حظ ولا نصيب من المعرفة) .

### منشأ القول بالبداء

لم يكن المذهب الإمامي في مسألة البداء إلا امتداداً لتلك الضلالة التي ولدت من رحم العقيدة اليهودية واستقرت كمبدأ أساس في المذهب الاثني عشري وبثت على إثره جملة من النصوص المفتعلة منسوبة لأهل البيت .

ولقد كان لابن سبأ اليهودي الأثر البالغ في إشاعة مقالة القول بالبداء، التي استقاها من التوراة وحاول التأثير بها في المجتمع الإسلامي باسم التشيع وتحت مظلة الدعوة إلى ولاية علي ، فقد جاء في التوراة نصوص صريحة تتضمن نسبة معنى البداء إلى الله سبحانه ، جاء في التوراة : (فرأى الرب أنه كثر سوء الناس على الأرض . فندم الرب خلقه الإنسان على الأرض وتنكد بقلبه، وقال الرب: لأحسون الإنسان الذي خلقته عن وجه الأرض . . .) . وهذا المعنى الباطل وما أشبه يتكرر في توراتهم المحرفة .

ومن هنا ففرق السبيئة (كلهم يقولون بالبداء ، وأن الله تبدو له البداوات) ، ثم تنقلت هذه المقالة إلى فرقة (الكيسانية) أو (المختارية) أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي وهي الفرقة التي اشتهرت بالقول (بالبداء) والاهتمام به، والتزامه عقيدة .

و السبب الذي قالت لأجله الكيسانية أو المختارية بالبداء على الله تعالى هو: أن مصعب بن الزبير أرسل جيشًا قويًا لقتال المختار وأتباعه ، فبعث المختار إلى قتالهم أحمد بن شमित مع ثلاثة آلاف من المقاتلة ، وقال لهم: أوحى إلي أن الظفر يكون لكم، غير أنه هزم جيش المختار ، فعاد إليه أصحابه فقالوا: أين الظفر الذي قد وعدتنا ؟ فقال المختار: هكذا كان قد وعدني .

فالمختار اختلق القول بالبداء وجعله تكأة لدفع ما يقع خلاف ما أخبر به .

وقد تسربت هذه العقيدة للمذهب الاثني عشري بنفس السبب السابق ، فقد ادعت الإمامية الاثنا عشرية أن الله تعالى عجز عن التفريق بين الأوقات التي يخرج فيها المهدي المنتظر مجسما تذكره مصادرهم ، إذ رووا عن أبي جعفر أنه قال : ( يا ثابت - أحد الرواة عنه - إن الله كان وقت هذا الأمر في سنة سبعين ، فلما قتل الحسين اشتد غضب الله فأخره إلى أربعين ومائة ، فلما حدثناكم بذلك أذعتم وكشفتم قناع الستر ، فلم يجعل الله لهذا الأمر بعد ذلك وقتا ، يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ) .

فالله تعالى حينما وقت خروج المهدي في أربعين ما كان يعلم عن مصير الحسين ، وما سيؤول إليه من أمر مقتله ، فلما قتل الحسين غضب الله تعالى على الناس فأخر خروج المهدي جزاءً لقتله ، وانتقاماً من الناس .

والذي يبدو أن أول من أرسى أسس هذا المعتقد لديهم هو شيخهم الكليني - الملقب عندهم بثقة الإسلام - ؛ حيث وضع هذا المعتقد في قسم الأصول من الكافي، وجعله ضمن كتاب التوحيد، وخصص له باباً بعنوان (باب البداء) وذكر فيه ستة عشر حديثاً من الأحاديث المنسوبة للأئمة . وجاء من بعده علماء الإمامية فثبتوا هذا المعتقد كابن بابويه ، حيث سجل في كتابه (الاعتقادات) الذي يسمى دين الإمامية وعقد للبداء باباً خاصاً بعنوان (باب البداء)(2) . وكذلك فعل في كتابه (التوحيد) .



ومن اهتم بأمر البداء شيخهم المجلسي فقد بَوَّب له في تجاره بابا بعنوان (باب التسخ والبداء)،  
وضمنه سبعين حديثاً من أحاديثهم عن الأئمة.

واستمر الحال على ذلك حتى عند المعاصرين كالمظفر في عقائد الإمامية والزنجاني في عقائد الإمامية  
الاثني عشرية ، بل ألف شيوخ الطائفة في شأن البداء مؤلفات مستقلة في أكثر من عشرين مصنفاً .

### منزلة البداء عند الإمامية

من أصول الاثني عشرية القول بالبداء على الله سبحانه وتعالى حتى بالغوا في أمره، فقالوا: (ما عبد الله  
بشيء مثل البداء) ، (و ما عظم الله عز وجل بمثل البداء) ، (ولو علم الناس ما في القول بالبداء من  
الأجر ما فتروا عن الكلام فيه) ، (وما بعث الله نبياً قط إلا بتحريم الخمر وأن يقر الله بالبداء) .  
ومن تجديدهم لمن يقول بالبداء ما رواه الكليني عن جعفر أنه قال: (يحشر عبد المطلب يوم القيامة أمة  
واحدة، عليه سيما الأنبياء، وهيبة الملوك) وعن أبي عبد الله قال: (إن عبد المطلب أول من قال  
بالبداء، ويبعث يوم القيامة أمة واحدة، عليه بهاء الملوك وسيما الأنبياء) .

وكل هذه العبارات التي تكتنفها مصادر الاثني عشرية تظهر بجلاء منزلة البداء عندهم ، وأن من لم  
يعتقد بالبداء لم يحقق عبوديته لله ، وأن في القول بالبداء تعظيم لله عز وجل ، بل القول به هو حقيقة  
تعظيم الله الذي لأجله بعثت الرسل -بزعمهم- .

ومن هنا جعل الله لمن قال به - بزعمهم - الأجر العظيم ، وقد حكى غير واحد منهم الإجماع على كون القول بالبداة من عقائد الإمامية الاثني عشرية ومن أصول مذهبهم ، ومن حكى الإجماع شيخهم المفيد في أوائل المقالات وتصحيح الاعتقاد .

### دوافع القول بالبداة عند الإمامية

أشاع الاثنا عشرية في أخبارهم بين أتباعهم أن أئمتهم ( يعلمون ما كان وما يكون ولا يخفى عليهم الشيء )

فإذا نسبوا إلى الأئمة أخباراً لم تقع قالوا: هذا من باب البداة .

فقد جاء في البحار في باب البداة (عن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام: يا أبا حمزة إن حدثناك بأمر أنه يجيء من هاهنا فجاء من هاهنا، فإن الله يصنع ما يشاء، وإن حدثناك اليوم بمحدث وحدثناك غداً بخلافه فإن الله يمحو ما يشاء ويثبت) .

فالمسألة لا تحتاج إلى ريبة في مسألة الإمامة وأخبارهم ، أو أن السهو والخطأ قد لحق مقولتهم ، بل ما وقع خلاف ما أخبرناك به فاعلم أن الله بدا فيه أمراً خلاف ما أخبرناك به .

ومما عزز القول بالبداة أن شيوخ الشيعة كانوا يمنون أتباعهم بأن الأمر سيعود إليهم ، والدولة ستكون لهم، بل حدّدوا ذلك بسبعين سنة في رواية نسبوها لأبي جعفر، فلما مضت السبعون ولم يتحقق شيء

من تلك الوعود اشتكى الأتباع من ذلك، فحاول مؤسسو المذهب الخروج من هذا المأزق بالقول بأنه قد بدا لله سبحانه ما اقتضى تغيير هذا الوعد .

وكانت روايات الشيعة في حياة جعفر الصادق تتحدث بأخبار تنسبها لجعفر أن الإمامة ستكون بعد موته لابنه إسماعيل، ولكن وقع ما لم يكن بالحسبان، إذ مات إسماعيل قبل موت أبيه فكانت قاصمة الظهر لهم، وحدث أكبر انشقاق باق إلى اليوم في المذهب الشيعي، وهو خروج طائفة كبيرة منهم ثبتت على القول بإمامة إسماعيل وهم الإسماعيلية الباطنية ففرعت الاثنا عشرية ومن شايعهم إلى عقيدة البداء لمعالجة هذه المعضلة فنسبوا روايات لجعفر تقول: ( ما بدا لله بداء كما بدا له في إسماعيل ابني . . إذ اخترمه قبلي ليعلم بذلك أنه ليس بإمام بعدي) .

واستجاب لهذا التأويل طائفة الاثني عشرية الذين قالوا بإمامة موسى دون إسماعيل .

ومع أن مؤسسي التشيع يدعون في الأئمة أنهم يعلمون الحوادث الماضية والمستقبلية والآجال والأرزاق . . الخ . ولكن الأتباع وسائر الناس لا يرون فيهم شيئاً من هذه الدعاوى، والأئمة لا يجبرون الناس بشيء من ذلك، لأنهم لا يملكون ذلك أصلاً ولا يدعونه في أنفسهم فلم يجد مؤسسو التشيع تعليلاً يبررون به هذا العجز إلا عقيدة البداء فنقلوا عنهم أنهم لا يجبرون عن الغيب مخافة أن يدوله تعالى فيغيره . وقد نقلوا عن علي بن الحسين أنه قال: ( لولا البداء لحدثكم بما يكون إلى يوم القيامة) .

وزعموا أن الأئمة يعطون علم ( الآجال والأرزاق والبلايا والأعراض والأمراض ويشترط [لهم] فيه  
البداء) .

وقد أمر الشيعة بمقتضى هذه العقيدة بالتسليم بالتناقض والاختلاف والكذب، ففي رواية طويلة في  
تفسير القمي تخبر عن نهاية دولة بني العباس، قال فيها إمامهم: (إذا حدثناكم بشيء فكان كما نقول  
فقولوا: صدق الله ورسوله، وإن كان بخلاف ذلك فقولوا: صدق الله ورسوله توجروا مرتين) .

ومن هنا فالقول بالبداء هو المخرج الوحيد للمذهب للخروج من ضائقة التناقض والبطلان ، بدونه  
تتهام أصول المذهب ، ولهذا فطن أئمة الاثني عشرية لهذا المخرج فأصلوا هذه العقيدة الفاسدة ،  
وقد ذكر النوبختي عن سليمان بن جرير قوله : (إن أئمة الرافضة وضعوا لشيعةهم مقاتلين لا يظهرون  
معهما من أئمتهم على كذب أبدا ، وهما : القول بالبداء ، وإجازة التقية ، فأما البداء ؛ فإن أئمتهم لما  
أحلوا أنفسهم من شيعةهم محل الأنبياء من رعيتهما في العلم فيما كان ويكون ، والأخبار بما يكون في غد  
، وقالوا لشيعةهم : إنه سيكون في غد وفي غابر الأيام كذا وكذا ، فإن جاء ذلك الشيء على ما  
قالوه ، قالوا لهم : ألم نعلمكم أن هذا يكون ، فنحن نعلم من قبل الله عز وجل ما علمته الأنبياء ،  
وبيننا وبين الله عز وجل مثل تلك الأسباب التي علمت بها الأنبياء عن الله ما علمت ، وإن لم يكن  
ذلك الشيء الذي قالوا : إنه يكون على ما قالوا ، قالوا لشيعةهم : بدا لله في ذلك فلم يكونه) .

ولأجل ذا اهتم الاثني عشرية بأمر البداء , وبالغوا في تعظيمه؛ لما يترتب عليه من أثر على أصل

دينهم .

### أثر القول بالبداء على المذهب الاثني عشري

كان لعقيدة البداء أثرها البالغ في ظهور بوادر الشك لدى كثير من العقلاء من أتباع المذهب الاثني عشري ، فتحلوا عن المذهب الإمامي أصلاً، كما حصل من سليمان بن جرير الذي تنسب إليه فرقة السليمانية من الزيدية. لأن أخبارهم ووعودهم التي لم يتحقق منها شيء تنفي عنهم صفة الإمامة. وهذا هو الذي دفع شيوخهم إلى المغالاة في البداء، ودفاعهم عنه، وزعمهم كونه من أعظم العبادات وأجل القربات .

وهو أيضا الذي دفع بعلماء الإسلام من أهل السنة إلى إضافة سبب آخر من أسباب تكفير الاثني عشرية لأنهم بهذا المعتقد نزهاوا المخلوق وهو الإمام عن الخلف في الوعد، والاختلاف في القول، والتغير في الرأي، ونشأة رأي جديد، ونسبوا ذلك إلى عالم الغيب والشهادة , فنزهاوا المخلوق دون الخالق، فغلوهم في الإمام لم يجعل للحق جل شأنه حقه وعظمته .

ومن تاج القول بالبداء أيضا ازدياد الانشقاق في صفوف المذهب الاثني عشرية :

فلقد حاول شيوخ الشيعة أن يجدوا مخلصًا من وصمة هذا العار، ومهربيًا من التكفير فسلكوا مسالك عدة كل قوم يقولون نحن أهدى سبيلا .

فمن منكر لأمر البداء وأن الاثني عشرية كالنصير الطوسي - الذي يلقبه المجلسي بالحقق - فقد أنكر وجود البداء كعقيدة للاثني عشرية . وقال عن طائفته: (إنهم لا يقولون بالبداء، وإنما القول بالبداء ما كان إلا في رواية رووها عن جعفر الصادق أنه جعل إسماعيل القائم مقامه، فظهر من إسماعيل ما لم يرتضه منه، فجعل القائم موسى فسئل عن ذلك فقال: بدا لله في أمر إسماعيل، وهذه رواية، وعندهم أن خبر الواحد لا يوجب علمًا ولا عملاً) .

وقوله هذا مخالف لحقيقة معتقد قومه ؛ إذ إن البداء من عقائدهم المقررة، ورواياتهم وأخبارهم فيه كثيرة لا يمكن ردعها ، ولذلك قال المجلسي بأن هذا الجواب عجيب من الطوسي، وعزا ذلك ( لعدم إحاطته بالأخبار) .

وصنف آخر منهم أقر بالبداء كعقيدة واضطرب في توجيه القول به .

فابن بابويه القمي يوجه الأحاديث الواردة في البداء توجيهًا تبدو عليه ملامح الاضطراب، فهو في البداية يقول : ( ليس البداء كما يظنه جهال الناس بأنه بداء ندامة تعالى الله عن ذلك، ولكن يجب علينا أن

تقر الله عز وجل بأن له البداء معناه أن له أن يبدأ بشيء من خلقه فيخلقه قبل شيء ثم يعدم ذلك الشيء ويبدأ بخلق غيره).

فأنت ترى أن حديثه هنا خارج الموضوع تمامًا؛ لأنه تكلم عن البدء لا البداء، ولا يخالف مسلم في هذا الأمر الذي يقوله، ولو كان هذا مقصودهم بالبداء لما أنكروه عليهم أحد، ولما وجدوا فيه مخرجًا لتناقض رواياتهم، وتحلف وعودهم.

ولم يستمر القمي على ما قرره بل رجع وفسر البداء بالنسخ، فقال بعد الكلام السابق مباشرة: (أو يأمر بأمر ثم ينهى عن مثله، أو ينهى عن شيء ثم يأمر بمثل ما نهى عنه، وذلك مثل نسخ الشرائع، وتحويل القبلة، وعدة المتوفى عنها زوجها).

وهذا جهل أو تجاهل منه؛ إذ لا بداء في النسخ، والحكم كان مؤقتًا في علم الله، وأجل الحكم، وانتهاء الحكم عند حلول الأجل معلوم لله سبحانه قبل الحكم. نعم بدا لنا ذلك من الله بعد نزول الناسخ فلا إشكال في ذلك لأن علمنا بعد جهل، فالبداء لنا في علمنا وفي علم الله. ومن هنا يتنزه الله سبحانه عن أن يوصف بالبداء؛ لأن البداء ينافي إحاطة علم الله بكل شيء، ولم يتنزه عن النسخ؛ لأن النسخ لا يعدو أن يكون بيانًا لمدة الحكم الأول على نحو ما سبق في علم الله تعالى، وإن كان رفعه لهذا الحكم بداء بالنسبة لنا. والله سبحانه قدر في علمه الأزلي لكل حكم ميقانًا وزمانًا معلومًا فإذا انتهى زمانه حل محله حكم آخر بأمره ونهيه سبحانه، فليس فيه تغيير في علمه الأزلي.

وقد تبادت الشيعة في أمر البداء ، حتى ساق صاحب البحار بعض الروايات المنسوخة واعتبرها من قبيل البداء، مع أنه لا صلة للنسخ بالبداء .

فهذا عودة منه لتقرير ذلك المنكر في معتقدهم في البداء، بعد تلون وتقلب. وزيادة عمر من وصل رحمه ليست من باب البداء، وظهور ما لم يكن في علم الله، بل صلة الرحم سبب لطول العمر، والله قدر الأجل وسببه فهو سبحانه ( قدر أن هذا يصل رحمه فيعيش بهذا السبب إلى هذه الغاية، ولولا ذلك السبب لم يصل إلى هذه الغاية، ولكن قدر هذا السبب وقضاه، وكذلك قدر أن هذا يقطع رحمه فيعيش إلى كذا) .

ولكن شيخ الطائفة الطوسي يسلك في تأويل البداء طريقاً أسلم من طريق ابن بابويه، حيث يقول: ( قوله: بدا لله فيه معناه بدا من الله فيه، وهكذا القول في جميع ما يروي من أنه بدا لله في إسماعيل معناه أنه بدا من الله، فإن الناس كانوا يظنون في إسماعيل بن جعفر أنه الإمام بعد أبيه، فلما مات علموا بطلان ذلك) .

فهذا اعتذار من الطوسي، ولا شك بأن البداء إذا كان للخلق بأن يقع لهم ما لم يحتسبوا، فليس فيه ما يمس العقيدة الإسلامية .



وقد تابع الطوسي في الاعتذار محمد حسين آل كاشف الغطاء فقال: (البداء وإن كان في جوهر معناه هو ظهور الشيء بعد خفائه، ولكن ليس المراد به هنا ظهور الشيء لله جل شأنه، وأي ذي حريجة ومسكة يقول بهذه المضلة، بل المراد ظهور الشيء من الله لمن يشاء من خلقه بعد إخفائه عنهم، وقولنا: (بدا لله) أي بدا حكم الله أو شأن الله).

وقد سبق بيان أن الروايات الواردة في البداء لا تسلم لما جنح له آل كاشف الغطاء إذ وصفت البداء لله سبحانه بعد أن لم يكن يعرف .

## أوجه الشبه بين مظاهر الشرك عند الإثني عشرية وفرق الباطنية في التوحيد العملي

### معنى الشرك في الشرع

حقيقة الشرك في الشرع هو : تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله .

وهو تشبيه للمخلوق بالخالق - تعالى وتقدس - في خصائص الإلهية ، من ملك الضر والنفع ، والعطاء والمنع الذي يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل وأنواع العبادة كلها بالله وحده .

(فالشرك لا يتوقف على أن يعدل الإنسان أحداً بالله ويساوي بينهما بلا فرق ، بل إن حقيقة الشرك : أن يأتي الإنسان بمجالل وأعمال خصها الله - تعالى - بذاته العلية وجعلها شعاراً للعبودية - لأحد من الناس ؛ كالسجود لأحد ، والذبح باسمه والنذر له ، والاستعانة به في الشدة ، والاعتقاد أنه ناظر في كل مكان وإثبات التصرف له ، كل ذلك يثبت به الشرك ويصبح به الإنسان مشركاً) .

يقول الإمام الشوكاني : (إن الشرك هو دعاء غير الله في الأشياء التي تختص به ، أو اعتقاد القدرة لغير الله فيما لا يقدر عليه سواه ، أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا إليه) .

ونحو ذلك فنهاهم الله تعالى أن يشركوا به شيئاً وأن يعبدوا غيره ، أو يتخذوا له نداً وعدلاً في الطاعة ، فقال : كما لا شريك لي في خلقكم وفي رزقكم الذي أرزقكم ، وملكي إياكم ونعمتي عليكم فكذلك فأفردوا لي الطاعة ، وأخلصوا لي العبادة ، ولا تجعلوا لي شريكاً ونداً من خلقي فإنكم تعلمون : أن كل نعمة عليكم مني) .

وقال عبد الرحمن بن زيد : (الأنداد : الآلهة التي جعلوها معه ، وجعلوا لها مثل ما جعلوا له . فمعنى الأنداد على هذا المعنى هي الآلهة . وقال مجاهد الأنداد : العدلاء) .

وقال الطبري : (الأنداد جمع ند ، والند:العدل والمثل ، يجعلون شريكاً في عبادتهم إياه ، فيعبدون معه الآلهة والأنداد والأصنام والأوثان وليس منها شيء شاركه في خلق شيء من ذلك ، ولا في إنعامه عليهم بما أنعم عليهم بل هو المتفرد بذلك كله وهم يشركون في عبادتهم إياه غيره) .

ومن هنا فحقيقة الشرك : هو التشبه بالخالق والتشبيه للمخلوق به ، فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية .

### أنواع الشرك

يقسم الشرك إلى قسمين :

أولاً : الشرك الأكبر

وحقيقته أن يتخذ شريكاً أو نداً مع الله تعالى في ذاته أو في أسمائه وصفاته أو أن يعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده .

وبعبارة أخرى : (أن يجعل الإنسان لله نداً :

– إما في أسمائه وصفاته ، فيسميه بأسماء الله ويصفه بصفاته .

- وإما أن يجعل له نداً في العبادة بأن يضرع إلى غيره تعالى من الشمس أو قمر أو نبي أو ملك أو ولي  
مثلاً بقربة من القرب . . .

- وإما أن يجعل لله نداً في التشريع ، بأن يتخذ مشرعاً له سوى الله أو شريكاً لله في التشريع يرتضي  
حكمه ويدين به في التحليل والتحريم ؛ عبادة وتقرباً وقضاءً وفصلاً في الخصومات أو يستحله وإن لم يره  
دينياً . . .

فهذه الأنواع الثلاثة هي الشرك الأكبر الذي يرتد به فاعله أو معتقده عن ملة الإسلام . . . ) .  
ثانياً : الشرك الأصغر :

وحقيقته : هو كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه وجاء في  
النصوص تسميته شركاً . أو ما أتى في النصوص أنه شرك ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر .

وقد تعددت نصوص السنة في تسمية ذلك شركاً أصغر منها قوله x : ((إن أخوف ما أخاف عليكم  
الشرك الأصغر . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء ، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا  
جازى الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً) .

وهو متعلق بالنيات والأقوال والأفعال . وهو محرم بل هو أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر غير أنه لا يخرج من ارتكس فيه من ملة الإسلام لذا قال ابن مسعود رضي الله عنه : ((لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً) .

وقد اتفق أهل العلم من أهل السنة على أن الشرك الأصغر غير مخرج من ملة الإسلام , وأنه لا يخلد في النار .

### حقيقة التوحيد العملي

التوحيد العملي : هو توحيد الله تعالى بأفعال العباد، وذلك بأن تصرف جميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له، وهذا التوحيد هو: أصل الدين، ومن أجله أرسلت الرسل عليهم الصلاة والسلام وأنزلت الكتب .

يقول ابن تيمية : ( إن حقيقة التوحيد أن نعبد الله وحده فلا يدعى إلا هو ولا يخشى إلا هو، ولا يتقى إلا هو، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يكون الدين إلا له، لا لأحد من الخلق، وأن لا تتخذ الملائكة والنبين أرباباً، فكيف بالأئمة والشيخ والعلماء والملوك وغيرهم) ! فالتوحيد العملي إذاً هو ( توحيد الألوهية وهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه؛ هو توحيد الله بأفعال العباد كالدعاء، والرجاء، والخوف، والخشية، والاستعانة، والاستعاذة، والمحبة، والإنابة، والنذر، والذبح، والرغبة، والرغبة، والخشوع، والتذلل، والتعظيم) .

## مظاهر الشرك في التوحيد العملي عند الاثني عشرية

لقد أثر اعتقاد الاثني عشرية في الأئمة على عقيدتهم في توحيد الله سبحانه فجعلوا نصوص القرآن الواردة في أعظم أصل من أصول الدين، وهو توحيد العبادة، الغاية منه تقرير ولاية عليّ والأئمة من بعده وعدم إشراك أحد معهم في ذلك .

ولقد كان جراء هذا الانزلاق الخطر في أمر التوحيد وقوع الاثني عشرية في كثير من مظاهر الشرك بل المتأمل لحال الطائفة يجد أنه ليس في فرق المسلمين فرقة توغلت في الشرك ومظاهره أكثر منهم حتى غدا كثير من انحرافهم ليس مخالفا للنقل الثابت فحسب بل مخالف للمعقول والمحسوس والفطر .

ولقد كان الغلو في الأئمة الركن الأساس في هذا الانحراف السحيق ، ويمكن عرض كثير من هذه المظاهر والتي كثير منها لا يعدو أيضا أن يكون سببا من أسباب هاتيك المزالق :

I- فمن تلك المظاهر حصرهم نصوص التوحيد والشرك الواردة في الكتاب الكريم في ولاية الأئمة .

فنصوص القرآن التي تأمر بعبادة الله وحده، غيروا معناها إلى الإيمان بإمامة عليّ والأئمة، والنصوص التي تنهى عن الشرك جعلوا المقصود بها الشرك في ولاية الأئمة .

أ . ففي قوله سبحانه (ولقد أوحى إليك لئن أشركت ليحبطن عملك ، وتكونن من الخاسرين ، وإلى الذين من قبلك ) الآية 65 من سورة الزمر جاء في الكافي وغيره في تفسيرها: (يعني: إن أشركت في الولاية غيره) ، وفي لفظ آخر: (لئن أمرت بولاية أحدا مع ولاية علي من بعدك ليحبطن عملك).

فتحذير الله نبيه عليه الصلاة والسلام مجبوط عمله لا لأجل الإشراف في حقه سبحانه ، وإنما كان بإشراك أمر الولاية أحدا مع علي بن أبي طالب ، وكان هذه الآية تشعر - بحسب تفسيرهم - أن النبي عليه الصلاة والسلام كان أراد أن يشرك أحدا من الصحابة في أمر الولاية مع علي ؛ وهذا يدل على أن النبي كان يجهد عظم مكانة الولاية حتى نزلت الآية ؛ وقد جاء في بعض رواياتهم ما يفسر ذلك ، فقد جاء في سبب نزولها : ( أن الله عز وجل حيث أوحى إلى نبيه عليه الصلاة والسلام ؛ أن يقيم عليًا للناس علمًا ، فاندس إليه معاذ بن جبل فقال : أشرك في ولايته الأول والثاني (يعنون أبا بكر وعمر) حتى يسكن الناس إلى قولك ويصدقوك، فلما أنزل الله عز وجل: الآية المذكورة شكوا رسول الله إلى جبرائيل فقال: ((إن الناس يكذبوني ولا يقبلون مني، فأنزلها الله عز وجل .

فلم يمنع النبي عليه الصلاة والسلام من الجهر بأمر الولاية لعلي بزعم هؤلاء إلا الخوف من عدم سكن الناس له وتصديقه .

لكن الأمر الحخير هنا مع أهمية أمر الولاية على زعم هؤلاء لم ترد ولا حتى آية واحدة ولو كإشارة لآل البيت فيها فضلا عن التصريح بأمر الولاية لهم .

قالوا: (وويل للمشركين الذين أشركوا بالإمام الأول، وهم بالأئمة الآخرين كافرين... ) إلى غير ذلك من التأويلات التي جاءت لتلغي دعوة المرسلين أجمعين من الدعوة إلى عبودية الله وحده دون الله وصرافها إلى ولاية الأئمة .

وقد جعل أحد شيوخهم هذا التأويل قاعدة مطردة في القرآن فقال: (كل ما ورد ظاهره في الذين أشركوا مع الله سبحانه ربًّا غيره من الأصنام التي صنعوها بأيديهم ثم عظموها وأحبوها والتزموا عبادتها وجعلوهم شركاء ربهم، وقالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله بغير أمر من الله بل بآرائهم وأهوائهم، فبطنه وارد في الذين نصبوا أئمة بأيديهم وعظموهم وأحبوهم والتزموا طاعتهم وجعلوهم شركاء إمامهم الذي عينه الله لهم . . )

وقال: (إن الأخبار متضاربة في تأويل الشرك بالله ، والشرك بعبادته ؛ بالشرك في الولاية والإمامة؛ أي يشرك مع الإمام من ليس من أهل الإمامة، وأن يتخذ مع ولاية آل محمد رضي الله عنهم -أي الأئمة الاثنا عشر- ولاية غيرهم).

فلا تكاد تخلو بهذا الاعتبار آية من آيات القرآن من موضوع التوحيد والنهي عن الشرك إلا وكان المقصود بها ولاية علي والأئمة ولو كانت صريحة واضحة بينة في دلالتها وبذلك ينتهي حقيقة الشرك الذي حرمه الله تعالى وأرسل رسله لاجتثاثه ، وتبقى الإمامة بدلا عنه قد حلت مكانه.



وقال المجلسي: (اعلم أنّ إطلاق لفظ الشّرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من

ولده عليهم السّلام، وفضّل عليهم غيرهم يدلّ أنّهم كفّار مخلّدون في النار).

فتفضيل أحد على أحد من الأئمة الاثني عشر كاف في الحكم بالكفر والخلود في النار بزعم المجلسي ،

ولم يبين في هذا الحكم الجائر من هو المفضّل ؟ وهل يدخل فيه من فضل الأنبياء على الأئمة ؟ .

إن الولاية أصل قبول الأعمال عندهم:

فقد جعلت الاثنا عشرية أمر ولاية الاثني عشر أصل قبول الأعمال ، ورفضها سبب بطلانها مضاهاة

للتوحيد ، وجاءت رواياتهم لتجعل المغفرة والرضوان والجنات لمن اعتقد الإمامة وإن جاء بقرب

الأرض خطايا، والطرود والإبعاد والنار لمن لقي الله لا يدين بإمامة الاثني عشر أو أحدهم وإن عمل ما

عمل، فقالوا : (إنّ الله عزّ وجلّ نصب عليّاً علماً بينه وبين خلقه ؛ فمن عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره

كان كافراً، ومن جهله كان ضالاً، ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً، ومن جاء بولايته دخل الجنة)

فمعرفة علي بزعمهم أوجب الواجبات وهو الحد الفاصل بين أهل الكرامة وأهل الشقاوة ، قرين منزلة

التوحيد بل هو التوحيد كله ، وعليه مداره ، وقد جاء في بعض رواياتهم: (فإن من أقر بولايتنا ثم مات

عليها قبلت منه صلواته، وصومه، وزكاته، وحججه، وإن لم يقر بولايتنا بين يدي الله جل جلاله لم يقبل

الله عز وجل شيئاً من أعماله) .

فشرط قبول العمل من العبد هو الإقرار بولاية الأئمة ، فمن لم يقربها لم يقبل الله عمله ؛ وإن قدم من العمل ما قدم .

فهذا حكم من خالفهم ورأى خلافة الخلفاء الراشدين الثلاثة فضلا عن تفضيلهم على الاثني عشر إماما ، وجاء في رواياتهم أيضا : (( أن جبرائيل نزل على النبي عليه الصلاة والسلام فقال: يا محمد، السلام يقرئك السلام ويقول: ( خلقت السماوات السبع وما فيهن، والأرضين السبع وما عليهن، وما خلقت موضعا أعظم من الركن والمقام، ولو أن عبدا دعاني هناك منذ خلقت السماوات والأرضين ثم لتيني جاحدا لولاية علي لأبيته في سقر)) بل جاء في بعض رواياتهم ((لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبل الله منه إلا بولائنا أهل البيت)). فالله قال: ((يا محمد، لو أن عبدا يعبدني حتى ينقطع ويصير كالشئ ، ثم أتاني جاحدا لولائهم ما أسكته جنتي ولا أظلمته تحت عرشى)) وأن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: ((لو جاء أحدكم يوم القيامة بأعمال كأمثال الجبال ولم يجئ بولاية علي بن أبي طالب لأكبه الله عز وجل بالتار)) ((ولو أن عبدا جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبيا ما قبل الله ذلك منه حتى يلقاه بولائي وولاية أهل بيتي)).

بل التوحيد الذي هو حقيقة دعوة الرسل عند الاثني عشرية لا يقبل إلا بالولاية، ففي أخبارهم ( قال رسول الله × ((من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة))، فقال رجلان من أصحابه: فنحن نقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ×: ((إنما تقبل شهادة أن لا إله إلا الله من هذا وشيعته))، ووضع رسول الله ×

يده على رأس عليّ وقال لهما: ((من علامة ذلك ألا تجلسا مجلسه ولا تكذبا قوله )) فالولاية مقدمة على الشهادة وهي أساس قبول العمل, والشهادة أيضا لا تقبل إلا من شيعة علي.

ومن هنا فالإمامة مناط عفو الله ومغفرته، وإنكارها سبب سخط الله وعقابه، وقد رووا ((عن علي رضي الله عنه عن رسول الله عليه الصلاة والسلام عن جبرائيل عن الله عز وجل قال: وعزتي وجلالي لأعذبن كل رعية في الإسلام دانت بولاية إمام جائر ليس من الله عز وجل، وإن كانت الرعية في أعمالها برة تقيّة، ولأعفون عن كل رعية دانت بولاية إمام عادل من الله تعالى، وإن كانت الرعية في أعمالها طالحة سيئة)).

فليس للرعية عموما وأفرادا إن أرادوا النجاة إلا الإيمان بالولاية, ولا يضرهم بعد ذلك ما عملت أنفسهم من سوء .

ولا ريب أن هذا مفتاح للتمرد والإباحية والتجروء على محارم الله تعالى إذ النجاة معلقة بالولاية فقط لا غير فاعمل ما شئت فطوق النجاة -الإمامة -بيدك .

3- اعتقادهم أن الأئمة هم الوسطة بين الله والخلق:

لما كان الأئمة عند الاثني عشرية (هم حجب الرب، والوسائط بينه وبين الخلق) والناس لا يهتدون إلا بهم، وأنهم الوسائل بين الخلق وبين الله، وأنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم)

فلا عجب حينئذ من أن يتوجه الاثنا عشرية إليهم في قضاء حوائجهم وكشف كربهم، وقد جاء عندهم عن أبي عبد الله أنه قال: (نحن السبب بينكم وبين الله عز وجل) وهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق).

ويعتقد الاثنا عشرية كذلك أن هداية الخلق بيد الأئمة، وأن الدعاء لا يقبل إلا بأسمائهم، ولذا يستغاث بهم في الشدائد والملمات قال أبو عبد الله فيما يروونه عنه: (بلية الناس عظيمة؛ إن دعوناهم لم يجيبونا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا).

فالناس في بلاء وضلال دائم ما لم يهتدوا بهم: (فمن أبي جعفر قال: (بنا عبد الله، وبنا عرف الله، وبنا وحد الله).

والله لا يقبل الدعاء إلا بأسماء الأئمة ولا يفلح من دعا الله بغيرهم، ومن فعل ذلك فقد هلك، جاء عن الأئمة: (من دعا الله بنا أفلح، ومن دعا بغيرنا هلك واستهلك).

ومن مواطن البلاء في هذا الباب اعتقاهم: (أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بهم صلوات الله عليهم أجمعين) و(عن الرضا عليه السلام قال: لما أشرف نوح عليه السلام على الغرق دعا الله بحقنا فدفع الله عنه الغرق، ولما رمي إبراهيم في النار دعا الله بحقنا فجعل الله النار عليه بردًا

وسلامًا، وإن موسى عليه السلام لما ضرب طريقًا في البحر دعا الله بحجّتنا فجعله يبسًا، وإن عيسى عليه السلام لما أراد اليهود قتله دعا الله بحجّتنا فنجّني من القتل فرفعه الله).

فإذا كان الأنبياء على علوم مكاتهم وعظيم منزلتهم عند الله تعالى وهم أفضل الخلق هذا حالهم تجاه الأئمة فكيف سيكون حال غيرهم من الناس، فما الذي سيعتقده الاثنا عشري عند سماعه مثل هذه الأمور.

#### 4- الاستغاثة بالأئمة :

فالشيعية تدعو إلى الاستغاثة بأئمتها فيما لا يقدر عليه إلا الله وحده، بل خصصت رواياتهم وظيفية كل إمام في هذا الباب فقالت: (أما علي بن الحسين فالتنجاة من السلاطين ونفث الشياطين، وأما محمد بن علي وجعفر بن محمد فلاخرة وما تبغيه من طاعة الله عز وجل، وأما موسى بن جعفر فالتمس به العافية من الله عز وجل، وأما علي بن موسى فاطلب به السلامة في البراري والبحار، وأما محمد بن علي فاستنزل به الرزق من الله تعالى، وأما علي بن محمد فالتواقل وبر الإخوان وما تبغيه من طاعة الله عز وجل، وأما الحسن بن علي فلاخرة، وأما صاحب الزمان فإذا بلغ منك السيف الذبح فاستعن به فإنه يعينك) و (الشفاء الأكبر والدواء الأعظم لمن استشفى بهم).

وإذا كان هذا حال الأئمة فماذا أبقى هؤلاء لله تعالى؟! إذ الأئمة هم المستغاث والمرتجى في كل صغير وكبير، لأنهم: (أركان البلاد، وقضاة الأحكام، وأبواب الإيمان. . . منائح العطاء، بكم إنفاذه محتومًا مقرونًا، فما شيء منه إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل. . . فلا نجاة ولا مفرج إلا أنتم، ولا مذهب عنكم يا أعين الله الناظرة. . .).

ومما يدخل في هذا البلاء اعتقادهم أن قبور الأئمة وأضرحتهم هي مناط الرجاء، ومفرج الحاجات. قالوا: (إذا كان لك حاجة إلى الله عز وجل فاكتب رقعة على بركة الله، واطرحها على قبر من قبور الأئمة إن شئت، أو فسدّها واختمها واعجن طينًا نظيفًا واجعلها فيه، واطرحها في نهر جارٍ، أو بئر عميقة، أو غدير ماء، فإنها تصل إلى السيّد عليه السلام وهو يتولّى قضاء حاجتك بنفسه) وقد ذكروا أنه يكتب في هذه الرقعة: (بسم الله الرحمن الرحيم، كتبت إليك يا مولاي صلوات الله عليك مستغيثًا. . .، فأعثنى يا مولاي صلوات الله عليك عند اللّهُف، وقدم المسألة لله عز وجل في أمري قبل حلول التّلف وشماتة الأعداء، فبك بسطت التّعمة عليّ، واسأل الله جلّ جلاله لي نصرًا عزيزًا. . .).

وذكروا أنه يصعد التهر أو الغدير وينادي على أحد أبواب المنتظر فينادي أحدهم ويقول: (يا فلان بن فلان سلام الله عليك، أشهد أنّ وفاتك في سبيل الله وأنّ حيّ عند الله مرزوق، وقد خاطبتك في حياتك التي لك عند الله جلّ وعزّ، وهذه رقعتي وحاجتي إلى مولانا عليه السلام فسلمها إليه فأنت الثّقة الأمين) قالوا: (ثم ارم بها في التهر وكأنّك تخيل لك أنّك تسلمها إليه).

فلم يقتصر الأمر على الأئمة بل تعدى إلى أبوابهم وأتباعهم , وهو بهذا يفتح الشرك وأبوابه على مصارعيه لاتباع طائفته .

وهناك رسائل أيضًا تبعث إلى المهدي المنتظر المزعوم لطلب الاستغاثة , وقد ساق المجلسي استغاثة المهدي المنتظر، فيها (ارجع فيما أنت بسبيله إلى الله تعالى، واستعن بصاحب الزمان عليه السلام، واتخذه لك مفرعًا، فإنه نعم المعين، وهو عصمة أوليائه المؤمنين . . . . .) . . . . . وقال: السلام عليك يا إمام المسلمين والمؤمنين، السلام عليك يا وارث علم النبيين، السلام عليك يا عصمة الدين، السلام عليك يا معز المؤمنين المستضعفين، السلام عليك يا مذل الكافرين المتكبرين الظالمين، السلام عليك يا مولاي يا صاحب الزمان . . . . . يا مولاي، حاجتي كذا وكذا فاشفع لي في نجاحها)

5- قولهم: إن الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله:

يعظم الاثنا عشرية زيارة المشاهد والقبور والغلو فيها , حتى جاوزهوا بذلك المأذون به شرعا , وقد وضعوا لتروح هذا الغلو جملة من الروايات عن الأئمة ليقبل السذج ذلك , ومن ذلك ما جاء في الكافي وغيره: (لإن زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجة، وأفضل من عشرين عمرة وحجة) وحينما قال أحد الشيعة لإمامه: (إنني حججت تسع عشرة حجة، وتسع عشرة عمرة) أجابه الإمام قائلاً: (حج حجة أخرى، واعتمر عمرة أخرى، تكتب لك زيارة قبر الحسين عليه السلام) .

ولأجل هذا عدّ الاثنا عشرية زيارة قبر الحسين وقبور سائر الأئمة أفضل من حج بيت الله الحرام، جاء في وسائل الشيعة : (كان الحسين عليه السلام ذات يوم في حجر النبي x وهو يلاعبه ويضاحكه، وإن عائشة قالت: يا رسول الله ما أشد إعجابك بهذا الصبي! فقال لها: وكيف لا أحبه وأعجب به وهو ثمرة فؤادي وقرّة عيني، أما إن أمّتي ستقتله فمن زاره بعد وفاته كتب الله له حجة من حجّجتي، قالت: يا رسول الله حجة من حججك؟!، قال: نعم وحجّتين، قالت: حجّتين؟ قال: نعم وأربعًا. فلم تنزل تزايد وهو يزيد حتى بلغ سبعين حجة من حجج رسول الله عليه الصلاة والسلام بأعمارها) وفي رواية (من زار قبر أبي عبد الله كتب الله له ثمانين حجة مبرورة) وفي رواية أخرى : (من أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كان كمن حجّ مائة حجة مع رسول الله x).

فانظر إلى أثر هذا الفضل ومردوده على أتباعهم ، كيف أن زيارة واحدة لقبر الحسين تعدل مائة حجة مع رسول الله عليه الصلاة والسلام وعمرة؟ ، وليس بغريب جزاء هذا الغلو المفرط أن يكون الزائر أفضل ممن صحب رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وقد أفصحت رواياتهم بهذا المنحى الذي يسعى الاثنا عشرية لتقريره ، فقد جاء في كتبهم عن أبي جعفر قال: (لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين عليه السلام من الفضل لما توا شوقاً، وتقطعت أنفسهم عليه حسرات، ومن زاره تشوقاً إليه كتب الله له ألف حجة متقبّلة، وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة، وثواب ألف نسمة أريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظاً سنته من كلّ آفة أهونها



الشیطان، وواكل به ملك كريم يحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدمه، فإن مات سنته حضرته ملائكة الرحمن ؛ يحضرون غسله وأكفانه والاستغفار له ويشيعونه إلى قبره بالاستغفار له، ويفسح له في قبره مدّ بصره، ويؤمنه الله من ضغطة القبر، ومن منكر ونكير يروعانه، ويفتح له باب إلى الجنة، ويعطى كتابه بيمينه ويعطى له يوم القيامة نور يضيء لنوره ما بين المشرق والمغرب، وينادي مناد هذا من زار الحسين شوقاً إليه، فلا يبقى أحد يوم القيامة إلا تمتى يومئذ أنه كان من زوار الحسين عليه السلام). وفي رواية: (إن الرجل منكم ليغتسل في الفرات ثم يأتي قبر الحسين عارفاً بحقه فيعطيه الله بكل قدم يرفعها أو يضعها مائة حجة مقبولة، ومائة عمرة مبرورة، مائة غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل).

ولم يكف زعمهم عند هذا بل جعلوا لبعض أيام الزيارة مزية عن غيرها فالزيارة في يوم عرفة أو عاشوراء أفضل من سائر الأيام جاء في رواياتهم : (من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء حتى يظل عنده باكيًا لقي الله عز وجل يوم القيامة بثواب ألف حجة، وألفي ألف عمرة ، وألفي ألف غزوة ، وثواب كل حجة وعمرة وغزوة كثواب من حج واعتمر وغزا مع رسول الله ﷺ ومع الأئمة الراشدين صلوات الله عليهم . .) وفي رواية أخرى (فمن أتى قبر الحسين عارفاً بحقه في غير يوم عيد كتب الله له عشرين حجة وعشرين عمرة مبرورات مقبولات . ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له مائة

حجّة ومائة عمرة . ومن أتاه يوم عرفة عارفاً بحجّه كتب الله له ألف حجّة وألف عمرة مبرورات مقبّلات، وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل) .

ولأجل هذا الفضل المزعوم يتفانى الاثنا عشرية في الزيارة عن غيرها من شعائر الدين ، ومما جاء في هذا المسلك المزعوم من الفضائل ما جاء عن جعفر - كما تقول رواياتهم - قال : (لو أنّي حدّثتكم بفضل زيارته وبفضل قبره لتركتم الحجّ رأساً وما حجّ منكم أحد ، ويحكّ أما علمت أنّ الله اتّخذ كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يتّخذ مكة حرماً .) . وقال: (لإنّ الله يبدأ بالتّظر إلى زوّار قبر الحسين بن عليّ عشية عرفة قبل نظره إلى أهل الموقف)، فسئل وكيف ذلك؟ فقال أبو عبد الله: لأنّ في أولئك أولاد زنا وليس في هؤلاء أولاد زنا) .

وبهذا الفضل المزعوم يهون أمر الحج والعمرة عند الاثني عشرية ولمّ العناء بالسفر إلى الحرم المكي الشريف لأركان الحج؟! فزيارة كربلاء والأئمة تعني عن حج العمر كله فضلاً وأجراً ودرجة ، ولعل المتأمل لهذا الأحاديث الموضوعية على أهل البيت في فضل الزيارة ليدرك أنّ واضعيها يسعون جاهدين لتهوين أركان الإسلام في قلوب منتسبيه ، وصرّفهم عنها بتعظيم هذه المشاهد المحدثّة وتعظيم زيارتها في أوقات الحج . وقد جاء في رواياتهم من أراد (أن يتنفل بالحج والعمرة فمنعه من ذلك شغل دنيا أو عائق فأتى الحسين بن عليّ في يوم عرفة أجزاء ذلك من أداء حجّته وضاعف الله له بذلك أضعافاً

مضاعفة قال: قلت: كم تعدل حجة وكم تعدل عمرة؟ قال: لا يحصى ذلك. قلت: مائة. قال: ومن يحصى ذلك؟ قلت: ألف. قال: وأكثر، ثم قال: وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها).

قال الفيض الكاشاني معلقاً على هذا: (إن هذا ليس بكثير على من جعله الله إماماً للمؤمنين، وله خلق السماوات والأرضين، وجعله صراطه وسبيله، وعينه، ودليله، وبابه الذي يؤتى منه، وحبله المتصل بينه وبين عباده من رسل وأنبياء وحجج وأولياء، هذا مع أن مقابرهم رضي الله عنهم فيها أيضاً إنفاق أموال، ورجاء آمال، وإشخاص أبدان، وهجران أوطان، وتحمل مشاق، وتجديد ميثاق، وشهود شعائر، وحضور مشاعر).

فانظر كيف يروج لهذا الباب من أبواب الشرك بأن هذا الفضل ليس بغريب لأن الحسين - بزعمه - هو الحبل والواسطة بين الله وعباده، وهو عين الله وبابه. فمن زاره كان كمن زار الله في عرشه - كما جاء في رواياتهم - ولذا عدت زيارة قبره وقبور الأئمة أفضل الأعمال، وبهذه الفضائل المزعومة وغيرها مما لا يسع المجال لعرضها تتعلق القلوب الضعيفة الجاهلة بها وتفتح بذلك أبواب الشرك الذي هلك اليهود والنصارى به فعدوا شرار الخلق وأصابتهم اللعنة منه × كما في حديث: ((لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصلحيتهم مساجد)).

6- قولهم: إن كربلاء أفضل من الكعبة:

قد اعتبر الشيعة كربلاء وغيرها من أماكن قبور أئمتهم المزعومة حرماً مقدساً؛ فالكوفة حرم، وقم حرم، وغيرها، جاء في رواياتهم (إن الكوفة حرم الله وحرم رسول الله عليه الصلاة والسلام وحرم أمير المؤمنين، وإن الصلاة فيها بألف صلاة والذرههم بألف درهم).

وعن جعفر: (إن لله حرماً هو مكة، ولرسوله حرماً وهو المدينة، ولأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة، ولنا حرماً وهو قم). ومن أسباب تقدسهم لقم وجود قبر فاطمة بنت موسى بن جعفر (إمامهم السابع) فيها، وفي رواياتهم (ستدفن فيه امرأة من ولدي تسمى فاطمة، من زارها وجبت له الجنة). وقد كان لهذه المعتقدات المبتدعة تجاه هذه الأماكن أعظم الأثر في تعظيمها التبرك بتربتها وشدة الرحال لها والحج لمشاهدها وقبورها، وقد جنح بهم الغلو في تعظيم هذه الأماكن إلى تفضيلها على مكة والمدينة، فقد روى عن علي بن الحسن قال: (اتخذ الله أرض كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يخلق الله أرض الكعبة ويتخذها حرماً بأربعة وعشرين ألف عام، وقدسها وبارك عليها، فما زالت قبل خلق الله الخلق مقدسة مباركة ولا تزال كذلك حتى يجعلها الله أفضل أرض في الجنة، وأفضل منزل ومسكن يسكن فيه أولياءه في الجنة).

والسبب في تقدسهم لأرض كربلاء كونها ضمت جسد الحسين بن علي رضي الله عنه فاستمدت قداستها بوجوده فيها.

وجاء عن جعفر قال: (إن أرض الكعبة قالت: من مثلي وقد بني بيت الله على ظهري يأتيني الناس من كل فج عميق وجعلت حرم الله وأمنه . فأوحى الله إليها - كما يفترون - أن كفي وقري ما فضل ما فضلت به فيما أعطيت أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غرست في البحر فحملت من ماء البحر، ولولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولولا من تضمنه أرض كربلاء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذي به افتخرت، فقري واستقري وكوني ذنباً متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مستكف ولا مستكبر لأرض كربلاء وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم) .

فالكعبة قبلة المسلمين، وأقدس مقدساتهم، وأفضل البقاع التي لا يشرع الطواف إلا بها ما هي عند الاثني عشرية إلا ذنباً ذليلاً مهيناً لأرض كربلاء كادت أن تصبها نقمة الله قتهوي بها في نار جهنم .

وزوار الحسين بكربلاء تأتيهم الملائكة ويناجيهم الله : جاء عن جعفر الصادق: (من خرج من منزله يريد زيارة الحسين كتب الله له بكل خطوة حسنة . . إلى أن قال: وإذا قضى مناسكه . . أتاه ملك فقال له: أنا رسول الله، ربك يقرئك السلام ويقول لك: استأنف فقد غفر لك ما مضى) . فالملائكة تقابل زوار القبر، وتبلغهم سلام الله وغفرانه ، ( فإذا أتاه الزائر ناجاه الله فقال: عبدي، سلمي أعطك، ادعني أجبك) وفي البحار (إن قبر أمير المؤمنين يزوره الله مع الملائكة يزوره الأنبياء يزوره المؤمنون) .

ومن هنا كانت زيارة الأضرحة فريضة من فرائض مذهبهم ، يكفر تاركها ففي الوسائل (عن هارون بن خارجة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن ترك الزيارة زيارة قبر الحسين عليه السلام من غير علة، فقال: هذا رجل من أهل النار) .

وقد عقد المجلسي بابًا بعنوان: (باب أن زيارته -الحسين- واجبة مفترضة مأمور بها، وما ورد من الذم والتأنيب والتوعد على تركها) وذكر فيه أربعين حديثًا من أحاديثهم .  
وعلى غرار ذلك جاءت كتب المناسك للمشاهد التي تفردت بها الاثنا عشرية عن غيرهم فما صنفه شيوخهم في المزارات ومناسكها قد بلغت ستين كتابًا ، وقد كان من جراء هذه المعتقدات والمصنفات فيها جملة من صور الشرك منها :

أ . الطواف بها:

فشرع شيوخ الشيعة لأتباعهم الطواف بأضرحة الموتى من الأئمة، ووضعوا من الروايات على آل البيت ما يسندون به ذلك، فقد ذكر المجلسي بأنه ورد في بعض زيارات الأئمة (إلا أن نطوف حول مشاهدكم)، وفي بعض الروايات (قبيل جوانب القبر)، كما قال بأن الرضا كان يطوف بقبر رسول الله عليه الصلاة والسلام .

ب . الصلاة عند الضريح:

ومن مناسك المشاهد والأضرحة أداء ركعتين أو أكثر عند قبور الأئمة، وكل ركعة تؤدي عند القبور تفضل على الحج إلى بيت الله الحرام مئات المرات، جاء في أخبارهم: (الصلاة في حرم الحسين لك بكل ركعة تركها عنده كثواب من حج ألف حجة، واعتمر ألف عمرة، وأعتق ألف رقبة، وكأنما وقف في سبيل الله ألف مرة مع نبي مرسل). زاد المجلسي (وله بكل خطوة مائة حجة، ومائة عمرة، وعتق مائة رقبة في سبيل الله، وكتب له مائة حسنة، وحط عنه مائة سيئة).

ج. الانتكباب على القبر:

ومن مناسك المشاهد عندهم الانتكباب على القبر، ووضع الخد عليه، وتقبيل الأعتاب. ومناجاة صاحب القبر حتى ينقطع النفس كما يقولون.

قال المجلسي: (باب ما يستحب فعله عند قبره عليه السلام). وذكر أن شيخ طائفتهم الطوسي قال في وصفه لأعمال زيارة يوم الجمعة: (ثم تنكب على القبر وتقول: مولاي إمامي، مظلوم استعدى على ظالمه، النصر، النصر حتى ينقطع النفس).

ومما أوصى به جعفر الصادق زائر قبر الحسين: (فإذا أتيت الباب فقف خارج القبة، وأوم بطرفك نحو القبر وقل: يا مولاي يا أبا عبد الله يا ابن رسول الله عبدك وابن عبدك وابن أمك، الدليل بين يديك، المقصر في علو قدرك، المعترف بحقك، جاءك مستجيرًا بذمتك، قاصدًا إلى حرمك، متوجهًا إلى

مقامك إلى أن قال: ثم انكبّ على القبر وقل: يا مولاي أتيتك خائفاً فأمتي، وأتيتك مستجيراً فأجرني .  
ثم انكبّ على القبر ثانية) .

وقال المفيد: (فإذا أردت الخروج فانكبّ على القبر وقبله . . . ثم ارجع إلى مشهد الحسين وقل:  
السلام عليك يا أبا عبد الله، أنت لي جنة من العذاب) .

ولهذا قرر علماءهم أن من آداب زيارة الأضرحة (وضع الخدّ الأيمن عند الفراغ من الزيارة والدعاء) .  
وأنه (لا كراهة في تقبيل الضريح؛ بل هو سنة عندنا ولو كان هناك تقية فتركه أولى) (3) .

د . اتخاذ القبر قبلة كبيت الله:

قال المجلسي: (لإن استقبال القبر أمر لازم، وإن لم يكن موافقاً للقبلة . واستقبال القبر للزائر بمنزلة  
استقبال القبلة وهو وجه الله، أي جهته التي أمر الناس باستقبالها في تلك الحالة) .

وقد سئل مهديهم : (هل يجوز لمن صلى عند بعض قبورهم عليهم السلام أن يقوم وراء القبر ويجعل  
القبر قبلة أم يقوم عند رأسه أو رجله؟ وهل يجوز أن يتقدم القبر ويصلي ويجعل القبر خلفه أم لا؟  
فأجاب . أما الصلاة فإنها خلفه ويجعل القبر أمامه، ولا يجوز أن يصلي بين يديه ولا عن يمينه ولا عن  
يساره؛ لأن الإمام صلى الله عليه لا يتقدم عليه ولا يساوي) .

وقال المجلسي : إنه يستحسن للزائر استقبال القبر في الصلاة واستدبار الكعبة .



هذا بعض ما جاء في مصادرهم المعتمدة حول المشاهد، وهو قليل من كثير، هذا غير ما ألف في المزارات من كتب خاصة في الماضي والحاضر.

وكلها تتحدث عن فضائل من شد الرحل لزيارة الأئمة وطاف بها، ودعا في رحابها، واستغاث بمن فيها، وتذكر مئات الأدعية التي فيها من الغلو في الأئمة ما يصل بهم إلى مقام الخالق جل شأنه، وفيها من الشرك بالله ما الله به عليم حتى عد ذلك من ضروريات المذهب .

7- قولهم: إن تراب قبر الحسين شفاء من كل داء:

فتربة الحسين -بزعمهم - هي الكفيلة لشفاء الأدوية والأسقام بشتى أنواعها وأشكالها، ولقد أورد صاحب البحار ما يقارب ثلاثا وثمانين رواية عن تربة الحسين وفضلها وآدابها وأحكامها ، منها ما جاء (عن الحارث بن المغيرة قال: قلت لأبي عبد الله - عليه السلام -: إن رجلا كثير العلل والأمراض، وما تركت دواء إلا تداويت به، فقال لي: أين أنت عن طين قبر الحسين بن علي فإن فيه شفاء من كل داء وأمنًا من كل خوف) ، والطفل حين يحنك بها تكون مأمنه من الأخطار قال أبو عبد الله: (حنكوا أولادكم بتربة الحسين فإنه أمان) ، وتوضع مع الميت في قبره لتقيه من العذاب ، بل يمسك بها الرجل يعثب بها ساهيًا يقلبها فيكتب له أجر المسيحين، سئل إمامهم المهدي المنتظر ( هل يجوز أن يسبح الرجل بطين القبر؟ وهل فيه فضل؟ فأجاب: تسبح به فما من شيء من التسبيح أفضل منه، ومن

فضله أن المسبّح ينسى التسبيح ويدير السبحة تكب له ذلك التسبيح) وفي رواية: (إذا قلبها ذكراً الله كتب له بكل حبة أربعون حسنة، وإذا قلبها ساهياً يعث بها كتب الله له عشرين حسنة) .

وجاء أيضاً: (إن الله جعل تربة جدي الحسين رضي الله عنه شفاء من كل داء، وأماناً من كل خوف، فإذا تناولها أحدكم فليقبلها ويضعها على عينه وليمرّها على سائر جسده وليقل: (اللهم بحق هذه التربة وبحق من حل بها وثوى فيها . . إلخ) .

وهذه الطينة يلجأ إليها وقت الخوف ومداهمة العدو يقول أحد أئمتهم: (إذا خفت سلطاناً أو غير سلطان فلا تخرجن من منزلك إلا ومعك من طين قبر الحسين) .

كما أن هذه الطينة هي أمل الحور العين، ولذلك فالحور (يطلبن من الملائكة حينما يهبطن إلى الأرض أن تكون هداياهن من طين قبر الحسين)

وهم يعظمون السجود عليها لأنها (تخرق الحُجُب السبع) .

وهكذا يدخل الشرك في أتباع الاثني عشرية تحت مسمى المحبة والزيارة وتعظيم آل البيت ، مضاهاة لأهل الشرك

8- دعاؤهم بالطلاسم والرموز وتعاطيهم السحر، واستغاثتهم بالجن :

لاعتبارهم أن ذلك من أحرار الأئمة وأدعيتهم وحجبهم، فيكتبونها ويتمنون بها . من أجل الشفاء، والسلامة، وقد جمع المجلسي من ذلك فأكثر، فقد أورد طائفة من الألفاظ التي لا معنى لها، ووضع صور بعض الطلاسم برسم غريب في كتابه البحار؛ على أن ذلك من هدي الأئمة للشفاء . ومن أمثلة تلك الطلاسم قوله : (حرز لأمير المؤمنين صلوات الله عليه للمسحور، والتوابع (الجنبي يتبع الإنسان حيث ذهب) والمصروع والسّم والسلطان والشيطان وجميع ما يخافه الإنسان . وهذه كتابته: بسم الله الرحمن الرحيم، أي كئوش أي كئوش أرشش عطنيطنيطح يا مطيطرون فريالسنون ما وما ساما طيطشا لوش خيطوش . . . إلى آخر هذه الطلاسم، ثم رسم رموزاً غريبة على شكل خطوط متداخلة . . . )  
ومن عوذات الأئمة وأحرارهم قولهم: (أعوذه بيا أهيا شراهما . . . ) .

ومن عوذات الأئمة دعواتهم بالحروف كقولهم : (اللهم بالعين والميم والفاء والحاء بنور أبو الأشباح . . .  
أكفني شر من دب ومشى . . . ) واعتبروا هذا من الحجب التي احتجب بها الأئمة ممن أراد الإساءة إليهم) .

(وعن أبي عبد الله قال: إذا ضللت الطريق فناد: يا صالح أو يا أبا صالح أرشدونا إلى الطريق يرحمكم الله) قال ابن بابويه بعد هذه الرواية: (وروي أن البر موكل به صالح، والبحر موكل به حمزة) وفي الخصال لابن بابويه بإسناده عن علي قال: (ومن ضل منكم في سفر وخاف على نفسه فليناد: يا

صالح أغثنى، فإن في إخوانكم من الجن جنياً يسمى صالح يسبح في البلاد لمكانكم محتسباً نفسه لكم، فإذا سمع الصوت أجاب وأرشد الضال منكم وحبس عليه دابته).

أوجه الشبه في مظاهر الشرك في التوحيد العملي بين الاثني عشرية و فرق الباطنية.

لعل بعد هذا العرض الموجز في بيان مظاهر انحراف الاثني عشرية و فرق الباطنية في جناب التوحيد العملي و وقوعهم في جملة ليست بالقليلة من الشرك و وسائله يمكن أن يقال أن هناك جملة من نقاط الالتقاء التي اجتمعت فيها الاثنا عشرية و فرق الباطنية في الشرك العملي.

I- ولعل من نافلة القول أن يقال أن من أعظم أوجه الشبه التي جمعت بين الطائفتين بل أعظم أسباب الزلل في هذا الباب هو الغلو الذي أهلك من كان قبلنا من الأمم .

فالغلو في الأئمة من أعظم الأسباب التي جرت الاثني عشرية و فرق الباطنية إلى الوقوع في حياض الشرك العملي , ولا غرو في ذلك فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : ( إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو) .

ولعل أثر الغلو يظهر جلياً عند الاثني عشرية عندما أضفوا على الأئمة سمة القداسة المطلقة وأن الأمر مفوض إليهم في الدنيا والآخرة , وأن الإيمان بالإمامة قرين الإخلاص فكما أن العمل لا يقبل بدون

إخلاص فكذلك الحال في الإمامة فلا قبول لعامل مهما كان عمله إذا لم يكن صاحبه مقرونا بالإيمان  
بمسألة الإمامة .

2- ومن أوجه الشبه بينهم تعظيمهم أمر الإمامة وجعلها شرطا في قبول العمل وأن العمل بدونها لا يقبل  
من صاحبها مهما كان .

وقد تجلّى هذا الأمر بوضوح في تصريحات أعلام الاثني عشرية ورموز الإسماعيلية والنصيرية .

3- ومنها تقريرهم بأن الأئمة هم الواسطة بين الله وخلقهم ، إليهم المفتح في الرغائب وتحصيلها ، وفي دفع

ما يكره من الأمور قبل وقوعها أو بعد وقوعها؛ إذ هداية الخلق إليهم ، وهم السبب بين الله وخلقهم

4- ومنها اتفاقهم على تعظيمهم المشاهد والقبور وتقديسها والسجود عليها وإليها ، والتوجه إليها

والسفر إلى جناباتها ، وإعداد المناسك فيها .

5- ومنها تعظيمهم الأماكن وتفضيلها على مكة والمدينة كالنجف وكربلاء وتعظيم السفر لها وأن له

الأجر العظيم عند الله تعالى وقد ظهر عند الاثني عشرية والإسماعيلية والنصيرية من فرق الباطنية .

6- ومنها اتفاقهم على جواز الاستغاثة بالأموات ودعائهم والتوجه إليهم وطلب العون منهم .

7- ومنها استخارة الاثني عشرية والإسماعيلية بما يشبه الطلاسمة والأحاجي والسحر ، وما يشبه

أزلام الجاهلية .

إلى غير ذلك من أوجه الشبه التي تظهر لكل متأمل بأن هذه الفرق قد انجرت إلى هاوية سحيقة في الضلال الذي كان عليه أهل الجاهلية التي جاء النبي عليه الصلاة والسلام لمحاربتها وإزالتها .

## أوجه الشبه بين معتقد الاثني عشرية و فرق الباطنية في النبوة

### المبحث الأول

## أوجه الشبه بين معتقد الاثني عشرية و فرق الباطنية في الوحي

### الوحي في اللغة

الوحي : الإشارة والرسالة والإلهام , والكلام الخفي , وكل ما ألقىته إلى غيرك . تقول : وَحَيْتُ إِلَيْهِ بِالْكَلَامِ أَحْيِي بِهِ , وَأَوْحَيْتَهُ إِلَيْهِ ؛ وهو أن تكلمه بكلام تخفيه من غيره .

وفي الصحاح : ( الوحي : على فعيل ؛ السريع . ويقال : الوحي الوحي , يعني البدار البدار , وتوحي يا هذا ؛ يعني أسرع , وَتَوَّحَّاهُ تَوْحِيَةً , أَي : عَجَّلَهُ) .

وقال الراغب: (أصل الوحي: الإشارة السريعة، وتضمُّن السرعة، قيل: أمرٌ وَحِيٌّ، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرَّمز والتَّعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة لبعض الجوارح، وبالكتابة) .

فالوحي: الإعلام في خفاء، تقول: أوحى الله إليه، وأوحى عليه بمعنى الكتابة والإلهام، والأمر، والإيمان، والإشارة، والتصويت شيئاً بعد شيء .

فهو بهذا يدور حول ثلاثة أمور : الإعلام والسرعة والخفاء .

قال ابن شهاب الزهري في معنى الوحي: (الوحي ما يوحيه الله إلى النبي من أنبيائه - عليهم الصلاة والسلام- ليثبت الله - عز وجل- ما أراد من وحيه في قلب النبي، ويكتبه، وهو كلام الله ووحيه، ومنه ما يكون بين الله وبين رسله، ومنه ما يتكلم به الأنبياء ولا يكتبونه لأحد، ولا يأمرن بكتابته، ولكنهم يحدثون به الناس حديثاً، ويبينونه لهم، لأن الله أمرهم أن يبينوه للناس ويبلغوهم إياه، ومن الوحي ما يرسل الله به من يشاء ممن اصطفاه من ملائكته، فيكلمون به أنبياءه من الناس، ومن الوحي ما يرسل الله به من يشاء من الملائكة، فيوحيه وحيّاً في قلب من يشاء من رسله) .

ويقول السمعاني الوحي: (هو في عرف أهل الإسلام عبارة عما ينزله الله تعالى على الأنبياء) .

وقال الإمام ابن حجر رحمه الله في بيانه للوحي : ( الوحي شرعاً : الإعلام بالشرع ، وقد يطلق الوحي ويراد به اسم المفعول منه ؛ أي الموحى ، وهو كلام الله المنزل على النبي عليه الصلاة والسلام .

وقد ذكر العلماء للوحي كيفيات :

أحدها : أن يأتيه الملك في مثل صلصلة الجرس , وقد سئل × عن كيفية الوحي ؟ فقال : ((أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس , وهو أشده عليّ , فيصم عني وقد وعيت عنه ما قال , وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا ؛ فيكلمني فأعي ما يقول )) .

قال الخطابي : والمراد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يشبه أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد .

وقيل : هو صوت خفق أجنحة الملك , والحكمة في تقدمه أن يفرغ سمعه للوحي فلا يبقى فيه مكانا لغيره .

الثانية : أن ينفث في روعه الكلام نقثاً , كما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : (( إن روح القدس نفث في روعي ، وأخبرني أنها لا تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها ، وإن أبطأ عنها ، فيأبها الناس ! اتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملن أحدكم استبطاء رزقه أن يخرج إلى ما حرم الله عليه ، فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته )) .

الثالثة : أن يأتيه في صورة الرجل فيكلمه .

الرابعة : أن يأتيه الملك في النوم .

الخامسة : أن يكلمه الله في اليقظة , كما كلم الله جلا وعلا موسى عليه السلام .

### اعتقاد الاثني عشرية في الوحي



لقد اتسع مدلول السنة عند الإمامية الاثني عشرية عن مدلولها عند أهل السنة:

فالسنة عندهم هي: ( كل ما يصدر عن المعصوم - نبيا كان أو إماما - من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ ) .

فهي تجعل كلام الأئمة الاثني عشر في مصاف كلام الله تعالى وكلام رسوله ، لا فرق عندهم في هذا بين

كلام هؤلاء الاثني عشر وبين من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى × فضلا عن كلام الله جل

جلاله .

يقول محمد رضا المظفر : ( إن المعصوم من آل البيت يجري قوله مجرى قول النبي من كونه حجة على

العباد ، واجب الاتباع ، فقد توسعوا في اصطلاح السنة إلى ما يشمل قول كل واحد من المعصومين أو

فعله أو تقريره فكانت السنة باصطلاحهم : قول المعصوم أو فعله أو تقريره ) .

ثم يعلل ذلك فيقول : (والسر في ذلك أن الأئمة من آل البيت عليهم السلام ليسوا هم من قبيل الرواة عن

النبي والمحدثين عنه، ليكون قولهم حجة من جهة أنهم ثقات في الرواية؛ بل لأنهم هم المنصوبون من الله

تعالى على لسان النبي لتبليغ الأحكام الواقعية، فلا يحكمون إلا عن الأحكام الواقعية عن الله تعالى كما

هي.) .

فالإمامة عندهم استمرار للنبوّة ، بل الأئمة (قولهم قول الله ، وأمرهم أمر الله ، وطاعتهم طاعة الله ، ومعصيتهم معصية الله ، وإنهم لم ينطقوا إلا عن الله تعالى وعن وحيه) .

ومما جاء في الكافي في هذا الباب قول أبي عبد الله : (حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدي ، وحديث جدي حديث الحسين ، وحديث الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين ، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله x ، وحديث رسول الله قول الله عز وجل) .  
( فحديث كل واحد من الأئمة الطاهرين قول الله عز وجل ، ولا اختلاف في أقوالهم كما لا اختلاف في قوله تعالى) .

كما أنه يجوز لمن سمع حديثاً عن أبي عبد الله أن يرويّه عن أبيه أو عن أحد من أجداده، بل يجوز أن يقول: قال الله تعالى) وهذا صريح في جواز نسبة أقوال البشر إلى الله تعالى .

والمقصود أن السنة عندهم ليست سنة النبي عليه الصلاة والسلام التي بين أيدينا وحسب بل سنة الأئمة كذلك ، وأقوال هؤلاء الأئمة كأقوال الله ورسوله ، فألحقت الشيعة الاثنا بالسنة المطهرة ما نسب إلى الأئمة ، وهو ما صرح به أحد كبارهم حيث قال: (والحق الشيعة الإمامية كل ما يصدر عن أئمتهم الاثني عشر من قول أو فعل أو تقرير بالسنة الشريفة) .

وقولهم هذا مبني - على حد تعبير أحدهم - على طريقتين أساسيين في هذه المسألة:

- من طريق الإلهام كالنبي عن طريق الوحي .

- أو من طريق التلقي عن المعصوم قبله كما قال مولانا أمير المؤمنين - عليه السلام - : (علمني

رسول الله عليه الصلاة والسلام ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب) .

فالطريق الأول: يتلخص في أن علم الأئمة يتحقق عن طريق الإلهام والوحي:

وحقيقة هذا العلم - كما قال صاحب الكافي في روايته عن أئمتهم - : (النكت في القلوب) ، وفي لفظ

آخر له: (قذف في القلوب) وصرح أن ذلك هو الإلهام حيث قال: (وأما النكت في القلوب فاللهام) ، أي

أن العلم يتدح في قلب الإمام فيلهم القول الذي لا يتصور فيه الخطأ لأن الإمام معصوم .

والوسيلة الثانية: النقر في الأسماع :

فالإلهام ليس هو الوسيلة الوحيدة في هذا، بل صرح صاحب الكافي في أن هناك طرقاً أخرى غيره،

حيث ذكر في بعض رواياته أن من وجوه علوم الأئمة (النقر في الأسماع) من قبل الملك، وفرق بين هذا

والإلهام حيث قال: (وأما النكت في القلوب فاللهام، وأما النقر في الأسماع فأمر الملك) .

فيسمع الصوت ولا يرى الملك كما جاء في الروايات الأربع في باب الفرق بين الرسول والنبي والحديث من

أصول الكافي، وكلها قالت: إن (الإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص) .

وأما كيفية أن ما يسمعه هو كلام الملك وإن كان لا يراه؟ فقد قال إمامهم: (إنه يعطى السكينة والوقار حتى يعلم أنه كلام الملك).

بل عقد صاحب الكافي أربع روايات تتضمن رؤية الإمام للملك تحت باب عقده بعنوان: (باب الأئمة تدخل الملائكة بيوتهم وتطأ بسطهم، وتأتيهم بالأخبار عليهم السلام) ، وقد جاءت هذه الرواية في ست وعشرين رواية عند صاحب بحار الأنوار ليجمعها في باب أكثر صراحة على التأكيد على رؤية الإمام للملك حيث جعل عنوانه (باب أن الملائكة تأتيهم وتطأ فرشهم وأنهم يرونهم).

وتحدث رواية أخرى لهم عن أنواع الوحي للإمام فتذكر أن جعفرًا قال: (إن منا لمن ينكت في أذنه، وإن منا لمن يُوتى في منامه، وإن منا لمن يسمع صوت السلسلة تقع على الطشت ، وإن منا لمن يأتيه صورة أعظم من جبرائيل وميكائيل).

فالإمام يلهم، ويسمع صوت الملك، ويأتيه الملك في المنام واليقظة، وفي بيته ومجلسه، أو يرسل له ما هو أعظم من جبرائيل يخبره ويسدده، وليس ذلك نهاية الأمر، بل لدى الأئمة أرواح أخرى، ووسائل أخرى؛ لديهم خمسة أرواح: روح القدس، وروح الإيمان، وروح الحياة، وروح القوة، وروح الشهوة.

(فإذا قبض النبي - صلى الله عليه وآله - انتقل روح القدس إلى الإمام) (وبروح القدس) عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى) ، (وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو) ، وروح القدس

يستطيع أن يرى الإمام (ما غاب عنه في أقطار الأرض وما في عنان السماء وبالجملة ما دون العرش إلى ما تحت الثرى) .

ومما جاء في هذا الباب قول أبي عبد الله: (إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله - صلى الله عليه وآله- العرش ووافى الأئمة - عليهم السلام - معه ووافينا معهم، فلا ترد أرواحنا إلى أبداننا إلا بعلم مستفاد، ولولا ذلك لأنفذنا) .

بل جاءت في البحار تسع عشرة رواية تذكر بأن الله تعالى ناجى علياً، وأن جبرائيل يملي عليه . كما جاءت فيه سبع عشرة رواية تتحدث عن تحف الله تعالى وهداياه إلى علي . كما ذكر المجلسي: (أن الله يرفع للإمام عموداً ينظر به إلى أعمال العباد) واستشهد لذلك بست عشرة رواية .

كل هذه العلوم التي تتحقق لهم بهذه الوسائل يسمونها: (العلم الحادث) وتحققها موقوف على مشيئة الأئمة، كما أكدت ذلك روايات صاحب الكافي التي جاءت في الباب الذي عقده بعنوان: (باب أن الأئمة عليهم السلام إذا شاءوا أن يعلموا علموا) ، وذكر فيه روايات ثلاثاً كلها تنطق ب(أن الإمام إذا شاء أن يعلم أعلم) ، وفي لفظ آخر: (إذ أراد الإمام أن يعلم شيئاً أعلمه الله ذلك) .

فالوحي للأئمة ليس بمشيئة الله وحده كما هو الحال مع الرسل - عليهم السلام - بل تابع لمشيئة الإمام !!

وهذا العلم الحادث الذي يحدث للأئمة متى شاءوا - فيجعل كلامهم مثل كلام الله ورسوله- ليس هو كل ما عند الأئمة، بل لديهم ما تسميه رواياتهم بالعلم الغابر؛ العلم المزبور، وهو ما أودعه الأئمة من علوم ومن كتب وصحف، وهي الأساس الثاني لقولهم بأن كلام الإمام يجري مجرى كلام الله ورسوله، وهو ما سنبيته في المبحث التالي .

الطريق الثاني: خزن العلم وإيداع الشريعة عند الأئمة :

جاء في الكافي عن موسى بن جعفر قال : (مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماض وغابر وحادث، فأما الماضي فمفسّر، وأما الغابر فمزبور، وأما الحادث فتذف في القلوب وتقر في الأسماع , وهو أفضل علمنا ولا نبي بعد نبينا) .

وقد جاء في رواية أخرى لهم قول إمامهم: ( أما الغابر فالعلم بما يكون، وأما المزبور فالعلم بما كان) وهذا التفسير كأنه يشير إلى موضوع كل نوع، فنوع يتعلق بالحوادث الماضية، وآخر يتعلق بالحوادث المستقبلية .

والعلم الحادث هو ما تقدم بيانه، وهو كما أشارت الرواية يعد من أفضل علومهم؛ لأنه كما يقول بعض شيوخهم: حصل لهم من الله بلا واسطة ؛ أي من الله مباشرة بلا واسطة ملك من الملائكة، وهذا يشبه قول غلاة الصوفية مثل ابن عربي .

أما الماضي المفسر والغابر المزبور فقد أوضح شارح الكافي معناهما بقوله: (يعني: الماضي الذي تعلق علمنا به وهو كل ما كان مفسراً لنا بالتفسير النبوي، والغابر المزبور الذي تعلق علمنا به هو كل ما يكون مزبوراً مكتوباً عندنا بخط علي - رضي الله عنه - وإملاء الرسول وإملاء الملائكة مثل الجامعة وغيرها).

وقال شيخهم المعاصر بحر العلوم: (لما كان الكتاب العزيز متكفلاً بالقواعد العامة دون الدخول في تفصيلاتها، احتاجوا إلى سنة النبي عليه الصلاة والسلام . . . والسنة لم يكمل بها التشريع!، لأن كثيراً من الحوادث المستجدة لم تكن على عهد صلى الله عليه وآله احتاج أن يدخر علمها عند أوصيائه ليؤدوها عنه في أوقاتها).

فالدين لم يكمله النبي عليه الصلاة والسلام قبل موته بل بقيت أحكام لم تبين للناس بعد موته x وضل الناس في جهالة عنها حتى جاء الأئمة الاثنا عشر، ولا ندري أكتمل الدين بعد وجود المهدي المنتظر الذي لم يزل حتى الساعة في سراديبه أم أن هناك أحكاماً لم تبين بعد أيضاً لأن الحاجة لم تدع إليها أيضاً؟!؟

وقد عقد صاحب الكافي باباً يزعم فيه أن الأئمة هم خزنة علم الله ووحيه عنون له ب: (باب أن الأئمة - عليهم السلام - ولاة أمر الله وخزنة علمه) . وضمن هذا الباب ست روايات في هذا المعنى، وباباً آخر بعنوان: (أن الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم) ، وفيه

سبع روايات، وباباً ثالثاً بعنوان: (أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسول عليهم السلام). وفيه أربع روايات.

وهذا العلم المستودع نوعان (مفسر، ومزبور)، أما المفسر فمما ذكروه فيه ما جاء في أصول الكافي: (باب أن الله عز وجل لم يعلم نبيه علماً إلا أمره أن يعلمه أمير المؤمنين وأنه كان شريكه في العلم)، وذكر فيه ثلاث روايات، وقريب من هذا ما جاء في البحار في باب بعنوان: (باب أنه صلوات الله عليه كان شريك النبي - صلى الله عليه وآله - في العلم دون النبوة، وأنه علم كلما علم صلى الله عليه وآله وأنه أعلم من سائر الأنبياء عليهم السلام) وقد استشهد لذلك باثنتي عشرة رواية من رواياتهم.

كما قدم المجلسي اثنتين وثمانين رواية تتحدث عن علم علي، وأن النبي عليه الصلاة والسلام علمه ألف باب من العلم. في باب عقده لهذه الموضوع، قالت إحدى رواياته بأن النبي عليه الصلاة والسلام أسرّ إلى علي ألف حديث لم تعلمه الأمة، وزعمت أن علياً أعلن ذلك للناس فقال: (أيها الناس، إن رسول الله أسرّ إلي ألف حديث، في كل حديث ألف باب، لكل باب ألف مفتاح).

ومرة أخرى زعمت أن أبا عبد الله قال: (أوصى رسول الله - صلى الله عليه وآله - إلى علي - عليه السلام - بألف باب كل باب يفتح ألف باب). ثم ذكرت أن علياً قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله علمني ألف باب من الحلال والحرام، ومما كان ومما يكون إلى يوم القيامة، كل باب منها يفتح ألف باب فذلك ألف ألف باب، حتى علمت المنايا والبلايا، وفصل الخطاب).



كما قالت بأن رسول الله جلالاً علياً بثوبه - عند موته - وأنه حدثه بألف حديث كل حديث يفتح ألف باب .

بل قالوا بأن علياً استمر في تلقي العلم من فم الرسول حتى بعد موته - عليه الصلاة والسلام - ، وعقد المجلسي لهذا باباً بعنوان: (باب ما علمه الرسول صلى الله عليه وآله عند وفاته وبعده . . .) .

وقالت الرواية الأولى في هذا الباب إن علياً قال: (أوصاني النبي صلى الله عليه وآله فقال: إذا أنا مت فغسلني بست قرب من بر غرس ، فإذا فرغت من غسلني فأدرجني في أكفاني ، ثم ضع فاك على فمي ، قال: ففعلت وأنبأني بما هو كائن إلى يوم القيامة) . وقالت الرواية الثانية بأن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : ((يا علي، إذا أنا مت فاغسلني وكهني ثم أقعدني وسائلي واكتب) .

وقالوا بأن علياً كان إذا أخبر بشيء قال: (هذا مما أخبرني به النبي صلى الله عليه وآله بعد موته) .

ولم يكف النقل الشيعي بهذه المبالغات التي لا تكاد تنتهي ؛ بل زعم أن عند الأئمة العلم المزبور ، أو الكتب التي ورثوها عن النبي عليه الصلاة والسلام وقد جاء على ذكر بعضها صاحب الكافي في باب عقده بعنوان (باب فيه ذكر الصحيفة، والجفر والجامعة ومصحف فاطمة - عليها السلام -) ، وفي باب آخر بعنوان: (ما أعطى الأئمة عليهم السلام من اسم الله الأعظم) ، وفي باب ثالث بعنوان: (باب ما عند الأئمة من آيات الأنبياء عليهم السلام) .

وقد أكثر شيخهم المجلسي من الروايات في هذا الباب، وجمع ما في معظم كتب شيوخهم المعتمدة عندهم في أبواب متعددة من مجاره تضمنت روايات يطول المقام بمحصرتها، تحدثت روايات هذه الأبواب عما ورثه الأئمة من صحف وغيرها تحوي كل ما يحتاجه الناس.

ولقد كان مما تضمنته هذه الأبواب من ترهات وكذب روايات عديدة عن صحيفة تسمى الجامعة أو الصحيفة، وصفوها بأنها (سبعون ذراعاً بخط علي عليه السلام، وإملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم) وعلى أولادهما فيها من كل حلال وحرام) ، وليس من قضية إلهي فيها حتى أرش الخدش .  
ومن العجب أن أئمتهم يعدون أتباعهم بأنهم سيحكمون بما في هذه الصحيفة لو تمكنوا من الحكم حيث قالوا: (لو ولينا الناس لحكمتنا بما أنزل الله لم نعد ما في هذه الصحيفة).

والذي نخلص إليه في هذه المسألة أن الأئمة عند الاثني عشرية يشركون الأنبياء والمرسلين في أمر الوحي وكل كفيات الوحي التي كانت تنزل على الأنبياء تنزل عليهم غير أنهم زيدوا عن الأنبياء بأن الوحي ينزل عليهم متى شاءوا بل لهم ما ليس للأنبياء من علوم فعندهم علم الغابر والمزبور ، وقد نصّبهم الله كما نصّب الأنبياء ، وهو منهم استمرار للنبوة بعد النبي عليه الصلاة والسلام ومن هنا كان قولهم تشريعاً كقول النبي عليه الصلاة والسلام .

**أوجه الشبه بين معتقد الاثني عشرية وفرق الباطنية في الوحي**

لعل من خلال هذا العرض لمذهب الطائفتين في الوحي يمكن للنّاظر أن يجد كثيرا من نقاط الاتفاق بين الطائفتين في هذه المسألة ويمكن بيان أبرز أوجه الشبه الظاهرة بينهم بما يلي:

اتفاقهم على أن مصادر التشريع ليست محصورة في الكتاب والسنة بل أضافوا إليها أقوال الأئمة ,  
وبعبارة أخرى أدق اتفاق الطائفتين على أن أقوال الأئمة مصدر من مصادر التشريع يستقى منها الأحكام والتشريعات كالقرآن والسنة لا فرق بينهما .

ومنها قولهم: إن أقوال الأئمة في مصاف قول تعالى وقول النبي عليه الصلاة والسلام لا فرق بين قولك قال الله تعالى أو قال النبي عليه الصلاة والسلام أو قال أحد من الأئمة لا فرق بين ذلك البتة ؛ إذ أقوال الأئمة بمثابة قول الله تعالى وقول رسوله .

ومنها اتفاقهم على القول باستمرار النبوة بعد الرسول الكريم ونزول الوحي على غيره من بعده .

اتفاقهم على أن الأئمة تتحقق لهم جميع هيئات الوحي الواردة في الكتاب والسنة وأن ذلك ليس مما اختصت به الرسل صلوات ربي وسلامه عليهم .

قولهم أن الأئمة كان ينزل عليهم الوحي من صغرهم وأنهم معصومون بذلك بخلاف الأنبياء والرسل .

## طعن الاثني عشرية

### في الأنبياء

لقد جنحت الشيعة الإمامية عن الجادة تجاه الأنبياء بإساءة الأدب معهم ، بل ولمزهم بما يطعن في كمال بشريتهم ، وينقص رفعتهم عن سائر البشر .

فقد اتهمت النبي × بما ينافي نبوته ؛ كالتقول بأنه فشل فيما أرسله الله به ، وأنه لم يكن موفقاً لأداء المهمة التي كلف بها من الله تعالى .

فهذا الخميني الذي تعتبره الشيعة أحد عظمائهم ، بل هو من أكبر رموزهم المعاصرين ، يقول في نبي الإسلام والأنبياء من قبله عليهم الصلاة والسلام : ( فكل نبي من الأنبياء إنما جاء لإقامة العدل ، وكان هدفه هو تطبيقه في العالم لكنه لم ينجح . وحتى خاتم الأنبياء الذي قد جاء لإصلاح البشر ، وتهذيبهم وتطبيق العدالة ؛ فإنه هو أيضا لم يوفق ) .

وكلامه هذا لا يحتاج لكثير بيان أو تفسير ، كما أنه لا يحتمل التأويل بغير ما يُفهم منه ، فلم يحالف الأنبياء النجاح في دعوتهم ، ولم يقيموا العدل الذي جاؤا به ، وحتى رسولنا الكريم × هو أيضا لم يوفق ذلك ، وإذا كان رسول الله والأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يوفقوا فمن الذي يوفق لذلك ؟ . وأي طعن أعظم من هذا الطعن في أنبياء الله وفي دعوتهم .

ومما يزيد الأمر سوءاً أن الخميني في بعض رسائله قد فسر طعنه في النبي عليه الصلاة والسلام - بعدم التوفيق - بالفشل ، وعدم بذل المساعي المتبغى عليه فعلها في التبليغ حيث قال : (واضح أن النبي لو كان قد بلغ بأمر الإمامة طبقاً لما أمر الله به ، وبذل المساعي في هذا المجال ؛ لما نشبت في البلدان الإسلامية كل هذه الاختلافات والمشاحنات والمعارك ، ولما ظهرت خلافات في أصول الدين وفروعه) مع العلم أن الاثني عشرية يدّعون أن النبي × قد أوصى بالإمامة لعلي رضي الله عنه ، وأمير المؤمنين رضي الله عنه يقول - كما في نهج البلاغة- : (إن رسول الله × لم يوص (لما قيل له : ألا توصي . ؟ فقال : ما أوصى رسول الله (ص) فأوصي ؟ ، ولكن إذا أراد الله بالناس خيراً استجمعهم على خيرهم ، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم) .

ومن طعونهم في رسول الله عليه الصلاة والسلام المسندة في كتبهم ما رووه عن جعفر بن محمد عليهما السلام قوله : (كان النبي عليه الصلاة والسلام وآله لا ينام ليلة حتى يضع وجهه بين ثديي فاطمة عليها السلام) .

ونقل الصدوق عن الرضا عليه السلام . قال الرضا : إن رسول الله عليه السلام وآله قصد دار زيد بن حارثة في أمر أراده ، فرأى امرأته تغتسل ، فقال لها : سبحان الذي خلقك .

وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي عن أبي جعفر : (أن زينب مكثت عند زيد ما شاء الله ، ثم إنهما تشاجرا في شيء إلى رسول الله وآله ، فنظر إليها النبي × وآله فأعجبته) .

فانظر كيف يطعنون في رسول الله وآله ويتهمون به بالخيانة . إذ كيف ينظر إلى زوجة رجل مسلم وهي تستحم ثم يعجب بها ؟ ويخاطبها بذلك ؟ . وهذا لا يبعد كثيراً عن اتهام اليهود لداود عليه السلام كما في التوراة المحرفة .

وقريباً من هذه الحكاية ما ذكره الكليني في الكافي: (عن إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليهما وسلم أنه نظر إلى امرأة من حمير ، أعجبه جمالها . فسأل الله عز وجل أن يزوجهما إياها . وكان لها بعل ففضى الله على بعلها بالموت . وأقامت بمكة حزناً على بعلها ، فأسلى الله ذلك عنها وزوجهما إسماعيل .

وعن أمير المؤمنين أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده أبو بكر وعمر (فجلست بينه وبين عائشة، فقالت عائشة: ما وجدت إلا فخذي وفخذ رسول الله؟ فقال: مه يا عائشة) .

وجاء مرة أخرى فلم يجد مكاناً فأشار إليه رسول الله: ههنا -يعني خلفه- وعائشة قائمة خلفه

وعليها كساء: فجاء علي - عليه السلام - فقعده بين رسول الله وبين عائشة، فقالت وهي غاضبة:

(ما وجدت لإستك -دبرك أو مؤخرتك- موضعاً غير حجري؟ فغضب رسول الله وقال: يا حميراء لا تؤذيني في أخي) .

وروى المجلسي أن أمير المؤمنين قال: (سافرت مع رسول الله صلى الله عليه وآله، ليس له خادم غيره، وكان له لحاف ليس له غيره، ومعه عائشة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله ينام بيني وبين عائشة ليس علينا ثلاثنا لحاف غيره، فإذا قام إلى الصلاة - صلاة الليل - يحط بيده اللحاف من وسطه بيني وبين عائشة حتى يمس اللحاف الفراش الذي تحتنا).

فهل يرضى رسول الله وآله أن يجلس عليّ في حجر عائشة امرأته؟ ألا يغار رسول الله وآله على امرأته وشريكة حياته إذ تركها في فراش واحد مع ابن عمه الذي لا يعتبر من المحارم؟ ثم كيف يرتضي أمير المؤمنين ذلك لنفسه؟! .

وقد جاء عن أبي عبدالله عليه السلام في الرجل والمرأة يوجدان في لحاف واحد قال: فقال: يجلدان مائة غير سوط . ولا ندرى أيجلد علي رضي الله عنه الإمام المعصوم بذلك أم لا ؟ .

وذكر الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ( لما مات عبدالله ابن أبي بن سلول حضر النبي وآله جنازته فقال عمر لرسول الله: ألم ينهك الله أن تقوم على قبره؟ فسكت، فقال: يا رسول الله، ألم ينهك الله أن تقوم على قبره؟ فقال له: ويلك ما يدريك ما قلت؟ إني قلت: اللهم احش جوفه ناراً واملأ قبره ناراً وأصله ناراً).

فانظر كيف تفتري الشيعة على النبي وآله حيث يدعون كذباً وزوراً أن النبي صلى على المنافق؛  
ولكنه في صلاته لم يدع له إنما دعا عليه .

وهو كما لا يخفى من أعمال النفاق ، ونسبة النفاق إلى رسول الله وآله إهانة عظيمة في حقه وآله إذ  
لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين .

وأما طعنهم في الأنبياء والرسول فهي كثيرة جدا :

فمنها : طعنهم في يوسف عليه السلام . فقد جاء عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : (إن يوسف

(ع) لما قدم عليه الشيخ يعقوب دخله عز الملك ، فلم ينزل إليه ، فهبط جبريل ؛ فقال : يا يوسف

أبسط راحتك . فخرج منها نور ساطع فصار في جو السماء ، فقال يوسف : يا جبريل : ما هذا

النور الذي خرج من راحتي ؟ قال : نزعت النبوة من عقبك ، عقوبة لما لم تنزل إلى الشيخ يعقوب ، فلا

يكون من عقبك نبي . وجاء في مرآة العقول في ذكر تعداد طعن الشيعة في الأنبياء (ع) رواية عن علي

بن أبي طالب (ع) أنه قال : ( وكذب الأنبياء والمرسلين كذب أخوة يوسف وهم أنبياء مرسلون إلى

الصحراء ) .



ومن طعونهم قولهم : ( إن آدم عليه السلام نظر إلى الأئمة بعين الحسد وتمنى منزلتهم، فتسلط الشيطان عليه حتى أكل من الشجرة التي نهى عنها، وتسلط على حواء لنظرها إلى فاطمة بعين الحسد حتى أكلت من الشجرة كما أكل آدم؛ فأخرجهما الله عز وجل عن جنته وأهبطهما إلى جوار الأرض).

ومما قالوه طعننا في يونس عيه السلام ما رووه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (إن الله عرض ولايتي على أهل السماوات ، وعلى أهل الأرض . أقر بها من أقر ، وأنكرها من أنكر ، أنكرها يونس فحبسه الله في بطن الحوت حتى أقر بها ) .

وروا أن (عبدالله بن عمر دخل على زين العابدين عليه السلام وقال : يا ابن الحسين أنت الذي تقول إن يونس بن متى إنما لقي من الحوت ما لقي لأنه عرضت عليه ولاية جدي فتوقف عندها ؟ قال : بلى ، ثكلتك أمك ، قال : فأرني آية ذلك إن كنت من الصادقين ، فأمر بشد عينيه بعصابة وعيني بعصابة ، ثم أمر بعد ساعة بفتح أعيننا ، قال : فإذا نحن على شاطئ البحر تضرب أمواجه ، فقال ابن عمر : يا سيدي دمي في رقبتك ، الله الله في نفسي ، فقال : هيه وأريه إن كنت من الصادقين . ثم قال : يا أيها الحوت ، قال : فأطلع الحوت رأسه من البحر مثل الجبل العظيم ، وهو يقول : لبيك لبيك يا ولي الله ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا حوت يونس يا سيدي ، قال : أنبئنا بالخبر ، قال : يا سيدي إن الله تعالى لم يبعث نبيا من آدم إلى أن صار جدك محمد إلا وقد عرض عليه ولايتكم أهل البيت ، فمن قبلها من الأنبياء سلم وتخلص ، ومن توقف عنها ، وتمنع من حملها لقي ما لقي آدم عليه

السلام من المعصية ، وما لقي نوح عليه السلام من الغرق ، وما لقي إبراهيم عليه السلام من النار ، وما لقي يوسف عليه السلام من الجب ، وما لقي أيوب عليه السلام من البلاء ، وما لقي داود عليه السلام من الخطيئة . إلى أن بعث الله يونس عليه السلام ، فأوحى الله إليه : أن يا يونس تول أمير المؤمنين عليا والأئمة الراشدين من صلبه ، قال : فكيف أتولى من لم أراه ولم أعرفه ، وذهب مغتاظا ، فأوحى الله تعالى إلي أن التقي يونس ولا توهني له عظما ، فمكث في بطني أربعين صباحا يطوف معي البحار في ظلمات ثلاث ، ينادي : إنه لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، قد قبلت ولاية علي ابن أبي طالب والأئمة الراشدين من ولده ، فلما أن آمن بولايتكم أمرني ربي ففدقته على ساحل البحر ، فقال زين العابدين عليه السلام : ارجع أيها الحوت إلى وكرك ، واستوى الماء ) .

وأما طعنهم في آدم عليه السلام فمنها ما جاء عن أبي جعفر عليه السلام في حديث قال فيه: (ثم أخذ الميثاق على النبيين فقال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ ثم قال: وإن هذا محمد رسول الله ، وإن هذا علي أمير المؤمنين؟ قالوا بلى، فثبتت بهم النبوة . وأخذ الميثاق على أولي العزم: إلا إني ربكم ومحمد رسولي وعلي أمير المؤمنين وأوصياؤه من بعده ولاة أمري ، وخزان علمي ، وإن المهدي أنتصر به لديني ، وأظهر به دولتي ، وأنتقم به من أعدائي ، وأعبد به طوعاً وكرهاً . قالوا أقرزنا ، وشهدنا يا رب ولم يحدد آدم ولم يقر ، فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي ، ولم يكن لآدم عزم على الإقرار به .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: عهد إليه في محمد والأئمة من بعده فترك ، ولم يكن له عزم فيهم أنهم هكذا . وإنما سمي أولو العزم أولي العزم لأنه عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده، والمهدي وسيرته، فأجمع عزمهم أن ذلك كذلك، والإقرار به) .

وعن الرضا عليه السلام قال: ( قال الله لآدم هؤلاء من ذريتك (محمد وعلي وفاطمة، والحسن والحسين) وهم خير منك ومن جميع خلقي ، ولولاهم ما خلقتك، ولا خلقت الجنة والنار، ولا السماء والأرض ، فإياك أن تنظر إليهم بعين الحسد فأخرجك عن جواري .

فنظر إليهم بعين الحسد ! وتمنى منزلتهم ، فتسلط عليه الشيطان حتى أكل من الشجرة التي نُهي عنها ، وتسلط على حواء لنظرها إلى فاطمة بعين الحسد ! حتى أكلت من الشجرة) .

ولم إذا عاقبهما الله على الأكل من الشجرة كما ذكر في القرآن إذا كان أصل العقوبة لنظرهما إلى الأئمة بعين الحسد ؟ .

ومن طعونهم في موسى عليه السلام ما رووه (عن الرضا عن آباءه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن موسى سأل ربه فقال: يا رب اجعلني من أمة . محمد فأوحى الله إليه يا موسى إنك لا تصل إلى ذلك) .

فموسى لا يستحق أن يكون فرداً من أمة محمد . وأمة محمد هم الشيعة بلا ريب ، وبالتالي فالشيعة كلهم أفضل من موسى عليه السلام .

وأما طعونهم في داود عليه السلام فقد رووا : ( أن الله أوحى إلى داود عليه السلام إني قد غفرت ذنبك وجعلت عار ذنبك على بني إسرائيل فقال: كيف يا رب وأنت لا تظلم؟ قال: إنهم لم يعاجلوك بالنكرة) .

ومن طعونهم في الأنبياء ما جاء عن أبي جعفر عليه السلام قال: ( وقد كان في الرسل ذكرى للعابدين إن نبياً من الأنبياء كان يستكمل الطاعة ، ثم يعصي الله تبارك وتعالى في الباب الواحد ، فخرج به من الجنة وينبذ به في بطن الحوت ثم لا ينجيه إلا الاعتراف والتوبة) .

وعن أبي عبدالله قال: (إن نبياً أراد أن يراجع الله في عذاب قومه . فقال الله له: لترجعن عما تصنع أن تراجعني في أمر قد قضيته أو لأرذّن وجهك على دُبرك) .

(وعن أبي جعفر عليه السلام قال: دخل حزقيل النبيّ العُجْب ، فقال في نفسه: ما فضل سليمان النبيّ عليّ وقد أعطيت مثل هذا؟ قال: فخرجت على كبده قرحه فأذته) .

بل رووا أن بعض أنبياء بني إسرائيل شكوا إلى الله قسوة القلب وقلة الدمع . فعن الصادق عليه السلام قال: (وكان داود عليه السلام قد بعث أوريا في بعث فصعد داود الحائط ليأخذ الطير وإذا امرأة أوريا

تغتسل فلما رأت ظلَّ داود نشرت شعرها وغطت به بدنها فنظر إليها داود واقتن بها ونسي ما كان فيه (فكتب داود إلى قائد جيشه) ضَع التابوت بينك وبين عدوك وقَدِّم أوريا بن حنان بين يدي التابوت فَقَدَّمه وقتل . ثم تزوج داود امرأة أوريا وأنجبت له سليمان عليه السلام .

وهذه القصة نفسها ذكرها اليهود غير أن الشيعة زادوا على اليهود في قولهم : وَلَدَت له ابنا أي من الزنا ولم تعينه، أما الشيعة فعينوا الولد بأنه سليمان عليه السلام .

ومما يدخل في طعونهم في الأنبياء تفضيل علي بن أبي طالب على سائر الأنبياء ، وقولهم: إنه بمنزلة الرسول x بما يجعله أفضل من أنبياء الله تعالى . بل وحتى من رسولنا إذ مما يعدونه من المتواتر في مصادرهم حديث: (علي خير البشر ، ومن أبي فقد كفر) .

ومما قاله أحد رموزهم المعاصرين في محاضرة له أمام جموع من عوامهم في حسينية من حسينياتهم طعنا في نبي الله عيسى عليه السلام : ( يا قوم إن المسيح عيسى بن مريم يتشرف أن يكون عبدا لعلي بن أبي طالب ) .

القائل هو شيخهم محمد باقر الفالي ، وقوله موجود في الشبكة العنكبوتية اليوتيوب على الرابط:

<http://www.youtube>

## وجه الشبه بين معتقد الاثني عشرية وفرق الباطنية

### في الطعن في الأنبياء والرسل

من خلال عرض ما سبق من موقف الاثني عشرية وفرق الباطنية تجاه أنبياء الله ورسله نجد تشابها بين المعتقدين من عدة أوجه يمكن استخلاصها فيما يلي:

اشترك الإمامية الاثني عشرية مع سائر فرق الباطنية في تفضيل الإمامة على النبوة والتنقص من أمر النبوة في ذلك . وهو مخالف لنصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة كما سيأتي بيان ذلك في المبحث التالي .

أن السبب الذي جر الاثني عشرية وفرق الباطنية بسائر أطرافها إلى الطعن في النبوة والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم هو الغلو .

فتفضيل الأئمة على غيرهم ما هو الإلتاج من نتائج الغلو الذي جاء الشرع بالتحذير منه في كثير من نصوص الكتاب و السنة , وهو أثر من آثار من قبلنا بل سبب هلاك كثير من الأمم كما أخبر بذلك النبي عليه الصلاة والسلام .

أن المتأمل لغالب النصوص التي ركن إليها الاثنا عشرية في تعزيز موقفهم تجاه الأنبياء والاطعن فيهم يجدها بذاتها؛ التي تستند إليها فرق الباطنية مما يوحي إلى أنها مستقاة من مستنقع واحد سيما ما يستدل به الإسماعيلية ، وهذا التشابه يرشد إلى وحدة المصدر لهذا الإفك الآفن في شتيمة خير خلق الله تعالى أن المتأمل لموقف هذه الطوائف تجاه الرسل يجد أن أخف الطوائف طعنا في أنبياء الله تعالى النصيرية إذ لم أجد من طعنهم سوى تفضيل الأئمة على الأنبياء ، ولا يعني ذلك أنهم لا يطعنون فيهم بغير ما ذكر ، بل موقفهم ظهر بحسب ما وجد من كتبهم وعدم الوجود ليس دليلا على العدم كما هو معلوم .  
ومن جهة أخرى بإزاء هذا الموقف نجد أن الدرور هي أشد الفرق الغالية طعنا في أنبياء الله تعالى .





## بنية العقل الباطني الشيعي

تقوم بنية العقل الباطني الشيعي على ثلاث ركائز رئيسية :

أولاً : آل البيت ( الإسلام العائلي ) ( الحكم الوراثي الملكي )

الثاني : التأويل

الثالث : الوصاية و الولاية و الامامة والعصمة والمظلومية

## أولاً : آل البيت ( الإسلام العائلي ) ( الحكم الوراثي الملكي )

لم يستغل نص قرآني أو مصطلح ديني في الإسلام كما أستغل مصطلح آل البيت ولا نجد لهذه مثيلاً في باقي الأديان السماوية

والسبب في ذلك باعتقادي واعتقاد الكثير من المفسرين والباحثين يعود الى العامل السياسي والمالي الذي لعب دوره في بناء نظرية في الإسلام تقوم على الحق العائلي في السلطة والحكم الوراثي لها أو كما سموه بالأمامة والولاية أستناداً الى هذا المصطلح ( آل البيت ) فلماذا أخذت هذه الكلمات الكثير من القيل والقال والجدال وتأسس عليها نظريتين سياسية تقوم على أحقية آل البيت بالحكم وثانيهما استئثارهم أي آل البيت بخمس مال المسلمين حالاً الى يوم الدين .

لذلك يجب تسليط الضوء بقوة على هذه المسألة وبيان ما فيها من مغالطات وأوهام وحقائق .

أهل البيت مصطلح قرآني يشير إلى أقرباء الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، ويستخدم مصطلح «آل البيت» أو «آل البيت» رديفاً له، ويؤمن المسلمون بأن آل البيت لهم مكانة خاصة بين عموم المسلمين مع اختلاف درجة هذه المكانة بين المذاهب الإسلامية. ورد المصطلح القرآني في الآية الثالثة والثلاثين من سورة الأحزاب التي نزلت في أمهات المؤمنين، وهي الآية التي أصبحت تعرف باسم آية التطهير:

وَقَرَنَ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا سورة الأحزاب: آية 33

تنوعت آراء الفقهاء المسلمين حول المعنيين بهذه الآية، وتشمل تفسيرات أهل السنة والجماعة كل من أمهات المؤمنين وأولاد الرسول وأحفاده وأعمامه وأولادهم وصولاً لكل بني هاشم وكل من له رحم مع الرسول، بينما يرى الشيعة أن أهل البيت المذكورين في الآية هم أصحاب الكساء حصراً. ذكر الرسول محمد أهله بيته في عدة نصوص واردة عنه، واكتسب هذا المصطلح أهميته وشهرته، نتيجة الاختلاف بين شيوخ أهل السنة والجماعة في تفسير ماهية أهل البيت الذين ذكرهم القرآن والرسول.

### الأهل في اللغة

ورد في لسان العرب: أهل الرجل عشيرته وذوو قريته، والجمع أهلون وأهال. وأهل القرآن حفظته والعاملون به. وأهل المذهب من يدين به. وأهل البيت مكانه. وأهل الرجل أخص الناس به.

### الخلاف حول أهل بيت النبي

يختلف شيوخ أهل السنة والجماعة في تشخيص أهل البيت الذين ذكرتهم آية التطهير، هذا الاختلاف لم يقتصر على الطائفة بل كان شائعاً بين شيوخ المسلمين أنفسهم فاختلقت الأقاويل والتفاسير. ومن هذه التفاسير ان المراد بأهل البيت هم:

زوجات الرسول وأصحاب الكساء .

أهل الكساء (النبي محمد، علي بن أبي طالب، فاطمة الزهراء، الحسن، الحسين) نقول الرسول فيهم فقط في حديث الكساء: «اللهم هؤلاء أهل بيتي» .

زوجات الرسول فقط ولا أحد غيرهن .

النبي محمد وحده .

من ناسب النبي محمد إلى جده الأدنى .

من اجتمع معه في رحم .

بنو هاشم مع استثناء النساء .

من اتصل بالنبي محمد بسبب (أهل دينه) أو بنسب (قربته) .

نساء الرسول وجميع بني هاشم الذين حرموا الصدقة .

## أهل البيت عند أهل السنة والجماعة

أهل بيت النبي عند أهل السنة والجماعة هم أزواجه وبناته وصهره. وقيل: نساء النبي والرجال الذين هم آله، وآل الرجل أهله، أصلها أهل، ثم أبدلت الهاء همزة فصارت آل، فلما توالى الهمزتان أبدلوا الثانية ألفا. مستشهدين بآيات من القرآن، ففي سورة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجِحَ إِن كُنْتُمْ تُرَدُّنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتَّعْكُنَّ وَأُسْرَحُكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ٢٨ وَإِن كُنْتُمْ تُرَدُّنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ٢٩ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ٣٠ وَمَن يَفْعَلْ مِثْلَ مَا نُهِيَ لَسُنَّ كَاذِبًا مِّنَ النَّسَاءِ إِن تَقِيئِنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ٣٢ وَقُرْنِ فِي بَيْوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ٣٣ وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا

(٣٤) [الأحزاب: 28-34].

ويعتقدون أن هذه الآية نزلت في نساء النبي، أما حديث الكساء فقد أضاف آل علي بن أبي طالب لآل البيت، ففي صحيح مسلم بالإسناد إلى صفية بنت شيبة قالت: «خرج النبي غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة

فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿لَيْتَمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33]» .

وفي مسند أحمد «عن أم سلمة أن النبي كان في بيتها فأنت فاطمة بمرمة فيها خزيرة فدخلت بها عليه فقال لها: ادعي زوجك وابنك، قالت: فجاء علي والحسن والحسين فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له على دكان تحته كساء خيبري . قالت . وأنا أصلي في الحجرة، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿لَيْتَمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:

33] قالت فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يده فألوى بها السماء ثم قال: اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً، اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت : وأنا معكم يا رسول الله ؟ قال: "إنك إلى خير إنك إلى خير" . وما منع محمد إدخال أم سلمة مع آل علي تحت الكساء إلا لأن علي بن أبي طالب ليس محرماً لها .

يقول ابن تيمية: «آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم " لهم من الحقوق ما يجب رعائتها فإن الله جعل لهم حقاً في الخمس والفيء وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لنا: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد . وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد» . وآل

مُحَمَّدٍ هُمْ الَّذِينَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةُ هَكَذَا قَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ؛ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْعُلَمَاءِ -  
رَحِمَهُمُ اللَّهُ - فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ».

وأهل بيت رسول الله عند أهل السنة والجماعة هم :

بنات وأبناء النبي .

أمهات المؤمنين .

وجميع بني هاشم من آل البيت والذين بقي منهم إلى يومنا هم :

آل العباس بن عبد المطلب .

آل عقيل بن أبي طالب .

آل علي بن أبي طالب .

آل جعفر بن أبي طالب .

آل الحارث بن عبد المطلب .

آل أبي لهب بن عبد المطلب .

وجعل الإمام الشافعي آل البيت بنو هاشم بن عبد مناف وبنو المطلب بن عبد مناف، بناء على الحديث الذي يرويه البخاري: إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد .

وعند أهل السنة واجبات مفروضة نحو آل البيت مثل الصلاة عليهم كما ورد في الصلاة الإبراهيمية: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد» .

وكذلك حبهم ومودتهم واجبة كما جاء في سورة الشورى: (ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ٢٣) [الشورى: 23] .

### أهل البيت عند الإثني عشرية

بحسب كتاب آية التطهير شبّهات وردود فإن مصطلح أهل البيت عند الشيعة الإثنا عشرية له معنيين عام وخاص:

المعنى العام: كل من حرمت عليهم الصدقة من بني هاشم (ولا دخل لهذا المعنى بآية التطهير) .

المعنى الخاص : الذين ذكّرهم القرآن في آية التطهير وبينهم الرسول في حديث الكساء فأهل البيت هم الذين ورثوا العصمة والتطهير وهم أهل السنة النبوية وهم من يجب اتباعهم ليس غيرهم .



فحديث الكساء واضح فيمن هم أهل بيت النبي فالحديث هو تبيان وتفسير للآية وليس منفصلاً عنها  
 فعند نزول آية التطهير (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) جمع النبي  
 محمد فاطمة وعلي والحسن والحسين والقي عليهم الكساء وقال وقال «اللهم هؤلاء أهل بيتي»  
 فيعتبرون هذا التفسير هو الأمثل للآية ولا حاجة لتفسيرات أخرى من أشخاص ليسوا بمنزلة الرسول  
 عند نزول الآيات (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل  
 لعنة الله على الكاذبين) عند نزول هذه الآية على النبي محمد دعا النبي محمد علياً وفاطمة وحسناً  
 وحسيناً وقال هؤلاء أبناءنا وأنفسنا ونساءنا ونساءكم وأبناءكم ونساءكم. وفي رواية مسلم (اللهم  
 هؤلاء أهلي)

ذكر في صحيح مسلم قوله عن زيد بن أرقم أن محمد قال: «ألا وأني تارك فيكم الثقلين احدهما كتاب  
 الله عز وجل وهو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة» ثم قال «وأهل بيتي  
 اذكركم الله في أهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي» فقلنا من أهل بيته نساؤه؟  
 قال: «لا وأيم الله ان المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى ابنيها وقومها، أهل بيته  
 أصله وَعَصَبَتُهُ الَّذِينَ حَرَمُوا الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ»

فأهل البيت عند الاثنا عشرية هم المعصومون المنتقون من المعنى اللغوي للكلمة والذين ذكرهم الله  
 وبينهم الرسول محمد، وهم:

النبي محمد بن عبد الله

فاطمة بنت محمد

علي بن أبي طالب

الحسن بن علي

الحسين بن علي

علي السجاد

محمد الباقر

جعفر الصادق

موسى الكاظم

علي الرضا

محمد الجواد

علي الهادي

### عصمة أهل البيت على رأي الشيعة

يعتقد الشيعة الإثني عشرية بعصمة أهل البيت وطهارتهم وقد اعتمدوا في اثبات ذلك على الكتاب، والسنة المتمثلة بأقوال الرسول. وما استدلوا به من الكتاب هو:

آية التطهير (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (الأحزاب، آية 33)، أي أن الله قد أذهب عنهم الرجس وطهرهم كما ذكرت الآية وليست هذه الإرادة التشريعية أي بمعنى الإرادة التي في الأوامر الشرعية والأحكام التشريعية.

في سورة الواقعة: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ) (الواقعة/75 - 81).

آية المودة: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ (الشورى/23)

آية الفى في سورة الحشر: ﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ (الحشر/7)

وأما ما استدلوا به من السنة الشريفة على عصمة أهل البيت:

حديث الثقلين: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا بعدي أبداً): ولكون القرآن منزّه عن الباطل ولا يأتيه من بين يديه ولا من خلف وقد قرن أهل البيت به فيحتم ذلك كونهم بنفس منزله لأنهم عدله .

حديث السفينة: (مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجي، ومن تخلف عنها غرق وهوى) يبين الحديث أن أهل البيت بمثابة المنجي لعامة البشر والتمسك بهم يهديهم من الضلال اذن فلازمة الهداية أن يكونوا معصومين .

### معتقد الاثني عشرية في آل البيت

أولاً: مفهوم آل البيت عند الاثني عشرية:

يفرق الاثنا عشرية بين الأهل و الآل والعترة عند الإطلاق إذ أن جمهورهم يحصرون أهل البيت في أصحاب الكساء الخمسة الذين يعتقدون أن آية التطهير نزلت فيهم وهم النبي محمد عليه الصلاة والسلام وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين .

ومنهم من لا يرى فرقا بين الأهل والآل ويرى أنهما بمعنى واحد وهم أصحاب الكساء .

ومنهم من يفرق فيرى أن الآل هم ذرية النبي عليه الصلاة والسلام ، وأما الأهل فهم الاثنا عشر إماما المعصومون .

غير أن المقصود بالذرية ما كان من فاطمة وبنيتها دون غيرهم - وهو ما سيأتي بيانه في ثنايا هذا الفصل - .

وأما العترة فقد حكى المفيد الإجماع على أن المراد بهم جميع بني هاشم . وقال : ( لو كان المراد بالعترة الذرية دون الإخوة والعمومة وبني العم لخرج أمير المؤمنين من العترة لخروجه من جملة الذرية , وهذا باطل بالاتفاق ) .

وهذا الإجماع لا يستقر ؛ لوجود من يحصر العترة في أصحاب الكساء . فقد روى القمي بسنده عن أبي بصير قال : ( قلت لأبي عبد الله عليه السلام : من آل محمد عليه الصلاة والسلام ؟ قال : ذريته . فقلت : من أهل بيته ؟ قال : الأئمة الأوصياء . فقلت من عترته ؟ قال : أصحاب العباءة . فقلت من أمته ؟ قال : المؤمنون ؛ الذين صدقوا بما جاء من عند الله عز وجل المتمسكون بالثقلين , اللذين أمروا بالتمسك بهما : كتاب الله عز وجل , و عترته أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) .

وروى المجلسي عن الصادق، عن آبائه عن الحسين عليهم السلام قال: (سئل أمير - المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله عليه الصلاة والسلام : (( إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي )) من العترة ؟ فقال: أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين، تأسعهم مهديهم وقائمهم) .

ومن هنا يرى علي البحراني أن (إطلاق لفظ العترة على غيرهم إنما هو على ضرب من المجاز فعترة النبي x هم الأقربون منه وشيخة والأذنون منه نسبا ؛ من بني هاشم دون غيرهم من قريش هذا باعتبار اللغة العربية ، أما باعتبار العرف الشرعي فإن العترة هم أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة وولداها الحسن والحسين والأئمة من ذرية الحسين عليهم السلام ) .

وقال نعمة الله الجزائري : ( وأما آله صلى الله عليه وآله فقد اختلف المسلمون في المراد بهم ، والذي اجتمعت عليه شيعتهم بسبب النقل المستفيض عن المعصومين ؛ أنهم المعصومون عليهم السلام لا غير) .

والذي نخلص إليه من كل ما تقدم أن مفهوم آل البيت عند الاثني عشرية هم أصحاب الكساء والأئمة التسعة من ولد الحسين ، وأما ما حكاه المفيد من الإجماع على أن المراد بالعترة جميع بني هاشم فقد تبين ما ينقضه ، فضلا عن أن المفيد نفسه ضيق ذلك الإطلاق ، وجعل العترة كبار بني هاشم . حيث قال : ( المراد بالعترة كبار بني هاشم ؛ فيقول : عترة الرجال كبار أهله وأجلُّهم وخاصتهم في الفضل ولبابهم ) .

وقد أجمع الاثنا عشرية - مساندة لهذا المفهوم - على عدم دخول أمهات المؤمنين في مسمى آل البيت . يقول المجلسي - بعد سرده لجملة من النصوص عن الأئمة في ذلك - : ( فقد ظهر من تلك

الأخبار المتواترة بطلان القول بأن أزواج النبي عليه الصلاة والسلام داخله في الآية -آية التطهير- ، وكذا القول بعمومها لجميع الأقارب) .

في تجاهل منهم أن سياق آية التطهير أصلا مساق في نساء النبي عليه الصلاة والسلام على وجه الخصوص دون غيرهم .

ثانيا : موقف الاثني عشرية من آل البيت عموما :

سلك الاثنا عشرية تجاه آل بيت النبي x مسلكين مغايرين لبعضهما بل متقابلين .

المسلك الأول : مسلك الغلو والإفراط في التعظيم تجاه طائفة من آل البيت .

المسلك الثاني : مسلك التفريط والجفاء في البعض الآخر المتبقي من غير المسلك الأول .

أما المسلك الأول : مسلك الغلو والإفراط في التعظيم فقد اقتضت فيه الاثنا عشرية على طائفة معينة

من أهل البيت وهم أصحاب الكساء وبقية الاثني عشر من ولد الحسين رضي الله عنه وغلوا فيهم

غلوا يخرجهم عن المألوف المأذون به شرعا وقد سبق بيان كثير من هذا المسلك في الباب السابق .

ويمكن الإشارة إلى جملة من تلك المظاهر التي هي في حقيقتها إحدى الركائز الأساسية التي قام عليها

مذهب الاثني عشرية .

فمن تلك المظاهر إجماعهم على القول بعصمة الأئمة من جميع الرذائل والفواحش , ما ظهر منها وما بطن , من الولادة إلى الوفاة ؛عصمة من كل خطأ وسهو ونسيان , وهي عصمة أعلى من عصمة الأنبياء من الناحية الزمنية والعملية والعلمية . يقول محمد رضا المظفر في عقيدة الطائفة : ( نعتقد أن الأمام يجب أن يكون معصوما من جميع الرذائل والفواحش , ما ظهر منها وما بطن , من سن الطفولة إلى الموت , عمدا وسهوا , كما يجب أن يكون معصوما من السهو والخطأ والنسيان ) .

ومن المظاهر التي يتجلى فيها الغلو تفضيلهم الأئمة على الأنبياء والرسل يقول فيهم المجلسي ( وأما الفضل على الأنبياء فهو ثابت بأخبارنا المستفيضة ) ويقول إمامهم الخميني : ( وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل ) .

ومن المظاهر أيضا وصف الأئمة بصفات الألوهية والربوبية فتجاوزوا بذلك القول بالعصمة والتفضيل على الأنبياء والرسل إلى مقام الألوهية وما اختص به الرب جل وعلا؛ كالقول بأن الأئمة هم صفات الله , وأن الله حل فيهم , والقول بأن الأئمة يعلمون الغيب , ولا يخفى عليهم شيء في الأرض ولا في السماء , ولا ما تخفيه الضمائر وتكنه الصدور , يقول المجلسي : ( إن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون إلى قيام القيامة ) (3) . ويقول الكاشاني عن الأئمة : هم ( الحزنة والسدنة , وسادة الأولين والآخرين , فالكل هم ومنهم وعنهم وبهم وإليهم : لأن الله سبحانه خلق الدنيا والآخرة لهم بغير شك , فالدوران لهم وملكهم , والناس عبيدهم , والعبد في نعمة مولاه يتقلب , فهم نعمة الله الكبرى في البلاد



والعباد ؛ الظاهرة والباطنة ، فمن لم يشكر هذه المملكة والنعمة ولم يشكر آل محمد فقد كفر . . . ولا يبقى يوم القيامة نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا وهو محتاج إليهم ، معول في النجاة والشفاعة عليهم ) .  
وفي بصائر الدرجات يروون أن عليا رضي الله عنه قال : ( أنا عين الله ، وأنا يد الله ، وأنا جنب الله ، وأنا باب الله ) .

ومن مظاهر الغلو أيضا القول بتفويض الحساب يوم القيامة للأئمة من آل البيت ، فيروون أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لعلي : ( يا علي أنت علم الله بعدي ، الأكبر في الأرض ، وأنت الركن الأكبر في القيامة ، فمن استظل بفيئك كان فائزا ، لأن حساب الخلاق إليك ، والميزان ميزانك ، والصراط صراطك ، والموقف موقفك ، والحساب حسابك ، فمن ركن إليك نجا ، ومن خالفك هوى وهلك ، اللهم اشهد اللهم اشهد ) .

هذه الإماحة بسيطة إلى جانب من جوانب غلو الاثني عشرية في طائفة مخصوصة من آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام .

و المسلك الثاني : مسلك الجفاء والتفريط تجاه البعض الآخر من آل البيت التي كانت الاثني عشرية تسلكه في ثلاثة أطر :

الأول : تجاه أزواج النبي عليه الصلاة والسلام أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين . وهو ما خصص له الفصل التالي من هذا الباب فلا حاجة للوقوف عليه هنا .

الثاني : تجاه البقية من أبناء النبي عليه الصلاة والسلام .

الثالث: تجاه البقية الباقية من بني هاشم آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام .

أما التفريط في بقية أولاد النبي عليه الصلاة والسلام فهو مبني على مفهوم آل البيت عندهم ، الذي حصروا فيه آل البيت في علي وبنيه من فاطمة رضي الله عنها ؛ فأدى ذلك إلى القدرح فيهم .

ومصادر الاثني عشرية تبين أن الاثني عشرية تجاه بنات النبي × - غير فاطمة - على قسمين :

I- من ينكر أن يكون للنبي عليه الصلاة والسلام بنات سوى فاطمة رضي الله عنها .

فزعوا أن زينب ورقية وأم كلثوم رضي الله عنهن لسن من بناته × وفي ذلك يقول أبو القاسم الكوفي : (

إن رقية وزينب زوجتي عثمان لم تكونا ابنتي رسول الله × ، ولا من ولد خديجة زوجة النبي × ، وإنما

دخلت الشبهة على العوام فيهما لقلة معرفتهم بالأنساب . وفهمهم بالأسباب . . . وصح لنا فيها ما

رواه مشايخنا من أهل العلم عن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ، وذلك أن الرواية صحت عندنا

عنهم أنه كانت لخديجة بنت خويلد من أمها أخت يقال لها هالة ، قد تزوجها رجل من بني مخزوم ،

فولدت بنتاً اسمها هالة ، ثم خلف عليها بعد أبي هالة رجل من تميم ، يقال له أبو هند ، فأولدها ابناً

كان يسمى هند ابن أبي هند وابنتان , فكاتتا هاتان الابنتان منسوبتين إلى رسول الله زينب ورقية من امرأة أخرى قد ماتت . . . فلما تزوج رسول الله عليه الصلاة والسلام بخديجة ماتت هالة بعد ذلك بمدة يسيرة , وخلفت الطفلتين زينب ورقية في حجر رسول الله وحجر خديجة , فرباهما ثم أخذ يتكلم في انتسابهما إلى رسول الله واستمرار هذه النسبة إلى أن نزل قوله تعالى في أهل البيت فبطل انتسابهم إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام ) .

ومن ذهب إلى هذا التستري في إحقاق الحق والطباطبائي في تعليقه على الأنوار النعمانية .

وقال الزنجاني في تعليقه على زواج عثمان من رقية وأم كلثوم : ( أما زعمهم تزويج عثمان بنتي رسول الله × فمحل إشكال لما ثبت في التواريخ من أن رقية وأم كلثوم ابنتا أخت خديجة , وكانت فقيرة , وكاتتا في بيت خديجة , لا أنهما ابنتا رسول الله × , وزوجهما رسول الله عليه الصلاة والسلام بعثمان , ويشهد بما ذكرناه صاحب كامل البهائي في تاريخه , أو ربيته فنسبا إليه للتربية ) .

ويقول الخالصي في حديثه عن أختي الزهراء - رقية وأم كلثوم - : ( ما زعمه - ابن تيميه - من أن تزويج بنتيه لعثمان فضيلة له من عجائبه من حيث ثبوت المنازعة في أنهما بنتاه ) ، ويقول : ( لم يرد شيء من الفضل في حق من زعموهن شقيقاتها - أي فاطمة - بحيث يميزن به ولو عن بعض النسوة ) . ويقول : ( قد عرف عدم ثبوت أنهما بنتا خير الرسل صلى الله عليه وآله , وعدم وجود فضل لهما يستحقان به الشرف والتقدم على غيرهما ) .

ويقول السيد هاشم معروف الحسني : ( أنجبت له من البنات كما هو المشهور بين الرواة و المؤرخين أربعاً ، و هن زينب و رقية و أم كلثوم و الزهراء ، و قيل أنها لم تلد له سوى زينب و الزهراء ، أما رقية و أم كلثوم فمن صنع الوضعين أضافوهما إلى بناته ، و زوجوهما لعثمان بن عفان على التوالي ليكون الكفء الكريم عند الرسول لبناته كغيره ممن صاهروه و لقبوه بذي النورين لمناسبة زواجه من بنتيه ، و ليس ذلك بعيد . و قيل أنها قد أولدت له ثلاثاً زينب و رقية و الزهراء ، و القول الأول هو الشائع و المشهور عند المحدثين و المؤرخين . ثم أضاف قائلاً : و لا يهمننا تحقيق هذه الناحية في حين أني أرجح القول الأخير ، و قد أضاف الوضعون إلى بناته الثلاثة أم كلثوم و زوجوها لعثمان بعد أختها رقية ليكون ذا النورين أو لغير ذلك من الأسباب التي ترفع من شأنه بنظر الوضعين) .

فهو ها هنا أنكر أن يكون لرقية و أم كلثوم وجود أصلا فضلا عن أن تكونا من أزواج عثمان رضي الله عنهم أجمعين .

وفي سؤال وجه لحسن الأمين : ( هل له بنات - أي الرسول عليه الصلاة والسلام - غير فاطمة ؟

أجاب : ذكر المؤرخون أن النبي عليه الصلاة والسلام له أربع بنات ؛ هن بحسب تسلسل ولادتهن : زينب و رقية و أم كلثوم و فاطمة ، ولدى التحقق في النصوص التاريخية لم نجد دليلا على ثبوت بنوة غير الزهراء منهن ، بل الظاهر أن البنات الأخريات كن بنات خديجة من زوجها الأول قبل

(محمد) .

2- من ثبت كون زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة هن بنات النبي عليه الصلاة والسلام .

وهو قول جماعة من الاثني عشرية الإمامية كالعياشي والمفيد والطبرسي والقمي وغيرهم ، غير أنهم لا يذكرون هن فضلا عن غيرهن ، فليس هن ذكر عندهم أو أثر في فضلهن ، وليس على ألسنتهم ومواعظهم ذكر هن حتى ليظن الناظر أنهن لسن من بنات النبي × وآل بيته .

وأما إبراهيم عليه السلام فقد روى المجلسي في مجاره عن ابن عباس قال: ((كنت عند النبي عليه الصلاة والسلام وآله وعلى فخذة الأيسر ابنه إبراهيم ، وعلى فخذة الأيمن الحسين بن علي ، وهو تارة يقبل هذا ، وتارة يقبل هذا ، إذ هبط جبريل بوحي من رب العالمين . فلما سرى عنه قال: أتاني جبريل من ربي ، فقال: يا محمد ، إن ربك يقرأ عليك السلام ، ويقول: لست أجمعهما لك ، فأقد أحدهما بصاحبه ، فنظر النبي صلى الله عليه وآله إلى إبراهيم فبكى ، ونظر إلى الحسين فبكى ، وقال: إن إبراهيم أمه أمة ، ومتى مات لم يحزن عليه غيري ، وأم الحسين فاطمة ، وأبوه علي ابن عمي لحمي ودمي ، ومتى مات حزنت ابنتي ، وحزن ابن عمي ، وحزنت أنا عليه ، وأنا أؤثر حزني على حزنها ، يا جبريل: يقبض إبراهيم فديته للحسين . قال: فقبض بعد ثلاث ، فكان النبي صلى الله عليه وآله إذا رأى الحسين عليه السلام مقبلاً؛ قبله ، ووضمه إلى صدره ، ورشف ثناياه ، وقال: فديت من فديته بابني إبراهيم) .

التفريط في بقية آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام .

لم يسلم بنو هاشم من طعن الاثني عشرية فضلا عن تهميشهم والتفريط في حقهم . وليس هذا بغريب  
ممن لم يسلم منهم أنبياء الله وخيرة خلقه .

لقد كان لاعتقاد الاثني عشرية تجاه أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام وتكفيرهم الأثر البالغ في تهوين  
الطعن في أقرب الناس للنبي وهم بنو هاشم ممن آمن به كعمه العباس وأبنائه وابن أخيه عقيل بن أبي  
طالب رضي الله عنهم أجمعين .

ولما كان مذهب الاثني عشرية في جملته مبني على أحاديث مختلفة متفصلة على لسان الأئمة ، وكان  
لبنو هاشم ممن قرب من النبي الكريم نصيبا ليس بالهين من هذه الأحاديث التي تحمل في طياتها الطعن  
فيهم ، كوصفهم بالحقارة والضعف والذل وقلة الإيمان ، بل زعموا أن عليا ابتلي بهم وتذمر منهم و من  
مواقفهم ، فقد أسندوا كما ينقل الكليني عن سدير قال: (كنا عند أبي جعفر (عليه السلام) فذكرنا ما  
أحدث الناس بعد نبينهم صلى الله عليه وآله واستذلالهم أمير المؤمنين عليه السلام فقال رجل من القوم:  
أصلحك الله فأين كان عز بني هاشم وما كانوا فيه من العدد ؟ فقال أبو جعفر (عليه السلام): ومن  
كان بقي من بني هاشم ؟ ! إنما كان جعفر وحمزة فمضيا وبقي معه رجلان ضعيفان ذليلان حديثا  
عهد بالإسلام: عباس و عقيل وكانا من الطلقاء، أما والله لو أن حمزة وجعفرأ كانا مجضرتهما ما وصلا  
إلى ما وصلا إليه ولو كانا شاهديهما لأنلقا نفسيهما) .

وفي رواية عن سليم بن قيس عن أمير المؤمنين أنه قال ( أما حمزة فقتل يوم أحد وأما جعفر فقتل يوم مؤتة وبقيت بين جلفين جافيين ذليلين حقيرين العباس وعقيل وكانا قريبي العهد بكفر فأكرهوني وقهروني)

وقد علق المجلسي على هذا الحديث بقوله : ( إنه ثبت من أحاديثنا أن عباسا لم يكن من المؤمنين الكاملين ، وأن عقيلًا كذلك ) .

كما اتهموا حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما بالخيانة ، وأنه سرق كل ما في بيت مال البصرة ، وهرب لما ولاه علي عليها ، فدعا علي عليه أن يعمي الله بصره فكان كذلك .

كما اتهموه بأنه جحد ولاية علي ، وأن عليا رضي الله عنه قال فيه - كما يقول أبو جعفر - : ( اللهم العن ابني فلان يعني عبد الله وعبيد الله ابني عباس ، واعم أبصارهما كما أعميت قلوبهما الأجلين في رقبتى واجعل عمى أبصارهم دليلا على قلوبهما ) .

فهذه مكانة عم النبي عليه الصلاة والسلام وأبناء عمومته عند الاثني عشرية حيث وصفوهم بالذل والخيانة وعدم الإيمان ، وعدم النصر لعلي رضي الله عنهم أجمعين .

**أوجه الشبه بين معتقد الاثني عشرية وفرق الباطنية في آل البيت**

إن المتأمل لمذهب الطائفتين الاثني عشرية و فرق الباطنية يجد أن لا فرق بين الطائفتين في الموقف تجاه آل البيت .

فحين كان للاثني عشرية مسلکان تجاه آل البيت :

مسلك الغلو والتعظيم ورفعهم إلى منزلة الربوبية في طرف , وفي الطرف الآخر مسلك الجفاء والنبذ والإقصاء .

نجد الأمر نفسه عند فرق الباطنية من النصيرية والإسماعيلية تسلك الأمر نفسه تجاه آل البيت .

غير أن مذهب الاثني عشرية أشد تصريحاً من فرق الباطنية .

ولعل السبب في ذلك يرجع إلى كثرة مصادر الاثني عشرية مقارنة بكتب الباطنية من ناحية , وانتشارها من ناحية أخرى .

ومن هنا فيمكن أن أبرز سمات التشابه بين الطائفتين تجاه آل البيت عموماً على سبيل الاختصار ما يلي :

حصر الطائفتين الغلو والتعظيم في آل البيت في فئة معينة منهم ؛ وهم علي بن أبي طالب وزوجه فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعليهم وفي أعداد معينة من ذريتها .



أن الغلو الحاصل في هذه الفئة يعتبر من الغلو المفرط الذي تجاوزوا فيه حدود البشرية إلى مقام الربوبية .  
أن كل فرقة من فرق الإمامية فكما أنها تخرج عن مظلة التشيع , فهي كذلك لها نصيب من النصب ,  
فهم نواصب في بعض آل البيت وشيعة غلاة في البعض الآخر .

اشترك الطائفتين في نصب العداء لأمهات المؤمنين رضوان الله عليهن خصوصا الصديقة بنت الصديق  
رضوان الله عليها وعلى أبيها .

أن من أعظم سمات النصب الذي سلكه هؤلاء في آل بيت المصطفى × اللعن لأمهات المؤمنين وعم النبي  
عليه الصلاة والسلام والاثام بالزنى لهما .

أن مسألة الإمامة من أعظم أسباب الوقوع في مستنقع الغلو في آل البيت بين الطائفتين .

## النصوص القرآنية المتعلقة بأل وأهل البيت والذرية

### أهل البيت

وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ [١٢]

[الفص]

قَالُوا أَنْتَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ [٧٣ هود]

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا [٣٣ الأحزاب] .

واضح وضوح الشمس من أن المقصود بقوله تعالى ( أهل البيت ) في هذه الآيات القرآنية هم كل أقرباء الشخص الذين يسكنون معه في بيته وهم زوجته وأولاده وأشقاءه وأقرباءه إذا كانوا يسكنون في نفس البيت وأحيانا يكون أهل البيت الشخص وزوجته كما جاء في آية (قَالُوا أَنْتَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ [٧٣ هود] .

وأحيانا يطلق على الشخص وزوجاته وأولاده دون سواهم في حالة لم يسكن معهم أحدا في نفس

المكان ( البيت )

كما جاء في الآية (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا [٣٣ الأحزاب] .

فالقصد واضح من أن أهل بيت النبي المخاطبين هنا هم زوجاته وسينطبق وصف أهل علي بنات الرسول الكريم وهم ذريته أيضا .

فما الذي جعل علي بن أبي طالب زوج فاطمة عليها السلام من أهل البيت دون سواه من أصحاب النبي الكريم محمد عليه الصلاة والسلام وعلى فرض ذلك فما الذي يمنحه درجة مقدسة او متقدمة اذ كان جميع الذين هم من أهل النبي لا صلة لهم بنبوته لأن النبوة تكليف رباني خاص بشخص ولا تنتقل الى الذرية الا بتكليف ونص خاص أيضا مثل خلف سليمان النبي لأبيه داوود أو خلف يوسف النبي ليعقوب عليهم جميعا السلام .

فدرجة القرابة النسبية من النبي لا تعني شيئا بالنسبة للنبوة كتكليف الهي ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ [الأنعام : I24] .

فالله أعلم حيث يجعل رسالته وهو اختيار الهي بحج لا يرتبط بالنسب أو القبيلة والعشيرة والعائلة فابو لهب هو عم الرسول الكريم علي الصلاة والسلام وقد نزلت فيه آية العذاب ودخول جهنم ومات مشركا وهو من بنو هاشم وبنو عبدالمنفى ومن بنو عبد المطلب .

**كلمة آل في القرآن الكريم**

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلِ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ (البقرة)

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ (آل عمران)

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّن آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَدْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ (البقرة)

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ (البقرة)

كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ (آل عمران)

أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ (النساء)

وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الشَّجَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ (الأعراف)

وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِّن آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ (الأعراف)

كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ  
(٥٢) (الأنفال)

كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَانُوا  
ظَالِمِينَ (٥٤) (الأنفال)

وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُنَبِّئُكَ نِعْمَةَ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى  
أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦) (يوسف)

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ  
وَيَذَبْحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٦) (إبراهيم)

إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمَنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) (الحجر)

فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) (الحجر)

يَرْثِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبَّ رَضِيًّا (٦) (مريم)

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) (النمل)

فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرَمًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ (٨) (القصص)

يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا  
وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ (سبأ)

وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ  
رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ  
مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ (غافر)

فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِالِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ (غافر)

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ (غافر)

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ (القمر)

وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ (القمر)

من هذه النصوص القرآنية يتبين لنا أن المقصود بال الرسول أو آل النبي هم زوجته وأولاده حصرا وفي

تفسير الإيات نجد :

قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ آل عمران .

والله سبحانه وتعالى لم يقول آل آدم وآل نوح لأن من ذريتهما كان هابيل الذي قتل أخاه وما كان من المتقين وولد نوح الذي دعا نوح ربه أن يتقده فقال له ربنا الكريم ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود : 46]

وهذا دليل على أن الأهل هم خصوصية النبي الكريم كزوجته وأولاده .

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ (القمر)

قال لوط هو وزوجته وبناته فأنجاهم الله الا امرأته كانت من الغابرين فأمراته هي من أهله لكن لم ينجيها الله .

فَوَفَّاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ (غافر)

وهذا النص القرآني يدلنا ان كل أهل بيت فرعون قد أغرقهم الله ولم يستثنى أحدا والنص لم يتحدث عن زوجته المؤمنى فلربما كانت قد توفاه الله وقت حادثة الغرق .

يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ (مريم)

وفي هذا النص القرآني يدعو النبي زكريا عليه السلام أن يرزقه بولد يرثه ويرث أجداده من أبناء يعقوب عليهم جميعا السلام .

وسنرى في الفقرة القادمة ان آل النبي تدل في أكثر الأوقات على الذرية .

### الذرية

﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ  
وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ  
تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة : 266]

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعَالَ إِبْرَاهِيمَ وَعَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ  
سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران : 34]

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران :  
38]

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾  
[النساء : 9]

﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ  
آخَرِينَ﴾ [الأنعام : 133]



﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف :

[173]

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس : 83]

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِي بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد : 38]

﴿ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء : 3]

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم : 58]

﴿ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (3)

ان معنى الذرية هنا الأولاد أي الخلف وفي الآيتين التاليتين نجد أن معنى الذرية وآل واحد وهو الأولاد

(﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (33) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ

وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران : 34]

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَعَمَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم : 58]

فذرية آل عمران هي من ذرية إبراهيم وذرية إبراهيم هي من نوح وذرية نوح هي من آدم عليهم جميعا السلام فهي ذرية بعضهما من بعض .

في تفسير الطبري جاء فيه : حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( ذُرِّيَّةٌ مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ) والناس كلهم ذرية من أنجى الله في تلك السفينة، وذكر لنا أنه ما نجا فيها يومئذ غير نوح وثلاثة بنين له، وامراته وثلاث نسوة، وهم: سام، وحام، ويافث؛ فأما سام: فأبو العرب؛ وأما حام: فأبو الحبش ؛ وأما يافث : فأبو الروم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ( ذُرِّيَّةٌ مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ) قال: بنوه ثلاثة ونسأؤهم، ونوح وامراته.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قالنا ثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال : قال مجاهد: بنوه ونسأؤهم ونوح، ولم تكن امراته.

**هل علي بن أبي طالب من آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام**

يمكننا القول بعد أن عرفنا من النصوص القرآنية أعلاه معنى أهل البيت وأل البيت والذرية بقي أن

نعرف ماهو الرابط الذي يربط علي بن أبي طالب بالرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ؟

أولا : ان عليا رضي الله عنه هو ابن عم الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام كما نعرف وهما من ذرية

عبد المطلب وآله فالرسول الكريم هو بن عبد الله بن عبد المطلب وعلي هو ابن أبو طالب بن عبد

المطلب .

ثانيا : انه صهر الرسول الكريم وقد تزوج من فاطمة عليهم السلام جميعا فبنات النبي صلى الله عليه

وسلم هن : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة رضي الله عنهن .

وأما أزواجهن فزينب تزوجها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف تزوجها

في الجاهلية ثم أسلم ، وأما رقية فتزوجها عثمان بن عفان الخليفة الراشد رضي الله عنه، تزوجها

زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ولما ماتت زوجه النبي صلى الله عليه وسلم بأم كلثوم رضي الله

عنها، ولما ماتت قال النبي صلى الله عليه وسلم: لو كانت عندي ثلاثة لزوجته . رواه الطبراني بسند

فيه ضعف .

فعثمان رضي الله عنه تزوج بنتين للنبي صلى الله عليه وسلم ولهذا سمي ذا النورين ، وأما فاطمة

رضي الله عنها فتزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ثالثا : الحسن والحسين وزينب هما أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنهم من فاطمة عليها السلام وولد لعثمان بن عفان من الذكور عبد الله، وأمه رقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، ولدت السيدة زينب رضي الله عنها عليًا وأمامة من أبو العاص رضي الله عنه وقد جعل عليًا ابنه -وهو سبط الرسول- في قبيلة الرضاعة، ثم استرجعه النبي صلى الله عليه وسلم بعد رضاعته ورباه في كنفه، وعلي رضي الله عنه هو الذي ردف النبي على ناقته يوم الفتح، وتوفي وهو في عمر الشباب .  
هؤلاء هم أسباط رسول الله صلى الله عليه وسلم من بناته الأربعة وكان الرسول الكريم لا يفرق بينهم أبدا فما الذي يجعل البعض يميزون أبناء فاطمة عن غيرهم .

رابعا : أن نسب أولاد بنات الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام يرجع لأبائهم فهم من ذرية عثمان وعلي وأبو العاص

فعلي أي أساس يعتبر البعض أولاد فاطمة رضي الله عنها المقربين والمكرمين والمميزين دون سواهم .  
فمسألة تسليط الضوء على أولاد علي بن أبي طالب وهما الحسن والحسين رضي الله عنهم جميعا وجعل الأمامة والوصاية والخمس لهما ولذريتهم من بعد إنما هي قضية سياسية نفعية مغرضة لا أقل ولا أكثر فالرعيل الأول وصحابة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام كانوا يعلمون تمام العلم هذه الحقيقة

وهي ان درجة القرابة من الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام لا تؤخذ بعين الاعتبار في مسألة الخلافة والحكم .

### هل تنتقل النبوة بالوراثة وبالقرابة

يختار الله سبحانه تعالى من يشاء من البشر ليكون نبيا أو رسولا له وقد يجمع بين المهمتين فيكون النبي رسولا أيضا والله وحده أعلم حيث يجعل رسالته ونبوته واختيار الله لا يكون لأعتبارات تتعلق بالنسب والغنى والمركز أو القرابة والعشيرة وغير ذلك وهناك حالات أختار الله سبحانه وتعالى من أبناء الأنبياء ليكون أنبياء ورسلا ولقد أختار في حالة واحدة أخ النبي ليكون نبيا وأختار ابن أخ النبي ليكون نبيا وسنتحدث عن هذه الحالات .

### أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام

أرسل نبي الله إبراهيم عليه السلام وكان من ذريته الشريفة كل الأنبياء التي جاءت بعده وكان قد ورد في سورة مريم رقم الآية واحد وأربعون قوله تعالى: "وأذكر في الكتاب إبراهيم أنه كان صديقاً نبياً"، وقد أكرم الله سيدنا إبراهيم بأخلاق فاضلة واسم حسن معناه (الأب) وقد اختاره الله عز وجل ليحمل لواء الدين وقد ورد في سورة النحل في الآيات رقم مئة وعشرون ومئة وواحد وعشرون ومئة واثنان وعشرون قوله تعالى: "إن إبراهيم كان أمة قاتلاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين، شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم، وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين"

تختلف اعمار الانبياء والرسل فاعمار الانبياء والمدة التي عاشها كل نبي والصفة التي ميز الله بها كل نبي من انبياءه على حدى فعلى سبيل المثال سيدنا ابراهيم عليه السلام كان يلقب بأبي الانبياء ويعود ذلك لأن كل الانبياء الذين جاءوا بعده كانوا من سلالتهم كما إن نبي الله ابراهيم ولدان قد اصطفاهما الله وهما اسماعيل جد العرب والنبي محمد صلى الله عليه وسلم أبو البشر الشفيح الكبير للأمة من نسل سيدنا اسماعيل) وإسحاق ابن ابراهيم وجاء من نسل إسحاق النبي يعقوب (المكثى بإسرائيل) والذي يعود نسب بنو إسرائيل ليعقوب النبي عليه السلام.

وقد ورد في القرآن الكريم في سورة الأنعام في الآيات رقم أربع وثمانون وخمس وثمانون وست وثمانون أبوة نبي الله ابراهيم على الانبياء فقال تعالى: ” ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين، وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين”.

كان نبي الله ابراهيم عليه السلام يدعو كسائر الانبياء الآخرين إلى عبادة الله وحده لا شريك له وترك الوثنية لأنها حجار صماء ليس بها أي نفع وورد في سورة العنكبوت في الآيتين رقم ست عشرة وسبع عشرة قال تعالى: ” وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، إنما تعبدون من دون الله آوثاناً وتخلقون إفكاً، إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون”.

فالله سبحانه وتعالى جعل كل الأنبياء الذين جاءوا بعد إبراهيم عليه السلام من ذريته وكان آخرهم محمد رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام .

### النبي موسى وأخوه هارون النبي

وأما هارون فهو رسول لا خلاف في ذلك أرسله الله تعالى مع أخيه موسى إلى فرعون لما سأله موسى ذلك في قوله تعالى على لسانه: قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يُفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿ طه: 25-32 ﴾ ، فأجاب الله تعالى دعوته وأرسل معه أخاه فقال: قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴿ طه: 36 ﴾ .

فهارون نبي ورسول، والآيتان اللتان ذكرت صريحتان في ذلك، ومعناهما كغيرهما من الآيات التي فيها ذكر الرسل، قال ابن كثير في تفسيره: فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ الشعراء: 16 ﴾ كقوله في الآية الأخرى إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ أَيُّ كُلِّ مَنَا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ .

وهناك نصوص قرآنية تدل على ذلك منها :

ال الله تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً - ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك﴾ وكل رسول فهو نبي .

وقال تعالى: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم - ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين - إلى أن قال: ﴿أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة﴾

وقال تعالى: ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً﴾

وقال تعالى: ﴿فأتياه فقولا إنا رسولا ربك﴾

### **النبي يعقوب وأبنه النبي يوسف عليهما السلام**

ولقد أختار الله من بين أبناء يعقوب ولده يوسف ليكون نبيا ويعرف النبي يعقوب بأسرائيل ولقد جعل الله كل أنبياء اليهود من بني إسرائيل .

**مقاصد الانتماء الى فهم آل البيت في العقل الباطني الشيعي**

( الحكم الإسلامي العائلي الوراثي )



لقد رأينا كيف أسس العقل الباطني الشيعي فكره على ( تعظيم شخصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه ) والتي وصلت الى عند البعض درجة ( التآليه ) ولقد أنبثت عن هذه الفكرة نظرية ( أهل أو آل البيت ) والتي أسس عليها مبادئ التيار الشيعي في الحكم وهي الوصاية و الولاية و الأمامة و المعصومية و أسس على هذه دينهم الجديد الذي اعتبر آل البيت معصومين كالأنبياء و لهم الحق في التشريع و التأويل و هم المرجعية الأولى بل اعتبروا أن مركز الولاية يتفوق على النبوة نفسها .  
وجعلوا من أولويات أركان الأيمان و الولاية و الأمامة و من لم يؤمن بهما فهو خارج عن الإسلام أسلامهم كما يرونه هم .

### ماذا أرادوا و يريدون من ذلك كله ؟

أولا : هم أرادوا وضع شخصية لم يسميها الله سبحانه تعالى بأي مسمى ( علي بن أبي طالب ) ولم يكلفها بأي تكليف أرادوا جعلها بمرتبة النبي الكريم عليه الصلاة و السلام من حيث المعصومية و العلم بالغيب و التشريع و الفقه .

ثانيا : أرادوا تحويل الحكم في الإسلام الذي يقوم على مبدأ الشورى الى حكم عائلي وراثي ( آل البيت ) يتوارثه فقط ذرية علي بن أبي طالب و من ثم جعلوها في ذرية الحسين و لده رضي الله عنهم جميعا الى يوم يعثون .

ثالثا : حين وفاة آخر أمّتهم محمد بن الحسن العسكري وهو صغيرا وأتقطع نسل الأئمة عنده وتقاديا لزوال فلسفتهم وأوهامهم

في الحكم والوراثة كذبوا بأن محمد بن حسن العسكري قد غاب وأخترعوا ما سموه ( الغيبتين الصغرى والكبرى ) وأنه سيظهر آخر الزمان كمهدي منتظر وقد غاب عام 874 ميلادية وقد مضى 1149 سنة على غيبته ولا زالوا ينتظرون ونورد أدناه أسماء الأئمة :

1 علي بن أبي طالب (ع) مدة إمامته 30 سنة ( 632 - 661 )

2 الحسن بن علي (المجتبى) (ع) مدة إمامته 10 سنوات (661-669)

3 الحسين بن علي (الشهيد) (ع) مدة إمامته 11 سنة ( 669 - 680 )

4 علي بن الحسين(السجاد) (ع) مدة إمامته 35 سنة ( 680 - 713 )

5 محمد بن علي (الباقر) (ع) مدة إمامته 19 سنة ( 713 - 743 )

6 جعفر بن محمد (الصادق) (ع) مدة إمامته 34 سنة ( 743 - 765 )

7 موسى بن جعفر (الكاظم) (ع) مدة إمامته 35 سنة ( 765 - 799 )

8 علي بن موسى (الرضا) (ع) مدة إمامته 20 سنة ( 799 - 818 )

9 محمد بن علي (الجواد) (ع) مدة إمامته 17 سنة ( 818-835 )

10 علي بن محمد (الهادي) (ع) مدة إمامته 33 عاماً ( 835-868 )

11 الحسن العسكري (ع) مدة إمامته 6 سنوات ( 868-874 )

12 محمد بن الحسن (المهدي) مدة إمامته ممتدة لأن الشيعة الاثني عشرية يعتقدون أنه حي ومرتب

الظهور ( 874 م ) .

رابعا : ان اختراع نظرية الغيبة الكبرى كحل وهمي لأنقاذ كذبة حكمهم باسم آل محمد حكما وراثيا عائليا هو أكبر دليل على بطلان الفكر الباطني الشيعي ورؤيته في الحكم اذ ان الغاية من ذلك أصبحت واضحة للعيان وهي تحقيق مصلحتين أساسيتين :

أولا : الأستمرار في التحكم برقاب العباد عن طريق ما سموه بوكلاء المهدي الغائب ( المتوفي ) باسم الحكم (باسم آل بيت محمد ) وصار الكثيرين من يدعون اتسابهم لهذا البيت النبوي لتحقيق منافع مختلفة ومكاسب دينوية .

والسيطرة على القطيع وفرض ما يشاؤون من أحكام شرعية توافق دينهم الجديد للأبتعاد عن دين

العرب ودين المسلمين والأبتعاد عن نبي العرب ونبي المسلمين .

ثانيا : جني أموال الخمس من المسلمين وهي أموال لا تعد ولا تحصى وهي بذلك تجارة رابحة يجنوها من أموال الفقراء والأغنياء على السواء .

## بنية العقل الباطني الشيعي

### ثانيا

### التأويل والتحريف

والتأويل كما يدل عليه المعنى اللغوي المتأخر هو: "صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى آخر

يحتمله اللفظ " .

ومالوا إلى أن الإمام هو وحده المخوّل بالحق في تفسير النصوص الدينية .

### التأويل أصل نشوء الباطنية

عُرف التأويل الباطني قبل الإسلام بزمن طويل، "ولم يقتصر الأمر على الكتب المقدسة، بل امتد إلى النصوص القانونية، وإلى الآثار الأدبية حين تصبح ذات سلطة. فحينما صار شعر هوميروس نصاً ذا سلطة، أخذ المفكرون اليونانيون والأدباء في القرن الخامس قبل الميلاد في تأويله. .".

ثم انتقل التأويل الرمزي إلى اليهودية على يد فيلون اليهودي في القرن الأول الميلادي، الذي يعد من أكبر ممثلي النزعة إلى التأويل في العصر القديم، وإن كان قد سبقه في اليهودية كثيرون، فسروا إبراهيم بالنور أو العقل، وسارة بالفضيلة، لكن فيلون تميز عليهم بأن جعل من التأويل مذهباً قائماً برأسه ومنهجاً في الفهم.

والذي دفع فيلون إلى اتخاذ مذهب التأويل الباطني، تلك الحملة التي قام بها المفكرون اليونانيون على ما في التوراة (المحرفة) من قصص وأساطير ساذجة أو غير معقولة. . . فاضطر فيلون إلى الدفاع عن التوراة بتأويل المواضيع غير المعقولة تأويلاً بالباطن، ورأى أن التأويل الباطني هو روح النص المقدس، وأن التفسير بالمعنى الحرفي هو مجرد جسم هذا النص، وأنه يؤدي إلى الكفر. . . وفي التوراة، أول فيلون الجنة بأنها ملكوت الروح، وشجرة الحياة بأنها خوف الله، والأنهار الأربعة في الجنة هي الفضائل الأربعة الأصيلة، وهابيل بأنه التقوى الخالصة من الثقافة العقلية، وقابيل بأنه الأناني. . . .

ثم انتقلت فكرة التأويل من اليهودية إلى النصرانية على يد أوريجانوس الذي تأثر بفيلون، وقال إن الكتاب المقدس يفسر على ثلاثة أوجه:

1. فالرجل البسيط يكفيه "جسد" الكتاب المقدس .

2. والمتقدم في الفهم يدرك "روح" هذا الكتاب .

3. والكامل من الرجال هو الذي يفهمه بالناموس النفساني الذي يطلع على الغيب .

وكان أوريجانس يقف موقف الدفاع إزاء ما يثيره اليونانيون عن بعض ما حواه الإنجيل (المحرّف)، وقد أقر أوريجانس بأن كثيراً من القصص الواردة في التوراة لو أخذ بحروفه لكان محالاً غير معقول، وكذلك في الإنجيل .

لكن النهج الذي نهجه أوريجانس في التأويل لاقى معارضة شديدة بين النصارى، تولاها خصوصاً أتباع ما يعرف باسم "مدرسة إنطاكية"، ورغم ذلك استمر أنصار التأويل في نمو وازدهار .

### كيف وصل التأويل الباطني إلى المسلمين؟

يرى بعض الباحثين أن أول كتاب وضع الأساس لهذا اللون من التأويل الباطني هو تفسير القرآن الذي وضعه في القرن الثاني للهجرة «جابر الجعفي»، قال ابن حبان: «كان سبباً من أصحاب عبد الله بن سبأ» .

يقول د. الخطيب: "والجواب على هذا السؤال يرجعنا إلى ابن سبأ اليهودي الذي تكاد معظم المصادر التاريخية تجمع على أنه كان من الأشخاص الرئيسيين الذين أوصلوا هذه المؤثرات إلى العالم الإسلامي، وخاصة أنه من اليهود المقيمين في اليمن الذين امتزجت ديانتهم فيها بالنصرانية".

ويضع د. بدوي السؤال السابق في صيغة أكثر وضوحاً، فيقول: "كيف وصل التأثير اليهودي

والمسيحي إلى الإسلام؟

"لكنه قبل الإجابة عليه يتساءل: "هل تأثر أصحاب مذهب التأويل بالباطن من المسلمين، بأصحاب التأويل في اليهودية والمسيحية؟".

ولعل من المناسب - قبل بيان تأثير اليهود والنصارى فيما يتعلق بالتأويل - أن نورد شيئاً من أفكار وعقائد ابن سبأ اليهودي، التي أدخلها إلى المسلمين.

يروى الطبري في تاريخه عن يزيد الفقعسي قال: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أمه سوداء. فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم.

فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول "لعجبٌ ممن يزعم أن عيسى يرجع،

ويكذب بأن محمداً يرجع وقد قال الله عز وجل (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) محمد أحق بالرجوع من عيسى".

قال: فقبل ذلك عنه. ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها. ثم قال لهم بعد ذلك إنه كان ألف نبي، ولكن نبي وصي، وكان عليّ وصي محمد. ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء. ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يُجزِ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتناول أمر الأمة! ثم قال لهم بعد ذلك إن عثمان أخذها بغير حق. وهذا وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهضوا في هذا الأمر، فحركوه، وابدأوا الطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر".

يقول د. الخطيب: "وكان تأويل ابن سبأ لقوله تعالى (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) وقوله: "إني لأعجب ممن يقول برجعة عيسى ولا يقول برجعة محمد" أول تأويل لمعاني القرآن الكريم". ويعتبر الإمام الشهرستاني أنه بظهور الخوارج في زمن علي، وظهور الغلاة في حقه مثل عبد الله بن سبأ وجماعة معه، ابتدأت البدعة والضلالة، وصدق في هذين الفريقين قول النبي صلى الله عليه وسلم "يهلك فيه اثنان: محب غالٍ ومبغضٍ قال".

وهذا التأويل للآية الكريمة السابقة، وضع ابن سبأ المذهب الباطني "بما فيه من قول بالرجعة، والذي نشأ عليه مذهب التناسخ، وقالت به باقي حركات الغلو الأخرى. وهذا يعني أن عبد الله بن سبأ



حاول أن يوجد نفس العوامل الشبيهة التي أدت إلى تحريف وتأويل التوراة والإنجيل من قبل علي غرار ما فعل فيلون وطائفة القبالية .

فكان نشره لمبدأ الوصاية . بمعنى أن علياً وصي محمد صلى الله عليه وسلم . من جملة هذه العوامل التي أراد أن يتحقق، لذا نجده ينادي بعد ذلك مجلول جزء إلهي في علي وذريته وهو المذهب الذي يرجع إلى المؤثرات اليهودية والمسيحية المأخوذة عن الفلسفة الأفلاطونية".

هكذا استغل ابن سبأ التأويل الباطني ليدخل إلى الإسلام عقائد باطلة مثل الرجعة، والوصية، وأهوية علي، وإنكار موته، وهي العقائد التي تبنتها بعض فرق الشيعة، أما عن تأثر ابن سبأ بالعقائد اليهودية والمسيحية، ومحاولة إدخالها إلى الإسلام فينقل د . بدوي عن المستشرق فريد ليندر أن إنكار ابن سبأ لموت علي، وقوله أن ذلك شبه للناس، وأنه سيرجع من السحاب فكرة أصلها يرجع إلى يهود اليمن، وما يقوله الفلاشا في الحبشة من اليهود الذين تصوروا المسيح المنتظر هكذا .

كما يشير إلى أن عقيدة المهديّة أو نظرية المهدي المنتظر التي اخترعها ابن سبأ وصارت من أهم عقائد الشيعة، تشابه ما جاء في كتب النصاري من أن المسيح يأتي من قبة السماء ويحمل في يده عصا، وأنه لا حاجة به إلى أسلحة أرضية للانتقام من أعدائه، لأنه يملك وسائل خارقة للانتصار بها عليهم . "إنه يقضي علي مناقضيه بكلمة من فيه" .

وبعد هلاك ابن سبأ، استمر تلامذته في نقث سمومهم، فادعى المختار بن أبي عبيد الثقفي أن محمد بن الحنفية - ابن الإمام علي - هو الإمام بعد أبيه لأن ابن الحنفية حمل راية أبيه يوم البصرة (معركة الجمل) دون أخوية فسموا الكيسانية.

وبدا من خلال هذا الادعاء بث أفكاره الضالة، فقال ب (البداء)، وهو الظهور بعد الحفاء، أي أن تكون الحكمة قد ظهرت ولم تكن ظاهرة من قبل، وهذا يستلزم البداء، وسبق الجهل على الله سبحانه وتعالى - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - وزعم بعد ذلك أن جبرائيل يأتيه بالوحي من عند الله عز وجل، وقال بتناسخ الأرواح وبالرجعة، وبأن الدين طاعة رجل، حتى حملهم هذا الاعتقاد على تأويل الشريعة، فاعتبروا أن طاعتهم لذلك الرجل تبطل الصوم والحج والصلاة وغيرها من الفرائض.

وقد ذكر الإمام الشهرستاني أن " السيد محمد بن الحنفية تبرأ من (المختار) حين وصل إليه أنه قد لبس على الناس أنه من دعائه، ورجاله، وتبرأ من الضلالات التي ابتدعها المختار، من التأويلات الفاسدة، والمخاريق المموهة" .

وبعد موت محمد بن الحنفية ظهر ابنه أبو هاشم، وقال أتباعه بانتقال الإمامة إليه ولقبوا ب " الهاشمية"، وقالوا: فإنه أفضى إليه أسرار العلوم، وأطلعه على مناهج تطبيق الآفاق على الأنفس، وتقدير التنزيل على التأويل، وتصوير الظاهر على الباطن.

وقالوا: إن لكل ظاهر باطناً، ولكل شخص روحاً، ولكل تنزيل تأويلاً وهكذا ظل نهج التأويل الباطني يتسع ويزداد إلى يومنا هذا .

### نماذج من التأويل الباطني

1- تفسيرهم لقول الله تعالى: "قللت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً، يرسل السماء عليكم مدراراً، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً".

فزعم الباطنيون أن قوله تعالى "استغفروا ربكم" أي أسألوه أن يطلعكم على أسرار المذهب الباطني، وقوله "يرسل السماء عليكم مدراراً" بأن السماء هي الإمام، والماء المدرار هو العلم ينصب من الإمام إليهم، ومعنى "يمددكم بأموال وبنين" أن الأموال هي العلم، والبنين هم المستجيبون، وفسروا الجنات بالآية السابقة بأنها الدعوة السرية أو الباطنية، والأنهار بالعلم الباطني .

2- تفسيرهم لقوله تعالى: "كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين" فقالوا إن الشيطان هو (عمر بن الخطاب)، والإنسان هو (أبو بكر الصديق) ومعنى: اكفر، أي لا تؤمن بإمامة علي بن أبي طالب .

3- فسروا قوله تعالى: "الشمس والقمر بحسبان" بقولهم أن الشمس والقمر هما الحسن والحسين، وأن إبليس وآدم المشهوران في القرآن هما أبو بكر وعلي، إذ أمر أبو بكر بالسجود لعلي فأبى واستكبر .

يقول الغزالي: "ونحن نحكي من تأويلاتهم نبذة لنستدل بها على مخازيهم فقد قالوا: . . . الاحتلام هو أن يسبق لسانه إلى إفشاء السر في غير محله، فعليه الغسل أي تجديد المعاهدة.

الظهور هو التبري والتنظف من اعتقاد كل مذهب سوى مبايعة الإمام.

الصيام هو الإمساك عن كشف السر .

الكعبة هي النبي، والباب علي، الصفا هو النبي، والمروة، علي، والميقات هو الأساس، والتلبية إجابة الداعي، والطواف بالبيت سبعاً هو الطواف بمحمد إلى تمام الأئمة السبعة. والصلوات الخمس أدلة على الأصول الأربعة وعلى الإمام . . .

فأما المعاد فزعم بعضهم أن النار والأغلال عبارة عن الأوامر التي هي التكاليف، فإنها موظفة على الجهال بعلم الباطن، فما داموا مستمرين عليها فهم معذبون، فإذا نالوا علم الباطن وضعت عنهم أغلال التكاليف وسعدوا بالخلاص عنها . . .".

ومن أمثلة التأويل عند الدرّوز: اعتبارهم "أن يوم الحساب نهاية مراحل الأرواح وتطویرها، إذ يبلغ التوحيد غايته من الانتصار من العقائد الشركية، وينتهي الانتقال والمرور في الأقمصة المختلفة".

وعن قوم يأجوج ومأجوج، قولهم: "حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون،  
واقترب الوعد الحق، فإذا هي شاخصة أبصارهم، أبصار الذين كفروا. . . . أو لم ير هؤلاء كيف  
مدّ لهم مولانا الحكام الحياة أمداً، الآن حصحص الحق".

وعند الإسماعيلية: يؤولون الشرك في قوله تعالى "إن الله لا يغفر أن يشرك به. . . . السناء / 48، بقولهم:  
"إنما الإشراك في هذا الموضوع أن يشرك بولاية (أمير المؤمنين) ومن نصبه الله ولياً وإماماً، فيجعل معه  
غيره، ويحدد بولايته فقد ضلّ ضلالاً بعيداً".

ويؤولون الصيام بـ(ستر مرتبة القائم)، ويعتبرون الصلاة (أمير المؤمنين)، والزكاة معرفته .

### التأويل عند الشيعة الاثني عشرية

إذا نحن أجلنا النظر في مذهب الشيعة، وجدنا أصحابه لم يسلموا من التفرق والتحزب والانقسام في  
الرأى والعقيدة. فبيننا نجد الغلاة الذين رفعوا علياً إلى مرتبة الآلهة فكفروا، نجد المعتدلين الذين يرون  
علياً أفضل من غيره من الصحابة، وأنه أحق

بالولاية وأولى بها من غيره فحسب، ونجد من يقف موقفاً وسطاً بين هؤلاء وهؤلاء، فلا هو يؤله علياً، ولا هو يرى أنه بشر يُخطيء ويُصيب، بل يرى أنه معصوم، وأنه الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير منازع ولا مدافع وإن غلب على أمره واعتصبت الولاية منه.

ولم يقل أمر الشيعة عند حد الانقسام إلى حزبين أو ثلاثة، بل تفرقت بهم الأهواء - كما قلنا - إلى حد الكثرة في الحزب، وكان كل حزب له عقيدة خاصة لا يشاركه فيها غيره، ورأى خاص لا يقول به سواه.

وكان طبيعياً - وكل حزب من هذه الأحزاب يدعى الإسلام، ويعترف بالقرآن ولو في الجملة - أن يبحث كل عن مستند يستند إليه من القرآن ويحرص كل الحرص على أن يكون القرآن شاهداً له لا عليه، فما وجده من الآيات القرآنية يمكن أن يكون دليلاً على مذهبه تمسك به، وأخذ في إقامة مذهبه على دعامة منه. وما وجده مخالفاً لمذهبه حاول بكل ما يستطيع أن يجعله موافقاً لا مخالفاً، وإن أدى هذا كله إلى خروج اللفظ القرآني عن معناه الذي وُضع له وسبق من أجله. وإليك طرفاً من تأويلات هؤلاء الغلاة:

من تأويلات السبئية:

فمثلاً نجد بعض السبئية يزعم أن علياً فى السحاب، وعلى هذا يُفسرون الرعد بأنه صوت على،  
والبرق بأنه لمعان سوطه أو تبسمه، ولهذا كان الواحد منهم إذا سمع صوت الرعد يقول: عليك السلام  
يا أمير المؤمنين .

كذلك نجد زعيم السبئية يزعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم سيرجع إلى الحياة الدنيا، وتأول على  
ذلك قوله تعالى فى الآية [٨٥] من سورة القصص: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ .

#### من تأويلات البيانية

كذلك نجد بيان بن سمعان التميمى زعيم البيانية، يزعم أنه هو المذكور فى القرآن بقوله تعالى فى الآية [١٣٨]  
من سورة آل عمران: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ . . ويقول: أنا البيان، وأنا  
الهدى والموعظة .

كما نراه يزعم أن الله تعالى رجل من نور، وأنه يفنى كله غير وجهه، ويتأول على زعمه هذا قوله تعالى  
فى الآية [٨٨] من سورة القصص:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ . . وقوله فى الآيتين [٢٦-٢٧] من سورة الرحمن: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا  
فَإِنٍ \* وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ . . .﴾ .

#### من تأويلات المغيرية

كذلك نجد المغيرة بن سعيد العجلي زعيم المغيرة يقول: إن الله تعالى لما أراد أن يخلق العالم تكلم بالاسم الأعظم، فطار ذلك الاسم ووقع تاجاً على رأسه، وتأول على ذلك قوله تعالى في الآية الأولى من سورة الأعلى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ . . . وزعم أن الاسم الأعلى إنما هو ذلك التاج. ويزعم المغيرة أيضاً: أن الله تعالى خلق أظلال الناس قبل أجسادهم، فكان أول ما خلق منها ظل محمد صلى الله عليه وسلم. وقال: فذلك قوله في الآية [٨١] من سورة الزخرف: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ . . قال: ثم أرسل ظل محمد إلى أظلال الناس، ثم عرض على السماوات والجبال أن يمنعن عليّ أبي طالب من ظلميه فأبين ذلك، فعرض ذلك على الناس. فأمر عمر أبا بكر أن يتحمل نصرة عليّ ومنعه من أعدائه، وأن يغدر به في الدنيا، وضمن له أن يعينه على الغدر به، على شريطة أن يجعل له الخلافة من بعده، ففعل أبو بكر ذلك. قال: فذلك تأويل قوله في الآية [٧٢] من سورة الأحزاب: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ . . فزعم أن الظلوم والجهول أبو بكر. وتأول في عمر قوله تعالى في الآية [١٦] من سورة الحشر: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ﴾ . . والشيطان عنده عمر.

تأويلات المنصورية



وكذلك نجد أبا منصور العجلي زعيم المنصورية والمعروف بـ "الكشف"، يزعم أنه عُجِرَ به إلى السماء، وأن الله تعالى مسح بيده على رأسه وقال له: يا بنى بلع عنى، ثم أنزله إلى الأرض، وزعم أنه الكشف الساقط من السماء المذكور فى قوله تعالى فى الآية [٤٤] من سورة الطور: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ .

وتأولت هذه الطائفة الجنة بأنها رجل أمرنا بمولاته وهو الإمام، والنار بالصد، أى رجل أمرنا ببغضه وهو ضد الإمام وخصمه كأبى بكر وعمر، وتأولوا الفرائض والحرمات فقالوا: الفرائض أسماء رجال أمرنا بمولاتهم، والحرمات أسماء رجال أمرنا بمعاداتهم.

#### من تأويلات الخطابية

كذلك نجد من الخطابية من يتأول الجنة بأنها نعيم الدنيا، والنار بأنها الآمها .

ووجدنا منهم من يقول: إنه لا يؤمن إلا والله تعالى يُوحى إليه، وعلى هذا المعنى كانوا يتأولون قوله تعالى فى الآية [١٤٥] من سورة آل عمران: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ . .  
ويقولون: إن معناه: بوحى من الله، ويقولون: إذا جاز أن يُوحى إلى النحل كما ورد فى قوله تعالى فى الآية [٦٨] من سورة النحل: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ . . لِمَ لا يجوز أن يُوحى إلينا؟ .

## من تأويلات العبيدين

كذلك نجد أبا إسحاق الشاطبي يذكر لنا عن بعض العلماء: أن عبيد الله الشيعي المسمى المهدي، حين ملك إفريقيا واستولى عليها، كان له صاحبان من كرامة ينتصر بهما على أمره.. وكان أحدهما يسمى بـ "نصر الله"، والآخر يسمى بـ "الفتح" فكان يقول لهما: أتما اللذان ذكركما الله في كتابه فقال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] قالوا: وقد كان عمل ذلك في آيات من كتاب الله تعالى فبدل قوله تعالى في الآية [١١٠] من سورة آل عمران: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ .. بقوله: "كرامة خير أمة أُخْرِجَتْ للناس".

فأنت ترى أن هؤلاء الغلاة الذين كفروا بما يعتقدون، يجدون في صرف اللفظ القرآني عن معناه الذي سيق له إلى معنى يتفق مع عقيدتهم، ويتناسب مع أهوائهم ونزعاتهم، وهم بعملهم هذا يُحْمَلُونَ القرآن ما لا يحتمله، ويقولون على الله بغير علم ولا برهان.

كذلك نجد الإمامية الإثنا عشرية يميلون بالقرآن نحو عقائدهم، ويلوونه حسب أهوائهم ومذاهبهم، وهؤلاء ليس لهم في تفسيرهم المذهبي مستند صحيح يستندون إليه، ولا دليل سليم يعتمدون عليه، وإنما هي أوهام نشأت عن سلطان العقيدة الزائفة، وخرافات صدرت من عقول عَشَّشَ فيها الباطل وأفرخ، فكان ما كان من خرافات وترهات!!

نعم . . . يعتمد الإمامية الإثنا عشرية في تفسيرهم للقرآن الكريم ونظراتهم إليه، على أشياء لا تعدو أن تكون من قبيل الأوهام والخرافات التي لا توجد إلا في عقول أصحابها، فمن ذلك الذي يعتمدون عليه ما يأتي:

أولاً: جمع القرآن الكريم وتأويله، وهو كتاب جمع فيه عليّ رضي الله عنه القرآن على ترتيب النزول. ثانياً: كتاب أُملي فيه أمير المؤمنين عليه السلام ستين نوعاً من أنواع علوم القرآن، وذكر لكل نوع مثلاً يخصه. ويعتقدون أنه الأصل لكل من كتب في أنواع علوم القرآن، وهم يروون عن عليّ رضي الله عنه هذا الكتاب بطرق عدة، وهو في أيديهم إلى اليوم، ويبلغ ثلاث عشرة ورقة إلا ربعاً بالقطع الكبير الكامل، كل صفحة منها سبعة وعشرون سطراً.

ثالثاً: الجامعة وهي كتاب طوله سبعون ذراعاً من إملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وخط عليّ عليه السلام، مكتوب على الجلد المسمى بالرق في عرض الجلد، جُمعت الجلود بعضها ببعض حتى بلغ طولها سبعين ذراعاً وعدها من مؤلفات عليّ باعتبار أنه كتبها ورتبها من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وإملائه. قالوا: وفيها كل حلال وحرام، وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرض في الخدش.

رابعاً: الجفر، وهو غير الجامعة وفيه يقول ابن خلدون: "واعلم أن كتاب الجفر كان أصله أن هارون بن سعد العجلي وهو رأس الزيدية، كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق، وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم، ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص، وقع ذلك لجعفر ونظائره من رجالاتهم، على طريق الكرامة والكشف الذى يقع لمثلهم من الأولياء، وكان مكتوباً عند جعفر فى جلد ثور صغير، فرواه عنه هارون العجلي، وكتبه، وسماه "الجفر" باسم الجلد الذى كُتِبَ فيه، لأن الجفر فى اللغة هو الصغير، وصار هذا الاسم علماً على هذا الكتاب عندهم، وكان فيه تفسير القرآن وما فى باطنه من غرائب المعانى، مروية عن جعفر الصادق.

وهذا الكتاب لم تتصل روايته، ولا عُرفَ عَيْنه، وإنما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصحبها دليل، ولو صح السند إلى جعفر الصادق لكان فيه نِعَمَ المستند من نفسه، أو من رجال قومه، فهم أهل الكرامات".

ويُعرف صاحب أعيان الشيعة "الجفر" بأنه كتاب أملاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على عليّ رضى الله عنه، ويذكر فى ذلك أقوالاً متضاربة ثم يقول بعد فراغه منها: "الظاهر من الأخبار أن الجفر كتاب فيه العلوم النبوية من حلال، وحرام، وأحكام، وأصول... ما يحتاج إليه الناس فى أحكام دينهم وما يصلحهم فى دنياهم، والإخبار عن بعض الحوادث، ويمكن أن يكون فيه تفسير بعض المتشابه من

القرآن المجيد، ثم ينكر على مَنْ يستبعد أن يكون الجفر فيه كل هذه العلوم، ويتمثل بقول أبي العلاء المعري:

لقد عجبوا لأهل البيت لما . . . أروهم علمهم في مسك جفر

ومرأة المنجم وهي صغرى . . . أرتة كل عامرة وقفر

خامساً: مصحف فاطمة، جاء في البصائر: "أن أبا عبد الله سأل بعض الأصحاب

عن مصحف فاطمة، فقال: إنكم تبحثون عما تريدون وعما لا تريدون. إن فاطمة مكثت بعد رسول

الله صلى الله عليه وسلم خمسة وسبعين يوماً، وقد كان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبريل

يأتيها ويحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها

في ذريتها. وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة.

هذه هي أهم الأشياء التي يستند إليها الإمامية الإثنا عشرية في تفسيرهم لكتاب الله تعالى، وهي

كلها أوهام وأباطيل لا ثبوت لها إلا في عقول الشيعة. . وكيف يكون سائغاً ومقبولاً أن يبنى تفسير

القرآن وفهم معانيه على أوهام وأباطيل؟ لهذا نرى العلامة ابن قتيبة يشدد النكير على الشيعة في

تفسيرهم لكتاب الله تعالى فيقول:

"وأعجب من هذا التفسير - يعنى تفسير المعتزلة - تفسير الروافض للقرآن، وما يدعونه من علم باطنه  
بما وقع إليهم من الجفر الذى ذكره هارون بن سعد العجلي، وكان رأس الزيدية فقال:

لم نر أن الرافضين تفرّقوا . . . فكلهم فى جعفر قال منكرا

فطائفة قالوا: إمام، ومنهم . . . طوائف سمّته النبي المطهرا

ومن عجب لم أقضه جلد جفرهم . . . برئت إلى الرحمن ممن تجفرا

برئت إلى الرحمن من كان رافض . . . بصير بباب الكفر . . فى الدين أعورا

إذا كفّ أهل الحق عن بدعة مضى . . . عليها، وإن يمضوا على الحق قصرا

ولو قال: إن الفيل ضبّ لصدّقوا . . . ولو قال: زنجى تحوّل أحمرأ

وأخلف من بول البعير فإنه . . . إذا هو للإقبال وجه أدبرا

فتبّح أقوام رموه بفرية . . . كما قال فى عيسى الفرى من تنصرا

قال أبو محمد: وهو جلد جفر ادّعوا أنه كتب فيه لهم الإمام كل ما يحتاجه إلى علمه، وكل ما يكون إلى

يوم القيامة، فمن ذلك قولهم فى قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ [النمل: ١٦]: إنه

الإمام ورث النبي صلى الله عليه وسلم علمه. وقولهم فى قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ

تَذْبُحُوا بَقْرَةً ﴿البقرة: ٦٧﴾ : إنها عائشة رضى الله عنها، وفى قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ

بَعْضَهَا ﴿البقرة: ٧٣﴾ : إنه طلحة والزبير. وقولهم فى الخمر والميسر: إنها أبو بكر وعمر رضى الله

عنهما . . . والجبت والطاغوت: إنها معاوية وعمرو بن العاص . . . مع عجائب أرغب عن ذكرها،

ويرغب من بلغه كتابنا هذا عن استماعها .

وكان بعض أهل الأدب يقول: ما أشبه تفسير الرافضة للقرآن إلا بتأويل رجل من أهل مكة للشعر، فإنه

قال ذات يوم: ما سمعتُ بأكذب من بنى تميم، زعموا أن قول القائل:

بيت زرارة محتب بفنائها . . . ومجاشع، وأبو الفوارس نهشل

إنه فى رجال منهم . . . قيل له: فما تقول أنت فيهم؟ قال: البيت: بيت الله . وزرارة: الحجر، قيل:

فمجاشع؟ قال: رمز . . . جشعت بالماء . قيل: فأبو الفوارس؟ قال: أبو قبيس، قيل له: فنهشل؟ قال:

نهشل . . . أشده، وفكر ساعة ثم قال: نهشل: مصباح الكعبة، لأنه طويل أسود، فذلك نهشل .

وهم أكثر البدع اقتراحاً ونحلاً، فمنهم قوم يقال لهم البيانية، يُنسبون إلى رجل يقال له "بيان"، قال لهم:

إلى أشار الله تعالى إذ قال: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨] . .

وهم أول من قال بخلق القرآن، ومنهم المنصورية، أصحاب أبى منصور الكشوف، وكان قال لأصحابه:

فى نزل قوله: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ [الطور: ٤٤] . . . ومنهم الخنقون والشداخون،

ومنهم الغرّابية، وهم الذين ذكروا أن علياً رضى الله عنه كان أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من

الغراب بالغرّاب، فتغلط جبريل عليه السلام حيث بُعثَ إلى عليّ لشبهه به

قال أبو محمد: ولا نعلم فى أهل البدع والأهواء أحداً ادّعى الربوبية لبشر غيرهم، فإن عبد الله بن

سبأ، ادّعى الربوبية لعليّ فأحرق عليّ أصحابه بالنار، وقال فى ذلك:

ولا نعلم أحداً ادّعى النبوة لنفسه غيرهم، فإن المختار بن أبى عبيد ادّعى النبوة لنفسه، وقال: "إن

جبريل وميكائيل يأتیان إلى جهته، فصدّقه قوم واتبعوه، وهم الكيسانية

## بنية العقل الباطني الشيعي

### المبحث الثالث

#### المحور الأول الوصاية والعصمة

يعمل منظرو التشيع على تسويق نظرية الإمامة بالمفهوم الشيعي بزعم أنها ظاهرة رافقت النبوات ،  
فيدّعون أن لكل نبيّ وصيّاً إن هذا المقولة باطلة و ليس لها أصل ولا واقع موضوعي ، فإبراهيم عليه  
السلام لم يكن له وصي ، وإنما كان في أولاده أنبياء كإسماعيل وإسحق عليهما السلام ، والسؤال



المنطقي الذي يُطرح بطبيعة الحال هو ما حاجة الناس إلى وصيٍّ مع وجود نبيٍّ ؟ و موسى عليه السلام لم يكن له وصيٍّ ، و ما اشتهر عند الشيعة من أن يوشع بن نون كان وصيٍّ موسى عليه السلام هو خطأ فاضح ، فقد توفي موسى عليه السلام و لم يُعلن عن يوشع بن نون وصيًّا له ، و إنما بعث الله تعالى يوشع بن نون عليه السلام نبيا بعد موت موسى . و عيسى عليه السلام لم يكن له وصيٍّ ، و قد تحدّث القرآن الكريم عن الحوارين ، و لم يذكر أن أحدا منهم أو من غيرهم كان وصيا معيناً من الله تعالى ليخلف عيسى عليه السلام بعد أن رفعه الله تعالى اليه ، على الرغم من أنه عليه السلام قد رفع إلى السماء في ظروف حرجة جدا ، و في ظل التباسات أدت إلى انحراف عقائدي خطير ، بحيث لو كان له وصيٍّ منصوب يُرجع اليه لهداية الناس و تصحيح الانحراف لأشير اليه . و بعض الأنبياء عليهم السلام كان نبيا لكن لم يُبعث لقوم ، و إنما جعله الله تعالى نبيا تكريما له ، و مثله لا يكون له وصيٍّ بطبيعة الحال . و بعض الأنبياء انتهى دوره في قومه بعد أن كذّبوه فأهلكهم الله تعالى عقوبة لهم ، فكيف يكون له وصيٍّ و لماذا أصلا يكون له وصيٍّ ؟ . و هكذا يتضح أن القول بأن الوصاية بالإمامة كانت ظاهرة قد رافقت النبوات ، و لذلك كان من الطبيعي أن يكون لرسول الله صلوات الله و سلامه عليه وصيٍّ منصوب إماما للناس ، هو قول لا أصل له و لا يتصف بالصحة . و إنما فكرة الوصاية هي فكرة محتلفة ، و الذي اختلقها لم يسقط في اختلاقها فقط ، و إنما سقط في تأصيل ذلك الإختلاق أيضاً حينما ادعى أن وصاية علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه قد جاءت على نسق ما جعله الله تعالى في الأنبياء السابقين عليهم السلام .

## أوجه الشبهة بين معتقد الاثني عشرية وفرق الباطنية في الوصية

### تمهيد لمسألة الوصية

الوصية هي: تنصيب النبي عليه الصلاة والسلام من يقوم مقامه من بعده في إرشاد الناس وهدايتهم من الضلال .

وهي فكرة يهودية المنبع , نادى بها ابن سبأ , وسرت آثارها في الفكر الشيعي .

و القول بالوصية قد كان مقررا في شريعة التوراة . وقد ضمت التوراة المحرفة جملة من النصوص التي تحمل في طياتها الدلالة على ذلك فقد جاء في سفر العدد : ( فكلّم الرب موسى قائلا ليوكّل الرب إله أرواح جميع البشر رجلا على الجماعة , يخرج أمامهم ويدخل أمامهم , ويخرجهم ويدخلهم لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم التي لا راعي لها , فقال الرب لموسى : خذ يشوع بن نون رجلا فيه روح وضع يدك عليه , وأوقفه قدام العازار الكاهن وقدام كل الجماعة وأوصه أمام أعينهم , ففعل موسى كما أمره الرب , أخذ يشوع وأوقفه قدام العازار الكاهن وقدام كل الجماعة ووضع يده عليه وأوصاه كما تكلم الرب عن يد موسى ) .

ففي هذا النص ما يبين أن تنصيب وصي من بعد موسى وإعلانه بين الناس مما أمر به موسى عليه الصلاة والسلام , ويدل أيضا أن قضية النص مما لا اختيار لموسى عليه السلام فيها , وإنما هو اختيار من الله تعالى .

وأيا ما كان فشرعية من قبلنا ليست شرعية لنا إلا بدليل شرعي يعضده في ديننا , وهو مما خلا في هذه المسألة .

لقد تبنت الشيعة الاثنا عشرية مسألة الوصية , وعدوها من أعظم أصول دينهم . لكن يا ترى من أين لهم بهذا الأصل الذي زعموه ؟ مقتبس من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ؟ أم أخذ من ديانة كان لها أعظم الأثر في هذا الفكر الشيعي وتعزيزه في المجتمع ؟ أم أن القول بالوصية هي من اختراع المنتسبين للشيعة وحب آل البيت ؟ كل هذا وارد لا مرية فيه .

لقد بدأت بذرة القول بالوصية من وقت بزوغ الفكر الشيعي على يد مؤسسه عبدالله بن سبأ , فهو أول من نادى بها - بحسب ما ذكره جمع من رموز المذهب الاثني عشري - . يقول النونجي الاثنا عشري : ( وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي - عليه السلام - ؛ أن عبدالله بن سبأ كان يهوديا فأسلم , ووالى عليا - عليه السلام - , وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة , فقال في إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله في علي يمثل ذلك , وهو

أول من أشهر القول بفرض إمامة علي -عليه السلام- , وأظهر البراءة من أعدائه , وكاشف مخالفه ,  
فمن هناك قال من خالف الشيعة : إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية .

وقد أيد هذا القول الذي ذكره النوجتي جملة من علمائهم كالكشي والمامقاني وابن المرتضى ونعمة الله  
الجزائري .

ومن هنا فالقول بالوصية ما هو إلا فكرة يهودية , أحدثت في الإسلام من طرف خارجي , ودخلت  
فيه بعد اكتماله , كان الغرض منها هدم الدين , وبث الفرقة بين المسلمين , على غرار ما حصل في دين  
عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

### الوصية عند الاثني عشرية

يعتقد الاثنا عشرية أن الوصي بعد النبي عليه الصلاة والسلام هو علي بن أبي طالب , وأن اختيار  
هذا المنصب لم يكن من قبل النبي عليه الصلاة والسلام ؛ وإنما جاء من قبل الله تعالى .

ومن هنا فالوصية تعتبر عندهم من أصول الدين التي جاء بها النبي من ربه . جاء في كتاب بصائر  
الدرجات عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ( عرج بالنبي صلى الله عليه وآله إلى السماء مائة

وعشرين مرة ، ما من مرة إلا وقد أوصى الله النبي صلى الله عليه وآله بولاية علي والأئمة من بعده ،  
أكثر مما أوصاه بالفرائض ) .

وروى الصدوق عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: ( إن الله تبارك وتعالى آخى بيني وبين علي بن  
أبي طالب ، وزوجه ابنتي من فوق سبع سماواته ، وأشهد على ذلك مقربي ملائكته ، وجعله لي  
وصيا وخليفة ، فعلي مني وأنا منه ، محبه محبي ، ومبغضه مبغضني ، وإن الملائكة لتقرب إلى الله  
بمحبة ) .

فهم يعتقدون أن علي بن أبي طالب هو الوصي من بعد النبي ، وأن اختيار علي لهذا المنصب جاء  
من فوق سبع سموات ، وأن النبي عليه الصلاة والسلام عرج به مائة وعشرين مرة في كل مرة يوصيه الله  
تعالى بولاية علي والأئمة من بعده .

ولقد ترتب على هذا الغلو نتائج أكثر تطرفا وتجاوزا للحدود ، وهو أن عليا والأئمة من آل بيته  
يضاهي بوصيته والأوصياء من بعده الأنبياء في منزلتهم ومكاثمهم عند الله تعالى . بل إنهم أعظم  
درجة من أنبياء الله كما سلف .

فالإمامة عندهم كالنبوة لا تكون إلا بنص من الله تعالى بينه الله سبحانه على لسان رسوله ، ولا يخلو  
عصر من العصور من إمام مفروض طاعته ، نصبه الله تعالى لحفظ دينه ، ليس للبشر حق في

اختياره . جاء عن محمد الباقر أنه قال : ( أترون أن هذا الأمر إلينا نجعله حيث نشاء ؟ لا والله ما هو إلا عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل مسمى حتى تنتهي إلى صاحبها ) . وعن الصادق قال : ( إن الإمامة عهد من الله معهود لرجل مسمى ليس للإمام أن يزويها عن من يكون من بعده ) .

وأن الإمامة جاءت بالنص الإلهي في تعيين الإمام من بعد رسول الله والأئمة من بعده ، والقول بالوصية هاهنا هو في حقيقته تنفيذ لهذا النص الإلهي المزعوم  
ومن هذا الترابط الحاصل بين المسألتين توهم من توهم من غير تأمل أن المسألة واحدة والواقع غير ذلك والمقصود أن الاثني عشرية يرون أن القول بالوصية أصل من أصول الدين ، وأن النبي × قد وصى قبل موته بالولاية من بعده لعلي ، وأن هذا النص جاء من قبل الله تعالى ليس لأحد فيه اختيار .

### أوجه الشبه بين معتقد الشيعة الاثني عشرية والباطنية في الوصية

يمكن عرض وجه الشبه بين الطائفتين في معتقد الوصية من عدة جوانب :

من خلال معرفة أول من نادى بالقول بالوصية إذ لم يوجد أحد من المسلمين منذ بزوغ الإسلام أطلق لقب الوصي على أحد من الخلفاء الأربعة إلا ما كان من ابن سبأ ومن وقع في شرك دعوته ، حيث

زعم أن عليا وصي رسول الله × وكان ذلك زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه . ومن هنا يتضح أن أصل فكرة القول بالوصي اليهودية صرفة انتقلت إلى الشيعة عموما عدا الزيدية .

وبهذا يعلم أن وجه الشبه بين الطائفتين في اشتراك الطائفتين في التأثر بالفكرة اليهودية المنبع .

اتفاق الاثني عشرية والباطنية على القول بأن الوصية أصل من أصول الإسلام يجب معرفته والإيمان به

اتفاق الاثني عشرية والباطنية على وجوب تنصيب وصي بعد النبي × وأنه لا غنى للناس عنه .

اتفاق الطائفتين على أن تنصيب الوصي جاء من قبل الله تعالى ليس للبشر فيه اختيار .

الاتفاق على أن الوصي ينزل منزلة الأنبياء بل أعظم درجة منهم وأن منزلة الوصي تضاهي منزلة النبي محمد عليه الصلاة والسلام .

هذه أهم جوانب الالتقاء في هذه المسألة بين الطائفتين .

## **بنية العقل الباطني الشيعي**

### **المبحث الثالث**

### **المحور الثاني الولاية**

تعد قضية الإمامة بمثابة الركن الركين، والأصل المحوري الذي انبثق عنه المذهب الشيعي بأكمله، ودار في فلكه كل ما تبناه من آراء ومعتقدات، بحيث لا يتصور بقاء الفكر الإمامي الاثني عشري إذا انهار هذا الأصل، أو تبين عدم صحته، وقد تفرع عن قولهم بالإمامة عدد كبير من المعتقدات والأصول الأساسية في المذهب، والتي استمات القوم في محاولة التدليل على صحتها وإقامة البراهين المعضدة لها، ولما كانت نصوص القرآن والسنة لا تشهد مجال لمعتقد الاثني عشرية في الإمامة فقد عولوا على التأويل وتعسفوا في ذلك غاية التعسف دون ضابط أو قيد حتى كاد القرآن بأكمله أن يؤول لهذا الغرض. وقد ارتبط التأويل عند الشيعة ارتباطا تاما بالأئمة، ودار حول نصوصهم، وانطلق منها إذ إنهم وحدهم - كما يعتقد الشيعة - المحيطون خبرا بتأويل جميع معاني آيات القرآن وأحاديث السنة، وأقوالهم في ذلك حجة معتبرة، يلزم قبولها والتسليم بما فيها، وإذا ما نقل عن أحد منهم تأويل فلا يسع الإمامي إلا اتباعه والتصديق بما فيه، وصرف النصوص عن ظواهرها لتوافق معه، كما أن المعيار في الحكم على التأويل بالصحة أو البطلان هو مدى موافقته لأقوال الأئمة. ومن الواضح لمن يطالع تأويلات الاثني عشرية أن القوم لم يلجؤوا لنصوص القرآن طالين الهداية، وقاصدين الاسترشاد، ومتلقين لمعاني الآيات دون استصحاب معتقدات مسبقة وإنما توجهوا للآيات وهم متبنون لآراء ومعتقدات، ثم قتشوا في النصوص باحثين عما يمكن أن يؤيد معتقدتهم كما أن تأويلاتهم قد أغفلت قواعد التفسير، وأصول التعامل مع آيات القرآن مثل مراعاة السياق والقرائن، وأسباب النزول، والمكي والمدني وغيرها من القواعد التي لا يمكن للمفسر أن يستغني عنها مجال، كما أن إهمالها يؤدي إلى الوقوع في الكثير من الأخطاء والآراء



الشاذة. ونظرا لهذا الارتباط الوثيق بين التأويل الشيعي الاثني عشري وبين قضية الإمامة، فقد جعلنا دراستنا هذه في مبحثين: خصص أولهما لاستعراض الخطوط العامة لقضية الإمامة من حيث مفهومها ومكانتها، وحكم منكرها. ثم جاء المبحث الثاني ليتناول التأويل الشيعي من حيث مفهومه، والأسس التي اعتمد عليها، ولماذا أكثر الشيعة منه، مع استعراض نماذج لهذا التأويل الذي دار حول قضية الإمامة وما تفرع عنها من مسائل: كالرجعة، والغيبة، والمهدية، والتقية، والبداء، والموقف من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

نظرية ولاية الفقيه: لقد شهد المجتمع العربي الإسلامي في عصر الخلافة ظهور حركات دينية سياسية فارسية اتخذ الدين ذريعة لكسب جماهير الناس إلى جانبها، ثم تستخدمها لهدم النظام السياسي الاعتقادي القائم، واستبدال نظام فارسي ذي قيم باطنية، لقد وجدت الحركة الخمينية المعاصرة من الإرث الذي خلفته تلك الحركات الدينية السياسية الأعجمية، ذلك الإرث الغني بعقائد وقيم باطنية واسطورية وعنصرية وارهابية سابقة مناسبة وتجربة رائدة، ومعينا تستسقي منه وتحذو حذوه. إن الحركات الخمينية مثلها مثل الحركات المغالية والباطنية، شكلت تهديداً للنظام الإسلامي القائم بكل مؤسساته وما يمثله من قيم دينية واجتماعية وسياسية وغيرها. كانت نظرية ولاية الفقيه التي تنازل فيها الفكر الإمامي عن شرط العصمة، والنص في الإمام، وسمح بالنيابة الواقعية للفقهاء عن الإمام، والتي تسمح لهم بممارسة القضاء وتوجب التقاضي إليهم، وهو ما كان محرماً عندهم من قبل، وفتح

باب الاجتهاد الذي كان محرماً كذلك ، والقول بالقياس . وانسحبت أشكال التصور أو ( التبديل )  
على كافة محرمات نظرية الانتظار كالعامل المسلح ( الثورة ) والإمامة والجهاد والحدود والأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر وصلاة الجمعة . فقد طالت غيبة الإمام وتوالى القرون دون أن تظهر . والشيعنة  
محرومون من دولة شرعية حسب اعتقادهم ، فبدأت فكرة القول بنقل وظائف المهدي تداعب أفكار  
المتأخرين .

ولاية الفقيه لغة : الولاية بالكسر ، السلطان ، والولاية والولاية : النصرة ، يقال : هم عليّ ولاية : أي  
مجتمعون في النصرة ، الولاية بالفتح : المصدر ، والولاية بالكسر : الاسم مثل الإمارة والنقابة ، لأنه اسم  
لما توليته وقلت به فإذا أرادوا المصدر فتحوا . والولاية التي بمنزلة الإمارة مكسورة ليفصل بين  
المعنيين ، وقد يجوز كسر الولاية لأن في تولي بعض القوم بعضاً جنساً من الصناعة والعمل . وقال  
تعالى : ( والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ) سورة التوبة 71 . والولي : ولي اليتيم الذي يلي  
أمره ويقوم بكفائته ، وولي المرأة : الذي يلي عقد النكاح عليها ولا يدعها تستبد بعقد النكاح دونه .

الفقيه لغة : العلم بالشيء والفهم له ، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع  
العلم كما غلب النجم على الثريا والعود على المندل . وفقه فقهاً : علم علماً ، ورجل فقيه : عالم ،  
وكل عالم بشيء فهو فقيه ، وتفقه : تعاطى الفقه ، والفقه : الفطنة . ( لسان العرب )

بين الخميني المعنى المقصود لولاية الفقيه في كتابه ( الحكومة الإسلامية ) حيث قال : إنَّ العقلاء بفطرتهم يعتبرون في الحاكم كونه عاقلاً أميناً ، عالماً . بروز السياسة والتدبير قادراً على التنفيذ والاجراء . . . . . وعلى هذا فالأمة الإسلامية حسب اعتقادها بالإسلام وقوانينه العادلة الجامعة تمنى أن يكون الحاكم عليها والمهيمن على شؤونها رجلاً عاقلاً عادلاً عالماً برموز السياسة قادراً على التنفيذ ، معتقداً بالإسلام وعالماً بضوابطه ومقرراته ، بل أعلم فيها من غيره ، ولا نريد بولاية الفقيه إلا هذا . ومن هنا نلاحظ أنَّ الخميني يمهّد الطريق لنفسه لحكم الشيعة والهيمنة عليهم ، بدعوى ولاية الفقيه . فجعل لنفسه من الصفات والسمات ما تجعله في مراتب الأئمة . في السابق كانوا يصفون أئمتهم بصفات الكمال البشري ، فاصبح الفقيه النائب عن الإمام هو من يتصف بهذه الصفات .

وثمة من يقول أنَّ نشوء فكرة ولاية الفقيه ظهرت في جبل عامل بلبنان ، وأنَّ الأب الشرعي لها هو الشيخ محمد بن مكي الجزيني الذي ألف كتاب ( اللعة الدمشقية ) الذي يعدُّ أحد المراجع الثقافية الشيعية . وقيل لقد ارسل أحد حكام خراسان من الشيعة واسمه علي مؤيد إلى الجزيني يطلب منه القدوم لتعميق التشيع في بلاده ، ولكنَّ الجزيني كان يقود حركة نشطة لتثوير الشيعة في جبل عامل في مواجهة الممالك في ذلك الوقت ، ولم يكن بإمكانه تركها والسفر إلى خراسان ، واكتفى بإرسال كتابه

( اللعة دمشقية ) الذي طرح فيه فكرة نيابة الفقيه عن المهدي لأول مرة ليكون دليلاً للفقهاء الشيعة في خرسان .

رأي الشيعة الاثني عشرية ، والفرق بين المراجع والولي الفقيه : أن الإمام ليس قائداً سياسياً فقط ، ولكنه مرشد روحي للأمة ، وهذا الوضع يتطلب منه أحياناً أن يدي بعض الآراء والاجتهادات في مختلف قضايا الأمة ، وهي قد تعارض مع اجتهادات مراجع آخرين لهم نفس المكانة ولهم أتباعهم ومقلدهم ، وليس هناك محل للإلزام هؤلاء المراجع باجتهاد المرجع القائد مما يمكن أن يحدث بلبلة واضطراباً عند أتباع المذاهب . إذ يختارون بأي رأي يأخذون ، رأي المرجع القائد أو المرجع الذي يقلدونه في الأصل .

أما مسألة ولاية الفقيه فإنها منفصلة عن مبحث التقليد ، ومن باب مختلف ، إذ هنا تطرح مسألة الحكم وإرادة شؤون المجتمع ، إن ولاية الفقيه تعني أننا قد توصلنا عن طريق العقل أو النقل إلى أن المجتمع بحاجة إلى شخص يكون على رأس هرم السلطة ، وتكون له الكلمة الأخيرة في المسائل الاجتماعية ، ويصبح أمره وقراره قانوناً مطاعاً . وبعبارة أخرى إن ماهية عمل الدولة والحكومة هي الإلزام ، وبالنتيجة فإن ماهية عمل الولي الفقيه هي الإلزام ، ولا معنى للحكومة بدون إمام . أما من يتولى ولاية الفقيه فإن منزلته عالية جداً ، فهو في أعلى هرم السلطة وهو الحاكم المطلق وواجب الطاعة

، ولا يسع أي مرجع أو مقلد الخروج عن حكمه ، لذا لا يمكن من تعدد الولي الفقيه ، لأن ذلك يؤدي إلى اختلال النظام .

الخميني وولاية الفقيه : إن كل المعنيين بالحنة التي ابتلى بها شعب ايران المسلم يعرفون تماماً تاريخ وموطن ونسب الخميني ، ويعرفون أن جدّه قدم من الهند إلى ايران ، وسكن في قرية ( خمين ) وادعى الخميني النسب العلوي العربي ، انضمّ الخميني وكان اسمه ( روح الله ) إلى الحوزة العلميّة في مدينة قم الأيرانيّة وترعرع فيها ، وكان صاحب تمرد واعتراض على علماء الحوزة ، مما أدى إلى طرده منها فرحل إلى أصفهان ، ثم عاد إليها وأكمل دراسته ، وكان على خلاف دائم مع ( آية الله العظمى بروجردي ) المرجع الإيراني الأعلى .

كان تركيز الخميني في دراسته على الفلسفة، ولكن أصدقاءه نصحوه أن يهتم بالفقه ليبلغ مقاماً لائقاً ، وهكذا يوجه اهتمام الخميني نحو الفقه .

وحيثما كان روح الله الخميني في بداية الخمسينات في الحوزة الدينيّة في مدينة قم ضمن علماء الدين المقيمين فيها لم تكن علاقته جيدة مع الإمام البروجردي ، وكذلك الإمام شريعت مداري ، وقد نقل عن البروجردي قوله في الخميني : بأنّ هذا الرجل سيهدم الحوزة الدينية ويكون وبالاً على الإسلام ، وأهله بسبب تطرفه الديني . لقد أدرك الخميني وهو في قم بأنّه لا يستطيع أن يجاري علماء الحوزة

الدينية ، وكذلك بدأ يضرب على الوتر الحساس ، وهي السياسة واستغل ظروف ايران السيئة زمن الشاه رضا بهلوي . فأطلق العديد من التصريحات الحماسية التي ولا شك كوت رصيذاً من المؤيدين الناقمين على الحكم في ايران .

## بنية العقل الباطني الشيعي

### المبحث الثالث

#### المحور الثالث الامامة

##### تمهيد

##### تعريف الإمامة في اللغة والاصطلاح

الإمامة في اللغة: مصدر من أم , تقول : أمهم وأم بهم : تقدمهم , والإمام : كل ما ائتم به من رئيس أو غيره سواء ( على الصراط المستقيم , أو كانوا ضالين , والجمع أئمة , وإمام كل شيء قيمه , والمصلح له . والقرآن إمام المسلمين , وسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام إمام الأئمة , والخليفة إمام الرعية , وائتم القوم به اقتدوا به ) .

##### وفي الاصطلاح

أجمع تعريف لها ما عرفه ابن خلدون حيث قال : ( هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الآخروية والدينية الراجعة إليها , إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة , فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به ) .  
فقوله : ( حمل الكافة ) يخرج به ولايات الأمراء والقضاة وغيرهم ؛ لأن لكل منهم حدوده الخاصة به وصلاحياتهم المقيدة .

وفي قوله : ( وعلى مقتضى النظر الشرعي ) قيد لسلطته إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الله كما أخبر بذلك النبي عليه الصلاة والسلام , كما أن سياسته في الدنيا محكومة بضوابط الدين الإسلامي , لا بالأهواء والشهوات والمصالح الفردية .

وفي قوله : ( في مصالحهم الآخروية والدينية ) تبين لشمول مسؤولية الإمام لمصالح الدين والدنيا لا الاقتصار على طرف دون طرف .

حكما

اتفق السواد الأعظم من المسلمين على وجوب نصب الإمام , ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا بعض فرق الخوارج والمعتزلة , يقول ابن حزم : ( اتفق جميع أهل السنة , وجميع المرجئة وجميع الشيعة , وجميع الخوارج على وجوب الإمامة . وأن الأمة واجب عليها الاتقياد لإمام عادل , يقيم فيهم أحكام الله ,

ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله عليه الصلاة والسلام . قال : والقرآن والسنة قد وردا بإيجاب الإمامة ، .

وقال القرطبي : ( ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة ، إلا ما روي عن الأصم ؛ حيث كان عن الشريعة أصم ، وكذلك كل من قال بقوله واتبعه على رأيه ومذهبه ) .

فأهل السنة يرون أن الإمامة واجبة ، وأنه لا بد للمسلمين من إمام يقيم شعائر الدين ، وينصف المظلومين من الظالمين ، وقد دلت على ذلك دلائل الكتاب والسنة .

ومن هنا فالخطاب للمسلمين عموماً بإقامة حكم الله وما أنزل ولا يتأتى ذلك إلا بإقامة الإمامة إذ ذلك من أخص وظائفها ولا يأتي القيام بأمر الله وشرعه على الوجه الأكمل إلا عن طريقها وعليه فجميع الآيات الآمرة بالحكم بما أنزل الله دليلاً على وجوب نصب إمام يتولى ذلك .

ومن أدلة السنة وهي كثيرة جداً قوله عليه الصلاة والسلام فيما جاء عنه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : (( من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية )) .

وهذا واضح الدلالة على وجوب نصب الإمام ؛ لأنه إذا كانت البيعة واجبة في عنق المسلم ، وهي لا تكون إلا بإمام ، فنصب الإمام حيال ذلك واجب .



ومنها قوله : (( إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم )) وفي رواية (( لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا أحدهم )) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية معلقا على هذا الحديث : ( فإذا كان قد أوجب في أقل الجماعات وأقصر الاجتماعات ؛ أي يولى أحدهم ، كان هذا تشبيها على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك ) .

### مقاصد الإمامة

الإمامة والحكم في الإسلام وسيلة لا غاية ، يستطيع الإمام أو الحاكم من خلالها أن يحقق ما لا يستطيعه أحاد الناس ؛ وجماع هذه المقاصد هو إقامة أمر الله عز وجل في الأرض على الوجه الذي شرع ، بالأمر بكل معروف ونشره والرفع من قدره ، والنهي عن كل منكر والقضاء عليه قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ( وجميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ) قال : ( والمقصود والواجب بالولايات إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسارانا مبینا ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا ، وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم ) .

فالإمامة تتمثل في مقصدين أساسيين :

- إقامة الدين .

—وسياسة الدنيا به .

فإقامة الدين بـ( جعله قائم الشعار على الوجه المأمور من إخلاص الطاعات , وإحياء السنن , وإماتة البدع , ليتوفر العباد على طاعة المولى سبحانه) .

وذلك يكون بنشره والدعوة إليه بالقلم واللسان والسنان إذ الإمام له القدرة والسلطان أكثر من غيره من أفراد المسلمين , وله تجنيد الجيوش لإعلاء كلمة الله إذ هذه أسمى وظائف الإمامة ومقصدتها الأعلى وهذا المقصد هو الذي اتجهه الخلفاء الراشدون بعد النبي عليه الصلاة والسلام , فقاتلوا المشركين , وسيروا الجيوش ؛ لنشر هذا الدين , ولم يمض قرن من الزمان حتى انتشر الإسلام في جميع أرجاء المعمورة .

ومما يدخل في هذا المقصد توعية المجتمع , وتنقيفهم بأمر دينهم , وقمع البدع وأصحابها , والأخذ على أيديهم , فصيانة الأفكار من غبش البدع الهدامة من أسمى مقاصد الإمامة .

ومما يدخل في هذا المقصد؛ حماية بيضة الإسلام , وتحصين الثغور , وإقامة الشرائع والحدود , وتنفيذ الأحكام .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ( وولي الأمر إذا ترك إنكار المنكرات وإقامة الحدود عليها بما يأخذه كان بمنزلة مقدم الحرامية الذي يقاسم المحاربين على الأخيذة , ومنزلة القواد الذي يأخذ ما يأخذه ليجمع بين اثنين على فاحشة , وكان حاله شبيها بحال عجوز السوء امرأة لوط ) .

المقصد الثاني : سياسة الدنيا بالدين أو الحكم في شؤون الحياة بما أنزل الله :

والمراد بهذا المقصد إدارة وتدبير جميع شؤون الحياة وفقا لقواعد الشريعة ومبادئ الإسلام وأحكامه فالشريعة الخاتمة التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام صالحة للبشرية جمعاء . وهي صالحة كاملة لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة , وصلاحهما وكما لها يستلزم شمولها لجميع متطلبات الحياة فتعم كل شيء كان صغيرا أو كبيرا في أمور الدنيا أو أمور الآخرة .

طرق انعقاد الإمامة عند أهل السنة

لعل المتأمل لنصوص الكتاب والسنة لا يجد نصا صريحا يحمل في فحواه طريقة تثبت بها الإمامة , ويعين الإمام من خلالها , غير أن النهج الذي سلكه الخلفاء الراشدون يعد مسلكا شرعيا , سيما إذا أخذنا في الحسبان قول النبي عليه الصلاة والسلام حاثا على سلوك منهج هذا الرعيل : (( عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ , وإياكم ومحدثات الأمور )) الحديث ففي هذا الحديث التصريح بوجوب الالتزام بسنة الخلفاء الراشدين من بعده .

والمقصود معرفة طرق تعيين الإمام و انعقاد الإمامة ؛ وذلك أنه قد انعقد أهل الحل والعقد والرأي في سقيفة بني ساعده من المهاجرين والأنصار من قبلهم على مبايعة أبي بكر للخلافة بعد موت النبي عليه الصلاة والسلام وهذه هي الطريقة الأولى طريقة الاختيار

الطريقة الثانية :

العهد والاستخلاف من الخليفة السابق إلى من يختاره من المسلمين ، ويراها لاثقا بهذا المنصب من بعده متى ما أحس بقرب أجله خصوصا إذا شاور أهل الحل والعقد ، ومن أدلة هذه الطريقة ما رواه البخاري من قوله × : (( لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد ؛ أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون ، ثم قلت : يا بى الله ويدفع المؤمنون ، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون )) (I) وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت : قال لي رسول × في مرضه : (( ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتابا ، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل : أنا أولى ، يا بى الله والمؤمنون إلا أبا بكر )) (2) .

ففي هذا الحديث دلالة واضحة على أن النبي × همّ أن يعهد لأبي بكر من بعده ، ثم ترك ذلك لعلمه ويقينه أن أمته من بعده لن تعدل بأبي بكر أحدا بعده × .

الطريقة الثالثة : الفهر والغلبة :

فمذهب أهل السنة والجماعة على أن الإمامة تصح أن تعقد لمن غلب الناس ، وقعد بالقوة على كرسي الحكم . قال الإمام أحمد : (ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماما) (3) .

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب(4) : ( الأئمة مجتمعون من كل مذهب على أن من تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء ، ولولا هذا ما استقامت الدنيا ، لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد ولا يعرفون أحدا من العلماء ذكر أن شيئا من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم ) (I) .

#### المطلب الأول : الإمامة عند الاثني عشرية

تدور معظم عقائد الاثني عشرية حول الإمامة وما يتصل بها ، حتى موقفهم من الصحابة على وجه الخصوص وبقية المسلمين عموما يرتكز في الأساس على قضية إمامة آل البيت ، وكذا طعنهم في كتاب الله المنزل والقول بتحريفه ، والتشكيك في سنة المصطفى × ، والطعن في خير البشرية من أنبياء الله ورسله فضلا عن صحابة رسول الله × ما هو إلا نتاج هذا المنحى الذي تتجه إليه الاثنا عشرية في الإمامة .

فالإمامة هي الركيزة الأساسية في تعاليم دينهم ، ولذا جهدوا في تشيبتها ، والدعوة إليها؛ بالقول بالنص والتعيين تارة ، والقول بتحريف كتاب الله تارة ، والتأويل الباطني لأي الكتاب تارات أخرى . بل والكذب في أحاديث رسول الله × . يقول ابن أبي الحديد : ( إن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة ؛ فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلقة في صاحبهم - أي الإمام - ) (I) .

لقد دافع الاثنا عشرية عن هذا المعتقد دفاعا حارا ، وسلكوا فيه مسلكا غريبا . أرادوا منه اجتثاث الإسلام من أصوله ، فتملصوا من الإسلام وأهله وحمله رسالته . فهذا شيخهم نعمة الله الجزائري يعلن انفصال الشيعة عن المسلمين بسبب قضية الإمامة فيقول: (لم نجتمع معهم على إله ولا نبي ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد × نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا) (2) .

فلم يعلنوا العداء لصحابة رسول الله × وحسب وإنما أعلنوا كفرهم بالله تعالى وبرسوله × المرسل من قبله .

وفي هذا المبحث يمكن الإمام بمسألة الإمامة عند الاثني عشرية من خلال عدة نقاط:

منشأ القول بالإمامة عند الاثني عشرية:

اعترفت كتب الاثني عشرية بأن ابن سبأ (كان أول من أشهر القول بفرض إمامة عليّ، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه، وكفرهم) (I).

فالإمامة إذاً يهودية المبدأ، سبائية المنشأ، تولى كبرها ابن سبأ اليهودي ثم سرت في المذهب الاثني عشرية ونفشت فيه حتى غدت أهم أصوله التي بنى عليها، فهذا ابن بابويه القمي يسجل عقائد الشيعة في القرن الرابع ويقول: (يعتقدون بأن لكلّ نبي وصيّاً أوصى إليه بأمر الله تعالى) (2).

القول بحصر الإمامة في طائفة معينة:

جاء في (رجال الكشي): رواية تكشف (بأن شيطان الطاق (3) هو الذي بدأ يشيع القول بأن الإمامة محصورة بأناس مخصوصين من آل البيت، وأنه حينما علم بذلك زيد بن عليّ بعث إليه ليقف على حقيقة الإشاعة، فقال له زيد: (بلغني أنك تزعم أن في آل محمد إماماً مفترض الطاعة؟ قال شيطان الطاق: نعم، وكان أبوك علي بن الحسين أحدهم، فقال: وكيف؟ وقد كان يؤتى بلقمة وهي حارة فيبردها بيده ثم يلقمها؟، أفترى أنه كان يشفق عليّ من حر اللقمة، ولا يشفق علي من حر النار؟ قال (شيطان الطاق): قلت له: كره أن يجربك فتكفر فلا يكون له فيك الشفاعة، لا والله فيك المشية - كذا) (I).

وفي رواية الكليني في الكافي: قال زيد بن علي لأبي جعفر: ( يا أبا جعفر كنت أجلس مع أبي علي الخوان ، فيلقمني البضعة السمينة، ويرد لي اللقمة الحارة حتى تبرد، شفقة عليّ، ولم يشفق عليّ من حر النار؟ إذ أخبرك بالدين ولم يخبرني به؟ فأجابه شيطان الطاق: جعلت فداك، من شفقتك عليك من حر النار لم يخبرك، خاف عليك أن لا تقبله فتدخل النار، وأخبرني أنا، فإن قبلت نجوت، وإن لم أقبل لم يبال أن أدخل النار) (2) .

ففي هذا النص من تنقيح المقال للمقاني ، التصريح بأن شيطان الطاق هو أول من اخترع هذه العقيدة الضالة ، وحصص الإمامة والتشريع ، وادعى العصمة لأناس مخصوصين من آل البيت (3)

(وهكذا اخترع شيطان الطاق أكذوبة الإمامة، التي صارت من أصول الديانة عند الشيعة، واتهم الإمام عليًا زين العابدين بن الحسين بأنه كتم أساس الدين ، حتى عن ابنه الذي هو من صفوة آل محمد، كما اتهم الإمام زيدًا بأنه لم يبلغ درجة أحسن الروافض في قابليته للإيمان بإمامة أبيه . والشيعة هم الذين يروون هذا الخبر في أوثق المصادر عندهم ويعلمون فيه أن شيطان الطاق يزعم بوقاحته أنه يعرف عن والد الإمام زيد ما لا يعرفه الإمام زيد من والده مما يتعلق بأصل من أصول الدين عندهم) (I) .

القول بالنص والاصطفاء في الإمامة:



تعتقد الإمامية بأنه لا بد أن يكون الإمام منصوباً عليه من قبل الله سبحانه وتعالى ، وأن النبي × نص على الإمامة من بعده وجاء في بعض عناوين أبواب الكافي ( أن الإمامة عهد من الله عز وجل معهود من واحد إلى واحد) (2) . (باب ما نص الله عز وجل ورسوله على الأئمة واحداً فواحداً) (3) ولهذا قال شيخهم مقدار الحلبي (ت82I) بأن مستحق الإمامة عندهم لا بد أن (يكون شخصاً معهوداً من الله تعالى ورسوله) (4) .

ويقتر محمد حسين آل كاشف الغطا أحد مراجع الشيعة في هذا العصر: (أن الإمامة منصب إلهي كالتبوة، فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للتبوة والرسالة ويؤيده بالمعجزة التي هي كص من الله عليه . فكذلك يختار للإمامة من يشاء ، ويأمر نبيه بالتص عليه ، وأن ينصبه إماماً للناس من بعده) (5) .

فمفهوم الإمامة عندهم كمفهوم التبوة، فكما يصطفي الله سبحانه من خلقه أنبياء، يختار سبحانه أئمة، وينص عليهم، ويعلم الخلق بهم، ويقوم بهم الحجة، ويؤيدهم بالمعجزات، وينزل عليهم الكتاب، ويوحى إليهم، ولا يقولون أو يفعلون إلا بأمر الله ووحيه .

بل هي كالتبوة، والإمام عندهم كالتبوي، والتغيير إنما هو في الاسم فقط . ولذلك قال المجلسي: (إن استنباط الفرق بين النبي والإمام من تلك الأخبار لا يخلو من إشكال) (I) ثم قال: (ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالتبوة إلا رعاية خاتم الأنبياء، ولا يصل عقولنا فرق بين التبوة والإمامة) (2) .

الإمامة ركن من أركان الإسلام :

الإمامة من أصول الدين التي لا يسع المكلف الجهل بها ، لأنها (من أجل الأمور بعد النبوة) (3) وهي ركن من أركان الدين . يقول آل كاشف الغطاء : (ولكن الشيعة الإمامية زادوا (ركناً خامساً) وهو : الاعتقاد بالإمامة . يعني أن يعتقد : أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ، ويؤيده بالمعجزة التي هي كقص من الله عليه + **و و و و و و و و** **ح ب ب** (4) فكذا يختار للإمامة من يشاء ، ويأمر نبيه بالنص عليه ، وأن ينصبه إماماً للناس من بعده للقيام بالوظائف التي كان على النبي أن يقوم بها ، سوى أن الإمام لا يوحى إليه كالنبي وإنما يتلقى الأحكام منه مع تسديد إلهي) (5) .

فهي ركن من أركان الدين ، ومقدمة على سائر أركان الإسلام ، روى الكليني بسنده عن أبي جعفر قال: (بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه - يعني الولاية-) (I) .

فأسقطوا الشهادتين من أركان الإسلام ، ووضعا مكانهما الولاية ، وعدوها من أعظم الأركان بل هي عدل الشهادتين فلا إسلام بلا إمامة كما أنه لا إسلام بلا الشهادتين .

وقد جاء في نص الرواية السابقة زيادة: (قلت (الراوي): وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل) (2). وفي رواية ثالثة بنحو الرواية الأولى، مع زيادة تقول: (فرخص لهم في أشياء من الفرائض الأربع) (3).

فالولاية أفضل من الصلاة والزكاة والحج والصوم، ومن أتى بأركان الإسلام ولم يأت بالولاية؛ كان عمله هباء منثورا، إذ لا تقبل منه تلك الأعمال ولا تنجيه من عقاب الله يوم القيامة إلا بالولاية.

الإمامة مستمرة لا تنقطع إلى يوم القيامة:

ومن عظمة الإمامة عندهم أن الأرض لا تبقى بدون إمام ولو بقيت بدون إمام ولو قدر ساعة واحدة فإنها تسوخ بأهلها فقد ذكر الصفار في بصائر الدرجات بابا كاملا عنون له بقوله: (باب أن الأرض لا تبقى بغير إمام ولو بقيت لساخت) وأسند تحته رواية عن أبي جعفر أنه قال لأبي عبد الله: تبقى الأرض بغير إمام؟ قال: لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت (I).

وعن أبي جعفر أنه قال: (لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة لساخت بأهلها، كما يموج البحر بأهله) (2).

ويقول أحد أعلامهم في بيان معتقد أهل ملته في الإمامة واستمرارها: (لا بد أن يكون في كل عصر إمام هاد، يخلف النبي في وظائفه؛ من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في الشأين

وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس، لتدبير شؤونهم ومصالحهم، وإقامة العدل بينهم، ورفع الظلم والعدوان عنهم (3).

حتى قالوا في أخبارهم أيضاً بأنه: (عرج بالتي × السماء إلى مائة وعشرين مرة، ما من مرة إلا وقد أوصى الله عز وجل فيها إلى النبي بالولاية لعلي والأئمة من بعده أكثر مما أوصاه بالفرائض) (4) (وما وكّد على العباد في شيء ما وكّد عليهم بالإقرار بالإمامة، وما جحد العباد شيئاً ما جحدوها) (5). وقال أحد مراجعهم في هذا العصر: (إن أعظم ما بعث الله تعالى نبيه من الدين إنما هو أمر الإمامة) (6) وقد جاء في أحاديث الكافي للكليني أنها تعلو على مرتبة النبوة (I)، بل أعلى مرتبة من النبوة والرسالة. قال شيخهم نعمة الله الجزائري: (الإمامة العامة التي هي فوق درجة النبوة والرسالة) (2). وقال هادي الطهراني - أحد مراجعهم وآياتهم في هذا العصر -: (الإمامة أجل من النبوة، فإنها مرتبة ثلاثة شرف الله تعالى بها إبراهيم بعد النبوة والخلة) (3).

الإمامة محصورة بعدد معين:

تجد في بعض الروايات عند الاثني عشرية ملامح من الحيرة والتردد في عدد الأئمة، مما يدل على أن تلك الروايات مدسوسة قبل وفاة الحسن العسكري، وأنه قبل ذلك لم تعرف عقيدة الإيمان بالاثني عشر الذين تنتسب إليهم الاثنا عشرية، أو أنها موضوعة قبل تحدد هذه العقيدة عند الجعفرية، ولا شك أن تلك

الروايات تقد واضح للمذهب الاثني عشري إلا إن جعلوا هذا من باب البداء وتغير المشيئة المحدود من أصول عقائدهم - كما مضى - إذ هو وسيلة يركن إليها أرباب المذهب متى ما وضع على المحك , ومخرج لهم للتخلص من أمثال هذه الأقوال .

غير أن كتب الشيعة الاثني عشرية طافحة بالروايات التي تحدد الأئمة باثني عشر إماما .

حكم من أنكر إمامة أحد الاثني عشر:

الإمامة صنو النبوة أو أعظم، وهي أصل الدين وقاعدته الأساسية عندهم .

لهذا جاء حكم الشيعة الاثني عشرية على من أنكر إمامة واحد من أئمتهم الاثني عشر مكملًا لهذا الغلو، حيث حكموا عليه بالكفر والخلود في النار .

قال ابن بابويه: (واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من بعده أنه بمنزلة من جحد نبوة الأنبياء .

واعتقادنا فيمن أقر بأمر المؤمنين وأنكر واحدًا من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من آمن بجميع الأنبياء ثم أنكر نبوة محمد (×) (I) .

بل جنتح ابن المطهر الحلي إلى ما هو أشد من هذا الغلو فذكر أن إنكار الإمامة أعظم شرا من إنكار النبوة، فقال: (الإمامة لطف عام، والتبوة لطف خاص لإمكان خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام، وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص) (2).

فجعل من لم يؤمن بأئمتهم أشد كفرا من اليهود والنصارى، وقد بنى ذلك على أن الزمان لا يخلو من إمام فهي مستمرة، في إشارة منه إلى عقيدتهم بالإيمان بوجود إمامهم المنتظر الغائب.

وقال شيخهم الطوسي: (ودفع الإمامة كفر، كما أن دفع التبوة كفر، لأن الجهل بهما على حد واحد) (3).

وجراء هذا الاعتقاد في الأئمة نقل شيخهم المفيد اتفاقهم على هذا المذهب في تكفير أمة الإسلام فيقول: (اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة فهو كافر ضالّ مُستحقّ للخلود في النار) (4).

ومسألة عدد الأئمة لم تستقر منذ بداياتها على عدد معين إذ لا زال التردد في تحديد عددهم ظاهرا إلى عصر المتأخرين منهم.

فقد كان أول كتاب ادعى الشيعة ظهوره هو كتاب سليم بن قيس، إذ قرر فيه أن عدد الأئمة ثلاثة عشر، وكان هذا من أسباب القرح فيه عند طائفة من شيوخ الاثني عشرية.

كما أن الكافي أصح كتبهم الأربعة قد احتوى على جملة من أحاديثهم تقول بأن الأئمة ثلاثة عشر . فقد روى الكليني بسنده عن أبي جعفر قال: قال رسول الله × : (( إني واثنى عشر إمامًا من ولدي وأنت يا علي زرّ الأرض - يعني أوتادها وجبالها - بنا أوتد الله الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا )) (I).

فهذا النص أفاد أن أئمتهم - بدون علي - اثنا عشر ومع علي يصبحون ثلاثة عشر . وهو ينسف بنيان الاثني عشرية .

ولهذا تصرف شيخهم الطوسي في الغيبة في هذا النص وغير فيه فأورده بلفظ: (إني وأحد عشر من ولدي) (2) .

كذلك روت كتب الشيعة الاثني عشرية عن أبي جعفر عن جابر قال: (دخلت على فاطمة وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها فعددت اثني عشر آخرهم القائم، ثلاثة منهم محمد وثلاثة منهم علي) (3) .

فاعتبروا أئمتهم اثني عشر كلهم من أولاد فاطمة، وليس لعلي ذكر فيهم لأنه زوج فاطمة لا ولدها، أو يكون مجموع أئمتهم ثلاثة عشر .

ومما يدل أيضاً على عدم اعتبار علي من أئمتهم قوله: ثلاثة منهم علي، فإن المسمى بعلي من الأئمة عند الاثني عشرية أربعة: أمير المؤمنين علي، وعلي بن الحسين، وعلي الرضا، وعلي الهادي.

ولذلك فإن ابن بابويه غيّر في النص في كتابه الخصال حيث جاء النص عنده بدون لفظة (من ولدها)، ولكن لم يفتن لباقي النص وهو قوله: (ثلاثة منهم علي) فأثبتته كما جاء في المصادر الاثني عشرية الأخرى (I)؛ غير أنه في كتابه عيون أخبار الرضا غيّر النص في الموضوعين بما يتفق مع مذهبه (2) أو لعل التغيير حصل من غيره

ومن العجيب أن بعض شيوخهم حكم بوضع كتاب سليم بن قيس لأنه اشتمل على أن الأئمة ثلاثة عشر ولم يحكم بمثل ذلك على الكافي الذي ورد فيه مثل ذلك، ولا على المصادر الأخرى التي شاركتها في هذا الاتجاه.

والقول بأن الأئمة ثلاثة عشر تبنته فرقة من الشيعة، ولعل تلك النصوص من آثار وأسباب خروجها، وقد ذكر هذه الفرقة الطوسي في رده على من خالف الاتجاه الاثني عشري، الذي ينتمي إليه (3)، وكذلك النجاشي في رجاله (4).

وكل فرقة من هذه الفرق تدعي أنها على الحق، وأن الخبر في تعيين أئمتها متواتر عندها، وتبطل به ما ذهبت إليه الفرق الشيعية الأخرى، وهذا دليل على أنهم ليسوا على شيء؛ إذ لو تواتر خبر إحدى





وقد كان من نتاج ذلك القول بالبداة عند الطائفتين كما سبق بيانه . وهو في حقيقته مخالف لما تعاهد عليه القول عندهم : من أن الإمامة في الابن الأكبر , وأيا ما كان فإننا هاهنا يمكن إجمال أظهر أوجه التشابه بين الاثني عشرية وفرق الباطنية وذلك من عدة وجوه ؛ من حيث :

عدها أصلا من أصول الدين وركنا من أركان الإسلام .

حصر الإمامة في فئة معينة من الناس وبطلان ما عداها .

القول بأن الإمامة صنو للنبوذة واستمرار لها , وهي كالنبوذة في الاصطفاء وورود النصوص فيهم .

وجود الإمام في كل زمان ومكان , وأن الأرض لا تخلو من إمام , فالإمامة مستمرة إلى قيام الساعة بل لا تخلو الأرض منهم إلا وقت هلاكها بأهلها .

أن الإمامة محصورة بعدد معين . فهي عند الاثني عشرية وكذا النصيرية في اثني عشر إماما مجتبي , وأما الإسماعيلية فهي محصورة في سبعة من الأئمة .

الحكم بكفر من أنكر الإمامة بالمعتقد الذي يعتقد هؤلاء وبالتالي الحكم على كل من عداهم بالكفر والخروج من دين الإسلام .

## أوجه الشبه بين منزلة الإمام عند الاثني عشرية وفرق الباطنية

### تمهيد

لقد كانت مسألة الإمامة الشاغل الأكبر في المذهب الإمامي عموماً و الاثني عشري على وجه الخصوص ، ولقد كان من جرائها أن عدّوا الإمامة ركناً من أركان الإسلام ، وكفروا كل من لم يؤمن بها ، إلى مسائل أخر منزوعة من الدليل ، محفوفة بالتهويل والتعظيم بما لا أثاره له من كتاب أو سنة .  
ومسألة الإمامة هي في الحقيقة جزء من مسألة الإمام عند هؤلاء القوم وبالتالي فمن الضروري الوقوف على منزلة الإمام عندهم . ومعرفة قدره وهو ما سيكون هذا المبحث فيه .

### منزلة الإمام عند الإمامية الاثني عشرية

لقد عظم الاثنا عشرية الإمام ، ووضعوا عليه من الهالة والصفات ما لم تكن لمخلوق قط ؛حتى أصبحت هم كل من ينتسب إلى المذهب ، سواء كان الأمر في السراء أو الضراء . لقد أصبح الإيمان بالإمام وما يتعلق به من صفات تصل إلى مقام الربوبية جزءاً من عقيدة الشيعة الاثني عشرية التي لا يقوم المذهب بدونها . يقول أحد معاصريهم : ( وترى الشيعة أن موالاة هؤلاء الأئمة جزء من الإيمان ويمسكون بقوله عليه الصلاة والسلام : (( من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية )) )  
فالشيعة في كل زمان ومكان ملزم بالعرف على أمام زمانه ، وموالاته ، ولا يشترط الشيعة في الإمام

مباشرة الحكم وتولي السلطة الزمنية في دولة الإسلام ، فسواء باشر الحكم أم لم يباشر فموالاته من الفروض الشرعية عند الجعفرية ) .

فالإمام ليس دوره دور المنفذ لشرع الله وما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ، معرّضا حال تنفيذه لذلك للخطأ و الصواب ، بل له ميزة تكوينية عن غيره من البشر ، توجب الإيمان به على وجه الخصوص وموالاته ؛ لأن هذا من أخص الواجبات الشرعية ، يقول أحد شيوخهم المعاصرين مبينا مكانة الإمام عندهم وأن له عن غيره مكانة تكوينية توجب الإيمان به والإذعان لأمره : ( وثبوت الولاية و الحاكمية للإمام عليه السلام لا يعني تجرده من منزلته التي هي له عند الله ، ولا تجعله مثل من عداه من الحكام . فإن للإمام مقاما محمودا ، ودرجة سامية ، وخلافة تكوينية ؛ تخضع لولايتها ، وسيطرتها جميع ذرات الكون ، وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأعظم والأئمة عليهم السلام كانوا قبل هذا العالم أنوارا ، فجعلهم الله بعرشه محققين ، وجعل لهم من المنزلة و الزلفى ما لا يعلمه إلا الله ، وقد قال جبريل كما ورد في روايات المعراج : ( لو دنوت أئمة لاحتقرت) . وقد ورد عنهم عليهم السلام : (إن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ، ولا نبي مرسل )) .

فالإمام في نظرهم يتصرف في كل شيء ، وكل جزئيات الكون تحت تصرفه ؛ لكونه ذا مكانة عالية ، لا  
لنبي أن يحلم بها ، ولا لملك أن يصل إليها ، وبناء على هذا التصور للإمام ؛ فإن دوره لا يقف عند  
حد تنفيذ شرع الله بل له الهيمنة المطلقة .

إن المستعرض لكتب هؤلاء يجد أنهم وضعوا للأئمة هالة من الصفات الرفيعة ، والمنزلة العظيمة ، التي لا  
يمكن أن يصل إليها مخلوق أبداً ، بل تجاوزت في كثير منها حدود البشرية ، وسنستعرض في هذا  
المبحث جزءاً من هذه الصفات التي تبين في محتواها مكانة الأئمة عندهم فمن تلك الصفات :

### وصفهم الأئمة بأسماء الله وصفاته

روى الكليني في أصول الكافي عن أبي عبد الله أنه قال: (نحن - والله - الأسماء الحسنى؛ التي لا يقبل  
الله من العباد عملاً إلا بمعرفةنا) .

هذا ونصوصهم التي تفسر أسماء الله عز وجل وصفاته بالإمام والأئمة كثيرة جداً لا يمكن  
استقصاؤها .

أن الأئمة يعلمون الغيب وعلمهم لدني :

كما أنهم أضفوا على الأئمة أيضاً بعض صفات الرب سبحانه كالعلم بالغيب، وقد عقد صاحب  
الكافي لذلك باباً بعنوان : (باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء) .

وضمنه جملة من رواياتهم . وعقد بابًا آخر بعنوان (باب أن الأئمة إذا شاءوا أن يعلموا علموا) وذكر فيه جملة من أحاديثهم، ومن روايات هذه الأبواب:

قول أبي عبد الله : (إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون . . .).

(وعن سيف التمار قال: كما مع أبي عبد الله رضي الله عنه جماعة من الشيعة في الحجر، فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمينه ويسرة فلم نر أحدًا، فقلنا: ليس علينا عين . فقال: ورب الكعبة ورب البنية - ثلاث مرّات - لو كنت بين موسى والخضر؛ لأخبرتكما أنني أعلم منهما ، ولأنبأتكما بما ليس في أيديهما، لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ، ولم يُعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله عليه الصلاة والسلام وراثته) .

ومن هنا أوجبوا الطاعة لهم : لأن أقوالهم شرعية متممة للرسالة يقول الطبرسي أحد أئمتهم : ( إنه قد ثبت أن الأمام إمام في سائر الدين ، ومتول الحكم في جميعه ؛ جليله ودقيقه ، وظاهره وغامضه ، وليس يجوز ألا يكون بجميع الأحكام ، وأن هذا العلم وديعة نبوية ليس باجتهاد أو كسب بل هو علم لدني ثابت ) .

ومما سطره الكليني في هذا الباب قوله : ( وقد ورث الأئمة علم النبي وعلم الأنبياء جميعا ، فعندهم علم جميع الكتب المنزلة التي نزلت من عند الله ، وأنهم يعرفونها على اختلاف أسنتها ) ( وأن الأئمة يعلمون أكثر من الأنبياء ) .

وذكر بسنده عن جعفر أنه قال : ( ورب الكعبة ورب البنية لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتتهما أني أعلم منهما ولأنبأتتهما بما ليس في أيديهما ؛ لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى يوم الساعة ، وقد ورثناه من رسول الله وراثته ) .

ومما نسبوه إلى الحسن في هذا الباب قوله : ( إنا نعلم المكنون والمخزون والمكتوم الذي لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل غير محمد وذريته ) .

فلا غرو بعد هذا الكم من الروايات أن يقول الخميني في هذا ما سبق من إيراد لكلامه وأن للأئمة من آل البيت منزلة لا يبلغها ملك مقرب أو نبي مرسل .

أن الأئمة أفضل من الأنبياء والمرسلين ومن الملائكة المقربين:

وهذا المذهب بعينه قد غدا من أصول الاثني عشرية، فقد قرّر صاحب الوسائل أنّ تفضيل الأئمة الاثني عشر على الأنبياء من أصول مذهب الشيعة التي نسبها للأئمة، وقال بأن الروايات عندهم في ذلك أكثر من أن تحصى ، وعقد المجلسي في تجارها باباً بعنوان (باب تفضيلهم عليهم السلام على

الأنبياء وعلى جميع الخلق وأخذ ميثاقهم عنهم وعن الملائكة وعن سائر الخلق، وأن أولي العزم إنما صاروا أولي العزم بحبهم صلوات الله عليهم).

واستشهد لهذا الأصل بثمانية وثمانين حديثاً من أحاديثهم المنسوبة للثاني عشر وقال: (والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى، وإنما أوردنا في هذا الباب قليلاً منها). وهي متفرقة في الأبواب؛ لاسيما باب صفات الأنبياء وأصنافهم عليهم السلام، وباب أنهم عليهم السلام كلمة الله، وباب بدو أنوارهم، وباب أنهم أعلم من الأنبياء، وأبواب فضائل أمير المؤمنين وفاطمة صلوات الله عليهما).

وقد قرّر شيخهم ابن بابويه هذا المبدأ عندهم فقال: (يجب أن يعتقد أن الله عزّ وجلّ لم يخلق خلقاً أفضل من محمد عليه السلام والأئمة، وأنهم أحب الخلق إلى الله عزّ وجلّ، وأكرمهم وأولهم إقراراً به؛ لما أخذ الله ميثاق التبيين في الذر، وأن الله تعالى أعطى كلّ نبيّ على قدر معرفته نبينا، وسبقه إلى الإقرار به، ويعتقد أن الله تعالى خلق جميع ما خلق له ولأهل بيته عليهم السلام، وأنه لولاهم ما خلق السماء ولا الأرض ولا الجنة ولا النار ولا آدم ولا حواء ولا الملائكة ولا شيئاً مما خلق صلوات الله عليهم أجمعين).

وقد نقل صاحب البحار هذا النصّ وعقب عليه بقوله: (اعلم أن ما ذكره رحمه الله من فضل نبينا وأئمتنا صلوات الله عليهم على جميع المخلوقات وكون أئمتنا أفضل من سائر الأنبياء هو الذي لا يرتاب



فيه من تتبّع أخبارهم عليهم السّلام على وجه الإذعان واليقين، والأخبار في ذلك أكثر من أن تُحصى .  
وعليه عمدة الإماميّة ولا يأبى ذلك إلا جاهل بالأخبار) .

وقد آلف بعض شيوخهم في هذا المذهب مؤلّفات . وهذه المقالة هي التي يجاهر بها الخميني ومن يشايحه  
في هذا العصر كما قرّر ذلك في كتابه الحكومة الإسلاميّة ، وتعزو رواياتهم هذه الأفضلية إلى أمور  
يرونها في الأئمة مغرقة في الغلو والضلال تقشعر من سماعها أبدان المؤمنين .

وليس الأئمة أفضل من الأنبياء فحسب؛ بل ما استحق الأنبياء ما هم فيه من فضل ومكانة إلا بسبب  
الولاية . يقول أحد أئمّتهم (ما استوجب آدم أن يخلقه الله بيده وينفخ فيه من روحه إلا بولاية علي عليه  
السّلام، وما كلم الله موسى تكليمًا إلا بولاية علي عليه السّلام، ولا أقام الله عيسى بن مريم آية للعالمين  
إلا بالخضوع لعليّ عليه السّلام) .

ثم قال: (وأجمل الأمر؛ ما استأهل خلق من الله النظر إليه إلا بالعبوديّة لنا) .

ولو استقصيت أحاديث (مجارهم) وغيره من هذا (اللون) لضاق بنا المقام . غير أن مذهب الاثني  
عشرية قد استقر عليه رغم التغيرات والتطورات التي تلاحقه، والتي أشار الممقاني إلى طبيعتها . إذ  
الشيعة في هذه المسألة (أي مسألة تفضيل الأنبياء على الأئمة) كانوا على ثلاث فرق - كما يقول  
الأشعري -:

فرقة: يقولون بأن الأنبياء أفضل من الأئمة، غير أن بعض هؤلاء جوزوا أن يكون الأئمة أفضل من الملائكة.

والفرقة الثانية: يزعمون أن الأئمة أفضل من الأنبياء والملائكة.

والفرقة الثالثة: وهم القائلون بالاعتزال والإمامة، يقولون: إن الملائكة والأنبياء أفضل من الأئمة.

وأضاف المفيد في أوائل المقالات مذهباً رابعاً لهم وهو أفضلية الأئمة على سائر الأنبياء ما عدا أولي العزم. ثم لم يبح بذكر المذهب الذي يعتمد من هذه المذاهب بل ذكر توقفه للنظر في ذلك.

وقد تلاشت بعضها واستقر المذهب على الغلو في الأئمة، حتى إن المجلسي يقول في عنوان الباب الذي عقده في مجاره لهذا الغرض: (إن أولي العزم إنما صاروا أولي العزم بحجهم صلوات الله عليهم) ولا يستثني في ذلك أحداً من المرسلين، حتى نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام .

وجاءت عندهم نصوص تعقد مقارنات بين رسول الله وعلي، وانتهت بأن لعلي فضل التمييز على رسول الله، حيث شاركه علي في خصائصه، وانفرد علي بفضائل لم يشاركه فيها رسول الله. فقد عقد المجلسي في مجاره لهذه النصوص باباً بعنوان (باب قول الرسول لعلي: أعطيت ثلاثاً لم أعط) ومما أورده في ذلك أن النبي عليه السلام - بزعمه - قال لعلي: (أعطيت ثلاثاً وعلي مشاركي فيها، وأعطي علي ثلاثاً ولم أشاركه فيها، فقيل يا رسول الله: وما هي الثلاث التي شاركك فيها علي عليه

السلام؟ قال: لي لواء الحمد وعلي حامله، و الكوثر لي وعلي ساقيه، ولي الجنة والنار وعلي قسيمهما، وأما الثلاث التي أعطيها علي ولم أشاركه فيها فإنه أعطي ابن عم مثلي ولم أعط مثله، وأعطي زوجته فاطمة ولم أعط مثلها، وأعطي ولديه الحسن والحسين ولم أعط مثلهما).

خلق الأئمة وأبدانهم وأنهم مخلوقون من نور الله (الطينة) :

يذهب الشيعة إلى أن الإمام شخص غير عادي في تكوينه , كان قبل هذا العالم أنوارا , وأسندوا إلى النبي x قوله : ( كنت أنا وعلي نورا في جبهة آدم عليه السلام , فانقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام المطهرة الزاكية , حتى صرنا في صلب عبد المطلب , فانقسم النور قسمين : قسم في عبد الله وقسم في أبي طالب . فخرجت من عبد الله , وخرج علي من أبي طالب ونسبوا إلى علي أنه قال ( انتقل النور إلى غرائزنا ولمع في أئمتنا فنحن أنوار السماء وأنوار الأرض . . . . ) .

ومما أوردوه في هذا الباب أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه سأل النبي عليه الصلاة والسلام عن حال الأوصياء بعده في الولادة ؟ فأجابه النبي الكريم : (( إن الأنبياء والأوصياء مخلوقون من نور عظمة الله جل ثناؤه . يودع الله أنوارهم أصلابا طيبة , وأرحاما طاهرة يحفظها بملائكته , ويقدرها بعلمه فأمرهم يجلب عن أن يوصف , وأحوالهم تدق عن أن تعلم ؛ لأنهم نجوم الله في أرضه , وأعلامه في بريته , وخلفاؤه على عبادته , وأنواره في بلاده , وحججه على خلقه . يا جابر : هذا من مكنون العلم ومخزونه فاكمه إلا من أهله)).

وروى الكليني عن أبي جعفر قال : ( خلقنا الله من أعلى عليين , وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا منه , وخلق أبدانهم مما دون ذلك , وقلوبهم تهوى إلينا ؛ لأنها خلقت مما خلقنا منه , وخلق عدونا من سجين , وخلق شيعتهم مما خلقهم منه , وأبدانهم مما دون ذلك . فقلوبهم تهوي إليهم ؛ لأنها خلقت مما خلقوا منه .

ففرقت هذه الرواية بين المادة التي خلق منها الأئمة وبين بقية الخلق . ولأجل هذا وغيره مما تطفح به مصادرهم يقول الحميني : ( إن الأحاديث الماثورة في طينة أبدانهم , وخلق أرواحهم ونفوسهم , وفيما منحوا من الاسم الأعظم والعلوم , و العلوم الغيبية الإلهية من علوم الأنبياء والملائكة , ومما هو أعظم مما لا يخطر على بال أحد , وهكذا الأخبار المنقولة في فضائلهم في مختلف الأبواب من الكتب المعبرة وخاصة كتاب أصول الكافي : إن مثل هذه الأخبار الكثيرة بقدر تبعث على تحير العقول , ولم يقف أحد على حقائقهم وأسرارهم عليهم السلام إلا أنفسهم ) .

أن الأئمة قد جعل الله على أيديهم المعجزات :

المعجزة عند الاثني عشرية هي التي تميز الإمام من الدعي , وهي الدليل على صدق من نص الله عليه , وهي علامة لا يعطيها الله إلا لأنبيائه ورسله وحججه من خلقه .

ولقد حشد اثنا عشرية تجاه هذا الأمر كثيرا من المعجزات عن الأئمة ؛ ديجوها بكثير من النصوص عن الأئمة أنفسهم . وبالغوا في نسجها إلى درجة فاقت بها معجزات الأنبياء ، مما لا يخفى على عاقل كذبها واختلاقها ، كالقول بإحياء الأئمة للموتى ، وعلمهم الغيب ، وجملة من قصص شجاعتهم : التي لا يبلغها وصف واصف ، ولا يتصورها عاقل ، كقولهم إن عليا قتل يوم بدر وحده نصف القتولين ، وقتل المسلمون كافة ومعهم الملائكة البالغ عددهم ثلاثة آلاف النصف الآخر بل وشاركهم علي في قتلهم أيضا .

وفي أحد انهزم المسلمون جميعا عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ولم يبق معه إلا علي رضي الله عنه ؛ فحمل على ثلاث كئيب واحدة بعد الأخرى من المشركين وهزمهم .

وفي خيبر قلع باب الحصن واتخذة جسرا ، ولما انصرف رمى بالباب بيمناه سبعين ذراعا ، وكان الباب يغلقه عشرون رجلا ، ورام المسلمون حمله فلم يستطيعوا قلبه إلا سبعون رجلا .

في حين يروون أن عليا جبن في إعلان ولايته ، وأنه أحق بالإمامة من غيره بوصية من رسول × ، بل جاء عمر رضي الله عنه -بزعمهم- وكسر ضلع فاطمة رضي الله عنها ، وأسقط جنينها على مرأى ومسمع منه ولم يحرك ساكنا .

أن الأئمة أقوالهم وأفعالهم تشريع ، وأمرهم أمر الله ، ويدخلون من شاءوا الجنة والنار :

لما كان للإمام المكانة العالية ، والمنزلة الرفيعة عند الشيعة، وله الهيمنة على شؤون الكون ، وأن من لا إمام له يظل تائها ضالا عن جادة الإسلام، ولما للإمام من مقام عند الله تجاوز في حدوده مكانة الأنبياء ، وأن الأرض لا تخلو من إمام ؛ هاد يخلف النبي عليه الصلاة والسلام في وظائفه : من هداية الناس وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة . فلا بد حينئذ حيال تلك الاعتبارات أن يكون للإمام ( ما للنبي من الولاية العامة على الناس ؛ تدير شؤونهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم والعدوان عنهم ) . فهم خلفاء الأنبياء .

ومن هنا فدور الإمام في نظرهم يتجاوز دور التنفيذ ؛ ليكمل الشريعة وينشر ما استتر منها ، ويأتي بالتبليغ بما لم يبلغه النبي عليه الصلاة والسلام أو وكل إليه في تبليغه فلم يبلغه . يقول أحد علمائهم في هذا : ( ويعتقد الشيعة أن الله تعالى في كل واقعة حكما ، وما من عمل من أعمال المكلفين إلا والله فيه حكم من الأحكام الخمسة .

وقد أودع الله سبحانه جميع تلك الأحكام عند نبيه خاتم الأنبياء ، وعرفها النبي بالوحي من الله أو بالإلهام ، وبين كثيرا منها لأصحابه ؛ ليكونوا هم المبلغين لسائر المسلمين في الآفاق ، وبقيت أحكام كثيرة لم تحصل الدواعي والبواعث لقيامها ، وإن حكمة التدرج اقتضت بيان جملة من الأحكام ، وكتمان جملة ، وكان سلام الله عليه أودعها عند أوصيائه ؛ كل وصي يعهد بها إلى الآخر ، لينشرها

في الوقت المناسب لها حسب الحكمة ، فقد يذكر النبي عليه الصلاة والسلام لفظاً عاماً ، ويذكر مخصصه بعد برهة من حياته ، وربما لا يذكره أصلاً بل يودعه عند وصيه إلى وقته .

فالأئمة مستودع النبي عليه الصلاة والسلام وأسرار شريعته ، والمكملون لما لم يبلغه النبي عليه الصلاة والسلام لأئمة ، ولا زالت الأمة حيال ذلك في نقص من دينها حتى تبلغ الوصي بذلك الدين الذي استودعه النبي ، ومن ثم كانت أقوال الأئمة وأفعالهم شرعاً مؤيداً من الله سبحانه ، موروثاً من النبي الكريم . وقد جاءت الروايات عندهم عن الأئمة في أن قول الإمام كقول الله تعالى ، وأن الراد على الإمام كالراد على الله . ونتيجة ذلك أوجبوا طاعة الأئمة ، وتحريم معصيتهم يقول المظفر في تقرير عقيدة قومه : ( نعتقد أن أمرهم - أي الأئمة - أمر الله تعالى ، ونهيمهم نهيه ، وطاعتهم طاعته ، ومعصيتهم معصيته ، ووليه وليه ، وعدوهم عدوه ، ولا يجوز الرد عليهم ، والراد عليهم كالراد على الرسول ، والراد على الرسول كالراد على الله تعالى ، فيجب التسليم لهم ، والانتقاد لأمرهم ، والأخذ بقولهم . . ) .

ويقول الخميني : ( إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن لا تختص جيلاً خاصاً ، وإنما هي تعاليم للجميع في كل عصر ومصر إلى يوم القيامة ، يجب تنفيذها وإتباعها ، وأنه لا يتصور فيهم السهو والغفلة ) .

وقد تعدى بهم الأمر في ذلك ليس إلى فرض الطاعة وتحريم معصية الأئمة وحسب ، بل إلى ما هو أعظم من ذلك بكثير ؛ فقد ذهب هؤلاء إلى أن الأئمة يملكون الدنيا والآخرة وأن الجنة والنار بأيديهم

يدخلون من يشاءون الجنة , ويدخلون من يشاءون النار , وأن أعمال العباد تُعرض عليهم في الليل والنهار، وإن الملائكة تأتيهم , وتنزل عليهم وأنهم يملكون الدنيا والآخرة ، فيعطون من شاءوا ما شاءوا، وأنهم لا يموتون، إلا بإذنهم وباختيارهم.

### أوجه الشبه بين الاثني عشرية وفرق الباطنية في منزلة الإمام

يحمل الشيعة على وجه العموم في نفوسهم سواء من جهة الاثني عشرية أو الباطنية الغلاة بجميع أطرافها يحمل كل هؤلاء القداسة في نفوسهم لمسألة الإمامة والإمام بل هي من أعظم الملامح المشتركة بين الطائفتين .

فهي نقطة الالتقاء المشترك الذي جمع الاثني عشرية وفرق الباطنية في بوتقة واحدة , وقد كان الأثر اليهودي على الفريقين في تأسيس هذه القداسة وتعزيزها بارزا لكل متعمق في فكر هؤلاء , حتى غدت عقيدة يدين بها هؤلاء , وفكرا أساسيا لكل من يدين الله بهذا المعتقد , ولا يشذ عنه إلا من نبز المذهب ورمى به خلفه .

ومن نقاط الالتقاء والتشابه - والتي لها أثر بين في هذا الباب - أن كلا من الطائفتين الاثني عشرية وفرق الباطنية أثر الغلو تجاه الأئمة ظاهر فيها , فالغلو الذي كان من أعظم الأسباب في هلاك الأمم قبلنا غدا أثرا واضح المعالم في الفكر الشيعي الإمامي على وجه الخصوص , فحين رفع الباطنية الإمام فوق المنزلة التي جعلها الله له إلى درجة تجاوز فيها حدود البشرية , حتى وصل على عتبات الربوبية ؛



فوصفوا الأئمة بصفات اختص الله بها , ووضعوا صفات الله التي ورد ذكرها في كتابه صفات  
للأئمة , ووسموا أئمتهم بأسماء الله تعالى الحسنى التي تفرد بها .

وفي الوقت نفسه نجد أن هذا المنحنى الخطر سلكه في الوجه المقابل الاثنا عشرية تجاه أئمتهم حتى  
أصبح هذا الأمر من مبدئيات وبدهيات المذهب , بل أصلا من أصول المذهب الاثني عشري , ولقد  
كان من جراء هذا الالتقاء بواعث اشتراك عقائدي في مسائل أخر تجاه الإمام من الطرفين الاثني عشري  
والباطني ومن أبرز هذه المعالم :

ادعاء أن الأئمة يعلمون الغيب , وأن بيدهم ملك السموات والأرض والدنيا والآخرة بل والجنة والنار .  
وهذا المعلم ظهر جليا عند الاثني عشرية في النصوص التي تم عرض بعض منها من أصح مصادرهم  
المسندة مما مر ذكره .

كما أن هذا الزعم مما توارد الاعتقاد به لدى الباطنية سواء من طرف العلوية النصيرية أو الإسماعيلية  
السبعية وقد سبق بيان ذلك .

ومن معالم هذا الالتقاء بين الطائفتين في مسألة الإمام : اشتراك كلا منهما في القول :

بأن الأئمة أفضل من الأنبياء والمرسلين ، ومن الملائكة المقربين . وهذا هو الذي استقر عليه المذهب في آخر مطافه عند الاثني عشرية ؛ هو مقرر بذاته عند الباطنية الإسماعيلية والنصيرية على حد سواء وقد سبق إيراد جملة من أقوالهم في هذا .

ومن المعالم أيضا اتفاق الطائفتين على أن الأئمة خلقوا من نور الله ، وأن طينة خلقتهم مغايرة لطينة غيرهم .

ومن المعالم أيضا اتفاق الطائفتين على الأئمة بيدهم ملك شيء وأن لهم التشريع وإكمال ما كان ناقصا من الدين لأن الرسول عليه الصلاة والسلام عهد إليهم ذلك دون الناس .

ومنها أن الأئمة قد جعل الله على أيديهم من المعجزات ما تبهر بها العقول ، وتدعن لها النفوس ، وأن الله جعل لهم من المعجزات ما قد تفوق في كثير منها ما جعله الله على يد أنبيائه وخيرة رسله .

هذا قليل من أوجه اللقاء والاتفاق بين الطائفتين ، وهي تحمل في طياتها كثيرا من المعالم الواضحة التي تنبئ بأن هذا المذهب مختلف مفترى يراد به هدم الدين من أعظم أصوله التي تميزه عن كل دين سواه .

### بنية العقل الباطني الشيعي

## المبحث الثالث

### المحور الرابع العصمة

#### القول بعصمة الأئمة

تمهيد في نشأة القول بعصمة الأئمة

القول بعصمة الإمام وأنه لا يجوز عليه الخطأ والزلل في حال من الأحوال، ولا يلحقه سهو ولا غفلة في كل الفعال، لم يعرف في عصر الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى زمن خروج هشام بن الحكم الرافضي الشيعي، والشيعي الآخر شيطان الطاق والذي تسميه الشيعة (مؤمن آل محمد) وكلاهما من المعاصرين لجعفر الصادق، حيث أبتدع حينئذ القول بعصمة الأئمة كما جزم به المؤرخون منهم، ولعل هذه العقيدة عرفت عند الشيعة منهم.

ومبدأ العصمة موروث الشيعة ورثته عن الديانة المجوسية، ذلك أن المجوسية تدعي في منتظرهم الذي ينتظرون وأصحابه أنهم لا يكذبون، ولا يعصون الله، ولا يقع منهم خطيئة صغيرة ولا كبيرة، نفس المبدأ الذي تبنته الإمامية.

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن معتقد العصمة تجذر في الإمامية من آراء ابن سبأ ، غير أن المتأمل لفكر ابن سبأ ، وإن نقل عنه ما يؤدي إلى القول بالعصمة وأعظم وهو القول بألوهية علي لكنه لم ينقل عنه القول بالعصمة فيما يظهر حسب النظرية الإمامية .

والذي يظهر أن بذرة فكرة القول بالعصمة كانت من هشام بن الحكم ، فقد سئل من أحد أتباعه - فيما حكاه القاضي عبد الجبار المعتزلي - عن قوله: (إن الإمام لا يكون إلا معصوماً) .

ويقول شيعي آخر يدعى ابن أبي عمير: ( ما استقدت من هشام بن الحكم في طول صحبتي إياه شيئاً أحسن من هذا الكلام في عصمة الإمام ، وهو: أن الإمام لا يذنب؛ لأن منافذ الذنوب الحرص والحسد والغضب والشهوة، وهذه الأوجه منتفية عن الإمام) .

ولكن هذا المفهوم ليس هو الذي استقر عليه المذهب لاحقاً ، بل هو بداية مرحلة فكرية لم تنزل في تطور وتدرج ، حتى تجاوزت في صياغتها الأخيرة هذا المفهوم ؛ حيث تجعل كلام الإمام وحياً يوحى ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتنفي عنه العوارض البشرية من السهو والغفلة والنسيان لتخرج به من طور المخلوقين إلى صفات خالق البشر .

والذي دعا الشيعة إلى القول بالعصمة , ودفعهم إلى تبنيه , هو خطوهم في إعطاء الأئمة وظائف لم تكن معهودة عند أهل الإسلام , إذ أسندوا إليه حفظ الشريعة , والقيام عليها بعد النبي عليه السلام ؛ فهو الذي يفسرها , ويبين غامضها , ويقيد مطلقها , ويمنع الشريعة من التحريف والضلal فيها .

يقول الشريف المرتضى : ( لقد ثبت عندنا وعند مخالفينا أنه لا بد من إمام في الشريعة ؛ يقوم بالحدود وتنفيذ الأحكام . وإذا ثبت ذلك وجبت عصمته , لأنه لو لم يكن معصوما وهو إمام فيما قام به من الدين , الذي من جملة ؛ إقامة الحدود وغيرها , وواجب الاقتداء به من حيث قام وفعل , لجاز وقوع الخطأ منه في الدين , ولكنا إذا وقع منه ذلك مأمورين بإتباعه والاقتداء به في فعله , وهذا يؤدي إلى أن نكون مأمورين بالقبيح على وجه من الوجوه . وإذا فسد أن نكون مأمورين بالقبيح وجب عصمة من أمرنا بإتباعه والاقتداء به في الدين ) .

وقد رتبوا أدلتهم على هذا الأساس . فقالوا: إن الأمة لا بد لها من رئيس معصوم يسد خطاها، فلو جاز الخطأ عليه لزم له آخر يسدده فيلزم التسلسل , فحينئذ يلزم القول بعصمة الإمام؛ لأن الثقة عندهم بالإمام لا بالأئمة . وقالوا بأنه هو الحافظ للشرع، ولا اعتماد على الكتاب والسنة والإجماع بدونه... إلخ.

والمقصود أن القول بالعصمة للأئمة مقولة مجوسية المنشأ تجذرت في المذهب الشيعي منذ بزوغه على يد ابن سبأ أو هشام بن الحكم , ولم يزل التطور يكتنفها حتى أصبحت من أصول المذهب التي لا يصح المذهب بدونها .

## عصمة الإمام عند الشيعة الاثني عشرية

لمسألة العصمة أهمية كبرى عند الشيعة الاثني عشرية، فهي من أهم المبادئ الأولية في كيانهم العقدي وقد عقد الكليني في الكافي مجموعة من الأبواب في معنى العصمة المزعومة، ساق فيها أخباراً بسنده عن الاثني عشر يدعون فيها أنهم معصومون بل وشركاء في النبوة، بل ويتصفون بصفات الألوهية وساق المجلسي في بابه الذي عقده في شأن العصمة ثلاثاً وعشرين رواية من روايات شيوخ المذهب كالقمي، والعباشي والمفيد وغيرهم مما يدل على عظيم مكانتها عندهم .

وقد مر معنا فيما سبق تعريف العصمة للأنبياء وأن المقصود منها المنع من الوقوع في الرذائل وكبائر الذنوب ولا يعني ذلك منع الوقوع في الصغائر .

غير أن عصمة الأئمة في معتقد الشيعة الإمامية ليس كما هو الحال في الأنبياء والرسل، بل تنحى منحى آخر لم يبلغوا فيه منزلة العصمة عند الأنبياء فحسب بل تجاوزوه إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير . يقول شيخهم المجلسي (اعلم أن الإمامية اتفقوا على عصمة الأئمة - عليهم السلام - من الذنوب - صغيرها وكبيرها - فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمداً ولا نسياناً ، ولا الخطأ في التأويل ولا الإسهاء من الله سبحانه) .

فهي عصمة في كافة الأمور المتصورة:

-العصمة من المعصية كلها صغيرة كانت أو كبيرة .

-العصمة من الخطأ .

-العصمة من السهو والنسيان .

وهذه الصورة للعصمة التي يعتقدونها هؤلاء لم تكن لأنبياء الله ورسوله من قبل ، كما يدل على ذلك صريح القرآن، والسنة، وإجماع الأمة ، بل إن التنفي المطلق للسهو والنسيان عن الأئمة تشبيه لهم بمن لا تأخذه سنة ولا نوم، ولهذا قيل للرضا الإمام الثامن الذي تدعي الشيعة عصمته : (إن في الكوفة قومًا يزعمون أنّ النبيّ عليه الصلاة والسلام لم يقع عليه السهو في صلاته، فقال: كذبوا - لعنهم الله - إنّ الذي لا يسهو هو الله الذي لا إله إلا هو) .

وهذا النص - إن صح - من الممكن أن نستقري منه بأن نفي السهو - والذي أصبح من أسس مفهوم العصمة عند الاثني عشرية المتأخرين - كان في عصر الرضا عقيدة لقوم ينتسبون للتشيع، لم يذكر لهم اسم لقلتهم أو حقارتهم أو شناعة قولهم، قد قوبل تصورهم هذا للعصمة باللعن والتكذيب والتكفير من إمام الشيعة نفسه؛ لأن في هذا تشبيهاً للرسول عليه الصلاة والسلام أو المعصوم بمن لا تأخذه سنة ولا نوم، فماذا يقول الرضا إذاً فيمن يطلق هذا الوصف عليه؟ وعلى آخرين معه من أجداده وأبنائه؟

ولم تقف مسألة العصمة عند حد نفي المعصية عن الإمام بل تجاوزت ذلك ، فهذا ابن بابويه يقرر عقيدة الشيعة في العصمة فيقول: (اعتقادنا في الأئمة أنهم معصومون مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر، واعتقادنا فيهم أنهم معصومون ، موصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل أمورهم وأواخرها، لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا عيبان ولا جهل).

فهو هنا ينفي المعصية، والجهل والنقص، ويثبت الكمال الذي يلزمهم من أول حياتهم إلى آخرها، ويكفر من خالف ذلك وهذا التصور هو الذي لعن الإمام الرضا قائله.

غير أن ابن بابويه لم يصرح بنفي السهو عن الأئمة كما فعل المجلسي وشيوخ الشيعة المتأخرون، بل نصّ على أنّ نفي السهو عن النبيّ عليه الصلاة والسلام هو مذهب الغلاة والمفوضة، فيقول: (إنّ الغلاة والمفوضة - لعنهم الله - ينكرون سهو النبيّ - - يقولون: لو جاز أن يسهو في الصلاة لجاز أن يسهو في التبليغ؛ لأن الصلاة فريضة كما أن التبليغ فريضة. وليس سهو النبيّ × كسهونا؛ لأن سهوه من الله عز وجل ، وإنما أسهاه الله ليعلم أنّه بشر مخلوق فلا يتخذ رباً معبوداً دونه، وليعلم الناس بسهوه حكم السهو، وكان شيخنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد يقول: أول درجة في الغلو نفي السهو عن النبيّ الكريم وأنا أحسب الأجر في تصنيف كتاب مفرد في إثبات سهو النبيّ والرّد على مُنكره).



ومن هنا يعلم أن نفي السهو هو مما أضافه الشيعة المتأخرون إلى مسألة العصمة، ولذلك فإن نصوصهم الموضوعية سلفاً عن الأئمة تخالف ذلك، فأبو عبد الله كان يقول - لما ذكر له السهو - : (أو ينفلت من ذلك أحد؟ ربما أفعدت الخادم خلفي يحفظ عليّ صلاتي) .

ومن الغريب أنهم يحتجون بإجماعهم رغم أنه منقوض بمخالفة من قبلهم له غير أن الغلو الذي هتك مذهبهم جرهم إلى القول بـ (أن أصحابنا الإمامية أجمعوا على عصمة الأئمة - صلوات الله عليهم - من الذنوب الصغيرة والكبيرة عمداً وخطأً ونسياناً من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله عز وجل) . ولقد احتار المجلسي - وهو يرى النصوص التي تخالف إجماع أصحابه - فقال: (المسألة في غاية الإشكال لدلالة كثير من الأخبار والآيات على صدور السهو عنهم، وإطباق الأصحاب إلا من شذ منهم على عدم الجواز) .

ولا شك أن هذا دليل واقعي واعتراف صريح في أنهم يجمعون على ضلالة، بل وعلى ما يقابل صحيح أدلتهم التي سطرتها كتبهم عن الأئمة .

لقد كان هذا المعتقد في نظر الشيعة في القرن الرابع يمثل الاتجاه الغالي المتطرف حتى اعتبر شيخهم ابن بابويه القمي أن علامة الغلو في التشيع هو نفي السهو عن الأئمة . وقال: (إن الغلاة والمفوضة لعنهم الله ينكرون سهو النبي عليه الصلاة والسلام) .

وعد من ينكر سهو الأئمة أنه أغرق في الغلو والتطرف . كما أقر شيخهم المجلسي (بدلالة كثير من الأخبار والآيات على صدور السهو منهم) . ولكن متأخريهم أطبقوا على مخالفته باعتقاد أن الأئمة لا يسهون، ولهذا رأى المجلسي أن هذه (المسألة في غاية الإشكال) .

وقد سار المعاصرون على خطى المتأخرين ، مخالفين بذلك أخبار الشيعة نفسها وما قاله كبار شيوخهم المتقدمين . فهذا شيخهم المقاني يؤكد أن نفي السهو عن الأئمة أصبح من ضرورات المذهب الشيعي . وهو لا ينكر أن من شيوخهم السابقين من يعتبر ذلك غلواً، لكنه يقول: (إن ما يعتبر غلواً في الماضي أصبح اليوم من ضرورات المذهب) .

ويعتبر المظفر مقالة : أن الأئمة لا يسهون من عقائد الإمامية الثابتة، ولا يذكر أدنى خلاف بينهم في ذلك ، والخنيزي يؤكد على هذه المقالة ولا يتقي في ذلك ، والخميني أيضاً يسير المنوال نفسه فيقرر نفي مجرد تصور السهو في أئمة .

وإذا كانت دعوى عصمة الأئمة تعني الارتفاع بالأئمة إلى مقام رسول الله  $\times$  في القول والفعل كما صرحوا بذلك ، فإن دعوى أن الأئمة لا يسهون أو لا يتصور فيهم السهو هو تأليه لهم . ولهذا قال شيخهم ابن بابويه: إن الله سبحانه أسهى نبيه (ليعلم أنه بشر مخلوق فلا يتخذ رباً معبوداً دونه) .

ولكن الزمرة المتأخرة المعاصرة لم تكثرت لما قاله ابن بابويه ، وشرعوا يعدون هذا من ضروريات المذهب، وقد قرر شيخهم محسن الأمين أن منكر ما هو ضروري في التشيع كافر عندهم .  
ومعنى هذا أن متأخريهم يُكفرون مُتَقَدِّمِيهِم لِإِنْكَارِهِم ما هو من ضروريات مذهب التشيع،  
ومتقدموهم يلعنون متأخريهم لأخذهم بمذهب الغلاة المفضضة للمعويين على لسان الأئمة . فلعلت كل  
أمة أختها كل حزب بما لديهم فرحون .

ولا ندري يا ترى من الذي صدق في هذه المسألة المتقدمون أم المتأخرون ؟ ومن هو الذي يُعَبِّرُ عن  
مذهب الشيعة الإمامية منهم ؟ إذ كل يزعم أن ما يقوله هو مذهب الطائفة .

### **أوجه الشبه بين معتقد الاثني عشرية و فرق الباطنية في عصمة الإمام**

بعد عرض معتقد الاثني عشرية والإسماعيلية و النصيرية من فرق الباطنية في عصمة الأئمة ؛ يظهر من  
خلاله أن هناك قواسم مشتركة بين الطائفتين يمكن من خلالها أن ندرك وحدة المعتقد بين الطائفتين في  
مسألة الإمامة . و وجود قوة خفية في تأثير إحدى الطائفتين على الأخرى على أقل تقدير ، أو القول  
بأن كلا من الطائفتين تأثرتا بفكر واحد أخذتا عنه ، وكان له الأثر في هذا المساق الذي سيقى إليه  
كل من الطائفتين .

ويمكن أن نجمل أوجه الشبه بين الطائفتين في مسألة عصمة الإمام من عدة وجوه منها :

I- اشتراك كل من الطائفتين في الغلو في الأئمة , ورفعهم إلى منزلة مساوية لمنزلة الأنبياء , إن لم تكن أرفع منها .

وهو بلا شك منحى خطر وقع في مستنقعه كل من قال بالعصمة لغير الأنبياء من البشر . ففي حين ترى الاثنا عشرية استمرار القول بالعصمة في الأئمة نراه كذلك متجذرا عند الباطنية الإسماعيلية والنصيرية .

وفي الوقت نفسه نرى أن عصمة الأنبياء لا تكون مصحوبة معهم منذ ولادتهم كما هو الحال في الأئمة . وهذا ظاهر عند الاثني عشرية و فرق الباطنية , ولا شك أن القول بهذا يدل على أنهم يرون أن عصمة الأئمة أعظم من عصمة الأنبياء وأعلى رتبة .

2- أثر الديانة المجوسية في معتقد الشيعة الاثني عشرية و فرق الباطنية في مسألة العصمة . فمن معتقدات المجوس في منتظرهم القادم , الأمر الذي تسرب للفكر الاثني عشري ما كان عالقا في أذهان فارس ممن أسلموا أو دخلوا في الإسلام لقصد تدميره من داخله , لا سيما إذا كان في الاعتبار ما دعا إليه ابن سبأ من تقديس لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه , ورفع له مقام الألوهية .

فامتزاج الفكرتين تحت سقف واحد لا يمنع من أن يولد فكرة القول بالعصمة .

3- اشتراك كل من الاثني عشرية وفرق الباطنية في القول بعصمة الأئمة وعدها من أصول الدين التي يجب اعتقادها , وأن عصمتهم ملازمة لحالهم منذ ولادتهم حتى وفاتهم .

4- اتفاق الطائفتين في القول في حقيقة ماهية عصمة الأئمة , وأنها في كافة الأمور المتصورة العصمة منها ؛ في المعصية صغیرها وكبیرها , وفي العصمة من الخطأ مطلقاً , وفي العصمة من السهو والنسيان هذه أهم المسائل التي اشترکت فيها الطائفة الاثنا عشرية في اعتقادها في عصمة الأئمة , والتي وافقت فيها فرق الباطنية من الإسماعيلية والنصيرية .

### عصمة الأنبياء

أوجه الشبه بين معتقد الاثني عشرية وفرق الباطنية في عصمة الأنبياء

العصمة في اللغة :

المنع والحفظ , يقال عصمه الطعام ؛ أي منعه من الجوع , وعصمته فأنعصم .

وعصمة الله لعبده : أن يمنعه ما يوبقه . وَعَصَمَهُ يُعْصِمُهُ عَصْمًا : منعه ووقاه , واعتصم به واستعصم : امتنع وأبى .

يقول الفيروز آبادي: ( عَصَمَ يُعْصِمُ : اكْتَسَبَ، وَمَنَعَ، وَوَقَى . وَالْعِصْمَةُ، بالكسر: الْمَنَعُ . وَالْقِلَادَةُ ) .

وأما في الشرع :

فكما يقول الراغب : هي ( حفظ الله تعالى إياهم بما خصهم به؛ من صفاء الجوهر , ثم بما أولاهم من الفضائل النفسية والجسمية , ثم بالنصرة , وتشبث لأقدامهم , ثم بإنزال السكينة عليهم , وحفظ قلوبهم , وبالتوفيق ) .

وقال ابن حجر في ذلك: ( حفظهم من النقائص , وتخصيصهم بالكماليات النفسية , والنصرة والثبات في الأمور , وإنزال السكينة عليهم) .

ولم يتطرق تعريفهما رحمهما الله للوحي في العصمة ولا صدور الذنوب منهم كبيرة كانت أو صغيرة ،  
فحفظ ظاهرهم وبواطنهم مما تستبجحه الفطر السليمة قبل النبوة وبعدها .

ولا بد أن يكون في عين الاعتبار عند التعريف ؛ حفظهم من الكبائر وصغائر الخسة ، وتوفيقهم للتوبة  
والاستغفار من الصغائر ، وعدم إقرارهم .

كذلك لا بد أن يكون في عين الاعتبار : من عصمتهم من الخطأ فيما يبلغون به عن الله من الشرع  
كذلك .

ومن هنا فالتعريف المعبر في تعريف العصمة : هو حفظ الله تعالى لأنبيائه من النقائص ومما تستبجحه  
النفوس من صغائر الذنوب وكبيرها وتمكينهم من التوبة مما صدر منهم من الذنوب غير المتعمدة ،  
وصيانة ما يوحيه الله إليهم من الشرع والوحي .

وتوضيح ذلك : أنه لما كان الشرع لا يُعرف إلا عن طريق الأنبياء فهم الصلة بين الله تعالى وبين خلقه  
فيما يريد سبحانه منهم ، ولا يمكن تحقيق شرع الله ودينه الذي ارتضاه إلا عن طريقهم وإتباعهم ،  
فكان لزاما لذلك أن يكون الأنبياء معصومين عن الخطأ ؛ وذلك حتى يقتدى بهم ولا يتبعون على  
الخطأ .

فالأنبيااء بلغوا الذروة في الكمال البشري من حيث امتثالهم لأوامر الله تعالى ، وإعمالهم للوحي المنزل عليهم ، وأنهم موصوفون بالعصمة التي تقضي بالتزامهم بأوامر الله تعالى والابتعاد عن مناهيه ، وهذا مجد ذاته لا يمنع من وقوعهم في بعض الصغائر التي تدل على بشريتهم ، وليس فيه ما ينقص من كمالهم الواجب لهم ، فالعصمة في حقهم تكون ملازمة لهم على جهة الكمال فيما يتعلق بتبليغ الوحي والرسالة ، أما ما خلا ذلك فلا يتمتع عنهم الوقوع في بعض الصغائر ، التي يظهر لهم مخالفتها ؛ فيرجعون عنها على جهة الفور ، وبهذا تنتفي حجة كون جواز وقوعهم في الذنب تشريعاً له ، فإن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء ، وقد جاءت الأدلة على استغفارهم من الذنب بعد ارتكابهم إياه ، كما حصل لآدم عليه السلام وموسى عليه السلام حين وكر الرجل القبطي ؛ نصرته للذي من شيعته فوق ميثاً وكذلك ما كان من نوح عليه السلام حين سأل الله تعالى وعده بنجاة أهله بعد غرق ولده وغيره مما لا مجال لحصره الآن .

ومن كل ما سبق يعلم أن الخطأ ولو حصل وقوعه منهم فإنه يبيّن ولا يقر عليه مجال ، ومن المعلوم أن الإتيان يكون فيما حصل عليه الإقرار ، أو تأتي له الثبات دون المنسوخ أو المبين خطؤه بالاستغفار

منه .



وعليه فإن العصمة التي تكون للأنبياء في حال تبليغهم عن الله تعالى تقتضي أن لا يقر أحدهم على خطأ مهما كان ، لا أن يمتنع عن أحدهم الخطأ ؛ لأن هذا مما لا يمكن في أحوال البشر ، ( فإن من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا × مجمعون على أنه لا يقر على منكر من قول أو فعل ) .

يقول ابن حزم رحمه الله : ( ذهب جميع أهل الإسلام من أهل السنة وغيرهم إلى أنه لا يجوز البتة أن يقع من نبي أصلا المعصية بعمد لا صغيرة ولا كبيرة ، وهو الذي ندين الله تعالى به ، ولا يحل لأحد أن يدين بسواه ، ونقول : إنه يقع من الأنبياء السهو عن غير قصد ، ويقع منهم أيضا قصد الشيء يريدون به وجه الله تعالى ، التقرب به منه ، فيوافق خلاف مراد الله تعالى إلا أنه تعالى لا يقر على شيء من هذين الوجهين أصلا ، بل ينبههم على ذلك ولا بد إثر وقوعه منهم ، ويظهر عز وجل ذلك لعباده وبينه لهم ) .

ويقول أيضا ( والأنبياء عليهم السلام لا يعصون الله تعالى لا بكبيرة ولا صغيرة على سبيل العمد ؛ لأنهم معصومون ، والناس مأمورون بالاعتداء بهم ، ولا يجوز الأمر بالاعتداء بمن يعصي ) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الجانب : ( والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة ، فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين ) .

فإن ( اليقين التام وانتفاء الوسوس هو الغالب على أنبياء الله سبحانه , وحصوله موهبة من الله تعالى , ويندر خلاف ذلك منهم ؛ لحكمة الله تعالى , ولو لم يكن إلا لتأسي المؤمنين بهم , وعدم انكسار نفوسهم ) .

أما امتناع واقعة الكبائر في حقهم ؛ فهذا مما أجمعت عليه طوائف المسلمين , يقول في ذلك شيخ الإسلام : ( والقول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف , حتى أنه قول أكثر أهل العلم وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء , بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول ) .

ومما ينبغي التنبيه إليه في هذا الباب أن العصمة من خصائص الرسل فليس لبشر العصمة فيما يصدر منه أيا كان , فأهل السنة وهو الحق الذي لا مزية فيه لا ينسبون العصمة لغير الأنبياء والمرسلين , حتى أفضل هذه الأمة بعد نبينا x ؛ الصحابة رضوان الله عليهم ومنهم أبو بكر وعمر ليسوا بمعصومين , وقد قال الخليفة الراشد الأول أبو بكر الصديق في أول خطبة يخطبها بعد توليه الخلافة : ( أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم , فإن أحسنت فأعينوني , وإن أخطأت فقوموني ) وعندما اعترضت امرأة على عمر بن الخطاب في أمر تحديد المهور بين المسلمين قال رضي الله عنه : أصابت امرأة وأخطأ عمر .

ومن خلال ما سبق يمكن أن نستخلص ما يلي :

أن العصمة مما اختص به الأنبياء صلوات الله عليهم لا يشركهم فيها أحد غيرهم مهما كانت مكاتته في الإسلام.

أن العصمة منهم صلوات الله عليهم فيما يبلغون به عن الله من الوحي والشرع , فلا ينسوا شيئاً مما أوحاه الله إليهم .

أن الأنبياء معصومون من الكبائر ومن صغائر الذنوب المستقبحة المستقدرة مع عدم إقرارهم عليها بل يمكنهم الله سبحانه من التوبة منها وقد حكي الإجماع في ذلك كما ظهر من كلام ابن تيمية وابن حزم رحمهما الله تعالى .

أن العصمة لا تنافي بشريتهم وتكليفهم وصدور النسيان غير المتعمد وصدور صغائر الذنوب غير المتعمد منهم .

### عصمة الأنبياء عند الاثني عشرية

لم تسر الإمامية على خطى واضحة المعالم في مسألة عصمة الأنبياء , فمساها فيها لا يعدو غيرها من المسائل ؛ المتخبطة التي كانت ولا تزال منهجا للمذهب الإثني عشري , ففي حين تغلو في جانب من الجوانب , نجد أنها بإزاء هذا الجانب تطرف فيما يقابل هذا الغلو . بما يظهر تناقضها وتخبؤها وانحرافها عن الطريق السوي .

وهو منهج لازم لكل من اتجه غير طريق السلف الصالح المبني على الكتاب والسنة ، ولا أشد أسمى ،  
وأعظم ألماً من أن تجد هذا التناقض تسطره يراع المنتسبين إلى هذه الطائفة ، فقد روى الكليني عن  
زرارة بن أعين عن أبي جعفر - رضي الله عنه - قال زرارة : (سألته عن مسألة فأجابني ، ثم جاءه  
رجل فسأله عنها ، فأجابه بخلاف ما أجابني ، ثم جاءه رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابني  
وأجاب صاحبي ، فلما خرج الرجلان . قلت: يا ابن رسول الله ، رجلان من أهل العراق من شيعتكم  
قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبته صاحبيه ؟ فقال : يا زرارة إن هذا خير لنا  
ولكم ، ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدقكم الناس علينا ، ولكن أقل لبقائنا وبقائكم) .  
وأحياناً يفتي في تفسير آية من كتاب الله بثلاثة أجوبة مختلفة متباينة ، ويزعم أن هذا قد فوض إليه ،  
يقولون فيه ما يشاؤون .

أما الأمثلة على الاختلاف والتناقض في أقوال الأئمة فهو باب واسع ، وكان هو الآخر من أكبر أسباب  
انصراف بعض الشيعة من التشيع ، وقد شهد بذلك شيخ الطائفة الطوسي ؛ فقال: بأن أخبارهم  
متناقضة متباينة مختلفة حتى لا يوجد خبر إلا بإزائه ما يضاده ، ولا رواية إلا ويوجد ما يخالفها ، وعدّ  
ذلك من أعظم الطعون على المذهب الشيعي ؛ ومن أسباب مفارقة بعض الشيعة للمذهب .

وقد ذكر النوبختي في فرق الشيعة : أن رجلاً من الشيعة يدعى عمر بن رباح ذهب ليسأل إمامه ،  
فلما أفتاه عاد إليه من قابل ، فسأله عن نفس المسألة ، فأفتاه بخلاف الجواب الأول . فاستكر ذلك ،

وقال: هذا خلاف ما أجبتي في هذه المسألة العام الماضي ؟ فقال له: إن جوابنا خرج على التقية، فتشكك في أمره وإمامته. ثم خرج من عنده ولقي أحد الشيعة - يدعى محمد بن قيس - وقص عليه ما حدث، وقال له: وقد علم الله أنني ما سألته عنها إلا وأنا صحيح العزم على التدين بما يقيني به وقوله في العمل به، فلا وجه لانتقائه إياي وهذه حالي، فقال له محمد بن قيس: فلعله حضرك من انتقاه؟ فقال: ما حضر مجلسه في واحدة من المسألتين غيري، ولكن جوابه جميعاً خرجا على وجه التبخيت كذا ولم يحفظ ما أجاب به في العام الماضي فيجيب بمثله، فرجع عن إمامته وقال: لا يكون إماماً من يفتي بالباطل.

والمقصود أن الإمامية الاثني عشرية لم تحصر العصمة في الأنبياء والرسل، وأنها مما اختصت بها رسل الله، بل تعدى ذلك إلى شمول الأئمة من آل البيت، وأنهم معصومون كالأنبياء.

يقول المفيد في تعريف العصمة: (إن الذي أذهب إليه في هذا الباب إنه لا يقع من الأنبياء عليهم السلام ذنب بترك واجب مفترض، ولا يجوز عليهم خطأ في ذلك. ولا سهو يوقعهم فيه، وإن جاز منهم ترك نفل و مندوب إليه على غير القصد والتعمد، ومتى وقع ذلك منهم؛ عوجلوا بالتنبية عليه فيزولون عنه في أسرع مدة وأقرب زمان، فأما نبينا صلى الله عليه وآله وسلم خاصة والأئمة من ذريته عليهم السلام فلم يقع منهم صغيرة بعد النبوة والإمامة، من ترك واجب، ولا مندوب إليه، لفضلهم على من

تقدّمهم من الحجج عليهم السلام ، وقد نطق القرآن بذلك ، وقامت الدلائل منه ومن غيره على ذلك  
للأئمة من ذريته عليهم السلام) .

فيجوز على الأنبياء ترك نفل ومندوب إليه ، غير أنه بإزائه ينفيه عن الأئمة المعصومين من آل البيت في  
إشارة منهم إلى كون مرتبتهم أعلى من رتبة الأنبياء .

ويقول أيضا : (اعتقادنا في الأئمة أنهم معصومون مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون ذنبًا صغيرًا ولا  
كبيرًا، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد  
جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر، واعتقادنا فيهم أنهم معصومون موصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل  
أمورهم وأواخرها، لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا عسيان ولا جهل) .

فهو هنا ينفي المعصية، وأيضًا الجهل والنقص، ويثبت الكمال الذي يلزمهم من أول حياتهم إلى آخرها،  
ويكفر من خالف ذلك. ويقول المرتضى في تعريفه للإجماع (إنما قلنا : إن إجماعهم حجة لأن في إجماع  
الإمامية قول الإمام الذي دلت العقول على أن كل زمان لا يخلو منه ، وأنه معصوم لا يجوز عليه الخطأ في  
قول ، ولا فعل) .

ويقول الطوسي: (ويجب في النبي العصمة ليحصل الوثوق فيحصل الغرض) . ثم أضاف: (وكمال العقل والذكاء والفتنة وقوة الرأي وعدم السهو ، وكلّ ما ينفر عنه ، من دناءة الآباء ، وعهر الأمهات ، والفظاظة والغالظة ، والأبنة وشبهها ، نحو الأكل على الطريق وشبهه ) .

ثم قال عصمة الإمام : ( وامتناع التسلسل يوجب عصمته ، ولأنه حافظ للشرع ، لوجوب الإنكار عليه لو أقدم على المعصية فيضاد أمر الطاعة ، ويفوت الغرض من نصبه ، ولا انحطاط درجته عن أقل العوام ) .

وقال المقداد: (وأصحابنا حكموا بعصمتهم مطلقاً قبل النبوة وبعدها عن الصغائر والكبائر عمداً وسهواً ، بل وعن السهو مطلقاً ، ولو في القسم الرابع ، وتقصد به الأفعال المتعلقة بأحوال معاشهم في الدنيا مما ليس دينياً ) .

وقال الشيخ بهاء الدين في جواب « المسائل المدنية » : ( عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام من السهو والنسيان ، مما انعقد عليه إجماعنا ) .

وتقولهم في هذا الباب أكثر من أن تحصر وبه يعلم أن العصمة ليست خاصة بالأنبياء بل يدخل فيها الأئمة .

وهي في الأئمة ليست في التبليغ والوحي فحسب بل كل ما يصدر منهم من أعمال وأقوال هي داخل في العصمة .

ومن كل ما سبق يعلم أن الإمامية لم تحصر العصمة في الأنبياء والرسل بل يدخل معهم في ذلك الأئمة من آل البيت ، كما أن عصمة الأئمة ليست كعصمة الأنبياء والرسل بل عصمتهم أعظم فهي ملازمة لهم من ولادتهم وهي في كل شيء .

وأمر آخر في هذا الباب أشار إليه المفيد في قوله آف الذكر وهو أن عصمة الأنبياء لا تنافي جواز ترك نفل منهم ، أو مندوب إليه ؛ على غير القصد والتعمد منهم . أما النبي × والأئمة من بعده فلا يقع منهم صغيرة فضلا عن غيرها من الذنوب

وقد انعقد إجماعهم على ذلك يقول المجلسي: (إن أصحابنا الإمامية أجمعوا على عصمة الأئمة - صلوات الله عليهم - من الذنوب الصغيرة والكبيرة عمدًا وخطأً ونسيانًا من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله عز وجل).

وأما السهو والنسيان فابن بابويه يعظم الخطب عنده على من ينفي السهو عن الرسول × ويعده من الغلاة الملعونين حيث نصّ على أنّ نفي السهو عن النبي عليه الصلاة والسلام هو مذهب الغلاة والمفوضة، يقول: (إنّ الغلاة والمفوضة - لعنهم الله - ينكرون سهو النبي عليه الصلاة والسلام يقولون: لو جاز أن



يسهو في الصلاة لجاز أن يسهو في التبليغ؛ لأن الصلاة فريضة كما أن التبليغ فريضة . . وليس سهو النبي صلى الله عليه وسلم كسهونا؛ لأن سهوه من الله عز وجل وإنما أسهاه الله ليعلم أنه بشر مخلوق فلا يتخذ رباً معبوداً دونه، وليعلم الناس بسهوه حكم السهو، وكان شيخنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد يقول: أول درجة في الغلو نفي السهو عن صلى الله عليه وآله وأنا أحتسب الأجر في تصنيف كتاب مفرد في إثبات سهو النبي والرّد على مُنكره).

والرضا يلعن من ينفي السهو عن النبي عليه الصلاة والسلام ويقول: (إن الذي لا يسهو هو الله سبحانه، وكتب الشيعة روت أخباراً في سهوه صلى الله عليه وآله في صلاته).

فابن بابويه ينكر على من نفي السهو عن المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فكيف بمن هو أقل منه كالأئمة؟ ويعدّ نفي السهو علامة الغلو، ويشير إلى أن هذا القول من مذاهب الغلاة. ويلمح إلى ما ينطوي عليه نفي السهو من تشبيه المخلوق بالخالق جل شأنه.

ومن طريف ما ينبغي التنبيه إليه هنا في أمر العصمة أمر بالغ الأهمية :

وهو أن العصمة عند الإمامية لا تعدو أن تكون نظرية ، فهم في جانب إثباتهم العصمة للأنبياء على نحو ما سبق إلا أنهم في الجانب الآخر يرمون الأنبياء بعضائم ويطعنون فيهم طعنا بليغا وهو وإن جعل له مبحث خاص من مباحث هذه الرسالة إلا أنه ينبغي التنبيه إليه في هذا الباب لأنه يتأني في العصمة حيث

قالوا: (إن نبي الله أيوب لم تتغير نعمة الله عليه إلا لإنكاره ولاية علي ، كذلك صفي الله يونس عليه السلام لم يجبس في بطن الحوت إلا لإنكاره أيضا ، وكذلك يوسف وقبله آدم عليها السلام .

أورد الحويزي رواية في تفسيره أنه قال: (دخل عبدالله بن عمر على زين العابدين فقال: يا ابن الحسين! أنت الذي تقول: إن يونس بن متى إنما لقي من الحوت ما لقي ، لأنه عرضت عليه ولاية جدي فتوقف عندها؟ قال: -بلى! شككتك أمك ، قال(عبدالله بن عمر) فأرني آية ذلك إن كنت من الصادقين؟ فأمر بشد عينيه بعصاة وعيني بعصاة، ثم أمر بعد ساعة بفتح أعيننا، فإذا نحن على شاطئ البحر تضرب أمواجه ، فقال ابن عمر: - يا سيدي! دمي في رقبك، الله الله في نفسي ، فقال: هنيئة ، واره إن كنت من الصادقين؟ فقال زين العابدين : يا أيتها الحوت! قال: فأطلع الحوت رأسه من البحر مثل الجبل العظيم وهو يقول: لبيك لبيك يا ولي الله! فقال: من أنت؟ قال: حوت يونس يا سيدي! قال: - اتنا بالخبر ، قال: يا سيدي! إن الله تعالى لم يبعث نبيا من آدم إلى أن صار جدك محمد إلا وقد عرض عليه ولايتكم أهل البيت ، فمن قبلها من الأنبياء سلم وتخلص ، ومن توقف عنها وتتعق في حملها لقي ما لقي آدم من المصيبة ، وما لقي نوح من الغرق ، وما لقي إبراهيم من النار ، وما لقي يوسف من الجب ، وما لقي أيوب من البلاء ، وما لقي داود من الخطيئة ، إلى أن بعث الله يونس فأوحى إليه أن يا يونس! تول أمير المؤمنين) .

وجاء (أن أبا عبد الله سئل عن قول علي رضي الله عنه: إن أمرنا صعب مستعصب لا يقرب به إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قبله للإيمان) (فقال: إن في الملائكة مقربين وغير مقربين، ومن الأنبياء مرسلين وغير مرسلين، ومن المؤمنين ممتحنين وغير ممتحنين، فعرض أمرهم على الملائكة فلم يقرب به إلا المقربون، وعرض على الأنبياء فلم يقرب به إلا المرسلون، وعرض على المؤمنين فلم يقرب به إلا الممتحنون).

ثانيهما وهو أن جملة من مصادرهم سطرت على أن أكل الرمان يورث العصمة لكن لفترة محددة وهي ثلاثة أيام فقد جاء في الكافي عن أبي عبد الله: (من أكل حبة من رمان أمرضت شيطان الوسوسة أربعين يوما) وفي رواية أخرى: (عليكم بالرمان الحلو فكلوه فإنه ليست من حبة تقع في معدة مؤمن إلا أبادت داء وأطفأت شيطان الوسوسة عنه) بل جاءت رواية موثقة عنه فيها: (من أكل رمانة يوم الجمعة على الريق نورت قلبه أربعين صباحا ،

فإن أكل رمانتين فثمانين يوما ، فإن أكل ثلاثا فمائة وعشرين يوما ، وطرقت عنه وسوسة الشيطان ومن طردت عنه وسوسة الشيطان لم يعص الله عز وجل

ومن لم يعص الله أدخله الله الجنة) وأيضا: (من أكل رمانة أنارت قلبه ومن أثار الله قلبه بعد الشيطان عنه ) .

ومن جميع ما سبق في أمر العصمة عند الإثني عشرية نستخلص ما يلي :

أن العصمة ليست من خصائص الأنبياء والرسل بل يشركهم فيها الأئمة من آل البيت .

أن عصمة الأئمة وجدت معهم منذ ولادتهم بالإجماع بخلاف الأنبياء فهي بعد النبوة .

أن عصمة الأنبياء لا تمنع وجود السهو منهم ولا الإخلال في ترك نفل أو مندوب إليه بخلاف النبي ×

والأئمة من آل البيت فلا يصدر منهم مثل ذلك . وإن كانت مسألة السهو مما اختلف فيه القول لديهم

**أوجه الشبه بين معتقد الاثني عشرية وفرق الباطنية في عصمة الأنبياء**

أوجه الشبه بين معتقد الاثني عشرية وفرق الباطنية في عصمة الأنبياء :

بعد هذا العرض الموجز لمذهب الاثني عشرية وفرق الباطنية في عصمة الأنبياء يتضح جليا مشارب

الطائفتين و نقاط الالتقاء في اعتقادهم في عصمة الأنبياء ويمكن عرض أظهر نقاط الالتقاء بين الطائفتين

بما يلي :

اتفاق الطائفتين عدا الدروز في تبني مسألة عصمة الأنبياء والقول به , وإن خالفوا ما تبناه في التطبيق

اتفاق الطائفتين على القول بأن مسألة العصمة ليست مما اقتصت به الأنبياء من البشر , بل يشركهم فيها

غيرهم .

أن عصمة الأنبياء ليست ملازمة لهم من ولادتهم , بخلاف عصمة الأئمة فإن عصمتهم ملازمة لهم منذ ولادتهم.

أن عصمة الأئمة أعظم من عصمة الأنبياء لاستمراريتها لهم منذ ولادتهم بخلاف الأنبياء .

أن عصمة الأنبياء لا تمتنع من وقوعهم في الكبائر بل قد يصدر منهم ما ينزه عنه عليه القوم من الرذائل والقبائح.

هذه أهم ما بدا في مسألة عصمة الأنبياء إجمالاً .

## نقد العقل الباطني الشيعي

## المحور الخامس

### المظلومية

لم يكن مقتل الحسين - رضي الله عنه- في كربلاء إلا مدخلاً وشماعة ستستعملها الشيعة عبر التاريخ ليس للانتقام له من مخالفهم السنة، بل لتكون ثغرة تنفذ منها في كل قطر لاحتلاله وتفرقة صفوفه وسفك الدماء فيه .

### تعريف المظلومية

هو وقوع الظلم والإيذاء النفسي والجسدي والاجتماعي من أشرار الناس على أفاضل الناس . . بدءاً من وقوع الظلم ( المزعوم ) على آل بيت النبوة عليهم السلام من أعدائهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم . كما يزعمون . ومروراً بوقوع الظلم تاريخياً على الشيعة منذ مئات السنين ونهاية باستمرار وقوع الظلم على أتباع هذه الطائفة إلى هذه اللحظة . . وينص معتقدتهم الذي يروجونه بين أتباعهم بأنه لم ولن يرتفع هذا الظلم ( المزعوم ) الواقع عليهم إلا بخروج المهدي الذي سوف ينصفهم ويعطيهم حقهـم ويسحق أعدائهم بل وينبش حتى قبور الصحابة ويصلب رفاتهم !!

### المظلومية ... الركيزة الأساسية التي يقوم عليها دين الشيعة الإثني عشرية

سنفسر لكم وبإيجازٍ "خطير" ما هو مفهوم "المظلومية" الذي يعيش من خلاله الرافضة الإثني عشرية بين الناس ولماذا يصرون على أن يرضعونه لأولادهم!

وبما أن المظلوم لا بُد له من ظالم فتكون المعادلة باختصار شديد هي كالتالي:

المظلومون هم الشيعة . . الظلمة هم أهل السنة والجماعة ! !

والسحر الذي يستخدمه ساداتهم للسيطرة على عقول أتباعهم هو سحر الإيهام لهم بالظلم الدائم

عليهم ، وأنهم المعذبون في الأرض ، وأنهم يجب أن يكونوا مظلومين لأنهم امتداد لمن سبقهم من

المظلومين وبمجرد أن يعتقد الشيعي بأنه غير مظلوم فإنه سوف ينفصل عن دينه ومحور معتقده والركيزة

الأساسية التي يقوم عليها إسلامه المزعوم ! !

ومن خلال هذا المفهوم المريض الذي يقوم عليه دينهم نستطيع أن نفهم لماذا يُصر ساداتهم وكبرائهم وآياتهم

الإيرانية والعراقية على تسيير مواكب اللطم في كل عام ولماذا تكثف الفنادق هناك وتزدهر تجارة السادة

والمعممين على حساب هذه الحراف الضالة !

ونفهم كذلك . . لماذا يُصرون على تشويه صورة الإسلام أمام العالم باتسابهم المزعوم إليه من خلال

الهرطقات والطقوس الشيطانية التي يقومون فيها أمام العالم أجمع حيث تطير الرؤوس وشق الجيوب

وحشو التراب ووضع براز وفضلات ساداتهم على رؤوسهم ! !

· ونفهم لماذا يضربون أجسادهم بالسلاسل والسيوف والحبو كالبهائم أمام الكاميرات . . الخ هذه

الطقوس البهيمية التي يرفضها ويشمئز منها كل من له فطرة سوية وعقل سوي!

· ونفهم كذلك لماذا يربون أولادهم منذ الطفولة . كما شاهد الجميع صور أطفالهم في روضة الحوراء

وهم يلطمون ويطوفون بالنعش . ونفهم كذلك لماذا يؤمرون أولادهم وشبابهم بالاستماع الدائم لـ

( اللطميات ) وأناشيد النواح والإدمان على سماع الرادود الذي تقوم جميع إصداراتهم على تكريس

مفهوم المظلومية ووقوع الظلم عليهم . . !

· لذا تجد أن أغلب شبابهم في قمة الانحراف الخلقى ، لكن يقابله ذلك أنك تجد سيارته تمتلئ

بكاسيتات الأغاني + صوتيات اللطم والنواح، أما أشرطة القرآن فهي شبه معدومة في ثقافتهم وحياتهم

· وسبب ذلك أن سادتهم الخونة لدين الإسلام قد اكتشفوا بأن الاستماع للقرآن الكريم لا يكرس

المظلومية في نفوس أتباعهم ولا يوجب ثقافة الكراهية في أذهانهم . . فإذا ن لا بُد من البديل القذر للقرآن

الكريم . .

· وهذا البديل يعمل كما قلنا فعل السحر المتواصل في نفوس وعقول هؤلاء الأتباع والرعاع . . حيث

أنهم يجب أن يعتقدوا بأنهم مظلومين مسحوقين حتى ولو كانت سياراتهم بعشرات الآلاف . . !

وحتى ولو أنهم يسكنون في فلل وقصور ويملكون شاليهات . . !



إلا أنهم مظلومون ويحتاجون لأن يتذكروا دائماً بأنهم في قمة الظلم !!

ومن خلال ذلك يجب أن يعيش الشيعي مفهوم المظلومية ويلتصق به حتى ولو كان يملك أسواق القماش والاسفنج ومحلات الذهب والصيرفة وحتى لو كان وكيلاً للسيارات ومورداً للأغذية وحتى ولو كان من أكبر تجار العقارات والأسهم والمال وحتى لو أنه يملك شركات النفط والوقود وحتى ولو يملكون إمبراطوريات مالية ضخمة . . كل هذا لا يعفيه من أن يكون تحت طائلة الظلم المزعوم فالشيعي من غير أن يتلبس ويعايش مفهوم المظلومية هو خائن لطائفته ومذهبه وهو غير موالي لآل البيت . . !

لذا نجد أن سادتهم وآياتهم الشيطانية يغذون عقول أتباعهم ورعايهم بأنهم امتداد لمظلومية آل البيت (المزعومة) حيث يحشون عقولهم بأن الصحابة الكرام وعلى رأسهم سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد اغتصب حق أمنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها وحرمها من ميراثها (فدك) ثم يتبعون ذلك الظلم (المزعوم) على سيدنا علي رضي الله عنه فحرموه الصحابة الكرام من حقه في الخلافة . . ثم يمتد الظلم إلى تصوير الظلم الذي وقع على سيدنا الحسين وآل بيته الأطهار في كربلاء إنما هو قد وقع عليه من الصحابة الكرام بينما التاريخ وكتب التراث وحتى كتبهم جميعها تشهد ببراءة الصحابة الكرام جميعاً من دم سيدنا الحسين ، وأن من تورط بقتله وتركه يموت ويقتل هو وأهله هم الذين أغروه من (شيعته) بالخروج إليهم وكتبه مراراً وتكراراً للمجيء إليهم ثم لما اجتمع عليه شياطين يزيد بن معاوية (عليه من الله ما يستحق) تركوه يقتل وحده !

· وما يجب أن ننوه إليه ويتنبه إليه كل الناس : أنه من خلال شعار المظلومية أصبح الرافضة يفسرون جميع الأحداث من حولهم ، وحتى ولو لم يكن أحداً منهم قد ظلم . . فهو لا يستطيع . كما بينا . إلا أن ينتهج الظلم ويتوهمه ويتصرف من خلاله . .

· وهذه المنهجية مصدرها دينهم المبني على الخرافة والوهم ، ومن ذلك ما يرويه لهم كذابهم الأكبر ( ابن بابويه القمي ) المسمى بالصدوق ( عندهم ) أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول مخاطباً سيدنا علي بن أبي طالب ( أنا المظلوم يا علي . . وأنت المظلوم من بعدي فمن ظلمك ظلمي ومن أنصفك أنصفتني ) !

· لذا فالرافضي الذي لا ينتهج منهج المظلومية ويلتزم به في كل حركاته وسكناته فإنما هو مخالف للإمام المعصوم الذي أوجب عليه أن يكون مظلوماً . . لذلك ليس هناك من طريقة لتخليصهم من هذا الوهم والتخريف والزيف الذي يعيشونه إلا بتغيير دينهم وخلعهم منه .

· والمظلومية هي عبارة عن الركيزة الأساسية التي ينطلق منها الشيعة وهي التي تحكم كل علاقاتهم مع الآخرين سواء أكانت هذه العلاقة بين الحاكم أو المحكومين لذلك يستحيل أن تجد للشيعة ولاء (( حقيقي )) لأي حاكم سني كانوا تحته على مر التاريخ . . ! حيث أنه يستحيل أن يوالي المظلوم ( الشيعي ) الموالي للمظلومين من أهل البيت حسب معتقدتهم . . الظالم ( السني ) الذي يوالي الظالمين من الصحابة !

· لذلك إذا وجدت أي رافضي يتحدث عن موالاته لنظام سُني بحجة التلاحم والوطنية فأعلم بأنه

أكذب من المسيح الدجال في دعوته هذه!!

لأن أي تلاحم مزعوم مع السنة إنما هو مصادم للعقيدة الرئيسية التي ينطلق منها الشيعة!!

· فمن خلال المظلومية يتم شحن الأتباع لاستحلال كل محرمات المخالف من أهل السنة..

فعرض السني حلال..!

ومال السني حلال..

ودم السني حلال..

ومن أراد التأكد مما نقول فليتنظر إلى واقع السنة في العراق وإيران كيف أنهم يستحلون دمهم وأعراضهم

وأموالهم...! وكذلك في البحرين وكذلك في الكويت.. فأبي سُني حلال عندهم أن يقرضون

عرضه، بل لو كان الأمر بيدهم لفعلوا بالسنة أشد مما يفعله أقرانهم بالسنة في إيران والعراق!!

· أن مفهوم المظلومية هو عبارة عن حجر الزاوية في أي برنامج سياسي يطرحه الرافضة في أي دولة

كانت.. والمظلومية هي حجر الزاوية في أي محاضرة دينية يطرحها معمم..

· والمظلومية من خلالها يتم تقديس أي شخصية تاريخية ومن خلالها يحجون إلى قبره وينادونه في

دعائهم ويحجون إلى قبره ويزحفون إلى ضريحه

ويصنع السادة لهم دين جديد ليس له علاقة بالإسلام لا من قريب ولا من بعيد من خلال مفهوم

المظلومية!

· وحتى إدعائهم ( المزيف ) بنصرة آل البيت عليهم الصلاة والسلام سببه أن آل البيت قد وقع عليهم

الظلم من كل المسلمين كما يزعمون !!

· وهذا من صميم الزور والبهتان الذي يقوم عليه دينهم ويتدينون به . . بل حتى اختراعهم لأكذوبة

( كسر الخليفة عمر بن الخطاب لضلع السيدة فاطمة ) أمام حضرة زوجها سيدنا علي بن أبي طالب

رضي الله عنهم أجمعين وهو يرى ما يحدث في زوجته وهو عاجز أن يفعل شيئاً إنما هو يُكسر

مظلوميته كإمام معصوم !!

· وحتى ولو أعترف ساداتهم وآياتهم بكذب هذه الرواية المختلقة كما قال بذلك كثير من أسيادهم

واتشر بين الناس بالنسبة ... إلا أنهم يُصرون على ترويح مثل هذه الأساطير لأنها تُحقق لهم دينهم

الخُرَافِي وتُثبت في عقول أتباعهم الوهم الذي من خلاله يقودونهم كالخراف الضالة!

· الخلاصة . . أن ( المظلومية ) في عقيدة الرافضة إنما هي عند كثير من الناس عبارة عن أحجية  
ولُغز . . ولكن إذا استطعت أن تحُل هذا اللغز كما حللته وأوضحته لكم آنفاً . . فإنك ستفهم بعد  
ذلك كل دينهم المزيّف وعلى ماذا يقوم هذا الدين الأسطوري !!

وكما ذكرنا أعلاه فلقد تأسست النظرية الشيعية على مفهوم (المظلومية) مستندة إلى حادثة كربلاء  
واستشهاد الحسين بن علي، رضي الله عنه، وبها كسبت المعنى الأخلاقي لوجود التشيع واستمراره  
وفي جلب التعاطف معه، وقد بني الوجدان الشيعي على هذا المفهوم حسياً بمواكب العزاء السنوية،  
وثقافياً حيث تطفئ مسحة الحزن على كل مظهر خطابي في النسق الثقافي الشيعي، في الشعر والمواويل  
والمنابر وصيغ التعبير كافة، وبذا صارت المظلومية هي المكون البنيوي للمعنى الشيعي، وكان لهذا  
الشعور أن يتعمق ويتقوى على الزمن تحت مفهوم المهدي المنتظر الذي يرفع المظالم ويملاً الأرض عدلاً  
بعد أن ملئت جوراً، وكان أهم ما يشغل الفكر الشيعي هو فترة انتظار الإمام، وكيف يرتبون حياتهم  
السياسية والدينية إلى يوم ظهوره، وكثرت الكتب والنظريات التي تقوم على فكرة وعنوان (انتظار  
الإمام) حتى جاء الخميني وعزز نظرية الولي الفقيه، أي النائب الظرفي عن إمام الزمان حتى تحين لحظة  
الظهور المرتقب .

هنا يتضح أن النظرية الشيعية تقوم جوهرياً على معنى أن الشيعة هم أهل المظلومية تحديداً وحصراً،  
وأنهم حاملو الوعد بتحقيق العدل . وهذان معنيان ظلالاً في دائرة مغلقة داخل البيت الشيعي، على

الأقل عربياً، حتى جاء عام 2003 حيث سقطت بغداد ودخلت الأحزاب عبر البوابة الشرقية لتحطم تمثال صدام وتملاً ساحة الفردوس برايات النصر والفتح، وتتولى الأحزاب الشيعية تحديداً الحكم في العراق لأول مرة منذ قرون، وهذا تعبير قالوه ورددوه مما حول الحدث لينصرف من كونه خلاصاً من دكتاتورية إلى كونه مشروعاً شيعياً وليس وطنياً، تماماً كما حدث مع انحراف ثورة إيران من ثورة وطنية إلى ثورة خمينية، وهو الأمر الذي أثار نقاشاً لي مع عدد من الثوار الشيعة حينها في لقاء على هامش مؤتمر في الكويت، حيث لاحظت أنهم يتكلمون بحماس مندفع ليس عن انتصارهم على صدام، بل يزيدونه في نغمة تأريخية تجنح إلى اتهام العرب السنة (كل العرب السنة) بتواطئهم مع الظالم، ليس في حالة العراق فحسب، ولكن التهمة في لغتهم ولهجة تعبيراتهم تعم تاريخ السنة وثقافة السنة وأهل السنة على مدى التاريخ كله.

ولاعجب أن تكون مظلومية الحسين مادة لنزاع سياسي معاصر ومع ثورة للتوانبثقت في العراق، ذلك لأن مظلومية الحسين تضرب في أعماق كل مسلم باتفاق كلي ومطلق وما كانت قط بندا حزبياً ولا طائفياً، ومن الطبيعي في لحظة كهذه أن يبرز أمامنا التساؤل عن احتكار (بعض) أهل الإسلام لهذه المظلومية ويحصرونها فيهم وعليهم، وهو سؤال يطرح نفسه وي طرح جوابه تلقائياً دون اجتهادات.

المظلومية اليوم شعار سياسي فعال

بعد سقوط بغداد على يد ما يطلقون على أنفسهم ( المظلومين ) لم ير العراق العدالة، بل تكاثرت المظالم حتى تحولت المظلومية التاريخية إلى ظلمة تمارس ظلما عصريا وواقعا، ولم تعد فكرة في بطن كتاب، وهنا تنهار النظرية من أساسها الأخلاقي، وإذا أصبحت المظلومية ظلمة فإنها تفقد كل مبرر أخلاقي لها وتصبح مثل غيرها من الظلمة الذين يملؤون التاريخ، وهنا لن يكون الوعد الشيعي كما هو المأمول ولن يملأ الأرض عدلا، ولكنه سيأخذ دوره في ملحمة الظلم المتصل.

ولا شك أن إيران قد استغلت هذا الظرف المتاح لها فباشرت في تحقيق مشروعها لتصدير الثورة والنتائج لهذا هو توحش الثقافة العربية، وتحول المظلومون إلى ظلمة، حتى صارت نظرية الثأر أقوى من نظرية المظلومية، وتردد شعار (لبيك يا حسين) ليكون عنوانا لكل مواجهة سياسية وحرية وتصارعية في المنطقة، وقد تم إعلانه رسميا في تحريك الحشد الشعبي في العراق. وترسم بما إنه هو التفسير الأبرز وراء كل سلوك سياسي وعسكري.

ونحن اليوم نمر في حال من التوحش الثقافي يسود كل خطاباتنا كنتيجة لمشروع تصدير الثورة الخمينية، ويتكشف هذا في وجوه ستة هي:

I. ما دخلت إيران إلى بلد عربي إلا وحل فيه الدمار (العراق، سورية، اليمن، لبنان)، وقد قاله زعماء إيران مفتخرين باحتلال أربع عواصم عربية، وإن حدود إيران تمتد إلى شواطئ بيروت، وهذه مساحة جغرافية عربية تعاني اليوم من التفكك والتدمير والحروب الأهلية، وتسود فيها شعارات

التناحر حتى صارت العائلة الواحدة منشطرة على ذاتها، وصارت كلمات شيعي/ سني سببا للموت أو التهجير أو العزل الاجتماعي والسياسي والثقافي، حتى على مستوى الصداقات الفردية.

2. انكسرت فكرة الدولة الوطنية في كل بلد تدخله إيران لدرجة أن الحكومة فيه لا تكون حكومة للشعب كله، ولكنها حكومة لفئة في حين أنها عدوة لفئة أخرى، ولا تأمن أن يكون في جيشها ولا أمنها ولا بنوكها ولا سياستها الخارجية إلا شخصيات من طائفة تحدها مقاصد مشروعات إيران، حتى صار قاسم سليمان يتردد بين العواصم الأربع ليشرق بنفسه على كل مسارات الحكم فيها ويقود بنفسه جبهات القتال، في الرمادي، وفي دمشق، ومر على صنعاء، والضاحية جنوب بيروت؛ ليثبت المعنى المطلوب بإرادة الحرس الثوري الإيراني، وهو الحاكم الفعلي لهذه البلدان بما أن القوة بيده والقرار النهائي بيده.

3. في هذه البلدان تحديدا تشهد عيانا انشطار الدلالات الثقافية، فتسمع عن تسميات من مثل (حزب الله) و(أنصار الله)، وهي شعارات عظيمة الشأن، ولكن لو نظرت في الأفعال لوجدت أفعالا تنتمي لمعاني القتل والسحق والإقصاء، ومثلها شعار حماية المقدسات الشيعية في دمشق وحماية القرى اللبنانية في سورية (لاحظ عبارة القرى اللبنانية في سورية - كما قالها حسن نصرالله في أول خطاب له عن سبب إرساله لجنوده إلى سورية)، ثم ترى أن الذي يضرب ويدمر هي مدينة القصير في حمص، ومنطقة الزبداني جنوب سورية وحلب في الشمال، ويأتيك تصريح متناقض مع تلك الشعارات في قول



حسن نصرالله في خطبة له بأن نظام بشار كان على وشك السقوط لولا تدخل حزب الله، وبفارق ساعات (حسب تقديره الذي نص عليه في خطابه) حيث كان يجلس في مكتبه ومن وراءه يافطة عريضة كتب عليها (يا لثارات الحسين) . وكذا سترى الحوثي (أنصار الله) يعلن أنه يجارب الإرهابيين في اليمن، ولكن الذي يدمر هي مدينة تعز وعدن، ويجري تهجير الناس ومنعهم من الدواء والغذاء مع قصف المستشفيات بقنابل أنصار الله.

هنا حالة التوحش والانشطار بين التسميات والتصرفات.

4 - يقع توحش ثقافي متصل يوميا بأن يجعلك أنت بذاتك بين ثنائية (أنا/ إيران)، فإما أن تقبل بتصرفات إيران أو تغض الطرف عنها لكي تظل في أمان ثقافي، أو فإنك ستكون عرضة للوصف بأنك طائفي، وهذا وصف يمتد ليعني أنك ضد الحسين وأنت تناوى آل البيت (وهي عبارة تتردد عند المالكين في العراق مثلما عند حسن نصرالله والحوثي، وإعلامهم الموالي لهم)، وبالتالي فأنت مع الباطل وضد الحق، وكل هذا مجرد أن تنتقد سياسات إيران في المنطقة العربية. وستصبح حينها في معجم الشيطان، وستكون درجتك من الشيطانية حسب درجتك في الخطاب النقدي.

5 - من الواضح أن الضرر الإيراني لا يميز بين شيعي عربي ولا سني، وكل من لم يوافق مراد إيران فهو داخل في معجم الشيطنة، جرى هذا في استبعاد مؤسس حزب الله (الطفيلي) وفي طرد علي الأمين وعائلته من جنوب لبنان، وفي اغتيال محمد باقر الحكيم في النجف الشريف، وفي محاصرة محمد حسين

فضل الله، حتى حاصروه بعد موته ومنعوا التعازي به في إيران، وكذلك يجري التكتم على اسم محمد مهدي شمس الدين ومنع تداول اسمه وكتبه وآرائه، وكل هذا لأنهم ليسوا مع المشروع الإيراني ويرون أن للوطن العربي حقه وشرطه الذي لا يقبل التسليم بإرادة ومراد إيران.

6. من أخطر الأمثلة الكاشفة على تعمد تفجير الأوضاع هو ما حصل في تفجير المراقد الشيعية في سامراء، وسامراء منطقة سنية في العراق وتحتضن مراقد شيعية ظلت بسلام وأمان وصيانة على مدى قرون، ولكن فجأة حصلت تفجيرات دمرت المراقد وقامت فتنة شيعية/ سنية أشعلت كل المشاعر والنفوس، وهذا أمر متوقع، ولكن غير المتوقع هو أن يتضح بعد حين أن التفجير كان بتدبير إيراني، وهذا كشف أعلنه وجوه شيعية ورفعت صوتها بالتنبيه والتحذير، وهذا يعني أن مشروع تصدير الثورة قرر أن يسلك كل الطرق، حتى غير المتخيل منها من أجل خلق بيئة يستطيع أن يتسلل عبرها بما إنه البطل المنقذ للشيعية المظلومين ضد ظالمهم التاريخي، وسيسعى إلى كسب أي دليل يعينه على هذا.

هذه ست صور لحال التوحش الثقافي الذي حل بثقافتنا نتيجة لثنائية (نحن/ إيران) حتى صار مجرد طلب الأمن والأمان في شوارع بغداد أمنية كبرى وحلما يوميا، وكذا طلب قيام حكومة في لبنان صار أمرا من أشق الأماني، وطلب حرية لشعب سورية هدفا لا أحد يعرف كيف يجده. وهكذا ما حلت إيران في بلد عربي إلا وحل فيه الدمار. والوقائع هي التي تقول وتسجل هذه الحقائق المرة.

وهنا فإن تصدير الثورة أفضى إلى تفرغ المعنى الشيعي من جوهره وحوله إلى (ظالمية) عوضاً عن أن يكون (عادلية) .

فبعد غزو العراق وسقوط دولته واستفراد إيران به رفع أتباعها شعار الحسين والانتقام له، وكذلك فعلوا في سوريا ولبنان، وتبعهم الحوثيون في اليمن لرفع هذا الشعار على أساس من المظلومية التاريخية. وحتى أولئك الذين تشيعوا من آل الجعيد المحسوبين على الصوفية عدلوا عن السنة إلى التشيع وأقاموا الحسينيات في جبل صبر وحوّلوا زواياهم الصوفية في مدينة تعز وجبل صبر إلى حسينيات، واتخذوا من الإثني عشرية مذهباً جديداً لهم بدعم إيراني حوثي، وقاموا باستحداث المآتم الحسينية والمنادب والبيكائيات والضرب واللطم، وقد أظهرتها وسائل إعلامهم وكذا مختلف الوسائل الإعلامية .

### خاتمة

لقد أثبتنا في دراستنا وبجثنا هذا وبشكل لا يقبل النقد أو الرد والتجريح والنفي من أن المذهب الإثني عشري الإمامي اليوم يقوم على عقيدة باطنية تاريخية راسخة لا تتزعزع هدفها هو زرع فلسفة الشك والريب في القرآن الكريم وفي الإسلام وشرعه ومنهجه وقد استغل هذا المذهب الإسلام اليوم كما استغله أنصاره من قبل وجعلوه أداة سياسية يتحكمون بها في أعناق المتبوعين والقطيع وجرهم للقتال والموت وسلب أموالهم بذرائع شرعية وأستباحة الأعراس بنفس الذرائع الشيطانية وكل ذلك هدفه وغايته واحدة وهو تدنيس الدين الإسلامي والانتقام منه بعد أن حطم الاسطورة الفارسية المجوسية وقضى على حلمها في البعث من جديد .

